

العلاقات التركية اليهودية

LEBANON SYRIA

العراق

وآثرها على البلاد العربية

PAL

IRAN

منذ قيام دعوة يهود الدونمة ١٦٤٨م إلى نهاية القرن العشرين



تأليف
الدكتورة هدى درويش

الجزء الأول

دار الفيل
دمشق

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الْأُولَى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

تُطْلَبُ جَمِيعُ كُتُبِنَا مِنْ :

دَارُ الْقَلَمِ - دِمَشْقُ : صَرْبُ : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدَّارُ الشَّامِيَّةُ - بَيْرُوتُ - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

صَرْبُ : ٦٥٠١ / ١١٣

تَوْزِعُ بِجَمِيعِ كُتُبِنَا فِي السُّعُودِيَّةِ عَنِ طَرِيقِ

دَارِ الْبَشَّيرِ - جَدَّةُ : ٢١٤٦١ - صَرْبُ : ٢٨٩٥

ت : ٦٦٥٧٦٢١ / ٦٦٠٨٩٠٤

العلاقات التركيه اليهودية
وأثرها على البلاد العربية
منذ قيام دعوة يهود الدونمة ١٦٤٨م إلى نهاية القرن العشرين

تأليف
الدكتورة هدى درويش
معهده الدراسات والبحوث الآسيوية - جامعة الزقازيق

الجزء الأول

دار القلم
دمشق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنَّ العلاقات التركية اليهودية لا تعبّر إلا عن مصالح
فئة من الأتراك ربطوا مصالحهم بالمصالح
اليهودية، ضارين عرض الحائط بهوية الشعب
التركي المسلم وتاريخه الزاهر، ودينه وقيمه،
وأواصر القرى والجوار مع بقية الشعوب
الإسلامية، وعليه فإن نتائج هذا البحث إنما
تصدق على الأنظمة لا على الشعوب.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

تنقسم هذه المقدمة إلى ثلاثة عناصر هي :

١ - أهمية الدراسة .

٢ - منهج الدراسة .

٣ - أهداف الدراسة .

وتفصيلها كالآتي :

١ - أهمية الدراسة :

تقدّم هذه الدراسة سجلاً علمياً وافياً متعدّد المصادر للعلاقات التركية اليهودية، سواء في الماضي أو في الحاضر، وبالتالي استشرافُ آفاق مستقبل هذه العلاقات، التي تشكّل أساساً هاماً من أسس الحياة في العالم العربي الإسلامي . وهي دراسة تقدّم مدى التغلغل اليهودي في الشأن العثماني، ثم التركي، بل وفي الشأن العربي أيضاً، والعالم التركي والذي يمتد من الصين إلى البوسنة والهرسك مروراً بآسيا الوسطى والقوقاز، إذ إنها حتى الآن هي الدراسة الأولى التي تتناول علاقة اليهود والصهيونية بالدولة العثمانية، وبعدها بالجمهورية التركية بهذا القدر من التفرع والتخصص .

وتأتي أهمية هذه الدراسة في تبصير العالم العربي بالتحركات اليهودية والإسرائيلية، التي تستهدف الانفراد بدولة شقيقة مثل تركيا لكي تجابه إسرائيل بها المجتمعات العربية المسلمة في المنطقة العربية .

لذلك حَرَصَتْ هذه الدراسة على تبيان الاتجاهات اليهودية عامة، والإستراتيجية الإسرائيلية خاصة تجاه تركيا، واستخدامها لهذا البلد الشقيق وسيلة للضغط على العرب في حالة النزاع الإسرائيلي العربي، ووسيلة لتبيان تأثير إسرائيل الإيجابي على البلدان العربية باستخدام تركيا استخداماً يفيد إسرائيل في تقديم صورة أقوى لها أمام العرب.

وأخيراً تقدّم هذه الدراسة للمجتمعات العربية وخاصة السورية والعراقية منها - فائدة تتعلق بورقة المياه في حياة العرب، ودور إسرائيل تحرك ورقة المياه في يد تركيا. وبالتالي حَرَصَتْ هذه الدراسة على إلقاء مزيد من الضوء لظاهرة الخلاف التركي العربي عندما تكون إسرائيل داخلة فيه، وتبرز هذه الدراسة أيضاً أهمية السلام بين تركيا والعرب إذا تقاربت النوايا، وحرص كل فريق على ما عند الفريق الآخر من صداقة وجيرة حقيقية، تفرصها الظروف الجغرافية والواقع الديني ومتطلبات الثقافة الإسلامية.

٢ - منهج الدراسة:

اتخذت هذه الدراسة المنهج التاريخي للحصول على معرفة جوانب العلاقات التاريخية بين اليهود والعثمانيين عبر التاريخ، وما سبق ذلك التطور في العلاقات العثمانية اليهودية من وضع لليهود في البلدان الإسلامية، وذلك باستقراء التاريخ الإسلامي في هذه النقطة بالذات، وكان هذا ضرورياً لدراسة مدى ما قدّمه المسلمون لليهود من وضع لم يُحظَ به اليهود في مجتمع آخر غير المجتمع المسلم، وما إن جاء دور العثمانيين في حماية اليهود حتى وجدوا الأسس الإسلامية الشرعية في علاقات المسلمين بأهل الدمة، فأخذ اليهود وضعهم الذي شهد به اليهود أنفسهم.

وأفادتنا دراسة المنهج التاريخي للعلاقات العثمانية اليهودية في دراسة الحوادث والوقائع التي تسامح فيها المسلمون العثمانيون مع اليهود، والتي كانت علامة فارقة، إذ استغلّ يهود الدونمة في تركيا وقائع هذا التسامح، لينقلبوا ضدّ المجتمع العثماني ويتغلغلوا فيه، مستغلين وضعهم الذي أتاحه لهم (ساباتاي

زفي^(١) - كما سيمز في الدراسة - من استخدام الأسماء المسلمة لليهود،
واندماجهم الظاهري في المجتمع التركي، بحيث لم يذُر هذا المجتمع بتلك
الشرور التي يبيتها اليهود للسيطرة على مقدرات هذا المجتمع، الذي عُرِفَ
بالتسامح طوال تاريخه، وبذلك تكشف الدراسة في منهجها التاريخي هذا
جوانب الطبيعة اليهودية بكل ما فيها من سلبيات، وكذلك جوانب الطبيعة التركية
بكل ما فيها من إيجابيات فرضتها طبيعتهم الإسلامية.

كما أفاد المنهج التاريخي أيضاً في تبيان تطور المجتمعين اليهودي عامة،
واليهودي العثماني - التركي خاصة، بما يشمله هذان التطوران، أو هذا التطور في
المجتمعين من أفكار اجتماعية أصبحت تُعلي من شأن اليهود، وتحط من شأن
الأتراك، مما كان لذلك أبعداً الأثر في العلاقات المالية الإسرائيلية التركية.

وأثناء استخدام هذا المنهج التاريخي كان لابد من استخدام الوثائق اليهودية
الخاصة بيهود تركيا، سواء الرسائل أو المذكرات أو النصوص الأصلية التاريخية،
أو البيانات المسجلة - مما سيرد في هذه الدراسة - خاصة ما يتعلق بيهود الدونمة
بالتفصيل، من قيام حركة (ساباتاي زفي)، وحتى سيطرة أتباعه على توجيه
الإعلام في تركيا لصالح اليهود، لإدخال تغييرات غريبة جذرية على المجتمع
التركي، وتوجيه الرأي العام التركي؛ ورأي النخبة الحاكمة والصفوة المثقفة
للتقارب مع إسرائيل.

ومن أدوات هذا المنهج التاريخي تلك الدراسة الهامة التي كتبها (اليغاز
زورلو) وهو يهودي من يهود سلانيك، ولد في إستانبول، ودرس في تركيا، وقد
كتب دراسة علمية كشف بها جوانب على غاية من الأهمية عن يهود تركيا بمنحة
قدمتها له إسرائيل عام ١٩٩٠م بمساعدة الدكتور (جاد ناسي) الأستاذ بمعهد (بن
زفي) في القدس. وهذا الكاتب هو الحفيد السادس (لشمس أفندي) الذي كان

(١) النطق الصحيح لاسم هذه الشخصية اليهودية المثيرة للجدل هو: (شَبَّاي بن زفي)
بسكون الزاي. هذا ما سمعته من العلامة المحجة في تاريخ اليهود ولغتهم الدكتور (حسن
ظاظا) رحمه الله.

أما اسم ساباتاي بن زفي فهو التسمية التركية له وجماعته تدعى السابثائيين.

مدرّساً (لأتاتورك) عندما كان صغيراً في سلانيك .

والكتاب منشور بعنوان (الساباتائية في تركيا)، وصدر في إستانبول أواخر عام ١٩٩٨م، وهو أحدث كتاب عن يهود الدونمة بقلم واحد منهم وهو إيلغاز زورلو، ولم يُستخدم هذا الكتاب في أي دراسة علمية بعد، وهذا الكتاب قد أحدث انقلاباً في مفهوم حركة اليهود الدونمة في تركيا .

عُيِّنَت هذه الدراسة باستخدام المنهج التاريخي بالشكل الذي تحدّثنا عنه في البابين الأول والثاني، وواصلت استخدامه في البابين : الثالث والرابع، فكان لهذه الدراسة أهميتها في إبراز دور الماسونية في تركيا، ونشر الفكر القومي بين الأتراك، إلى جانب تأثير الإعلام اليهودي والإسرائيلي على المجتمع التركي، وكيفية تغلغلهم في الثقافة التركية، ثم هيمنتهم على الاقتصاد التركي .

أما الباب الخامس والسادس وهما عن العلاقات التركية الإسرائيلية المعاصرة فقد كان استخدام المنهج الوصفي هو الأمثل، وهو منهج استقرائي للوثائق المعاصرة، خاصة في الجانب التركي، وفيه تتبع دقيق لوثائق التحالف التركي الإسرائيلي، واستقراء دقيق للصحف التركية اليومية وعلى الجانبين الصحف التركية اليهودية، والصحف التركية الوطنية، وتعليقات كل من الفريقين على التحالف بين تركيا وإسرائيل، مما سيكون له أكبر الأثر في النظرة الوطنية العربية لمسألة العلاقات التركية الإسرائيلية .

٣- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تقديم الوثائق الكاملة التاريخية منها والمعاصرة أمام الدول العربية عامة ومصر وسوريا والعراق بصفة خاصة؛ لكي تصبح معرفة أسلوب مواجهة إسرائيل فيما يخص الجانب التركي العربي واضحة، وتقدّم هذه الدراسة اقتراحاتها للفائدة القومية في طريقة التعامل في الشرق الأوسط .

إنّ الرغبة في إثراء المعرفة العلمية، وإشباع احتياجات الباحثين في ميدان العلاقات التركية الإسرائيلية، وبالتالي العربية في هذا البحث لا يتعارض مع الرغبة في تقديم الهدف العملي من هذه الدراسة، لكي تظلّ نبراساً أمام المثقفين

في الشرق الأوسط من عرب وأتراك، وكذلك لكي يكون لهذه الدراسة مكانتها أمام صانعي القرار، وموجهي السياسة في المنطقة، سواء على الجانب العربي أو على الجانب التركي.

أما فيما يتعلق بالمصادر والمراجع، فقد اعتمدت على أهمها وأكثرها فائدة في منظومة مختارة منها، أوردتها في قائمة نهاية هذه الدراسة، إلا أن الجديد في هذه القائمة، والذي استخدمناه لأول مرة لمصلحة المكتبة العربية فهو:

١ - كتاب اليغاز زورلو، (السابائاتية في تركيا) , Turkiye Sabatayciligi , Ben Selanikliyi , Evet والذي صدر في إستانبول في أواخر عام ١٩٩٨ ، ومؤلف هذا الكتاب يهودي من يهود الذئمة، حصل على منحة من إسرائيل ليكتب في (السابائاتية) وهو واحد من المتممين إليها، وقد جاء تصريح واحد من يهود الذئمة أنه منهم، ويكتب الجديد في مذهبهم، وخفايا تكوينهم، وقد أثار الكتاب الرأي العام التركي.. وما زال، ويجدر بنا القول أن هذه هي المرة الأولى التي يُستخدم في اللغة العربية هذا المصدر الهام.

٢ - وثيقة الضابط التركي (شهاب الدين طان) إلى الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، وهذه أول مرة تنشر فيها هذه الوثيقة، وتشير إلى الدور الاستخباري الذي قام به هذا الضابط التركي لصالح مصر والمصلحة العربية ضد إسرائيل.

٣ - الصحف التركية بمقالاتها وأخبارها حول اتفاقية التعاون بين تركيا وإسرائيل وتطورات التعاون بين البلدين أولاً بأول، بما في ذلك اتجاهات الرأي العام التركي المختلفة، سواء مع العرب ضد إسرائيل، وهو ما قام به الإعلام الإسلامي في تركيا، أم مع إسرائيل ضد العرب وهو ما قام به الإعلام العلماني في تركيا، وشجعه الإعلام اليهودي في تركيا من صحف ومجلات وقنوات تلفزيونية.

ومن المصادر الهامة الأخرى التي استخدمت في هذه الدراسة، وإن لم تكن جديدة على المكتبة العربية:

١ - (مجلة المنار) والتي كتبت عن حركة (الاتحاد والترقي) وخلع (السلطان عبد الحميد) ودور المحافل الماسونية في الواقعة بين العرب وتركيا، والتحذير من الخطر اليهودي.

وكانت مقالات (المنار) وخاصة ما كتبه (محمد رشيد رضا) مواكبة أولاً بأول لأحداث حركة (الاتحاد والترقي) والنشاط الماسوني واليهودي في العلاقات العربية اليهودية والإسلامية أيضاً. وكانت معاصرة المنار لهذه الأحداث وكتابتها عنها من ناحية، وتعليقاتها على هذه الأحداث من ناحية أخرى ذات فائدة علمية هامة.

٢ - مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، والتي احتوت على فقراتٍ على درجة عالية من الفائدة، إذ كانت المصدر الوحيد في اللغة التركية التي عبرت عن وجهة نظر السلطة العثمانية في التحركات اليهودية ضد الدولة العثمانية، وكذلك نشاط الماسونيين، وتحريضهم للصفوة التركية للثورة على الأوضاع الراهنة وقتها، كما يرصد هذا المصدر محاولات الصهيونية العالمية للضغط على (السلطان عبد الحميد) للسماح بإقامة وطن قومي لليهود، ورفضه بإبائه هذا الأمر.

٣ - كتاب إينكه لهارد (التنظيمات) الذي عاصر أحداث التنظيمات العثمانية، وخدم بلاده في إستانبول سفيراً لفرنسا، وهي الدولة التي استلهمت تركيا منها التغيير الجذري في الحياة التركية، وجعل الدولة تتحول تدريجياً من دولة شرقية مسلمة إلى دولة شرقية تأخذ بالاتجاه الغربي، وهذه المرحلة هي التي أدت إلى أن تصبح تركيا الجمهورية دولة علمانية صريحة في علمانياتها.

وقد اعتمدت في الاستفادة من هذا الكتاب على الترجمة العثمانية له.

بالإضافة إلى هذا فقد راعيت أن يكون الأسلوب علمياً واضحاً، وإن كان بعض الاستطرادات في بعض أماكن من هذه الدراسة، فذلك مرجعه إلى حرصي على تقصي (المشكلة) محل الدراسة من جذورها.

وقبل أن أنتهي من مقدمتي هذه يحدوني قول رسولنا ﷺ: «مَنْ أَدَّى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَبَكَفْتُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تَكَاَفْتُوهُ بِهِ فَقُولُوا لَهُ: جِزَاكَ اللَّهُ خَيْراً». فإني أذكر

بالعرفان والفضل الأبدى التي امتدت إليّ بالعون في هذا العمل وأخص بالذكر
أستاذي الحليل الأستاذ الدكتور محمد حرب أستاذ الدراسات التركبية بجامعة عين
شمس الذي يرجع إليه فضل إمدادي بالمعلومات الهامة ولوثائق التركبية التي
أضفت الكثير إلى هذا العمل وأتمنى من الله أن ينفع به كل محنهد من قريب أو
بعيد.

والله أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذه الدراسة، كما أرجو الله أيضاً أن
تكون هذه الدراسة قد قدّمت فائدة في مجال بحث العلاقات التركبية اليهودية
الإسرائيلية، والاستفادة منها في دراسات وبحوث قادمة ومفيدة تشمل خدمة
العالم العربي والإسلامي. والله ولي التوفيق.

الدكتورة هدى درويش

مدخل إلى العلاقات التركية اليهودية حتى قيام دعوة يهود الدونمة في الدولة العثمانية

● تاريخ اليهود منذ هجرة إبراهيم عليه السلام
حتى مرحلة العصور الوسطى

● العلاقات اليهودية الأوروبية

● وضع اليهود في إسبانيا بعد الفتح الإسلامي

● موقف الملك (فرديناند) والملكة (إيزابيلا)
مع يهود إسبانيا

● النزوح اليهودي إلى الدولة العثمانية بعد
طردهم من إسبانيا

● اليهود في عهد السلطان مراد الرابع

● تقسيم يهود العالم:

١ - الإشكنازيون

٢ - السفارديم

٣ - اليهود الشرقيون

● لغة اليهود في الدولة العثمانية

تاريخ اليهود منذ هجرة إبراهيم عليه السلام حتى مرحلة العصور الوسطى

بدأ تاريخ اليهود منذ هجرة (إبراهيم عليه السلام) مع قومه إلى فلسطين، وذلك في القرن ١٨ ق.م، تلك الهجرة التي تُعدُّ الهجرة الأولى للقبائل اليهودية إلى فلسطين^(١).

وتقول بعض المصادر: إنَّ تعبير (تاريخ اليهود)، تعبيرٌ محازيٌّ، ذلك لأنَّ اليهود - حسب هذا القول - لا يُعدُّون وحدةً متماسكةً، فمفهوم (التاريخ اليهودي) غيرُ وارد، وذلك لأنَّه يتطلب وجود تشكيل حضاريٍّ، ومستقلٍّ واحدٍ، وعرقٍ واحدٍ... ولكنَّ الجماعات اليهودية انتشرت في جميع أرجاء العالم، وكانت تتواجد في مجتمعات مختلفة، تختلف باختلاف الزمان والمكان، الذي يعيشون فيه؛ لذا فإنَّه من الصعب قبول مقولة (التاريخ اليهودي) لأنَّه من الصعب الحديث عن الهوية اليهودية أو الشخصية اليهودية، فهي جزءٌ لا يتجزأ عن التشكيلات الحضارية التي كانوا يعيشون في كنفها؛ ولهذا فإنَّ من الأفضل استخدام لفظ (الجماعات اليهودية) بدلاً من (التاريخ اليهودي)^(٢).

وفي منتصف القرن ١٧ ق.م كان اليهود يسكنون مصر بعد هجرتهم من فلسطين مع يعقوب، وذلك نتيجة القحط الذي واجهوه هناك، ثم حُرِّجَ بهم (موسى عليه السلام) من مصر بعد اضطهادهم من فرعون مصر (رئيس الثاني)

(١) اس كثير عماد الدين أبي الغداء إسماعيل بن عمر بن كثير أنقريشي، البداية والنهاية، دار الغذاء العربي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠م: ١/١٥٢.

(٢) عبد الوهاب المسيري، يهود أم جماعات يهودية، مقال في جريدة (الشرق الأوسط) ١٩٩٤/٦/٢٣م.

الذي قابلهم بشتى أنواع التعذيب انتقاماً منهم لتعاونهم مع (الهكسوس) غزاة مصر^(١)

وانتهى بهم خروجهم مع (موسى عليه السلام) إلى التيه، الذي حدث لهم في (صحراء سيناء) لمدة أربعين سنة عقاباً لهم على مخالفتهم لموسى عليه السلام، وكان عددهم آنذاك (٦٠٠) ألف نسمة^(٢). وقد حدث لهم في تيههم الكثير من المحن حتى تابوا، وأرادوا العودة إلى فلسطين، وفي طريق العودة مات (موسى عليه السلام) وقادهم غلامه (يوشع بن نون).

أما الهجرة الثانية للقبائل اليهودية إلى فلسطين فكانت في القرن ١٤ ق.م.

وفي الأصل كان الكنعانيون أبناء كنعان بن حام بن نوح هم سكان فلسطين، وكان على العبرانيين أن يحاربوهم حتى بدخلوا فلسطين، لكنهم لم يستطيعوا التغلب عليهم، واقتصر وجودهم على التلال والأراضي الفقيرة^(٣).

وخلال الألف الأولى قبل الميلاد قام (داود عليه السلام) بتوحيد الأسباط (أي قبائل إسرائيل الإثني عشر) وهزم اليوسيين والفلسطينيين، وأسس ووسع مملكة إسرائيل، التي امتدت من دان في الشمال إلى بئر السبع في الجنوب، واتخذت أورشليم عاصمة لها (التي كانت تسمى ييوس)^(٤).

وفي عهد (سليمان عليه السلام) انشطرت الدولة إلى مملكتين: (يهوذا) في الجنوب، وتضم قبيلتي يهوذا وبنيامين، و(مملكة إسرائيل) في الشمال وتضم باقي القبائل، ومن هذا الوقت أصبح اسم اليهود يطلق عليهم نسبة إلى مملكة يهوذا، والتي مقرها أورشليم، أما إسرائيل فكان مقرها السامرة^(٥).

(١) جمال حمدان، اليهود أنثروبولوجياً، المكتبة الثقافية ١٦٩، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، فبراير ١٩٦٧م، ص ١١.

(٢) جمال حمدان، المرجع السابق، ص ١٢.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) عجاج نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، ص ٤، دار الاستقلال للدراسات والشر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٤٠٣؛ وأحمد شلبي، اليهودية، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٢م، ص ٨٩.

وقد تعرضت المملكة الحنوبية (يهودا) للتدمير على يد (نبوخذ نصر) في
قرن ٦ ق م، أما المملكة الشمالية فتم القضاء عليها على يد (سرجون)
الآشوري في القرن ٨ ق م، ودُمرت أورشليم والهيكل عام ٥٨٦ ق م، وعُرفت
هذه المرحلة بالشتات الأول لليهود، كما عُرفت أيضاً بالسبي البابلي، حيث إنَّ
أغلبية اليهود نُقلوا أسرى إلى بابل^(١).

وكان السبي الأول لليهود هو سبي (إسرائيل الشمالية) حيث فنوا
واضمحلوا في أرجاء مملكة آشور في شمالي العراق على يد سرجون الآشوري

أما السبي الثاني فكان سبي (يهودا) بعد قرن وثلث قرن من سبي إسرائيل،
وكان بطل هذا السبي هو (نبوخذ نصر) ملك بابل^(٢) ثم عدو إلى فلسطين بعد
ذلك مرة أخرى.

أما الشتات الثاني لليهود فبدأ بفتوح (الإسكندر) و ستمز مع البطالسة ثم
البيزنطيين، وتمركزوا في البلقان وسواحل البحر الأسود، وكان ثلث سكان
الإسكندرية معصر في ذلك الوقت من اليهود وكان لوجود اليهودي هذا يسبق
العصر المسيحي بفترة طويلة^(٣).

كن للتتار أيضاً دورهم مع اليهود، حيث قامت في القرن ٧م (دولة الخزر)
التتارية (وهم من الأتراك المفلول) الواقعة في جنوب روسيا ثم تحولت إلى دولة
يهودية، وكان اليهود يتحدثون بلغة الخزر لتركبة المسماة (الحفظي) وكان لهم
مركزان أحدهما في العولحة، والآخر في القرم، وقد تحطمت هذه الدولة على
أيدي الدولة السلافية، وانتشر اليهود في أحرار من حوضي روسيا^(٤)، حيث كانت

(١) جمال حمدان، ص ١٣ اقتبس هؤلاء اليهود قبيل السبي لهجتهم عبرية من لارامية،
ودونوا بها التوراة، وكان ذلك بعد زمن موسى بشماعة عم، ويطلق على هذه تنوره
اسم (توراة اليهود) حتى تنمير عن (توراة موسى) انظر أحمد سوسة، لعرب واليهود في
التاريخ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٧، دمشق، ص ٧٦

(٢) عجاج نويهض، مصدر سابق، ص ٤٠٣.

(٣) جمال حمدان، مصدر سابق، ص ١٧.

(٤) يهود احرار هم اليهود الذين اعتنقوا اليهودية في وقت لاحق، وهم من أصل تركي. انظر =

موطن أكبر عدد من اليهود في العالم، حيث قُدِّرَ عددهم بـ (١١) مليون يهودي . وفي لقرن ١٢م أي عام ١١١٠م منعت روسيا دخول اليهود إلى أراضيها، وحددت إقامة الموحودين بها في أماكن خاصة بهم، كانت تعرف (بحظيرة اليهود)^(١).

أما مرحلة الشتات الثالث لليهود فكانت المرحلة التي بدأت في العصور الوسطى . واستمرت حتى العصر الحديث . ولتي عاصرت فتح الرومان مع بداية العصر مسيحي . في هذه المرحلة حدث تحريب أورشليم والهيكل ، وتعرض اليهود للإبادة في مذبحة سنة ٧٠م .

ثم ثار اليهود مرة أخرى في القدس - فلسطين عام ١٣٥م وفي هذه السنة تم القضاء نهائياً على اليهود في فلسطين على يد الإمبراطور الروماني تيطس^(٢)

وقد حرّم الرومان على اليهود دخول القدس . ونتم طردهم من فلسطين . وتعدّ هذه الحادثة، هي الخروج الأخير لليهود الذي نشئتوا من بعده في جميع أنحاء العالم .

وقد أتت العصور الوسطى بحروبها 'صلبية التي واحد اليهود فيها ألواناً من الاصطهادات الدنيبة في جميع أنحاء أوروبا

العلاقات اليهودية الأوروبية:

تحدثنا في السطور السابقة كيف بدأت مشكلة تفرق اليهود في أنحاء العالم - تلك المشكلة التي ما تزال قائمة حتى الآن - فبعد خراب أورشليم عام ١٣٥م .

في هذا أحمد سوسة، مصدر سابق، ص ٧٧ يذكر 'رحالة ابن فصلان أن أسحر ومذبحهم كنهم يهود . وكان الصدقة وكل من يحورهم في هاعته ، ويحاطهم بالعبودية . ويدينون له بالناعة، ويؤكد ابن فصلان أن الملك وحاصته مع أنهم يهوداً لكن 'العالم على أخلاقهم أخلاق أهل الأوثان' .

(١) وين وايرين ديوارت، قصة لحصارة، عصر الإيمان، ترجمة محمد بدران، ح ١٣، م ٤، بيروت، تونس .

(٢) جمال حمدان، مرجع سابق، ص ٢٠ .

وبعد إزالة معالم المدينة، ومعالم الهيكل على يد الإمبراطور أدرينوس الروماني (٤٠ - ٨١م) بدأ اليهود عصر شتات طويل، وتفرقوا في جميع أنحاء البلاد فملأوا دول أوروبا، كما هجروا إلى مصر، وشمالي أفريقيا واليمن، وإسبانيا، وغيرها. وتاريخ هذا التفرق ملحق بتاريخ الممالك التي توطنوا فيها^(١)

ففي أوروبا لم يكن لليهود مثلما كان لهم في الشرق، فقد قام الأوروبيون بفرض محظورات عليهم وهي ألا يتزوجوا من مسيحيات، وألا يكون لهم عيد مسيحيون، كما فرضوا عليهم ضرائب باهضة، وقد لقبهم قسطنطين الكبير الإمبراطور الروماني (٢٨٨ - ٣٣٧م) بلقب (الشعب المكروه)^(٢)

وعلى الرغم من ارتفاعهم المراتب العسكرية والملكية إلا أنهم اضطهدوا، ولاقوا كثيراً من ألوان العذاب، وقد طردوا من فرنسا ومن ألمانيا ومن روسيا^(٣) كما طردوا من بريطانيا في القرن السادس، ومنعوا من دخولها لمدة ثلاثة قرون، وفي فرنسا طردوا وأحرق تدمودهم، وفي ألمانيا تعرضوا لمذابح على أيدي النازيين^(٤).

(١) لتفصيل أكثر انظر أحمد شبي، اليهودية، مكتبة النهضة الحديثة، القاهرة، ط ١٠، ١٩٢٢م، ص ٩١-٩٩.

(٢) قسطنطين الكبير هو ابن قسطنطين الأول من أسطورة الرومان البيزنطيين، سودي به إمبراطوراً عند وفات أبيه، كان يميل إلى المسيحية، وقد عُقد وهو على فرش الموت، هو الذي أوحى فكرة المجامع الدينية، وقد أقام الإمبراطورية على أساس الحكم المطلق، ونقل عاصمته إلى بيزنطة، وأعاد بناءها، وأسمها القسطنطينية، وأمر بإنشاء كنيسة (آيا صوفية) سنة ٣٢٦ وهي أول كنيسة تقدم في القسطنطينية، وأمر باتحاد علامة الصليب شعاراً للكنيسة انظر شاهين مكاريوس، أربع كتب في الماسوية، توزيع الإسرائيليين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٣١٠-٣١١.

(٣) شاهين مكاريوس، أربع كتب في الماسوية، مرجع سابق، ص ٦١١-٦١٣.

(٤) رفيق شاكر، لسلطان عبد الحميد وبنسطين، مكتبة مدبولي، ط ٥، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢٠ يبدو من سلسلة هذه الاصطهادات أنني لاقها اليهود في أوروبا أنها نتيجة مباشرة لأعمال اليهود التحريمية في كل مكان يتواجدون فيه، وقد تنهر اليهود فرصة هذه الاصطهادات حتى يظهروا أمام العالم أنهم شعب مظلوم ومضطهد في العالم

أما أقسى اضطهاد لاقاه اليهود هو الاضطهاد الأكبر في بلاد الأندلس حينما نزع فريق منهم إلى إسبانيا، وعاشوا تحت حكم القوط والرومان، وقد ضيق عليهم في عباداتهم، وصودرت معابدهم، وذلك بسبب هزتهم من الكاثوليكية والشخيرة منها^(١).

وبالإضافة إلى اضطهادهم في مختلف بقاع العالم واجه اليهود إحراق كتبهم الدينية في كثير من البلاد الأوروبية.

ففي عام ١٢٤٤م أمر ملك فرنسا بإحراق نسخ التلمود.

وفي عام ١٢٤٨م أمر الكردينال (ليحات أودو) بإعادة إحراق التلمود.

وفي عام ١٣٢٢م أحرقت نسخ التلمود في روما، بأمر من البابا (جون الثاني والعشرين).

وفي عام ١٣٥٣م أمر البابا (بوليوس الثالث) بإحراق نسخ التلمود في باريسيلونة والبندقية وروما وبيسارو.

وفي عام ١٥٥٨م أعيد إحراق نسخ التلمود في إيطاليا.

وفي عام ١٥٥٧م جمع شعب هولندا جميع نسخ التلمود وأحرقوها.

وقد سبب عداوة هذه البلاد حقداً دفيناً في نفوس اليهود، وكان له تأثيره البالغ في أفعالهم وكيدهم لكل بلد يعيشون بين أرحانه

وفي القرن الأول الميلادي غوَّمل ليهود في إسبانيا بصورة طيبة، فاتخذوا الحرف ولهم العلمية والصناعية، ونشأ بينهم الكتاب والشعراء والأثرياء والموظفون وأصحاب الفنون^(٢).

وفي عام (٦٣٣م = ١٢هـ) وبعد اعتناق ملوك إسبانيا الديانة المسيحية

(١) عبد تحليل شلي، اليهود واليهودية، كتب اليوم، عدد مارس، ١٩٩٧م، القاهرة، ص ١١٥؛ وأيضاً محمد بحر عبد الحميد، اليهود في الأندلس، المكتبة الثقافية، لعدد ٢٣٧، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٧٠م، ص ١٣-١٧.

(٢) شاهين مكاربوس، مرجع سابق، ص ٦١٩.

صدر قرار من الدولة ينصّ على أنّ اليهود الذين عُقدوا ثم ارتدوا واعدوا إلى اليهودية يحب أن يُفصلوا عن أبنائهم، ويبيعوا أرقاء، كما حُرِّمَ عليهم امتلاك الأراضي، وكلّ عمل مائي وتجارّي مشترك بينهم وبين المسيحيين^(١).

ونتيجة لهذه المعاملة التي عانى منها اليهود على يد ملوك إسبانيا الذين اعتنقوا المسيحية، ونتيجة لاضطهادهم، رَحَّبَ اليهود بالعرب، الذين دخلوا إسبانية فاتحين لها عام (٧١١ م = ٩٣ هـ)^(٢) وقد وجد المسلمون من اليهود المستعبدين مساعدة كبيرة، وكان المسلمون كلّما دخلوا مدينة حرروا يهودها، فكان اليهود بدورهم يقدّمون خدماتهم للجيش الإسلامي الذي كان بقيادة طارق بن زياد^(٣).

وضع اليهود في إسبانيا بعد الفتح الإسلامي:

بعد الفتح الإسلامي لإسبانيا تمتع اليهودُ بِسماحة الإسلام، فشاركوا في نهضة البلاد، وكان من نشاط المسلمين الاهتمام بالجوانب العلمية والفكرية، فقامت هناك جامعات دُرِّست فيها العلوم العقلية من طب، وهندسة، ورياضيات، إلى جانب دراسة العلوم الإسلامية النديية، فاحتذبت هذا الجامعات رواد الثقافة من جميع أنحاء العالم، وكانت مدينة (طليطنة) مركزاً لهذه الحركة الثقافية^(٤) وكانوا يتجمعون أيضاً في مدن قرطبة وإشبيلية وسرقسطة واليسانة^(٥)

كما نشطت حركة ترجمة واسعة نقلت فيها الفلسفة الإسلامية إلى اللغات الأوروبية^(٦).

-
- (١) ويل وايريل ديورانت، قصة الحضارة، عصر الإيمان، مرجع سابق، ص ٥٠
 - (٢) أحمد بوري النعيمي، اليهود وبلدولة العثمانية، مؤسسة الرسالة، بيروت، دار النشر، الأردن، ١٩٩٧م، ص ٩/٢٢.
 - (٣) محمد بحر، مرجع سابق، ص ٢٠.
 - (٤) عبد الجليل شليبي، مرجع سابق، ص ١١٥-١١٦.
 - (٥) محمد بحر، مرجع سابق، ص ٢١.
 - (٦) عبد الجليل شليبي، نفس المرجع، نفس الصفحة.

وحلال فترة الوجود الإسلامي بالأندلس نرح عدد كبير من اليهود من مختلف بقاع العالم إلى إسبانيا، وشاركوا في نهضة علمية التي كانت تعيشها الدولة في ظل الإسلام، ووصل عدد اليهود لدين مروحوا إليها في هذه الفترة إلى ما يقرب من خمسين ألف يهودي، قديموا من آسيا وأفريقيا^(١) فمنحهم لعرب حرية العمل بالأنشطة الاقتصادية، وانتشروا في ميادين الزراعة والصناعة والحال، ولبسوا ثياب العرب، وامتزج عدد منهم مهنة الطب، وبرر غيرهم في محاللات الفلسفة والعلم^(٢) ومنحوهم أيضاً حرية النقل والتجارة، وأعدوا لهم أراضيهم، وأعدوا لهم أسبائهم الذين كانت لكنيسة أحدثهم لتربيتهم تربية مسيحية، وسمحوا لهم ببناء معابدهم، وإقامة شعائهم، ومنحوهم الاستقلال القضائي في القضايا الشرعية^(٣).

ونتيجة معاملة المسلمين لهم رحت تجارتهم في الأندلس، واحتكروا بعض أنواع التجارة كتجارة العبيد ولحرير والتواصل، واستطاعوا جمع الكثير من الأموال التي كانوا يرسلونها إلى اليهود الفقراء في الأندلس وحارجها

ونتيجة الانعاش الاقتصادي بدأ اليهود في إنشاء مراكز ثقافية يهودية لهم، وبدؤوا يشجعون العلماء اليهود، واختاروا قرطبة مركزاً للإنعاش دراستهم ايهودية، وكان في قرطبة حينئذ مكتبة كبيرة تضم آلاف المخطوطات في شتى أنواع العلوم^(٤).

وحدث أيضاً في غرناطة نهضة إسلامية برر فيها عدد من الشخصيات اليهودية من أبرزهم (صموئيل بن ماجديلا) (٩٣٣-١٠٥٥ م = ٣٢١-٤٤٧ هـ)^(٥)

(١) ويل ديورانت، قصة الحضارة ٥١/٢، م٦، ترجمة عبد الحميد يونس، مكتبة القاهرة الكبرى.

(٢) أحمد بوري العيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٩/٢٢

(٣) محمد بحر، اليهود في الأندلس، مرجع سابق، ص ٢٠-٢١

(٤) المرجع السابق، ص ٢١-٢٢.

(٥) صموئيل بن ماجديلا كان عالماً تلمودياً وشاعراً، شغل منصب وزير للمالية عام ١٠٢٧ م (٤١٨ هـ) ولد في قرطبة عام ٩٩٣ م ونشأ فيها، جمع بين دراسة التلمود والأدب =

ثم خلفه ابنه يوسف بن ناجديلا^(١).

وكان العهد الإسلامي في إسبانية عهداً ذهبياً لليهود، فظهر منهم الشعراء والعلماء في اللغة العربية، كان من أبرزهم موسى بن ميمون (١١٣٥م - ١٢٠٤م - ٥٣٠ - ٦٠١هـ)^(٢)، وابن سهل الإسرائيلي (١٢١٢ -

= والعربي، وكان نحرّاً، ثم سقطت قرطبة في أيدي الإسبان، انتقل إلى مافقة، كان أمين سر وزير الملك، ثم أصبح مستشاراً، وأوصى الوزير وهو على فراش الموت أن يحلّقه، وبذلك أصبح شموئيل عام ١٠٢٧م يهودي الوحيد الذي شغل منصب وزير في دولة إسلامية، وحظي بهذا التقدير. وازدهرت قرطبة في عهد شموئيل من النواحي المدنية، والسياسية، والثقافية. وكان عالماً وشاعراً وداعية في الفقه والرياضة والعلوم، وقد ألف عشرين رسالة في النحو (معظمها بالعمرية) وعدة محادثات في الشعر والفلسفة، ومقدمة للتلمود، ومجموعة من الأدب العربي. كان يقنسه ماله مع غيره من الشعراء، وأمدّ بالمال طائفة من الطلاب الشباب، وأعد جمعيات يهودية في "ثلاث" كان وهو وزير العدل حينئذ لليهود، يحاضر عن التلمود ونفسه يومئذ - عتراقهم بمقصده - بالجد - (الأمير في إسرائيل) ولما توفي عام ١٠٥٥م خلفه في الوزارة ابنه يوسف بن ناجديلا (ويل ديورات، قصة الحصار ٥٣/١٣، ترجمة محمد بدر، بيروت، تونس).

(١) انظر ويل ديورات، مرجع سابق، ص ٥٠، كان يوسف بن ناجديلا حينئذ يولده صموئيل ابن ناجديلا في الوزارة.

(٢) موسى بن ميمون، فيلسوف يهودي وطبيب، من كبار اللاهوتيين اليهود في العصور الوسطى، يسميه العربون ميمونيدس. درس العلوم الدينية واليهودية والعربية، ولد في قرطبة سنة ١١٣٥م، وتوفي بمصر ١٢٠٤م ودرس نظرية في فلسطين، تولى في سنة علمية، وعاش بقرطبة، ثم رحل إلى مصر، واستقر في مدينة القسطاط، التي أسس لليهود فيها مدرسة لتعليم اللغة اليهودية والعلمية والرياضة والطب، وانضم موسى إلى هذه المدرسة، وأصبح من أساتذتها الذين، وتلمذ على يده الكثير من اليهود.

مارس الطب، وعانج الحكمة، الأيوبيين، كما عمل مساعداً لشيخ الدين لأيوبي، وألف كتباً كثيرة في الطب والفلسفة من أهمها كتاب (دلائل الحقائق)، كما كتب كتاباً في شرح (المشأ) سمي كتاب (الشرح) وهو أقدم كتاب عربي بعد أسفار الكتاب المقدس.

وأشأ مدرسة بالإسكندرية تعدّ نواة لجامعة العمريّة التي أسست في فلسطين، وله في الدين كتاب اسمه (الفرائض) وفيه عرض للحلال والحرام في شريعة موسى وتلقي رسائله الخاصة ضوءاً على تاريخ اليهود في القرن ١٢م. وله يشت ما أشيع عن اعتناقه =

كما اشتهر في قرطبة في القرن العاشر الميلادي الطبيب والسياسي حسداي ابن شبروط (٩١٥-٩٩٠م = ٣٠٣-٣٨٠هـ) (٢) وشمونيل هغيد (٣)، وموسى بن خانون (٤).

وفي تلك الفترة أيضاً برزت شخصيات أخرى شملت كُتّاباً وشعراء ومؤلفين باللغة العربية منهم شومون عبرول (١٠٢٠-١٠٧٠م = ٤١١-٤٦٣هـ)، ويهودا هليفي (١٠٨٥-١١٤٠م = ٤٧٨-٥٣٥هـ)، وموشي بن عزرا

= الإسلام (عجّاج بويهض، مصدر سابق، ص ٥١٤-٥١٥)، ومحمد بحر، اليهود في الأندلس، مصدر سابق، ص ٩١.

(١) ابن سهل الإسرائيلي هو إبراهيم بن سهل الإسرائيلي لإشبيلي، الشاعر لطائر الرنح الصب، له قصائد في مدح المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود ملك الأندلس، كان يهودياً ثم أسلم، كتب قصائد لاس جلاص، وإلى سنة، ومات معه عريقاً، أكثر شعره وجدائي، وله موشحات، وديون مطبوع - شهاب مكاربوس، تاريخ الإسرائيليين، مرجع سابق، ص ٦٨٠.

(٢) حسداي بن شبروط طبيب وسياسي يهودي، كثر حوله مجموعة من علماء اليهود التلموديين ولد في أسرة ابن عيرا المثقفة، علّمه أبوه اللغة العبرية، والعربية، واللاتينية، ودرس الطب، داوى الحليمة من أمراضه، وأظهر من واسع المعرفة وعظيم الحكمة في الأمور السياسية ما جعل الخليفة يعينه في لهيئة الدبلوماسية لدولة ترذّ الحليمة في محله رسمياً لقب وزير حشبة أن يشير عليه المعوس قام حسداي بمهام منصبه بكفاءة أكست محنة العرب ويهود والمسيحيين على السواء، وقد شجع العلوم والآداب، وجمع حوله الشعراء والعلماء والفلاسفة، ولما مات تافس المسلمون واليهود في تكريم ذكره (وبل ديورات، مرجع سابق، ص ٥١) استدعى حسداي إلى قرصة يهوداً كثيرين من الشرق، وأصبح في قرطبة مركزاً روحياً وديني، ادهرت به الحاضرة اليهودية الأندلسية، ترجم كتاباً في الطب إلى اللغة العربية، (انظر سلمان فلاح، تاريخ العرب، وزارة الثقافة والمعارف اليهودية، أورشليم، ١٩٦٥م = ٢١٦/١).

(٣) شمونيل هغيد كان فناناً للحيش، وكان شاعراً وعالماً ورعياً يهودياً، قدم إلى قرطبة من إيطاليا (عبد الجليل شلي، مرجع سابق، ص ١١٥).

(٤) (موسى بن خانون) من علماء اليهود التلموديين، أسس أكاديمية تلمودية اجتذبت اليهود من أنحاء العالم (انظر عبد الجليل شلي، مرجع سابق، ص ١١٥-١١٦).

(١٠٧٠-١١٣٨ م = ٤٦٣-٥٣٣ هـ)، ويهودا الحريزي (١١٧٠-١٢٢٥ م = ٥٦٦-٦٢٢ هـ)^(١).

وكان من أبرز هؤلاء يهودا الحريزي (الذي تنسب إليه مقامات الحريزي). وتميزت هذه الفترة في الأندلس بالتعاون الثقافي الكبير بين العرب واليهود، حيث امتدت هذه الفترة من القرن العاشر الميلادي حتى القرن الثالث عشر^(٢).

كان اليهود الموجودون بإسبانيا يلقبون بالسفارديم (Sephardim) وترجع أصولهم إلى قبيلة يهوذا الملكية^(٣).

(١) يهودا الحريزي، عالم يهودي، تنسب إليه ترجمة مقامات الحريزي إلى اللغة العربية، وتألّف كتاب على نمط المقامات باسم (تحكموني) ميخائيل زفي، التاريخ، نشر وزارة المعارف والثقافة الإسرائيلية، أورشليم، ١٩٦٦ م، ص ١٩٦-١٩٧). ولد يهوذا في الأندلس وترجم (دلائل الحائرين) لموسى بن ميمون، وجال في إسبانيا وفرنسا، وكان يترجم ما يطلب منه من العربية إلى العبرية، زار مصر والشام والعراق، وكان يمدح وجهاء اليهود، ومما زاد أهمية مقامات الحريزي اشتغالها على مقامتين ضمنها تاريخ الأدب العربي في الأندلس، انظر محمد بحر، اليهود في الأندلس، مرجع سابق، ص ٩٣-٩٥.

(٢) ميخائيل زفي، التاريخ، مرجع سابق، ص ١٩٦-١٩٧.

(٣) يطلق اسم سفارد أو صفارد على إقليم لعلّه آسيا الصغرى، نقل إليه نوحذ نصر بعض اليهود في ٥٩٧ ق.م ثم أطلق اللفظ بعد ذلك على بلاد إسبانيا - (ويل ديورات، قصة الحضارة، ص ٥٠) وذكر أيضاً لفظ صفارد في سفر عوبديا ما نصه: «وسبي هذا الجيش من بني إسرائيل يرثون الذين هم من الكنعانيين إلى صره»، وسبي أورشليم الذين هم صفارد يرثون مدن الجنوب، ويصعد على جبل صهيون، ليدينوا جبل عيسو، ويكون المُلْك للرب (سفر عوبديا) الكتاب المقدس، فصل ٢، ص ١٣١٤، طبعة ١٩٩٥ م.

وقد أطلق السفارديم على يهود إسبانيا وهم من نسل قبيلة بنيامين، والسفارديم يدعون أنفسهم (باراستقراطية) اليهود على الأساس الديني الذي يتمون إليه (انظر حماد حمدان، مرجع سابق، ص ٢٣).

وفي إسبانيا الإسلامية تأثر اليهود السفارد في عباداتهم وتلاوتهم وتراتيلهم بالذوق العربي، وانفردوا بنصوص شعرية ونثرية في أدعيتهم وصلاتهم، وكانت قرية الشويعما عند المسلمين، وتم اعتار عبرية السفارد اللغة الرسمية للمسرح والإذاعة، وكانت لغة التعليم في المدارس، ويهود العالم العربي من السفارد، وكانوا في بادئ الأمر يتكلمون =

وفي القرن الحادي عشر بدأت حركة مسيحية تهدف إلى احتلال شبه جزيرة
إسبانية من المسلمين، وتسمى بالحركة الإسبانية، وأثناء هذه الحركة عامل الحكام
المسيحيون اليهود معاملة حسنة؛ لذلك اعتُبر القرنان الثالث عشر والرابع عشر
سنوات هدوء نسبياً لليهود في إسبانيا. وأشأ اليهود في ذلك الوقت مراكز
لدراساتهم منها: المدرسة اللغوية واللاهوتية في لوسايبية، وكان من أشهر
أساتذتها (إسحق بن مرشاول) الذي نظم أشعراً دينية مستخدماً البحور العربية

وفي ذلك الوقت أيضاً توسعت مدرسة قرطبة حتى أصبحت داراً للإفتاء
لشريعة اليهودية، ومن أشهر عمدتها (يوسف بن أبي ثور) الذي ترجم إلى
عربية مقتطفات من التلمود، وأهداه إلى الخليفة (الحكم الثاني) (١).

= العربية حتى قرن ١٣ ثم تكلّموا لإسبانية (انظر أحمد سوسة، العرب واليهود في
التاريخ، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٧، دمشق، ص ٦٩٩)، كما أن يهود
إسبانيا كانوا من أسفار (انظر حسر طاطا، الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومناهج،
قسم بحوث والدراسات الفلسطينية، ١٩٧٥، ص ٢٤٦ - ٢٤٧)، أشأ السفارديم
لأنفسهم حبة خاصة، وكانت لهم طقوس دينية متعيرة، وكانت أعدادهم في الدولة
عثمانية تفوق جميع الهبات الدينية لأخرى. حتى إنهم ترغموا هناك كفة المس،
(انظر كمال حبيب ٣٤٩/٢، نقلاً عن هـ مـ سـ حـ و هـ رولـ د بـ و، المجتمع
الإسلامي والعرب، ص ٤١١/٢).

ويشير سفاريون عن الإشكاريين في ثقافة سب استعادتهم من العرب في
الأندلس.

أما الإشكاريون فكانوا مصوبون عن أنفسهم، وكانت أعلى الطبقات المعروفة من
اليهود من السفارديم، وكانوا يعدون أنفسهم أرفع ثقافياً وأعلى من الإشكاريين (انظر
أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٠٠).

أما قبيلة يهودا فترجع إلى عهد لايقم بعد وفاة سليمان ٩٣٥ ق م عندما أعاد
رحبعام بنسبه ملكاً على دولة اليهود، فديعه سبط يهود وبسبب في أورشليم على ذلك
وبعد ذلك انقسمت المملكة إلى مملكتين جنوبية اسمها يهودا وعاصمتها أورشليم،
وشمالية واسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم، وكانت مدة مملكة يهودا ٤٠٠ سنة
وتعاقب عليها (٢١) ملكاً، ودمرت عام ٥٨٨. (انظر شـ هـ ن مكاريسوس، تاريخ
الإسرائيليين، مرجع سابق ص ٥٧٨ وأحمد شلي، مرجع سابق، ص ٨٩).

(١) محمد بحر، اليهود في الأندلس، مرجع سابق، ص ٣٤ - ٣٥

وقد شهد لقرن الثاني عشر نهضة فكرية في مختلف العلوم، وظهر في ذلك الوقت (سفر هقبالة) الذي ألفه (إبراهيم بن داود الطلطي)^(١)

وفي أوائل القرن الرابع عشر كان وضع يهود إسبانيا الاقتصادي والاجتماعي والثقافي جيداً، وعمل كثير من اليهود مستثمرين اقتصاديين في الدولة، فبالوثقة الحكام، وسمح لهم بتسيير أحيائهم على عادة اليهود، وفي ظل هذا الوضع ظهرت زعامة ذاتية قوية^(٢).

ولم تبدأ أوضاع اليهود في إسبانيا في التدهور إلا منذ سقوط (يوسف بن ناحديلا) الذي كان يشغل منصب وزير لمالية خلفاً لوالده، كما ذكرنا من قبل، والذي ظهر نفوذه على الدولة واضحاً، تشبّه بالملوك في لباسه، ووصل الأمر به إلى أنه سخر من القرآن الكريم، فثار عليه العرب والبربر سنة (١٠٦٦ م = ٤٠٩ هـ) وصلوه، ونكلوا بأربعة آلاف من يهود غرناطة، وأرغم القانون من اليهود على بيع أراضيهم ومغادرة البلاد^(٣).

وكانت حاتمة عهد التسامح الديني في إسبانيا عام (١٢١٢ م = ٦٠٩ هـ) عندما دخل بعض الصليبيين إسبانيا بغرض طرد المسلمين منها^(٤).

وانتهى عصر إسبانيا الإسلامي، وعاد الحكم المسيحي إلى البلاد مرة أخرى، وبين عامي (١٠٨٥ م = ٤٧٨ هـ) و(١٤٩٢ م = ٨٩٨ هـ) كان بعض اليهود يشغلون المناصب الكبرى في دول إسبانيا المسيحية، منهم القائمون على شؤون المال، ومنهم الدبلوماسيون، ومنهم لوزراء

عادى لليهود المسيحية عداً شديداً، حيث كانوا ينظرون إلى هذا الدين على أنه جاء ليهدم مبادئ الرمانيين التي تنادي بسمو اليهود كحس، ووصفوا هذا الدين أنه يسعى لتخريب مبادئ التلمود، الذي لا يقل قدسية عندهم عن العهد

(١) محمد بحر، اليهود في الأندلس، مرجع سابق، ص ٨٢

(٢) ميخائيل زفي، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٣) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص ٥٣ - ٥٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٣.

ابقديم، فقاموا بشن حملاتٍ من التهم والافتراءات على مؤسس المسيحية وحوارييه وتلاميذه، ودخلوا في معارك ضد الدين الجديد، وشككوا في شرعية هذا الدين^(١).

أما عن صورة اليهود لدى المسيحية فقد كان معتقداً عند المسيحيين أن اليهودي يطمب دم المسيحي لأغراض الطقوس الدينية، وأنه يسرق الأطفال المسيحيين ويقتنهم لهذه الأغراض، وأنه يتعاون مع العرب المسلمين والتار أعداء المسيحية، ومن هناك عداء أوروبا لليهود شديداً، وصل إلى حد التكيل والصد والسجن، ومصادرة أموالهم، فحاول اليهود بسبب هذا الاضطهاد استدراج عطف الشعوب، وجعلهم في صورة المعتدى عليه المظلوم. وهالك رأي يقول إن كثيراً من الناس ساعد اليهود في محاولة إقامة وطن قومي لهم، حتى يتخلصوا من شرورهم وتواجههم في بلادهم^(٢).

ومن ناحية أخرى قام اليهود بمحاولة التسلل إلى صفوف الرهائن، فأصبح منهم البطركة والمطارنة الدين كانوا يتظاهرون بالتعصب للمسيحية^(٣)، بينما يشرون مبدئهم سرّاً بين صفوف البصري، كما قاموا بمحاولة التغلغل إلى حريم ومصارف الشعب الإسباني بقصد التخريب.

ومن ناحية أخرى ادعى يهود أن أفكار فلاسفة اليونان - أمثال أفلاطون وسقراط - مطابقة لقواعد اليهودية وأوامرها، كما ادعى حكام اليهود أن النظريات اليونانية هي نفس ما جاء في دين اليهود، وأن الفلسفة التي سادت العرب، ترجع أصولها إلى اليهود وشرعية التوراة. وكنت نظرياتهم هذه تهدف إلى السيطرة والسيادة على الشعوب^(٤) فصدرت الاتهامات ضدهم بالهرطقة، وأصبح مجرد الاحتفاظ مكتب لأفلاطون أو أرسطو جريمة لا تعترف، يعاقب عليها القانون،

(١) محمد بحر، اليهود في الأندلس، ص ٨.

(٢) انظر أحمد شمس، اليهودية، مرجع سابق، ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٣) من هؤلاء اليهود المشهور (روبير) الذي طُبِعَ بعد وفاته إحصار حاحماً يهودياً وطلب منه أن يدفن في مقابر اليهود. (الناشر)

(٤) أحمد نوري العيمي، مرجع سابق، ص ٢٤. نقلاً عن Atrhan, Cevat Rifat, İslamı Saran Tehlike Siyonizm Ve Protokollar, S. 131.

وقد حدثت هذه الحركة الفكرية خلال القرن الرابع عشر، واستمرت حتى القرن السابع عشر^(١).

وخلال القرن الرابع عشر أيضاً كان اليهود يمتهسون تجارة الرقيق، وقد ساعدتهم هذه المهنة على الاستقام من المسيحية، حيث إنهم كانوا يتاعون الأسرى الإسبانيون ويبيعونهم بأسعار باهظة في الأقطار الأخرى^(٢).

موقف الملك (فرديناند) والملكة (إيزابيلا) مع يهود إسبانيا:

كان يحكم إسبانيا عام (١٤٩٢ م = ٨٩٨ هـ) الملك (فرديناند) وزوجته الملكة (إيزابيلا) وكانا كاثوليكين شديدي التعصب للمسيحية، وكان يبيعون اليهود بسبب معاداتهم لعيسى (عليه السلام) فلم يعترف اليهود بعيسى أنه المسيح، واعتبروه مرتدّ عبداً للأوثان، وقد جاء عنه في (الثلثود) "إن يسوع الساصريّ موجودٌ في لُجَاجِ الجحيم بين القار والنار" وقد أنت به أمّه من عسكريّ (بندارا) عن طريق الحطيثة أما الكائنات النصرانية فهي قدورات، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة^(٣).

كما أن قتل المسيحيّ كان من التعاليم المأمور بها والعهد مع المسيحي لا يكون عهداً صحيحاً يلتزم اليهود القيام به. ومن الواجب أن يعلن يهود ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبي إسرائيل^(٤).

ولهذا أراد الملك فرديناند وزوجته وضع نهاية لهؤلاء اليهود وأعمالهم التحريية ضد المسيحية تحت ستار العلم والفلسفة، فطالبهم الملك بضرورة دخولهم في المسيحية^(٥).

(١) أحمد عثمان، تاريخ يهود، مكتبة الشرق، القاهرة، ١٩٩٤ م، ٣/٣٦.

(٢) س. ناجي، المفسدون في الأرض، العربي للإعلان والنشر، دمشق، ١٩٦٣ م، ط ٢، ص ٢٨٦-٢٨٧.

(٣) سليمان مطهر، قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ٣٦٦-٣٦٨.

(٤) أحمد بوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٤، وس. ناجي، =

وفي ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢م (= ٨٩٨هـ) وقعَ (فرديناند) و(إيرابيل) مرسومَ نفي اليهود، مؤداه أن جميعَ اليهود الموحودين في البلاد غيرَ لمُعشدين - أي كانت أعمارهم أو أحوالهم - عليهم أن يتركوا إسبانية في موعد أقصاه ٣١ يوليو (١٤٩٢م = ٨٩٨هـ) ^(١) ولا يسمحَ لهم بالعودة، ومن يحذف ذلك تكون عقوبته الإعدام، وعليهم أن يتحلصوا من امتعتهم خلال هذه المدة، ولهم أن يأحدو معهم الأمتعة المفقولة وصكوك المعاملات دون النقد من ذهب وقصية ^(٢).

وقد حاولت بعض الشخصيات اليهودية الكبيرة أمثال (أبراهام سنيور)، و(إسحاق ابرانل) دفعَ مبلغ كبير من المال لفرديناند وإيرابيل في سبيل سحب مرسومهما إلا أنهما رفضا طلبهم ^(٣).

ولم يستطع كبار الشخصيات اليهودية أن يشو الملك والملكة عن قرارهما، وإلغاء مرسوم طرد اليهود من إسبانيا ^(٤).

في هذه الفترة قام بعض اليهود بحرق منازلهم، وذلك لأخذ قيمة التأمين عليها، وتنازل البعض الآخر عنها للمجلس السلدي للدولة، وقام المسيحيون بتحويل المعابد اليهودية إلى كنائس، ومدفن اليهود إلى مزارع ^(٥).

وفي تلك الأثناء قامت الملكة (إيرابيل) بتكوين محكمة خاصة لمحاكمة اليهود، سُميت (بمحكمة تفتيش)، وثبت على أكثرهم تهمة خداع الكنيسة،

= مرجع سابق، ص ٢٨٨ عند التحيل شلي، مرجع سابق، ص ١١٤

(١) ويل ديورات ٩١/٢ - ٩٣، م ٦، الإصلاح الديني، وشاهين مكاربوس، تاريخ الإسرائيلين، مرجع سابق، ص ٦١٩.

(٢) أحمد نوري العبي، مرجع سابق، ص ٢٦ - ١٤، وشاهين مكاربوس، مرجع سابق، ص ٦١٩.

(٣) ويل وايريل ديورات، قصة الحصار، لإصلاح لديني، ترجمة عبد الحميد يوسف، مراجعة علي أدهم: ٩١/٢٥ - ٩٣، م ٦، بيروت، تونس.

(٤) أحمد نوري العبي، مرجع سابق، ص ٢٦ - ١٤، وشاهين مكاربوس، مرجع سابق، ص ٦١٩.

(٥) ويل ديورات، مرجع سابق، ص ٩١ - ٩٣.

وممارسة لمعتقدات الموسوية سرًا، وكان الغرض من محكمة التفتيش القضاء على الهرطقة في مهدها، بحيث ينسى الجيل الثاني أو الثالث من اليهود المعتمدين يهودية أسلافهم. وقد ظل ما يقارب من مئتين وخمسة وثلاثين ألفاً منهم في إسبانيا باعتبارهم مسيحيين.

وفي هذه الأثناء أجبر (فرديناند) أن اليهود عتقوا المنتصرين منهم، وحاولوا أن يعيدوه إلى يهوديتهم مرة أخرى^(١)، ونتيجة لذلك ذات ثروات اليهود، وتضرر خمسون ألف يهودي، وترك إسبانيا أكثر من مئة ألف منهم في موكب خروج طويل وكثيب^(٢).

سار المنفيون على متون لحبل أو الحمير أو على لأقدام. وناشد المسيحيون اليهود المنفيين أن يذعوا للتعميد، فردّ عليهم تريبون بأن كذبوا أن الله سيهديهم إلى أرض الميعاد، أملين أن يفتح الله لهم معبراً في البحر مشمداً فعل آبائهم في القديم مع (موسى عليه السلام)، ولما انقشع عنهم هذا الوهم اضطروا للدفع أحواراً باهضة نفقهم بالسفر إلى البلاد المهاجرة إليهم، ومرتبت العواصف أسطولهم الذي كان يتألف من خمس وعشرين سفينة، ومرتوا الكثير من المشاق، وتحطمت سفينة تحمل خمسين يهودياً منهم بالقرب من صقلية، وحكم عليهم بالسجن لمدة عامين، ثم بيعوا رقيقاً^(٣) وتعرض بعضهم للحرق وهم أحياء، حتى قيل. إن (٢٨٠) منهم أحرقوا في سنة واحدة في إشبيلية^(٤).

ونتم طرد (٣٠٠,٠٠٠) يهودي من إسبانيا، فعادوا جميعهم إلى البلدان الإسلامية وشمال أوروبا^(٥)، وتجهوا مهاجرين إلى البرتغال وإيطاليا والمغرب

(١) أحمد بوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٦ - ١٤، وشاهين مكاربوس، مرجع سابق، ص ٦١٩.

(٢) ويل ديورانت، مرجع سبق، ٩٣/٢٥، ٦٠، يقول: أحد المصدات التركية: إن عدد اليهود الذين قُتلوا بهجرة، ولم يقبلوا تغيير دينهم غير معروف، إلا أن الأرقام التي ذكرت في هذا المصدد تتراوح بين (٢٠٠,٠٠٠) إلى (٥٠٠,٠٠٠) (Abdurrahman Kuşcu, Donmeler tarihi, Ankara, 1992, S 97).

(٣) ويل ديورانت: ٩٣/٢٥، ٦٠، مرجع سابق.

(٤) شاهين مكاربوس، مرجع سابق، ص ٦١٩.

(٥) ميخائيل رومي، التاريخ، ورقة المعارف الإسرائيلية، مرجع سبق، ص ١٩٨.

في ذلك الوقت كانت البرتغال أكثر الأهدف ملائمة للمهاجرين اليهود، فهاجر إليها عدد كبير وصل إلى ثمانين ألفاً مما أفرغ ملك البرتغال (جون الثاني) الذي منحهم مهلة ثمانية أشهر على أن يرحلوا بعدها، كما أصدر أمراً إلى حنوده بالقبض على أولادهم من سن الرابعة عشرة، وإيقاعهم في بلاده حتى ينشؤ فيها مسيحيين، فكانت النساء يطرحن أولادهن في الأنهار والأنهار حتى لا يُنصروا^(٢).

ولما تمشى بين اليهود مرضى الطاعون، انتشر بين المسيحيين، قام شعب البرتغال بالمطالبة بطرد اليهود من البلاد خوفاً من انتشار الطاعون في كل أرجاء البرتغال، وقد ينزع الملك لهم الحروح عن طريق السفن بأجور زهيدة، ومات منهم الكثير جوعاً. وفي هذه الأحياء مكث مئتان وخمسون يهودياً على سفينة طوال أربعة أشهر لا يسمح لهم بالسرون في الموانئ، وذلك بسبب انتشار الطاعون بينهم^(٣).

وحينما انتهت مهلة الثمانية أشهر قام الملك (جون) ببيع باقي اليهود المهاجرين إلى البرتغال ببيع الرقيق، وابتاع الأطفال دون الخامسة عشرة من آبائهم، وأرسلهم إلى حزر القديس توماس ليسشؤوا الشاة المسيحية التي يريدونها

وسار الملك (أمبول) على نهج سلفه، فأمر جميع اليهود والمسلمين الموحودين بمملكته أن ينصروا، أو يرحلوا من البلاد فوراً، وكان ذلك عام (١٤٩٦ م = ٩١٢ هـ) كما قاموا بإجراءات فسية تنصيرهم، مما أدى إلى تعبير أحد الأساقفة عن مشاهداته لبعض هذه الإجراءات بقوله: «لقد رأيت أطلاقاً كثيرين يُسحبون إلى حوص التعميد من شعورهم»^(٤).

وانتشرت مداخل في اليهود عام (١٥٠٦ م = ٩١٢ هـ) وقتل فيها ألف يهودي، ودفن مئتان منهم أحياء، وفقدت إسبانيا بعض المرايا بحروج لتجار

(١) أحمد نوري اسعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٧

(٢) شاهين مكاربيوس، أربع كتب في العاسوبة، تاريخ الإسرئيليين، مرجع سابق، ص ٦٢٠

(٣) ويل ديورانت، مرجع سابق، ص ٩٤-٩٥.

(٤) ويل ديورانت، ٩٧/٢٥، ٦٤، مرجع سابق.

وأصحاب المهن والدارسين والأطباء والعلماء من اليهود والمسلمين .

ومن ناحية أخرى قام اليهود في عهد نابليون بمساعدة فرنسا لاحتلال إسبانيا انتقاماً من لإسبيل نتيجة تهجيرهم منها ، وبالمقدس ساعدت فرنسا ثوار إسبانيا كما قامت بتزويد اليهود بالسلاح^(١) .

النزوح اليهودي إلى الدولة العثمانية بعد طردهم من إسبانيا:

كان لظهور الدولة العثمانية في القرن الرابع عشر وحتولها مكان الإمبراطورية البيزنطية في الأناضول وشرق أوروبا بمثابة طوق النجاة الذي عثر عليه اليهود الهاربون من إسبانيا ، فقد فتحت الدولة العثمانية أبوابها على مصراعها أمام اليهود مرغبة بهم ، بينما اعتنقت أمامهم معظم الأبواب الأوروبية المسيحية ، وعاش اليهود في ظل التسامح العثماني حقبة طويلة امتدت خمسة قرون ، حققوا فيه استقراراً لم يسبق له مثيل في تاريخهم^(٢)

وإذا كان اليهود قد حصلوا على العلم في بغداد والأندلس والمسطاط ، وحصلوا على المال في معظم البلدان ، إلا أنهم لم يحصلوا على الراحة والاستقرار إلا في ظل الدولة العثمانية^(٣) مع ملاحظة أن تاريخ اليهود في الأناضول بدأ قبل هجرة اليهود السمارديم بقرون كثيرة^(٤)

كان المجتمع ليهودي في الدولة العثمانية يتكوّن من ثلاث مجموعات

-
- (١) أحمد بوري العبيدي ، ليهود الدولة العثمانية ، مرجع سابق ٢٥ ١٤
 - (٢) أحمد عثمان ، مرجع سابق ، ص ٧ .
 - (٣) المرجع السابق ، ص ١٥ .
 - (٤) في القرن الرابع ق م في إقليم إيجة اكتُشفت بقايا مستوطنات يهودية ، كما يروي المؤرخ أرسطو أنه قال أدب يهوداً تدلّ معهم وجهات لصر خلال رحلته عبر آسيا الوسطى كما اكتُشفت آثار لمستوطنات قرب بورصة وعبر شواطئ بحر إيجة والبحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود كما وجد عمود بروميري في أنقرة يكشف عن الحقوق التي منحها الإمبراطور أوغسطس لليهود في آسيا الصغرى . (أحمد بوري العبيدي ، اليهود والدولة العثمانية ، مرجع سابق ، ص ٣٣-٢٨) .

الأولى. اليهود الذين عاشوا في الدولة البيزنطية، ثم خضعوا للدولة العثمانية بعد سقوطها.

والثانية: المهاجرون من النمسا والمجر وروسيا وألمانيا وبولندا

أما المجموعة الثالثة: فكانوا اليهود المهاجرين من إسبانية والبرتغال وإيطالية نتيجة للاضطهاد الذي لا قوه في تلك الشعوب، وقد وجد هؤلاء الأمان والأمان في كنف الدولة العثمانية^(١).

وكان أول اليهود القادمين إلى الدولة العثمانية من إسبانية هم اليهود الذين كن يطلق عليهم اسم (المارانوا)^(٢)، ثم تدفقت بعد ذلك مجموعات يهودية أخرى من ألمانية، كما تدفق يهود فرنسا الذين طردوا منها عام ١٣٩٤م = ٧٩٧هـ) إلى مدينة أدرنة في تركيا، واستقروا بها^(٣).

وقام الأتراك بمساعدة هؤلاء اليهود حيث وجهت مجموعات كبيرة منهم إلى المدن الرئيسية في الدولة العثمانية كالقسطنطينية وأدرنة وإزمير وسلاطيك، واستوطن اليهود أحياء كثيرة قرب موانئ ومداخل إستانبول، وقاموا بمهمة الإشراف على سك العملة، وفرصوا أنفسهم على البلاط بوصفهم أعضاء^(٤).

وأصبحت مدينة إستانبول مركزاً للطباعة العبرية بين القرنين السادس عشر والثامن عشر، كما أصبحت إحدى أهم مدن اليهود في العالم، حيث أدخلت أول مطبعة إلى أراضي العثمانية بعد (٥٠) سنة من ظهور مطبعة (غوتنبرغ)، وفي

(١) عائدة العلي سري الدين، دول العثمانيين في الكماشة التركية، الإسرائيلية، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٧م ص ٣٢٢ و (Abdurrahman Kuşuk Donmeier tarih. Ankara 1992, S. 100.

(٢) يهود (المارانوا) هم اليهود الذين قدموا إلى الدولة العثمانية، واعتنقوا الإسلام طوعاً ودون إكراه، انظر عبد الوهاب المسيري، أيد الحقة، دار الشروق، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٠٠.

(٣) أحمد نوري لبعمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٩-٢٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٤ ومحمد حرب، العثمانيون في لتاريخ والحاصرة، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

عام ١٥٤٦م طبع اليهود أسفار التوراة الخمسة وفي القرن الثامن عشر تأسست مطبعة (إبراهيم متفرقة) تحت رعاية الحكومة العثمانية^(١) وكان من لشخصيات التي اشتهرت في ميدان الطباعة، (صموئيل بن محياس) و(دافيد) اللذان نفي من ألسانية، وكذلك عائلة (صونسنيو) التي هي من إيطاليا^(٢)

وفي (سلانيك) تمتع اليهود بتعيش سلمي مع العثمانيين، وكانت سلايك مركز تمويل اقتصادي للسكان العثماني، فقام اليهود بوضع أيديهم على الميادين التجارية، والسيطرة على المرافق الاقتصادية في لدولة عثمانية، وتمتعوا باستقلال ذاتي.

وعلى هذا النحو وجد يهود إسباني لماوى والرفاهية والحرية التامة، وممارسة شؤونهم الدينية، حتى إن قرارات ومراسيم الحاحم اليهودي كانت تصدق عليها الحكومة العثمانية، لدرجة أن هذه القرارات تحولت إلى قانون يحصن اليهود^(٣)، وأصبح الحاحم في الآستانة يمثل جميع اليهود في الدولة أمام الحكومة العثمانية^(٤).

وقد سمح السلاطين لليهود بنقل تحركاتهم في الشعوب الأوروبية إلى الدولة ولم يعرفوا مخاطرهم^(٥).

سمح آل عثمان للمهاجرين اليهود لمطرودين من إسباني بالاستقرار في كنف الدولة، لأمر الذي رفضته لدول الأوروبية لمعرفة دورهم وأساليبهم في صنع الفن، واحتلاق الأكاديب، ولسيطرة على البلاد^(٦)

(١) انظر محمد حرب، الشعر التركي المعاصر من بداية الحركة الكمالية إلى نهاية الحرب لعثمانية الثانية، رسالة ماجستير عبر مشورة، في جامعة القاهرة، كلية الآداب، قسم الدراسات الشرقية، ص ٥.

(٢) عبيدة العبي، دول المثلث، مرجع سابق، ص ٣٢٣. نفلأ عن حسين عمر حمادة (الآديبات الماسورية) دار الوثائق، دمشق ١٩٩٥م، ص ٣٣٤.

(٣) أحمد نوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٤) المرجع السابق، ص ٣٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٦.

(٦) محمد سرحان، لظام العثماني، (الهجرة اليهودية إلى فلسطين ١٤٩٢-١٩٥٢م)، در=

وقد فتح العثمانيون الباب لليهود إسبانيا منذ عام (١٤٩٢م = ٨٩٨هـ) للعمل والنشاط دون مراقبة عليهم، فما إن وطأت أقدامهم الدولة، حتى بدؤوا العمل على تطوير علاقاتهم التجارية الخارجية، وإثارة الفتن، والسيطرة على أسواق المال والذهب، مما أثار عليهم الرأي العام الإسلامي في هذه الفترة وما تلاها من فترات^(١).

وأصبح اليهود في الدولة العثمانية مد هجرتهم إليها من إسبانيا من كبار أصحاب المحلات التجارية في إزمير وسلايك وفي إستنبول^(٢).

ونافس يهود إستنبول الصدر الأعظم والوزراء في محاماة مازلهم، وكانوا يديرون كثيراً من الأنشطة^(٣).

إلى جانب هذا فقد أتاحت معرفة اليهود للغات العربية وميلهم إلى التجارة الفرصة لهم لشغل وظائف هامة في الدولة في مرحلة كانت تشهد تطوير العلاقات مع الدول الأوروبية^(٤).

وقد عبر رشيد رضا في (المنار) عن خطر اليهود بقوله:

«اليهود قومٌ اعتادوا الرأى الماحش، فلا يبدلون درهماً من المساعدة إلا لينالوا مثقالاً أو قطاراً من الحراء، وإذا كانوا يكيدهم وأموالهم قد جعلوا الدولة الفرنسية ككرة اللاعب في أيديهم، فأرأوا منها سلطة الكنيسة، وكانت تُدعى (بنتُ الكنيسة الكبر) وحملوها على الطلم في الحرائر، وهي تفاخرُ الأمم والدول بالعدل والمساواة، وهي في الذروة العليا من العلم والمدنية، والسياسة والثروة والقوة، أفلا يقدرُّون على أكثر من ذلك في الحكومة العثمانية وهي على ما نعلمُ من الصعف والحاجة إلى المال، وطمعهم فيها أشد، وخطرهم أعظم؟ فبنت

= دمشق، ١٩٩٣م، ص ١٢.

(١) محمد سرحان، مرجع سابق، ص ١٣.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) محمد نور الدين، تركيا في الرمن المتحون، رصاص الرئيس للكتب والشر، لندن،

١٩٩٧م، ص ١٧٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٧٧.

المقدس له شأن عظيم عند المسلمين والنصارى، فإذا تعلت اليهود عليه أقاموا
ملك إسرائيل، وجعلوا المسجد الأقصى هيكل سليمان - وهو قسنتهم - معداً
خالصاً لهم^(١).

وفي القرن السابع عشر قامت حركات يهودية في الدولة العثمانية أضيق
عنها اسم (حركات تحرير) تدعو اليهود إلى الهجرة إلى (الأرض الموعودة) في
فلسطين مما سبب نوتراً في العلاقات اليهودية العثمانية، وبدأت مرحلة جديدة
في حياة اليهود في الدولة العثمانية عرفت باسم مرحلة العهد العكسي لليهود
اليهودي في السلطنة العثمانية، حتى إن السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥ م
٩٨٢ - ١٠٠٤ هـ) أمر عن وضع اليهود في تلك الفترة بقوله «ما الذي يحصل لو
قطعت رؤوس جميع هؤلاء»^(٢).

اليهود في عهد السلطان مراد الرابع وظهور سبائاني زفي

في عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠ م - ١٠٣٣ - ١٠٥٠ هـ) كانت
الدولة العثمانية تسير نحو الانهيار حيث دخلت الدولة في حرب مع بندقية، كما

- (١) رشيد رضا، المجلد ١٠، ١٢٥، ١٣، (انظر على يد دولة عثمانية من سفود) وفي
مجال حسن معاملة دولة العثمانية لليهود المعتمدين فيها تشير إلى ترسانة التي كسبها أحد
الشخصيات اليهودية البارزة، وهو الحاج أحمد إسحاق، وأما جهة إلى يهود أعاد في
النصف الأول من القرن السادس عشر بقوله «أكثر هذه ترسانة، وإن نصف هذه
اليهود في ألمانيا حيث سموت فصل بهم إن إخوان اليهود في ألمانيا بقوله مع ما
كبيرة، إذ سموا حذرهم وصودهم من ألمانيا، سي من سلامة وسنة، لا سي وأدت في
ألمانيا، وعلى الرغم من ذلك ليس أعين لكم أن تركبوا هي لا من سي لا سي، فتمتد
فيها، ولجميع طيوس معكم، إن تطيق بالأرض العثمانية لكم معوضاً لكم عن ترك،
اليس من الأفضل لكم أن تعيشوا تحت حكم المسلمين (نقص الدولة العثمانية) أكثر من
حكم المسيحيين، ها يعيش كل مسلم سلام تحت شجرة لكم ورس، ها يسمح
لكم بأن تلبسوا أروانكم وملابسكم يهودية، أما الآن فمسيحية فعلى عكس من
ذلك، وعليه أدعوكم لمعادرة الأرض المنعومة التي أسمه فيها، ودهو إلى تركيا،
أحمد بوري نعيم، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٩ - ٢٢
- (٢) عايذة العلي، دول المثلث، مرجع سابق، ص ٣٢٤.

دخلت في سلسلة من الحروب مع روسيا، وقامت بمحاصرة فيينا للمرة الثانية، وكانت الدولة قد حاصرتها من قبل في عهد السلطان سليمان القانوني، إلا أنها لم تتمكن من دخولها، وبدأت مرحلة من التفتقر في عهد الدولة العثمانية^(١).

في ذلك الوقت بدأ يسري شعور لدى اليهود بالاحتجاج تحت قيادة واحدة يتحزرون فيها من سلطة الغير عليهم، حيث ظهرت موجة كبيرة معادية لهؤلاء اليهود في روسيا وبولندا وأوكرانيا، وكان ذلك عام (١٦٤٨م - ١٠٥٨هـ) وقد سيطر على اليهود في هذه الفترة فكرة الخلاص^(٢).

ويعتقد اليهود أن الأشياء التي فعلوها لا تولد تطور فكر والحركات الفكرية في زمان لم تحل مشكلاتهم والحروب التي قاموا بها لم تضمن حقوقهم؛ لذا فهم يبحثون عن شخص منتظر يحيي أسسهم الإيمانية ويحكمهم

فما كان من مفكري حاحمات اليهود سوى اللجوء إلى الكتب الصوفية ولصوص الدينية القديمة في ديانهم، يستلهمون منها فكرة خلاصهم من هذه المحر التي يواجهونها، وسيطرت عليهم في هذه الآونة فكرة المسيح المستطر، حيث كان اعتقادهم أن المسيح سيأتي، ويعيد إليهم دولتهم واستقلالهم، فاتجهوا بكيثهم إلى يهودي يدعى (سانتاي رفي) (١٦٢٦ - ١٦٧٥) الذي أعلن نفسه المسيح لمخلص لهؤلاء اليهود وكانت هذه الدعوة في عهد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠م).

والصفحات القادمة نعرض لنا الدور الذي قام به اليهود في تركيا من أجل السيطرة عليها من خلال دعواتهم نحو التحرر وإثبات كيانهم عن طريق التستر خلف الدين، وبإسلامهم بقدوم المسيح، حتى يستطيعوا توجيه العالم إليهم، وقد نجحت حركتهم هذه إلى حد ما وكان على رأس هذه الدعوات دعوة (سانتاي) الذي أعلن أنه المسيح، وكون جماعته التي سميت (الدونمة) تلك الدعوة التي

(١) محمد حرب، يهود الدونمة، دراسات إسلامية تاريخية، مؤسسة الدراسات التاريخية، الكويت، بدون تاريخ ص ١١؛ ومحمد حرب، العثمانيون في التاريخ، المحاصرة، لمركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم لتركيا، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٧٧-٧٨.

(٢) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥٥.

أحدثت الكثير من الأمور السياسية والعقائدية والإعلامية في تركيا.

تقسيم يهود العالم:

يفسّم الباحثون يهود العالم إلى ثلاثة أقسام رئيسية هم:

١- الإشكنازيون:

وهم اليهود الذين ينحدرون من أصول ألمانية، ويتكلمون اللغة الألمانية، وكانوا يسمونها لغة (الييدش) وهي خليط من الألمانية والآرامية وبعض المفردات الأجنبية، وهؤلاء اليهود عاشوا في القرون الوسطى، وترجع كلمة إشكناز إلى (شكنار) ومعناها (ألمانيا)، وكان هؤلاء الإشكاريين يقتصرون على يهود ألمانيا في البداية، ثم شملوا بعد ذلك يهود أوروبا وفرنسا، وقسم من المسماة^(١) ويطلق عليهم الأوروبيون المتهودون، ولم ير هؤلاء فلسطين، وهم غلاة الصهيونيين في وقتنا الحاضر.

٢- السفارديم:

وهم اليهود الذين هاجروا إلى شبه الجزيرة الإيبيرية بعد فتح المسلمين لها عام ٧١١م، كانوا يتكلمون في بداية وجودهم للغة العربية حتى القرن الثالث عشر، ثم تكلموا الإسبانية، واعتبروها لغة أساسية لهم، وتُعرف لغتهم باسم (اللادينو)^(٢).

ويختلف السفارديم عن الإشكاريين في ثقافتهم نظراً لاستفادتهم من حصارة العرب في إسبانيا بينما عاش الإشكاريون منعزلين مطوئين على أنفسهم، كان سفارديم يعتزون بأنفسهم، ويشعرون بتميزهم ثقافياً وحضارياً عن اليهود الإشكناز، فكانوا لا يحالطونهم، ولا يتزوجون منهم، واستمر هذا الحال حتى القرن الثامن عشر^(٣)

(١) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٦٩٨-٦٩٩.

(٢) نظير تعريف السفارديم في هذه الدراسة، دمش ص ٢٥

(٣) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٦٩٩-٧٠٠.

٣- اليهود الشرقيون :

هم اليهود الذين عادروا فلسطين بعد السبي حيث انتشروا في العراق وإيران وسائر شمال أفريقيا وغيرها، وكانوا يتكلمون لغة أهل البلاد التي يعيشون فيها

لغات اليهود في الدولة العثمانية:

يمكن تقسيم لغات اليهود في الدولة العثمانية طبقاً للجماعات اليهودية التي كانت تعيش فيها كالتالي:

الجماعة الأولى: وهم يهود إسبانيا ويتحدث (٧٧٪) منهم (اللادينو) وهي مركبة من اللاتينية والإسبانية، وقد انقسمت هذه إلى لهجتين فرعيتين في أواخر القرن الخامس عشر: أولها في كاستليا، والثانية اللغة المتحدثة بها في شمال إسبانية والبرتغال، وشكلها المكتوب يسمى (لادينو) ويستخدم فيها الحروف الهجائية التركية الحديثة، وبها حروف في كتابتها تفرقها عن اللغة لإسبانية، ثم صارت إسبانيا من ناحية الشكل.

الجماعة الثانية (٩٦٪) يتحدثون الفرنسية.

والثالثة ويدخل ضمنها (الإشكناز) (٣١٪) وتحدث الألمانية.

الرابعة (٨٪) يتحدثون العبرية.

وكل هذه المجموعات تعرف اللغة التركية

إن هذه الأرقام ذكرت من قبل (حلاير) بناءً على الإحصاء واستفتاء عشرين أسرة عام ١٩٦١م^(١).

وكان (٤٨٪) من اليهود يعرفون الإنجليزية و(٣٣٪) يعرفون الرومية، وكانت الغالبية العظمى من اليهود تتحدث أكثر من لغة، ولكن النسبة التي ذكرها (حويل) في التحدث بالعبرية نسبة عالية إلى حد ما

(١) أحمد نوري العيمي، اليهود والدولة العثمانية، ص ٢٩ - ٢٢

كما أن (القرائين) في القرم في الأزمنة الأخيرة كانوا يتحدثون (تتريه القرم) واليهود الذين كانوا يعيشون قديماً في ديار بكر وسيفر وأرغه، كانوا يتحدثون العربية التي في جنوب ديار بكر. ولكن اليهود الذين كانوا يقطنون في ماردين كانوا يتحدثون بلهجة مختلفة، واليهود الذين كانوا يعيشون في (وان) و(بوكسلي) كانوا يتحدثون الكردية^(١).

وفي عام ١٦٦٠م (١٠٧١هـ) كان المهاجرون اليهود الإسبان يستخدمون اللغة اليهودية الإسبانية في الأراضي المجاورة للبحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه^(٢) وكانت هذه اللغة تسمى (اللاديو) إلى أن حلت التركية محل (اللادينو) في منتصف القرن التاسع عشر^(٣) وهذه اللغة مركبة من اللاتينية والإسبانية^(٤).



-
- (١) أحمد نوري النعيمي، المرجع ذاته.
- (٢) هابدة العلي سري الدين، دول المثلث بين فكي النكماشة، مرجع سبق، ص ٣٢٤.
- (٣) انظر عبد الوهاب المسيري، اليد الحفية، مرجع سبق، ص ١٠١.
- (٤) أحمد نوري النعيمي، يهود الدومنة، دار الشير، مؤسسة لرسالة، بيروت، ١٩٩٥م، ص ٥٥ يتحدث اليهود الأتراك باللغة التركية ويمترونها اللغة الأم، وثمانية في المئة فقط يتحدثون العربية، الأمر الذي استدعى فتح دورات لتعليم اللغة العربية في المدارس اليهودية بإستانبول واللغة الأجنبية الشائعة بينهم، الفرنسية يتكلم بها (٩٦/٩٦) من اليهود في تركيا، ولإنجليزية يتحدث بها (٤٨/٤٨) منهم، ويتحدث نابونية (٣٣/٣٣)، أما الألمانية فيتحدث بها (٣١/٣١)، انظر محمد نور الدين، مجلة الدفاع الوطني الساسي، عدد ٢٤/ إبريل ١٩٩٨م، ص ٨٠ ويقول عبد الرحمن كوتشوك إن اليهود وصنوا في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر إلى أعلى درجات الانتشار، كما أن اليهود الذين خرجوا من إسبانيا ومن البرتغال سنة ١٤٩٢م اتحدوا من أعين وأكبر لمدن لتركيا مثل إستانبول وإزمير وسلايك وأدرنة وبورصة موطناً لهم، ولم يتركوا اللغة الإسبانية، لكنهم حافظوا عليها، لكونهم أصحاب مطبعة، واستمروا في نشر كتبهم وثقافتهم بلغات غير التركية والعربية، واعتبروا أن النقود والأموال والأملك هي كل شيء، محاولوا أن يكونوا أصحاب دولة خاصة بهم، A R Kuguk Donmeler Tanrı، Ankara.

العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية

القسم الأول
في العهد العثماني

الباب الأول: الساباثية في تركيا
الباب الثاني: التواجد اليهودي في ظل
الدولة العثمانية
الباب الثالث: العلاقات اليهودية العثمانية
في النصف الثاني من القرن
التاسع عشر وأوائل القرن
العشرين

الباب الأول

الساباتائية في تركيا

(يهود الدونمة)

(اليهود الذين اعتنقوا الإسلام
للقضاء على الدولة العثمانية)

الفصل الأول: نشأة ساباتاي زفي:
عقيدته، ومراحل دعوته

الفصل الثاني: إسلام ساباتاي زفي

الفصل الثالث: (الساباتائية) بعد وفاة
مؤسسها ساباتاي زفي

الساباتائية في تركيا

يهود الدونمة

(اليهود الذين اعتنقوا الإسلام للقضاء على الدولة العثمانية)

في القرن ١٧ (في عام ١٦٤٨م) وخلال الصراع المذهبي في أوروبا سيطر على اليهود فكرة الخلاص والتحرر من سيطرة الدول التي كانت تضطهدهم^(١)

استلهم اليهود فكرة خلاصهم في توحهم بعقيدتهم في ظهور المسيح الذي ينتظرونه، والذي سوف يخلصهم من المعاناة، ويساعدهم على إقامة دولة كبرى، ويرعيه العالم على اعتناق الدين اليهودي

و(المسيح) كلمة عبرانية تعني (المطهر)، وتعني الرجل الذي طهره يهوه (أي الإله عند اليهود)، ويطلق هذا اللفظ في النوراة على الملوك والأنبياء، كما يطلق على الرجال الذين يقومون بعمل ديني مقدس. والمعنى الخاص هو النبي أو المحلص الذي يرسله يهوه، لإنقاذ بني إسرائيل^(٢).

وفي العربية يُستخدَم تعبير (هاميلخ هامشيع) بمعنى المثلث الممسوح للدلالة على المسيح وأنه سيكون من سلالة داود عليه السلام^(٣).

(١) ذكرنا أيضاً أن اليهود الذين سُردوا في السلاو وجدوا صالنتهم في الدولة العثمانية، التي سمحت لهم بالاستقرار في بلادها، وقد توسّطت لهم لدى السلطان سليمان العثماني روحته اليهودية التي كانت تسمى روكسلانة (حرم سلاص) وحصلت على إذن منه لهجرة هؤلاء إلى بلاده، فأقام قسم من هؤلاء اليهود في ريمير، ومن هذا القسم ظهرت أسرة (سبيي) التي ولد لها ولد عام ١٠٣٥ هـ أسمته (سباتاي) وهو الذي يشتمى إليه يهود الدونمة، انظر محمود شاكر، التاريخ الإسلامي العهد العثماني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٢٠٣.

(٢) محمد حرب، يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد، مجلة العربي، العدد ٢٥٥، ١٩٨٠م، ص ٤٤.

(٣) أحمد عثمان، تاريخ اليهود، مرجع سابق، ص ٥٣-٥٥.

الشخصيات اليهودية التي ادعت أنها المسيح المنتظر:

لم يعترف اليهود بعيسى عليه السلام مسيحاً، ولهذا ادعى كثير من اليهود أنهم المسيح المنتظر، الذي سوف يحلّصهم، ويقيم دولتهم الكبرى التي تسود العالم. ومن هؤلاء (ثيوداس اليهودي)^(١) الذي ادعى أنه المسيح، وكان ذلك عام ٤٤م، و(باركوكبا) الذي ظهر عام ١٣٠م - ١٣٥م^(٢)، و(سيربوس) الذي ادعى النبوة عام ٧٢٠م^(٣)، و(أبو عيسى عوبديا الأصمهايني)^(٤) الذي ظهر في

(١) ثيوداس، ظهر سنة ٤٤ ميلادية واتبعه جمهور من اليهود، وأراد أن يستعبد لهم لصالحه سياسياً، فاجتمع بهم عند نهر الأردن، وادعى أنه سيعقب ماء النهر مثل موسى ليعبر هو والشعب معه، فعمم بأمره الحاكم العسكري الروماني المنطقة، وأرسل كنيسة من القريبات، فقتلت من هؤلاء اليهود عدداً كبيراً، وقطعت رأس هذا المسيح، وحملت معها إلى قنصها (حسن ظاظا، مرجع سابق، ص ١٣١).

(٢) بركوكبا، يهودي ثنر، قام بإعلان الجهاد المقدس لظرد الرومان وغيرهم من فلسطين، والاستيلاء عليها لتكون وطناً لليهود، وادعى لاتباعه أنه المقدس والمسيح المنتظر، ولما جاء جيش الإمبراطور الروماني (هديرين) وأباد اليهود في فلسطين، وعثر أكثر آثارهم هناك بنهبهمها ومحوها وتغيير أسمائها، تبين لليهود أن هذا المسيح المنتظر لم يكن إلا دخلاً، فغيروا اسمه من (بركوكبا) أي ابن النكوك أو اللحم وجموده (بركوزيا) أي ابن الكذاب (حسن ظاظا، لفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه، قسم لبحوث والدراسات الفلسطينية، طعة ١٩٧٥م، ص ١٣٣ - ١٣٤).

(٣) سيربوس، ظهر في عهد عمر بن عبد العزيز (٧١٧ - ٧٢٠م) ولعل السبب في ظهوره هو أن الحليفة عمر بن عبد العزيز كان قد لاحظ أن اليهود أسأوا استعداداً لحرية التي سبوا في ظل الإسلام، فدأشدد الرقبة عليهم، وبأجدهم بالحرم، وبماقهم شدة إذ احرعوا عن حادة الصواب، بالرغم من أن أخبار هذا المسيح الكذاب قليلة، إلا أنه سعى لإقامة المجتمع اليهودي على حرية مطلقة، تنوع فيه كثير من العوسوية، بحجة تحريرهم من سلطة الحاكم وقال بالغاء السلطة النبوية، وتعطيل شرائع التلمود والصلوات، وإلغاء عقود الزواج، ورفع الحظر عن المحرمات في النضام والشراب إباح وقد ستمر في دعونه إلى الحليفة يريد من عبد الملك بن مروان، الذي تلا عمر بن عبد العزيز. وقد ألقى هذا الحليفة القص عليه، فأبكر حديثه في هذه ندعوة، وقال إنه كان يبحث لمجرد الصحت فأرسله الحليفة ليسلم إلى بعض اليهود المتمسكين بديهم ليتوب، وهكذا انتهت حركة سيربوس هذا (انظر حسن ظاظا، مرجع سابق، ص ١٣٥).

(٤) أبو عيسى إسحاق بن يعقوب بن عوبديا الأصمهايني، عاش في عهد الحليفة الأموي =

أواخر العهد الأموي، و(سدومون) الذي ظهر في القرن ١٢م، و(موسى الدرعي) الذي ظهر عام ١١٢٧م، و(إبراهيم أبو العافية) الذي جاء عام ١٢٨٤م، و(أشراييلين) من منطقة قرب (فينسيا) الذي ظهر عام ١٥٠٢م، و(داود الرائي) وهو من يهود الجزيرة العليا الذي ظهر سنة ١١٦٣م^(١) و(داود الرأويي) الذي ظهر وأدعى النبوة في القرن ١٦م^(٢)، ثم ادعاء (ساباتاي زفي) مؤسس الدوامة

= عبد الملك بن مرون (٦٨٥ - ٧٠٥)، وهو من مواليد أصعدهن بلاد درس، وقد تدرب الشريعة بالتعمير والتدبيل. ثم حلفه تلميذه (يوجدان) الذي ادعى بدوره أنه المسيح المنتظر، وصدقته قوم كثيرون. وقد أطلقوا عليه لقب (نراعي) وبنيته نسب طائفة (اليوجدانية) من اليهود، (حسن طاطا، مرجع سابق، ص ١٣٤ - ١٣٥)

(١) داود بن سليمان من مواليد مدينة (آمد) في إقليم كردستان سنة ١١٣٥م درس في شباه (التوراة)، و(لمدراش)، و(الملك)، و(التلمود) على أكر أساتذة عصره، وكان لقبه لرسمي هو (رأس العنينة) أي مدير الأكاديمية الشرعية اليهودية، أنقش (داود الرائي) علوم العرب، التي كانت مردهرة جداً في عصره بعداد، وأوغل في تعلم النجيم والسمو وسائر هذه المعارف السرية.

وقد بدأ (داود الرائي) خطوته الأولى نحو ادعائه أنه المسيح المنتظر حوالي سنة ١١٦٣م، بمحاولة الفهم بحركة صهيونية دعا إليها بين يهود بعداد وإقليم المحيط بها. فكان ينادي بالذهاب إلى القدس، واشترعها من أيدي العرب، وإعلان حكم يهودي فيها. ولم تكن دعوته مجرد بروة في فكر (داود الرائي) ولكنها كانت قائمة على تحصيل مدروس، وقد صرح في إثارة الفتنة في بدولة السلجوقية، وفي لحلاقة لمسية بمسها، وسقى نفسه (مناحه) ومعاها بالعربية (الموسى) ثم أطلق على نفسه لقب الملك المحنص (المسيح) ولم يكف بذلك، بل راح يدع بين يهود العالم العربي أن رسالته المقدسة هي خلاص سي. إسرائيل من العربة والاحتقار وانتشرد في الأرض، وجمعهم في فلسطين، واغتصاب هذه البلاد من العالم العربي، وإعلان حكومة يهودية مستقلة فيها تعيد مملكة داود وسليمان.

وتحول (داود الرائي) بعد قتله إلى أسطورة حادثة بالحواريق وسمعت حرافة وقد أثار فتنة بين العرب والمسلمين، كما جهر حيث تنقضاء على المسلمين واستعادة القدس منهم، وإعلان حكومة يهودية مستقلة، وقد قيل على أيدي حدود حسمين، (نظر حسن صاعد، مرجع سابق، ص ١٤٠) وكذلك حسن علي حلاق، موقف ندوة العثمانية من الحركة الصهيونية، جامعة بيروت العربية، ط ٢، دار الهندس، ١٩٩٠م، ص ٣٥

(٢) ولد في حير في جزيرة العرب سنة ١٤٩٠، ومات في البرند مسموماً سنة ١٥٣٥ (انظر حسن طاطا، مرجع سابق، ص ١١٩).

الذي ادعى النبوة عام ١٦٤٨ م^(١).

وحول ادعاءات هؤلاء الدجالين أنهم المسيح المنتظر جاء عن السيد المسيح قوله: «لأنه يكون في تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التي خلقها الله إلى الآن، ولن يكون. ولو لم يقصر الرب تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين الذين اختارهم قصر الأيام. حينئذ إن قال لكم أحد: هو ذا المسيح هنا، أو هو ذا هناك، فلا تصدقوا، لأنه سيقوم مُسَحَّاءُ كذبةً، وأنبياءُ كذبةً، ويعطون آيات وعجائب لكي يُضِلُّوا لو أمكن المختارين أيضاً. فأنظروا أستم. ها أنا قد سبقتُ وأخبرتكم بكل شيء»^(٢).

وقد فسر المفسرون اليهود الدين كانوا يشرحون الكتابات اليهودية المقدسة بشكل رمزي وصوفي أن كل حرف في الأبجدية العبرية يحمل رقماً خاصاً به يدل على أحداث لها معنى، وقام بعض اليهود بحساب بعض الكلمات الواردة في بعض آيات التوراة، واستخدموا منها أن المسيح المنتظر سوف يظهر عام ١٦٤٨ م، وهو المنقذ الذي ينتظره اليهود، ليخلصهم من المحن والصيق الذي يتعرضون له، ويجعلهم شعب الله المختار.

كما اعتقد بعض هؤلاء اليهود أن المسيح سيظهر ويتجلى في صورة إنسان، وأنه سيحكم العالم من فلسطين، وتكون القدس هي مركز الدولة اليهودية التي ستجمع أشتات اليهود المتفرقين في العالم^(٣).

قدم ساباتاي رفي في عام ١٦٤٨ م بإبلاغ أصحابه بنبوته، وأعلنه في بيان إلى يهود العالم جاء فيه:

«سلام من ابن الله ساباتاي زفي مسيح إسرائيل ومخلصها إلى كل فرد من بني إسرائيل:

(١) يوري العيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٦-١٨.

(٢) العهد الجديد، إنجيل مرقس، إصحاح ١٣، آية ١٩-٢٣.

(٣) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٥.

لقد نلتهم شرف معاصرة مفقود بني إسرائيل ومختصهم، الذي بشر به أنبيأؤنا وآباؤنا، فعليكم أن تجعلوا أحزانكم أفرحاً، وصيامكم إفتاراً ولهواً، فلا تحزنوا بعد اليوم، فأعلنوا عن فرحتكم بالظهور ولأورع والموسيقى، ولا تهاوا شيئاً، فإن حكمكم لن يقتصر على أمم الأرض، بل سيتعداها إلى جميع المخلوقات في أعماق البحار، فكل هؤلاء مسخرون لكم لرفاهيتكم»^(١)

ولم يكتف ساباتي بهذا البيان، بل إنه طلب أن تُرفَّ التوراة إليه حيث اعتبرها عروس الله ثم بطق - حسب ادعائه - باسم الله الأعظم الحقي المحترم (يهوه) وأعلن بطلان كل الواميس والشريعة المكتوبة والشعوية^(٢).

قام ساباتي بتحريف النصوص الدينية لاستخدامها في دعوته، فقام بتحريف بيت من الشعر يقول «دوم دود ليسفي» بمعنى «حبيبي يشبه الغزال» فجعله «ربي يشبه ساتاي سفي»^(٣) كما أنه كان يأخذ بعض ضعفاء العقول، ويذهب بهم إلى المقابر في الليل، ويمارس عليهم تأثيراً نفسياً، فكانوا يؤكدون أنهم يسمعون أصواتاً في القبور تهتف وتقول: ساباتي زفي هو المسيح^(٤)

وفي ذلك الوقت قدم ساباتي بنشر وثيقة مزيفة رؤرها له حاخام دحان يدعى (أبراهام ياكيني) في إستاسول جعلها كرسالة قديمة تحمل عنوان (تفسير مزامير سليمان) وفي هذه الرسالة خبر يقول: إن مسيحاً سيولد اسمه ساباتي زفي. واستغل هذه الوثيقة للدعاية لنفسه^(٥).

والجدير بالذكر أن عام ١٩٩٢م هو العام الخمسمئة على طرد اليهود من إسبانيا وكانت الاجتماعات تنظم في الولايات المتحدة وتركيا وإسرائيل من أجل

(١) مصطفى طوران، يهود الدومة، ترجمة كمال حوجه، دار الإسلام، إستاسول، ١٩٧٧م، ص ١-١١.

(٢) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ٢٢٦.

(٣) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٩، محمد حرب، يهود الدومة، مرجع سابق، ص ١٦.

(٤) حسن ظاظا، مرجع سابق، ص ١٤٤.

(٥) محمد حرب، يهود الدومة، مرجع سابق، ص ١٨-١٩.

إحياء ذكرى هذه الطائفة اليهودية التي هاجرت من إسبانيا، وعاشت في أمان الدولة العثمانية^(١).

ويشير (ليلغاز زورلو)^(٢) بهذه المناسبة أنه خلال هذا الاحتمال لم تُطرق مسألة السابائين على الإطلاق، وعلى حد قوله «فإن هذا الأمر يثير الاهتمام»

وحركة ساباني وتدعى (السابائية) هي واحدة من الحركات التي تعتبر عن مؤس اليهود، وعن أزمة اليهودية التي انتهت بظهور الصهيونية، وهي كلها حركات هروبية، ترفض الزمان والمكان، وتطأ بالانتقال من وقع تاريخي مُعاش إلى مجتمع جديد مثالي يشتد على أرض فلسطين^(٣). وقد استطاع ساباني أن يستأثر

(١) Ilgaz Zorlu, evet, beniselmanlık tivism, türkiye sabetayicili ge 1988 istanbul, s 24

(٢) (ليلغاز زورلو) يهودي من سلايخ، ولد في مدينة إستانبول عام ١٩٦٩م. أنتم تعليمه الأساسي والمتوسط في نفس المدينة، ثم تخرج من قسم الاجتماع بكلية العلوم الإدارية جامعة (أولوداغ) في بورصة عام ١٩٩٠م ومن عام ١٩٩٠م - ١٩٩١م ذهب إلى القدس، لكي يُحري بعض البحوث والدراسات، وكان ذلك بمساعدة الدكتور حاد ناسي، وخلال فترة تواجد في مدينة القدس قدم بعض الدراسات في معهد (بن زفي) الذي يحتفظ بأهم المصادر التي تحصل جماعة السابائية في تركيا، وقد كانت دراسته كلها عن الثقافة وتاريخ اليهودي، و(اليعاز زورلو) هو الحميد السادس لشمس أمدي ذلك الرجل الذي كان مدرساً لأناتورك، وكانت مدرسته في سلايخ، كما كان من السابائين (يهود ندوكة) وكتب (السابائية في تركيا) الذي نشره في تركيا عام ١٩٩٨م هو أحدث كتاب يبحث في تاريخ السابائية في تركيا ومن أهمها أيضاً، وهو مجموعة من المقالات التي كتبها اليعاز ونشرها في المجلات المختلفة، مثل مجلة (التاريخ) و(المجتمع) و(التاريخ الاجتماعي) كد بصم هذا الكتاب مجموعة من المقالات استقى معلوماتها من خلال الوثائق الموجودة في أرشيف بعض العائلات اليهودية الذين يحفظونها في سرية تامة وأصول (زورلو) سابائية، وهو يعتقد أن ساباني رفي هو واضح أكبر نظرية للسابائية في مسيح التصوف اليهودي وقد ذهب زورلو إلى إسرائيل لمدة تقرب من عام لإتمام أبحاثه ودرسته عن هذه الجماعة، واشترك في العديد من المؤتمرات، وتقرب من بعض الكتاب الذين كتبوا مقالات عن السابائين بالإضافة إلى مقالاته مع بعض العائلات السابائية هناك.

(٣) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

بعواطف اليهود، وصدّقه الكثيرون^(١).

وكانت الحركة الساباتانية حركةً يهوديةً دينيةً اجتماعية، قدده الدّخال ساباتاي، ليعبّر بها عن أزمة اليهود في العالم، حيث تلتها لعددٌ من الحركات، والتي انتهت بالصهيونية^(٢)

ونستعرض في الفصول القادمة تفصيلاتٍ عن دعوة ساباتاي



(١) قال (بندكت دي سينورا) بمبشوف اليهودي في هولند - وهو من أصل إسباني - حينما سُئِلَ عن رأيه في ساباتاي فقال: «إنّه لا يرى سبباً عقلياً يمنع إمكاني إعداد الحكم الرمزي لليهود» نويهض، رتوكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥١٩

(٢) انظر نويهض، رتوكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥١٩

الفصل الأول

نشأة ساباتاي زفي - عقيدته - ومراحل دعوته

حياة ساباتاي زفي:

ولد ساباتاي زفي في إزمير عام (١٦٢٦م - ١٦٧٥م) في بيئة تلمودية مترقنة، ومن أسرة يهودية إسبانية الأصل، كان أبوه مردخاي وكيلاً لشركة إنجليزية، وكان تاحراً ميسوراً له ثلاثة أبناء أصغرهم ساباتاي^(١)

حبيب مردخاي ولديه في التجارة، فاستجاب له، لكنه لم يستطع إقناع ابنه الأصغر ساباتاي، حيث إنه كان شغوفاً بقراءة الكتب الدينية، فكان يرغب أن يصبح حاخاماً، فعهد به إلى حاخام يسمى (إسحاق دالسا) فآثر فيه كثيراً منذ صغره، وعنده التوراة والتلمود، وحبيب إليه الكشف عن المعاني المحازية والتصوفية في الكتب الدينية، الأمر الذي هباه للنجاح في محاولته بإعلانه أنه المسيح المنتظر^(٢).

أدخله والده مدرسة يهودية، تعلم فيها التوراة والتلمود، وظهرت عليه علامات المجابة والدكاء، وتخرج من المدرسة وهو في الخامسة عشرة من عمره، وكان يتعلّق على مناقشيه، ويسعى إلى تحريف المصوص الدينية^(٣)

مارس مهنة التدريس، وأصبح حاخاماً وهو في سن الثامنة عشرة من عمره^(٤) وحصل على مرتبة الأستاذية^(٥).

(١) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٧-٨.

(٢) محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ١٤-١٥، Ilgaz Zorlu a g e c . . .

(٣) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٧-٨.

(٤) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٥) نوري، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ١٢.

كان ساباتي جميل الصورة ذكياً عالماً أيقناً، حلّو الحديث، يتميز بطلاقة اللسان^(١).

كما كان متميزاً في قوة جاذبيته في التأثير على الآخرين، وكان يعيش صباه في عزلة وتأثّل، ويقوم بطقوس عادة لا أصل لها في التقاليد الدينية اليهودية^(٢). حتى تكوّنت لديه تبيحة إدمانه قراءة لكتب لصوفية وتفسيرها وتحريفها عادات غريبة، فكان يو صلّ الصوم، ويكثر من الاستحمام والتطهر، حتى يضحي القدسية على نفسه^(٣). ومن حالاته الصحية أنّه كانت تنتابه حالات صرع، وكان معتن الصحة والمزاج^(٤).

ويبدو أن حياة ساباتاي وفي النفسية لم تكن سوية، لأنه كان محباً للعزلة، وكان كثير الغتسل ولتطهر، وكان أصدقاؤه يعرفونه برائحته الركية^(٥). كما كان مولعاً بالسباحة صيفاً وشتاءً، وكان يقضي الليل وهو يشد أشعاراً بالعبرية والآرامية^(٦).

عقيدة ساباتاي ومذهب القبالة:

كان ساباتاي زعي مؤمناً بالتصوّف اليهودي القبالي، التابع لمذهب القبالة^(٧).

-
- (١) محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ١٥.
 - (٢) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥٦.
 - (٣) محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ١٦، ١٢، ١٢٨، ١٢٩.
 - (٤) محمد حرب، عثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨،

والقبالة مذهب في اليهودية مصدره التعمود، وتعودُ بذوره الأولى إلى الأنبياء (عزرا) و(حزقيال) و(نحميا) و(دانيال) و(أستير) أيام السبي الثاني السوخذ نصري، وذلك بعد تخريب أورشليم، وتخريب الهيكل، ونقل كنوزه إلى بابل.

وقد دُوِّنت تعاليم القبالة في وثيقتين عبريتين هما (السفر حرير^(١)) و(السفر هازوهار)^(٢). مكتوبة باللغة الآرامية^(٣).

وكتاب (القبالة) ينقسم إلى كتابين رئيسيين كتب الأخلاق (لدحار) ويسمى الإشراف، والروهر وهي تعني النور) وكتاب الحلق (يتسهر) وهما يشكّلان القبالة المكتوبة، وهناك كتب يسمى (القبالة الشموية) وهذه القبالة تلقى اهتماماً خاصاً في أمريكا^(٤).

أما عن منشأ القبالة فختلفت الآراء في ذلك، فيرى البعض أن القبالة من الوحي، وأنها ترجع إلى آدم عليه السلام.

ويرى آخرون أن أصل منشأ القبالة يعود إلى أيام السبي، حيث كن لعقل اليهودي منعساً في الآراء الشرقية ودين الفرس وورادشت، ولتأثيرات الهلينية^(٥).

ومنشئو القبالة يردون أصلهم الروحي إلى كلمات في سفر دانيال^(٦)

= سوران السعيد يوسف، المعتقدات الشعبية حول الأضرحة اليهودية، عين بدرسات والبحوث، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٧٥.

(١) جور رفعت أتمحد، أسرار ماسونية، المحتر الإسلامي، ترجمه عن التركيه نور الدين رضا لو عط ومسلمان محمد أمين بقسلي، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ٩

(٢) ilgaz zorlu, s.g.e.s. 100

(٣) ilgaz zorlu, s.g. e.s. 100.

(٤) abdurrahman kucuk, a.g. e.s. 198

(٥) سفر دانيال مؤلف من (١٢) فصلاً في نحو من (٢٥) صفحة وقد يحدث في مفصلين الأخيرين عن ملك الشمال وملك الجنوب، وعن المعركتين والسبي والفرسان، والحرب ودهب دولة وقيم أخرى، وهو يريد من خلال هذا كنه أن يرمز إلى عودة ليهود من خلال الحروب الكبرى بين تلك الدول.

وكان دانيال من رجال السبي، وكان يشتهر بتفسير الهواحد النفسية، والأحلام والرؤى وقراءة المستقبل السياسي في بلاد الفرس^(١).

وقد ذكر في سفر دانيال العديد من لتنبؤات الملكية، وكان الكلدان يهتمون بعلم التنجيم، ومراقبة الحركات الفلكية، وكانوا يزعمون به رهواً رفيعاً؛ فعلم السحر العالم لقديم، حتى استقر في الأدهان، كأنه قوة ضرورية في الأرض. وكان دانيال بارعاً في هذه العلوم، وما جرى عليه اليهود من أمر العمل لحفظ كتابهم التوراتيين المكتوبة والشموية، وكنتاهم من موسى كما يقولون^(٢).

وكان دانيال منجماً فلكياً، سياسياً، ظموحاً، يعمل في سبيل العودة إلى أورشليم هو وقومه. وهذا ما رآه النعيل المعاصر من أمر اليهود في الحربين العالميتين في خلال الثلاثين الأولين من هذا القرن، بعد دانيال بخمسة وعشرين قرناً^(٣).

والكلمات التي جاءت في سفر دانيال في الإصحاح ٣/١٢ والتي اتخذها القبايليون دستوراً لهم تقول:

«ويضيء العقلاء كصياء الحلد، والدين جعلوا كثيرين أبراراً كالكواكب إلى الدهر والأبد».

وقد اعتمد القبايليون هذا النص وقالوا: إيمان نحن المعبيون بهذا النص، ونحن هم الحكماء الذين أشاد إليهم دانيال، وجعلوا هذا النص دستورهم^(٤).

وكلمة (قدالة) العبرية تعني عادة أو عرف، وتأتي بمعنى الأحذ والمهم ولاستعبد ومعنى العلم الملهم، أو علم العرف، وتسمى العنة الخفي أو الحكمة^(٥).

(١) عجاج بويهص، بروتوكولات حكماء صهيون، مرجع سبق، ص ٥٠٥.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) عجاج بويهص، بروتوكولات حكماء صهيون، مرجع سبق، ص ٥٠٦.

(٤) نوري، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٧.

(٥) abdurrahman kucuk, a.g. c.s. 198.

ومعنى القبالة في العربية هي القبول أو لتلقي لرواية الشموية، وفي مصادر أخرى جاء من معاني القبالة أيضاً. «القبالة مصطلح يراد به التعليم الماسي المتعلق بالله والكائنات، نزل وحياً على أكرم القديسين في الزمن القديم، واحتفظ به عدد قليل من الأخيار»^(١).

وفي تعريف آخر للقبالة أنها: «سر فوق الأسرار، دعت القدم والوحي والرواية عن الأوائل»^(٢).

وفي موضع آخر حدد في معنى لقبالة أنها نلت الطريقة العسفية الشرقية الغربية التي أدخلت في وقتٍ غير معلوم التاريخ، على المذاهب اليهودية، وتحتوي على جميع آراء الرابينين في الشؤون الدينية ومعدية^(٣)

والقبالة أيضاً كلمة آرامية معناها القبول أو تلقي الرواية الشموية^(٤)

والقبالة عند أصحابها هي تعلم جميع المعاني الإلهية «لتحسين الله» والقباليون يدعون أن كتاب التكوين عندهم مستمد من موسى، وموسى استمدّه من إبراهيم، إذ أنه يكن من آدم أو ممن هو أعنى من آدم وأقدم.

والقبالة كانت قائمة على علم التحميم لسحري؛ تعدّه كثيرون فسمّوا حكماء، درسوا (يتلمذوا) ثم احتاروا إلى تعاليم أعنى ونعد^(٥)

وكان هؤلاء الذين يتبعون مذهب القبالة يبحثون عن معرفة العلائم التي تنبئ بظهور المسيح لليهودي، الذي ينفذ الشعب من الآلاء التي يعيدها^(٦)

(١) بويهس، روتوكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥١٦-٥١٧. ونحن مع هذا الرأي ذلك لأن قولهم في لفظة إنها كتاب التصوف قول خاطئ وهو بعيد كل البعد عن التصوف.

(٢) هـ هـ فلمان صاحب كتاب (تاريخ لليهود من أقدم الأزمنة إلى العصر الحديث)

(٣) عجاج بويهس، روتوكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥١٦-٥١٧.

(٤) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٤٠٣.

(٥) المرجع السابق، ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٦) أحمد سوسة، المرجع السابق، ص ٤٠٣.

والقبالة كمصطلح يعني عادة وعرف كما أن التصوف اليهودي معتمد على أساس الحرف والعدد وتحتوي تعاليم ودستور القبالة على كتاب (الإشراق) واسمه في العبرية (الزوهر) أو (المدحار)، و(الروهر) كلمة آرامية معناها النور^(١)

وأهمية كتاب الإشراق لدى اليهود يضارع أهمية العهد القديم وقدسيتها لديهم، ويضم شروحاً على فقرات من التوراة وعظات دبية، وفصصاً شعبية^(٢)

وهذا الكتاب مُنَحَمٌ بأخبار خلق العالم، وطبيعة الله، والمعاني الباطنية في التوراة، والرموز الخفية في أسرار الوجود، وعلل الكون.

وقد أقبل اليهود على هذا الكتاب لعرائبه، ووجدوا فيه متفساً لهم بعد طردهم من إسبانيا^(٣) وترجع الأشعار الصوفية التي يحتويها إلى زمن الحاحام (سمعان بن يوشاي) من القرن الثاني للميلاد، وقد قيل عنه أنه وُجِدَ متحفياً في إحدى معاور فلسطين ثلاث عشرة سنة كشفت له من خلالها أسرار السماء والأرض^(٤).

ومن أساطير الروهر أن الاثنين والعشرين حرفاً من الأبجدية الآرامية نزلت من لسماء قبل الخليفة بستة وعشرين جيلاً، وأنها بُقِشت بالنار المنتهية، كما يرون أن كل صلاة تبعث قوة روحية تؤدي إلى انتصار الخير على شر، وسوف تظهر مع ظهور المسيح المنتظر^(٥).

(١) عجاج نويهض، برونكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥١٦. في القرن الثاني عشر كان لنعوم الإسلامية في انعمور "الوسطى" أثره الكبير في التصوف اليهودي، حيث نهج اليهود - نهج علماء المسلمين في غنوه الكلام والتفسير وكان يكتب نعرمي أثره، السبع على الفكر اليهودي عن صديق ترجمة أعدته إلى اللغة اللاتينية وخاصة كتابه (المقاصد) و(سهاف) حيث قاموا باستدراك شواهده القرآنية والسوية بأحرى من التوراة التلمود (نظر سوران السعيد يوسف، مرجع سابق، ص ٧٦)

(٢) نوري النعيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٩.

(٣) عجاج نويهض، مرجع سابق، ص ٥١٧.

(٤) أحمد سوسة مرجع سابق، ص ٤٠٤.

(٥) المرجع السابق نفسه وهذا لعمري يشترط من ديانة ليرر دشت (ديانة العرس القديمة) =

أسست القبالة أول موطن لها في فلسطين بعد العودة من النسي، ثم انتقلت إلى الإسكندرية^(١)

وفي هذه المناسبة نورد بعض معتقدات القبالة التي كان لليهود يعتقدونها:

● «اللاهية تمثلها، لكثرة في الرمان والمكان»

● «إن الواحد من القدماء، الأولين طوً وحده أكثر من عشرة آلاف عالم بثلاثمائة وسبعين مرة، ولون وحده يضيء أربع مئة ألف عام وكل يوم يشق من عقله أربع مئة ألف عالم».

● «إنسان صورة الله، وهو أدنى من الملائكة، أما شيطان فهي أسماء لشهواته واستكباره وقسوته»^(٢).

يقول مذهب القبالة بضرورة الصلاة من أجل محيى انحلاص، كما ركز على سلوك، ترهد والتأمل والتعب من أجل الإسراع في قدومه^(٣)

ومن هنا كان ظهور سانتاي رفي، وإعلانه أنه المسيح المنتظر، وعقيدته القبالية أثره الكبير في التناف اليهود حوله^(٤) وقد سترق مؤمنون بالقبالة في السحر والشعوذة، وأولئ التوراة، ووصفوا الأعداد ٧ - ١ - ١٢ - ٣٢ بأن لها معاني رمزية خاصة.

قام سانتاي رفي بالإملاء على مريديه كتاب سماه (سر العقيدة الصحيحة) شرح فيها أصول دعوته، ونبي استخلصها من كتاب (لروهر) تتبع لمذهب القبلة الذي ينتمي إليه. يقول سانتاي رفي: إن دعوته تنحصر في إيمان بالنهيس، إنه للعالمين، وآخر لليهود، والاعتقاد بالشحيه) وهي حصص الله أو حلوله في الشعب، ويعتقد أيضاً أن رب العالمين هو لعنة الأولى، ومنه جاء به إسرائيل،

= نبي تقوم على وجود النهيس إنه الحروب لله شر وتصر في نهاية إليه لتحرير

(١) عجاج نويهض، برونوكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥٠٩.

(٢) عجاج نويهض، مرجع سابق، ص ٥١٠.

(٣) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥٥-٥٦.

(٤) عجاج نويهض، مرجع سابق، ص ٥١٦-٥١٧.

والعلة الثانية: أنَّ إله إسرائيل كان الوجود والوجودات^(١)

أيضاً حاول ساباتي أن يحكي (السي موسى عليه السلام) ويقوم بحركات غير طبيعية، فكان لليهود يلتفون حوله، ويستقلونه استقلاً، الملوك، وهم يرددون قننين «عش طويلاً أيها المسيح الملك، عش طويلاً أيها السبط زفي»^(٢).

تقول المصادر إنَّ نقابة صنت موحدة بين اليهود طوال العصر الوسيط، وأنها مارلت تعبش بين يهود أوروبا وروسيا في القرن التاسع عشر تحت مسمى هاسيدوت (Hasidut)^(٣).

ويرى البعض أنَّ النقابة كانت مسأفة في ظهور تيارات متعددة، وكان أيضاً لها تأثيرها على المتصوفة وأصحاب عقيدة وحدة الوجود، وعلى أصحاب الاعتقادات الباطنية^(٤).

أما كتب الأدعية الخاصة بالمسحاة التي كان الساباتييين يرددونها، فهي محفوظة الآن في المكتبات الكبرى التي تأسست في معهد (س رفي) التابع (للجامعة العبرية) والذي تأسس بعد تأسيس دولة إسرائيل، وهذه الكتب كتاب يحمل أهمية تاريخية بالنسبة للساباتييين، تم طبعه في فلسطين، وهو سمر (شيروت وتشيساهوت شل هاشباتيم) عام ١٩٤٧م، وكان رجال العلم

(١) يوري، يهود الدومعة، مرجع سابق، ص ٢٥، نقلاً عن عبد الصمد لحصي، بموسوعة لبقية لتفسيه اليهودية، دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٢٩، وكان أول بيان أنقاء ساباتي إلى الشعب يهودي جاء فيه «من أول بر لله، ساباتي رفي، المسيح، منحصر شعب إسرائيل، إلى جمع أبناء إسرائيل السلام» لما كان قد قُدر لكم أن تكونوا حذيرين برؤية اليوم العظيم، وإبحار وعد الله إلى أسائه، فلا بد أن نعبرو آخر لكم، فرحاً، وصومكم مرحاً، لأنكم لن تكونوا بعد الآن، فاستمتعوا وعتو، واستدلوا باليوم الذي كان من قبل يقص في حزن والام. يوم عيد، لأنني طهرت» أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٢) يوري، يهود الدومعة، مرجع سابق، ص ٢٦، نقلاً عن brahim alaettik, govsa sabatay sevi, s. iutfi k evi, istanbul, tarihiz., ss. 33-34

(٣) (abdurrahman kucuk, a.g.e..a. 150).

(٤) (abdurrahman kucuk, a.g.e..a. 150).

الإسرائيليون يحفظون هذه الكتب بعيداً عن الأعين في سرية تامة^(١).

كتب عالم إسرائيلي، يدعى (حبرشوق شويلم) كتاب (ساندائي ربي المسيح المنتظر) ضمّ هذا لكتابات مجموعة من الأشعار الساندائية، جمعها الكاتب من أرشيف إحدى العائلات الإزميرية التي تنتمي إلى فرقة (القباحلر) (إحدى الفرق التي ظهرت بعد وفاة ساندائي) وهي مكتوبة باللغة الإيسانية، أما لغة الكتاب الأصلية فهي اللغة العبرية، وبها عصر الأخطاء، لإملانية تبينة لعدم تمكنهم من اللغة العبرية في ذلك الوقت. ومن هذه الأشعار

يا ملك الدنيا والدين، نحن فداء لك، ارحمنا، ونحن سنكون بحبك نادمين.

يا من لم ير منك في العالم، ارحمنا، ونحن عاشقين لك
نحن نفديك بأرواحنا، نحن عاشقين لك.

الآن يا نور القمر ارحمنا ونحن سيطعك دائماً^(٢)

وأساس (نظرية الساندائية) تعتمد على (نظرية الحق)، التي نسب إلى اليهودي المتصوف (إسحاق لوريا) وتعرف هذه النظرية باسم (نظرية الانكسار) وتقول هذه النظرية: إن الآلهة قد أرسلت على هيئة ضوء وسور، وكل من تجمع لرؤية هذا الضوء الإنسي لم يستطع أن يتحملة فماتوا، ومهم جماعة لم يموتوا، وأصابهم شيء من هذا الضوء، وعندما يعود هذا الضوء إلى مصدره سيطلون ملاحظين لهذه الأجزاء التي كُسرت^(٣).

وقد تمّ تداول شخصية ووصائف المسيح في النظرية الساندائية من خلال نظرية (لوريا) ويؤمن الساندائيون أنهم سوف يموتون وهم محلّصون من

(١) Ilgaz Zorlu a g e s 36.

(٢) Ilgaz Zorlu a g e s 37.

(٣) إسحاق لوريا هو شخص صوفي يهودي مهتم بالفلسفة اليهودية، عاش في عهد الأشكيز، وهو مؤسس السفار، وقد أصبحت أشياء كثيرة نظريته بعد موته وهو أول من قال بالإيمان بالمسيح منتظر، وهو الذي فتح الطريق لظهور الساندائية

دوبهم، وقد صرحوا بهذا في أدعيتهم ومناجاتهم الدينية، وهذه المقطوعة التي سنقرؤها هي أول مقطوعة شعرية من نوعها يظهرها الساباتانيون، وهي خاصة بفرقة (القبانجلر) وتقول:

يا باب الجنة ويا بناء الجواهر

يا ساباتاي يا تاج الرأس

أنت شموع الأعمدة وسوف يراها ومن سيرها^(١)

سيرى الله

يا تاج الرأس يا ساباتاي

لو يكون هذا اليوم منراك

وسنصل إلى مرادنا

وسنرى سيدنا

يا تاج الرؤوس يا ساباتاي

ستموت القشور والأشياء

وستظل الدنيا لنا، وسوف تعزف المزامير

يا تاج الرؤوس يا ساباتاي

ويرى في بداية هذه الأدعية والمسجات كيف أنهم يطينون الآمال من ساباتاي، بل إنه هو نفسه أصبح مطلباً وأصلاً لهم، وأن هذا سيتحقق بمجيئه مسيحاً عليهم، كما أن الدوب والأشياء سوف تُمخى، وأنه سوف يعود داود للعرف مرة أخرى، ويُذكر أن ساباتاي سوف يكون من سل داود.

وفكر وعقيدة الساباتاين تقول: إن المسيح سوف يأتي إلى الدنيا، ويعتبر جسده فيها لمدة ثمانية عشرة مرة منذ أيام إبراهيم، وبمجيء المسيح سوف يظهر

(١) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 38.

كل واحد من هؤلاء الثمانية عشر مسيحاً في صورة المسيح ساداتاي، وسوف يكون دور الساباتانيين يوم لقيامة هو إنقاذ الناس من هول القيامة، وهم يسمون أنفسهم بالمؤمنين، تبيحة لتلك الفلسفة، لأنه عندما يأتي المسيح مرة أخرى سوف يأتي لإنقاذ المؤمنين به، الصادقين فقط.

وعلى الرغم من أن الحركة الساباتانية كانت تعتمد على نظرية القبالة وظهرت على أنها حركة صوفية يهودية، إلا أنها بدأت تأخذ اسماء الإسلامية بمرور الوقت، وقد بدأ هذا في الظهور منذ نهايات القرن التاسع عشر وحتى الآن وخاصة فرقة (اليعاقبة الساباتية) فقد يتجهون إلى الحركات الصوفية، وإلى إظهار اهتمام بهم، فمنذ أن أعلن ساباتاي زفي إسلامه هو ومعه مئة عائلة تابعين له، يتقربون إلى الجماعات الإسلامية، ولم يكن هذا في المجتمع العثماني فحسب، بل كان في كل أوروبا وآسيا، حيث ترك الساداتنيون تأثيراً كبيراً لهم في نفوس الجماعات اليهودية، وذلك من خلال مبدئهم (الشبه والتشابه) ومنذ ذلك الحين بدأ الساداتنيون يتقربون إلى الجماعات الإسلامية، بل إنهم وجدوا صعوبة في هذا التقرب، لأنه كان كرهاً منهم^(١)

وكان ساباتانيون يدخلون الجماعات الدينية الأكثر نساءً في قواعدها الدينية، والأكثر تقرباً إلى السلطة، والسبب الرئيسي لدخولهم في هذه الجماعات لم يكن للمحافظة على هويتهم السرية فحسب، ولكنهم كانوا يهدفون إلى تشكيل سمات وسماذج صوفية للطرق في الأدبيات المختلفة^(٢)

وقد تركزت نشاطات الساداتانيين بالمنصوفة الإسلامية في ثلاثة مراكز رئيسية هي (إستاسول) التي كانت عاصمة الدولة العثمانية، ثم بعد ذلك في غرب الأناضول في مدينة (إزمير) ثم بعد ذلك انتقلت إلى لندن مثل (سلايك) و(صوفيا) و(تراقيا) و(أدرنة).

(١) Ilgaz Zorlu, a.g e.s. 39-40.

(٢) وهذا هو السبب في شتركهم مع النصرى الإسلامية صوفية مثل الطريقة مولوية، والطريقة البكتاشية إلى جانب العلامة.

وأول عمل قام به السانتانيون في إستانبول بعد دخولهم الإسلام كان تحقيق لمساعدة المادية في تأسيس تكية (عزير محمود خدي) الذي كان من شيوخ الطريقة الحلوتية ومدفون في (أسكيدار)^(١) والسبب في هذا هو مكوث السانتانيين لفترة طويلة في تلك التكية حتى مدلة عام ١٩٢٤م^(٢)

ويحمل حي (بلبل دره سي) في (أسكيدار) مفهوماً خاصاً عند السانتانيين، لأن التلمود يقول إن المسيح سيأتي على (صوت اللبس) لذلك كان هذا الحي هو أكثر مركز لتجمع السانتانيين في إستنبول، بل إنهم أشؤوا مدافعهم هناك^(٣).

وعندم نظر إلى أماكن العبادة لأخرى لتي أسسها السانتانيون في إستنبول، نجد أنها كلها في (أسكيدار) وما حولها، وفي مدخل مدفن حي (بلبل دره سي) كما نجد مسجد (فيضية حنون) وهو من إنشاء السانتانيين، واسم هذا الجمع وهو (فيضية) إنما يرجع إلى أن هذه بكمة تحتل معنى رمزياً عند طائفة (الفارقش السانتانية) كما أن المدرسة التي تنفى أتتورك تعليمه الأول فيها هي صلاتيك كانت تحمل الاسم نفسه^(٤).

وهناك بعض المصادر تدعي أن سانتاني رفي كان على علاقة مع باري المصري (لتركي الأصل) وهو من المتصوفين الإسلاميين^(٥)

(١) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 41.

(٢) وفيها تم استبدال المسلمين في ليونان بنصارى وإيهود في تركيا، واستُبدلت إستانبول من هذا الاستبدال، (الناشر)

(٣) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 41.

(٤) Ilgaz Zorlu a.g.e.s. 41.

(٥) يمكن الاستفادة في هذا الموضوع من كتاب (تاريخ همر) ودلت في الموضوع الذي يتفق به السانتانيين، ويعرض أيضاً (داول ميتون) إلى هذا الموضوع في عدة مقالات، حيث يوضح كيف تعاملت الثقافات الإسلامية والصوفية اليهودية في عام ١٦٦٦م ويوضح أيضاً أن سانتاني أقام فترة في تكية مصري، وأسس معه علاقات صداقة، وهذه التكية هي تكية محمد باشا، الموجودة بحور جامع السلطان أحمد وقد أقام =

وعندما تدرس الفلسفة لنتي كانت بين (رفي) وبين (بيزي المصري) بحثاً أن كلا الاثنين سيأتي وبيزي قد دافعوا عن ادعاءاتهم وأفكارهم المشتركة وأن كليهما أيضاً ادعى أنه هو المسيح والآخر هو نمهي، وقاموا ببعض أشياء تدل على ذلك كما أنهما كنا يحاربان شيخ لإسلام في ذلك العصر وهو (ونى أفندي) لأنه كان عدوهم الأوحده، وكان الناس ينظرون إليهما كمحبيين، وكانوا يسخرون منهما دائماً.

وتقول الروايات^١ إن (بيزي المصري) تقابل فترة مع رفي في إستاسول أو أدرنة ومع أنه غير معروف كيف تفاهم لاشن، وبأي لغة تحدث، إلا أنه يدعم تابعيهما أنهما أثرا في بعضهما جداً ولم يهتبه أعضاء الفريق الذي كان يتبع بياري المصري بأفكاره كمصدر لهم، بل إن أول من اتحدته مصدرهم هم الملامنية، وهي فرقة من الفرق الصوفية في ذلك الوقت وصهر الملامنية بشاخاً وتأثيراً مماثلاً لدور الساداتية في بيلقان وأوروبا^٢.

ومع أن علاقة الساداتيين بالطرق الصوفية استمرت حتى عام ١٩٢٤م إلا أنهم بعد عام ١٩٢٤م قل نشاطهم في إستاسول، وقل عددهم أيضاً طبقاً لقرار لحكومة التركية بإغلاق التكايا والروايا بعد ذلك بفترة، إلى جانب تقرب الساداتيين إلى الماسونية كان من الأسباب الرئيسة في انتهاء هذه العلاقة لنتي استمرت كثيراً^٣.

وبالرغم من أن الساداتية أو المدوسة كانت حركة ذات أصول يهودية، إلا أنها كانت ذات تأثير قوي نتيجة تقربها إلى المؤسسات والطرق الصوفية الإسلامية؛ ولهذا يكون من الخطأ اعتد أن الساداتية امتداد لثقافة يهودية فقط^(٣).

= كلاهما في هذه التكية لفترة، ويكتب (يسر نيل حارس) أن (ساداتاي) أصناف نظريته ذكر يسمى اسم الله. (Zorlu, s. 42).

(١) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s 42-43.

(٢) ilgazzorlu, a.g.e.s. 45.

(٣) Ilgaz Zorlu, a g e w 45 مصر إحصاءات أن تورك للسيطرة على الشرق الصوفية ومن ثم =

وقد ظهر التأثير السياسي للساباتيين منذ اتخذوا بعض المؤسسات المهمة مركزاً لهم مثل (جمعية الاتحاد والترقي)، و(المحافل الماسونية)، و(الطرق الصوفية)، وعلى رأسها (البكتشية) و(الملامتية) و(المولوية) الأمر الذي جعله، يقتصر بهتم ويستبد إلى هذه الجماعة والشيء المثير هنا هو اهتمام الكتاب العثمانيين بالساباتية بعد ثلاثة قرون من تأسيسها، وكان أقدم كتاب كتب عن هذه الجماعة هو كتاب لمؤلف مجهول، وقد طبع عام ١٩١٩م^(١)

في بداية هذا الكتاب قام الكاتب بإعطاء تعريف مختصر عن الدونمة، كما أعطى معلومات عن ساباتاي زفي، ويدعي المؤلف أن هدف ساباتاي كان تأسيس دين جديد، لكنه (أي ساباتاي) عندما هرب ترك جماعته على حال لا يستطيع حتى فهم نفسه.

ويوضح المؤلف أيضاً أن الجماعة لم تكن تتكون من اليهود فقط، بل كانت تتألف من القبط والمجوس واليهود.

ونقدم الرسالة بعد ذلك معلومات عن الساباتية، حيث تحدثت عن عادة الزوج عند الساباتية، وعن انطوائهم على أنفسهم، كما تحدثت عن الغش التجاري عند (القسحلي) و(لقارقش) وهما اجتماعان اللتان تفرعتا من الساباتية بعد وفاة ساباتاي زفي.

ويوضح الكاتب أن الدونمة هم سبب تحول النساء في المجتمع التركي ومن عراة الرأس (بلا حجاب)^(٢).

= إلغائه، محقق ٤٢١-٣٨٩ s 1980 Mustafa Kara Tekkeler ve Zaviye ler Istanbul، انظر إعلاق الكتاب والروايات، يلغار أورتون، تاريخ لدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سبيح، م ٢، منشورات مؤسسة فيصل، إستانبول، تركيا ١٩٩٠م، ص ٥١١، وهدي درويش: الإسلاميون وترك العثمانية، در الأناضول لعربية، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ١١٠-١١٦.

(١) نوجد معلومات موصحة ومختلفة عن الكتب وما يحتويه قدمها عبد الرحمن كوحك في كتابه (الدونمة ويهود الدونمة).

(٢) لكاتب دائماً في رسالته يستخدم كلمة لدونمة بدلاً من الساباتية، وكتابه مكتوب باللغة العثمانية.

وقد حصر المؤلف كلَّ الحلاعة والمحون واللادين الذي ظهر في الأناضول والروملي في هؤلاء الدونمة، كما أظهر المؤلف أيضاً أنهم كانوا سبباً في كثير من المشكلات التي وقعت فيها الدولة العثمانية. ويوضح المؤلف أن احتمال لدونمة بالأيام المقدسة عند المسلمين وصومهم رمضان لا يُعَدُّ سوى تعبير عن نفاقهم وخداعهم.

ويقول الكاتب في نهاية كتابه: إن الدونمة لهم طريقة خاصة في كيفية تكفين موتاهم، وذلك في تقسيم لأحير من الكتاب. وهنا ينتهي الكتاب، مما يوضح أن له قسماً آخر، إلا أنه لم يصادف قط أي تسجيل له في لمكنات^(١)

أما الآيات التي توضح أن السابانانيين بقية بني إسرائيل، فقد جاءت في الآيات ٢٢/٢٣ في السفر العاشر من أشعيا وتقول فيه: «حتى لو كان بنو إسرائيل مثل ريد البحر يتقى منهم بقية ستعود» وقد آمن السابانانيون أنهم هم هؤلاء البقية الباقية^(٢).

ويرى السابانانيون أيضاً أن الدين اليهودي انتشر على شكل فكريس في مدة رمسية تتراوح بين خمسة آلاف سنة، الفكر الأول: هو التوراة والتلمود، والثاني هو التوراة والقبالة، ويعتقدون أن الله خلق لديا قبل خمسة آلاف سنة، لهذا فإن تاريخهم يمتد إلى ما قبل خمسة آلاف سنة؛ لذا فهم يستخدمون تقريماً خاصاً بهم^(٣).

مراحل دعوة ساباناي زفي:

تزوج ساباناي وهو في الثانية وعشرين من عمره من امرأة لم يمتها ستعداداً للمرحلة التي سوف يعنق فيها نفسه مسيحاً^(٤) وكان اليهود يعتقدون أن

(١) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s, 46-47.

(٢) الكتب المقدس، سفر أشعيا ١٠، ٢٢-٢٣، ١٠٦ Ilgaz Zorlu a.g.e.s

(٣) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s, 124.

(٤) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٧.

مخلصهم لابد أن يكون من بيت داود، وكان سدائلي يحتمل وهو صبي أن يصبغ مسيحاً^(١).

أما المفسرون اليهود الندي يمتروود الكتب المقدسة شكل رمزي. فيقولون: إن كل حرف من الأجدية العبرية له رقم حصراً به، ومجموع الأرقام نديهم تدل على أحداث معينة، فسنحروا حساب ندي على كلمة ZAT ومقدرها طبقاً لحساب النجمل ٤٠٨ كما يلي $Z = 7$ ، $A = 1$ ، $T = 400$ ، وبصيف القناليون (٥٠٠٠) عام إلى ٨٠٤، وهو ما يقابل عام ١٦٤٨م، ويعتقد اليهود أن هذا هو العام الذي ينتظره يهود العالم المسحوقون، وهو العام الذي سيقودهم إلى السيادة على العالم، وهو نريج إحرء نبوي، وهو العام الذي سيعود فيه الإسرائيليون إلى فلسطين^(٢).

قام (إسحاق لوري) ندي اشتهر بلفظ (أسد السفارد) في القرن ١٦ - وهو القرب الذي تشكلت فيه الصوفية اليهودية - بإعطاء المتصوفين اليهود صورة كاملة عن التصوف اليهودي، الذي لخصه في ظهور المسيح ندي سيقدهم^(٣) فقد قام (لوري) بتعنيبه تلاميذه أن المسيح المنتصر سوف يأتي ويصنع نهاية للألم ندي تعرض له اليهود.

(١) نوري النعيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٢) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٥ - ١٦ ونبوبيل مراسمه تتم كل خمسين عام في شريعة موسى عليه السلام، وهو عام لمرة الذي يأتي كل خمسين عام، المصدر نفسه ١٥٥١، s. abdurrahman küçük.

(٣) تمثل نظرية إسحاق لوري في التصوف ونبي تسمى نظرية الانكسار أن العالم في بداية تكوينه لم يأت إليه الله بشكل مباشر، لأن العالم لا يستطيع مقاومة نور الله، وإنما أرسل الله نوراً بسيطاً إلى الدنيا، وكان هذا النور كبيراً وقوياً، لأن المادة لم تستطع تحتمل هذا الضوء، فقد كان هذا سبباً في تكسر هذا الضوء، ولكن مع حرق كبير من هذا الضوء في برحوق إلى مصدره الأصلي وبقي منه (٢٦٨) جزءاً انصق بالمادة على الأرض، وبدأ في شكل انقشور، وانصق هذا الضوء الإلهي الموحد مع انقشور، ويحتاج هذا الضوء إلى حادثة صلاحية كبرى حتى يرجع إلى مصدره لأول ندي سيعمل ذلك هو المسيح المنتقد.

وبعد سنوات من موت (إسحاق لوري) عاش اليهود عهداً مدح واصطوانات كان معظمها في روسيا وبولندا وأوكرانيا، وعلى الأخص في مناطق القوزاق، وأحدوا يترقبون نهاية لهذا الوضع، فحاء ساباتاي رفي الذي أمموا فيه أن يصع نهاية لعذابهم، ليصل بهم إلى لضوء المقدس لآلته من أجل إبقادهم^(١)

وفي عام ١٦٤٨م أعلن ساباتاي نفسه مسيحاً بعد سماع أخبار مباح اليهود في شرق أوروبا، وأعلن أن الأمر جاء عن طريق الوحي من لروح لإلهية^(٢).

وقد عصت عليه أحبار اليهود في إرمير، وقام معنمه (الحبر) (حوريف إسكبا) رئيس الطائفة اليهودية في إرمير بإعلان ساباتاي حارحاً عن التعاليم اليهودية بعد أن تم حنؤه تأديباً له، ولكنه لم يرتدع^(٣)، وحكم سحاحمون عليه بالإعدام، لكن الدولة العثمانية قمت بحمينه، ولم تقداً الحكم^(٤) وفي ظل هذه ظروف ترك ساباتاي إرمير، ونوحه إلى إستنبول عام ١٦٥٠م^(٥)

بعد ذلك تزوج ساباتاي من فتاة بولونية تدعى (سارة) كانت هذه الفتاة جميلة وذكية، ولها الكثير من المعامرات، فعند سماعها بوحود شاب وسيم في إزمير يدعي المسيحية، أرادت أن تكسب شهرة عن طريقه، واحتلفت (رؤيا) بشرتها بين اليهود، تقور: إنها رأت نوراً سيسطع عام ١٦٦٦م وأنه ستروح من المسيح الذي سيظهر في هذا العام، فتهر ساباتاي هذه الفرصة، وادعى أنه أرحي إليه بالروح من فتاة بولونية، فتروحها عام ١٦٦٤م في القاهرة، إلا أنه لم يمسه أيضاً^(٦) في هذه الفترة قدم حاحمات إرمير بإرسال رسالة إلى حاحمات إستنبول تحثهم على الوقوف في وحه ساباتاي^(٧)

(١) Ilgaz Zorlu, a.g.e s.125, 103.

(٢) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٣) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٤) علي حنون، أدوة العثمانية وعلاقتها بخارجها، المكتب الإسلامي، ص ٣، بيروت دمشق، ١٩٨٣، ص ١٨٥.

(٥) محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ١٩.

(٦) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ١٢.

(٧) محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٢٠.

وبعد وفاته سارة تزوج من امرأة من سلايك تدعى (يوهيفيد) وأسمها عائشة^(١).

وعند خروجه من سلايك طلق زوجته، وأعلن أنه لن يتزوج مرة أخرى، لأنه تزوج التوراة^(٢).

عاد ساباتاي إلى إزمير مرة أخرى عام ١٦٥٩م، ومكث هناك فترة من الوقت حتى تمنح له فرصة أخرى لإعلان دعوته^(٣).

وفي عام ١٦٦٢م سافر ساباتاي إلى بلاد البوند، وأقام في سلايك، ثم انتقل إلى أثينا والإسكندرية والقاهرة^(٤).

وفي عام ١٦٦٣م بدأ دورة جديدة من ادعاءاته بأنه المسيح المنتظر، فجمع تابعيه، وتوجه إلى فلسطين، وفي طريقه اتجه إلى مصر في ضيافة (روفائيل جوزيف حبي) الذي كان يعمل رئيس الصبغة في القاهرة، وكان بالغ الثراء، يعرفه المسلمون باسم (يوسف جلبي).

وفي ذلك الوقت قام بزيارة إلى القدس، وقام ساباتاي بالتوسط لدى (روفائيل جوزيف) لمساعدة يهود القدس الفقراء، وبهذا استطاع ساباتاي أن يكسب (روفائيل) ويستفيد من دعمه المادي له^(٥) وأثناء هذه الزيارة قبل رحلاً

(١) نوري النعيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٢.

(٢) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢٠ يقول إبراهيم الدقوقي في هذا الخصوص: «على الرغم من أن ساباتاي لم يمس روحاته، وما أشبع عن علمهاته وتسه ورهده إلا أن هناك رواية تقول إنه لم يعرف الاعتدال المحسني، وأنه رعى بروجته صديقه في مصر روفائيل جوزيف، الصراف اليهودي، وأنه عاش طوال إقامته في مصر حياة حليلة، نظر نوري النعيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٤ نقلاً عن إبراهيم الدقوقي، فلسطين والصهيونية في وسائل الإعلام التركية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٥٨.

(٣) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢١.

(٤) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٥) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٧٨.

يدعى (أبرهام ناثان الغزاوي)،^(١) وكان من غرة. وقد تأثر ساباتاني به، وخضع لتوجيهاته، حيث كان لهذا لوجس تأثير كبير في التمسوس، فكأنوا يعتقدون في قدرته على معرفة الأسرار، واتفقا أن يكون ناثان هدانياً ساباتاني

أعلن ناثان أنه تلقى رؤية مضمونها أن ساباتاني هو مسيح إسرائيل، وأنه المسيح المنتظر، كما أعلن أن له اثني عشر حوارياً يمثلون أساطير إسرائيل^(٢) وفي حزيران - يوليو عام ١٦٦٥م طاف ساباتاني على صهوة حصانه حول مدينة القدس سبع مرات.

وأعلن ناثان أيضاً أنه يجب إعلان توبة اليهود حتى تسهل عملية قدوم الخلاص، ونشرت الروايات والأساطير الشعبية عن ساباتاني رهي ومعجراته، وقام اليهود بالامتناع عن الدعاء للسلطان العثماني، متوجهين إلى ملكهم الحديد ومسيحهم المنتظر ساباتاني بالدعاء^(٣).

(١) وفي رواية أخرى يسمى أبراهام صحيان (مصطفى طورن، مرجع سابق، ص ١٣) ولد ناثان سبمين عام ١٦٤٤م وتوفي عام ١٦٨٠م وكان يسكن غرة. دعى السورة، له المعرفة الثامة بالتوراة والتلمود، وعلمه البقاة، وكان من أول المصدقين ساباتاني رهي والمؤمنين به، واند عين إيه. ولما مات رهي، دعى ناثان أن ساباتاني رهي لم يقص كسائر الناس، لكنه رفع، وساح في العصف، واشتر مع النصاب العلوي. ولما ناثان كتب في المذهب هو (سفر الرية)، وقد أرسل ناثان توجيهات إلى اليهود داعياً اليهود إلى التوبة، وقد قست توجيهاته حربية، وضقت من قبل اليهود برعة وبحماس في لمناطق السعيدة من أمستردام إلى ليمس، ومن لحدود لشرقية لولندا إلى القرى لمحيطه بحبل الأطلس في شمال أفريقيا، وفي الحقيقة كان ساباتاني وبه ناثان العروبي هما من أكثر الأشخاص شهرة في مدة الموحدة المسانحة. كان المسيح ساباتاني سعدياً، بينما كان سبه ناثان إشكاري، كان للأول شخصية أسرة جدانة وبذت عواطفه ونصوره أعظم من فوته العقلية (انظر نوري التيميمي، يهود الدوسمة، مرجع سابق، ص ٢٩ - ٦٥). وكذلك عجاج بويهص، بروتوكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(٢) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥٧.

(٣) حل الدعاء الآتي في المعاهد اليهودية في إستانبول محل الدعاء للسلطان العثماني: "إن الذي يمسح الخلاص للتمسوك والحكم للأمراء، ملك الأدي الذي حلص عبده داود من السيف القاتل، الذي يُعبد طرقات في البحر، ويشق سبلاً في لمياه العظيمة، هو

بعد ذلك انتهالت على سابائاي وفود اليهود من كل من إرمير ورووس وأدرنة وصوفيا واليونان وألمانيا، وقامت هذه الوفود بتقليده تاج (ملك الملوك) وتصور أنه سيحكم العالم من فلسطين. وكان يوقع بلقب (الأس الوحيد الأول لليهود)^(١).

وفي الوقت الذي تم قراءة الدعاء للملك في معبد (هامبورغ) في ذلك العام، كان يقرأ الدعاء للمسيح (سابائاي زفي) وكأنه في نفس مرتبة ذلك الملك. وخلاصة القول: إن الحال بدا وكأن نوبة من الجنون قد حلت بجميع اليهود^(٢).

قام سابائاي بتقسيم العالم إلى ٣٨ قسماً، وعيّن على كل قسم ملكاً^(٣) وعندما أحرّيت له مراسم لبس التاج، أصبح يستقبل رؤّاه بمواعيد ومراسيم معينة، وكان له شعبٌ باستقبال النساء على وجه الخصوص^(٤).

وكان اليهود يلقّونه بالترحيب والتعظيم، وانتشرت بينهم مشوراته، حتى إنهم انقطعوا عن الدنيا، وتوقفت تجارتهم، وأصبح التجار يتبرّعون بالدخيرة والأطعمة لتُنقل إلى فلسطين أرضهم لموعودة، وفي هذه الأثناء اشتد هوسهم

الذي يبارك ويحفظ ويرعى إلى لأم سيدد ومسيحا، مبارك رب يعقوب لأم والأيل السماوي، مسيح العدل، ملك الملوك، السنهدس سابائاي يجمعه الملك الأكبر، ويمسحه حياة، وليرعه، ويرفع محبه ومملكته، ويجمع قلوب الملوك والأمراء تحته محوه وبحوب وبحو إسرائيل بالحير امين^(١)، انظر نوري، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢٨. نقلاً عن Scholem, c.p. 424.

(١) محمد حرب، لعنانيون في التزيح والحصارة، مرجع سابق، ص ٧٨ وفي هذا مصدر يقول حير الله أورس - وهو من العاسويين الأثرث - في كتبه موسى وليهودية Musa ve Yahudilik إن سابائاي زفي الذي تلقى الاحترام من قبل مجموعة صغيرة للغاية وقتئذ، قد حياه اليهود في رأس سنة ١٦٦٥ في معبد يهود شمير «فليش ملك المسيح».

(٢) نوري، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٣) محمد محمد إبراهيم رعروت، دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١١-١٢ و Abdurrahman K. s 217.

(٤) مصطفى طوران، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٧-٨.

وتعلقهم بسباتاي، وكان سباتاي يوقع مشوراته باسم (سباتاي بن داود وسليمان)^(١).

قام سباتاي بقلب الشريعة رأساً على عقب، ولم يكن يتردد في جعل بعض لأشياء ممنوعة بصورة قطعية مباحة، كل ذلك أدى إلى بروز حظر وفوضى بين اليهود، الذين كانوا يحضعون من قبل لحاحاميه في نظام متماسك عبر القرون، إضافة إلى ارتباطهم في جميع حياتهم المعيشية بأوامر الشريعة. وذلك لأنهم كانوا ينظرون إلى سباتاي رفي -التمحيد والتعظيم-، لأنه كان يمثل المسيح المحلص، ولم يُعْهَدْ أن يهودياً آخر لقي مثل ما لقي سباتاي رفي، حتى تيودور هرتز، الذي برز بعد مؤتمر بارل الأول سنة ١٨٩٧م، ثم ييل من الاستداف حونه مثل ما مال سباتاي رفي في القرن السابع عشر^(٢).

وعلى صعيد آخر قام عدد من الحاخاميين اليهود بعرضونه في أقواله وأفعاله، منهم حاخام إرمير، الذي أحمره أتباع سباتاي رفي على ترك وظيفته، وترك مدينة.

أما (نحميا كوهين) الحاخام البولندي الذي كان مطعماً على كتب استحضار لأرواح، فقد قضى مع سباتاي رفي ثلاثة أيام في سجنه وهو يحاوره في معتقده، قال بعد مقابلته إن مادكره عمداء اليهود بالسببة إلى المسيح لا يطق على سباتاي رفي، فضلاً عن ذلك، فإن (نحميا كوهين) وبعض الحاخاميين المعارضين لسباتاي رفي أبلغوا سلطان في أدرنة عن طريق القائمقدم (مصطفى باشا)، بدعاءات سباتاي رفي مؤكداً أن سباتاي رفي رحل فاجر معمر في سلاطات، يغير من طاعتهم لسلطان، ويشجعهم على الثورة ضد الدولة، وأنه ينبغي التحلص من شروره^(٣).

(١) عجاج بويهصر، بروتوكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥١٨.

(٢) نوري النعيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣.

(٣) فضلاً عن هذه المعارضة الداخلية من يهود الدولة العثمانية لسباتاي رفي، كانت هناك معارضة من بعض يهود العالم لأدعاءاته، وعلى سبيل المثال قدم يهودي في لندن باستفاد سباتاي رفي أمام حمرة من اليهود قتلًا، إيلي أراهن على أن شخص الذي في إرمير، =

في تلك الفترة لم تتدخل الدولة العثمانية في أمر المسيح المريف تأكيداً على تسامح العثمانيين الديني واستقلالية اليهود في الدولة، ومن ناحية أخرى كانت الدولة العثمانية مشغولة بحروبها في كريت^(١)

وفي أواخر كانون الأول - ديسمبر عام ١٦٦٥م اصطحب ساباتي رفي أتباعه من اليهود، وذهب بهم إلى إستانبول، ولدى وصوله تمّ انقاص عليه، واقتيد إلى سجن (زندان قابيسي) في (غاليولي) وكان الرّؤس يتوافدون عليه من كل مكان، فأثّهم ساباتي رفي بمحاولة لتمرد على الدولة العثمانية، وإقامة دولة لليهود على حساب الدولة العثمانية^(٢).

وسبب هذه الأفعال تسبب ساباتي في إزعاج السلطات العثمانية، فاستدعاه السلطان العثماني محمد الرابع، فحيره بين الموت أو التراجع عن دعوته، فقرر إنقاذ نفسه بلجونه إلى الإسلام، وعلان إسلامه، وذلك في ١٥ أيلول - سبتمبر ١٦٦٦م وضخى بدمراطورية العلية^(٣)



= ساباتي رفي، ما هو إلا دجال! ١١ نوري، يهود الدومنة، مرجع سابق، ص ٣٢ و Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 13 ويتضح لنا هنا أن موقف اليهود بالنسبة لساباتي، ورفضهم له هو نفس الموقف الذي كان لهم مع عيسى عليه السلام، فقد شك اليهود ساباتي إلى سلطان العثماني محمد الرابع، مثلما شك اليهود ساباتي إلى الحاكم الروماني بلاطوس، وفي الوقت نفسه لم تقبل مديّ لقبلة قبولاً لدى الحاحامات اليهود، وذلك بسبب رفض اليهود المؤمنين بالنسبة والنسبة لها، ويعتقدون أنهم استطاعوا فهم النسبة جيداً، ونهذه فلا داعي إلى بصوص، نقالة Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 80

(١) محمد حرب، يهود الدومنة، مرجع سابق، ص ٩، مصطفى طور، مرجع سابق، ص ١٢، و Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 13

(٢) محمد حرب، المرجع السابق، ص ٢٦-٢٨.

(٣) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٦.

الفصل الثاني

إسلام ساباتاي زفي

أسباب إعلان ساباتاي زفي إسلامه:

تسبب ساباتاي زفي في إثارة الكثير من الغضب وقت تواجده في إرمير، كما تسبب في إزعاج السلطات العثمانية كما ذكرنا من قبل، لدرجة أنهم كانوا يتوخون بالذء لساباتاي زفي بدلاً من السلطان العثماني، باعتباره ملكهم، فقام الوزير (أحمد كوبرولي) بإصدار أوامره بالقصص على ساباتاي، ونمى حدوث ثورة بين اليهود أمر بنقله إلى قلعة في حربية غاليبولي على الدردنيل، وكان ذلك في ١٩ نيسان - إبريل ١٦٦٦م اليوم لسابق لعبد المصيح، وقد أثر نقل ساباتاي في نفوس مريديه من اليهود، حتى أطلقوا على هذه القلعة (مجدل عز) أي برج القوة^(١)

عاش ساباتاي في هذه القلعة عيشة الأمراء، وقد سمحوا لزوجته وكنائمه الحاصر بالسكن معه، وكان اليهود يأتون إليه من جميع أنحاء العالم، وكان حرس السجن يأخذون الرشاوي مقابل سماحهم لهم بالدخول. وقد تسبب توافد اليهود على هذه القلعة أن حدث نقص في المواد الغذائية، وارتفاع في الأسعار، فقام الأهالي بتقديم شكوى إلى السلطان العثماني، واتهموا ساباتاي زفي بإثارة ابليلة^(٢)

قام السلطان العثماني بتشكيل هيئة علمية لمحاكمة ساباتاي، وتكونت هذه الهيئة من (مصطفى باشا) نائب الصدر الأعظم، وعصوية شيخ لإسلام (يحيى

(١) محمد حرب، يهود الدومنة، مرجع سابق، ص ٢٥، يوري النعيمي، يهود الدومنة، مرجع سابق، ص ٣٥.

(٢) يوري النعيمي، يهود الدومنة، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٨٤ - ٨٥.

أفندي راده) وواحد من كبار العلماء هو (محمد أفندي و ناي)، أما الذي قام بدور المترجم من الإسبانية إلى التركية فكان الطبيب (مصطفى حياتي)^(١)

قام هذا المترجم بدور كبير في تعبير معتقدات ساباتاي، حيث استطاع إقناع ساباتاي أن إعلان إسلامه لن يحولّه عن دعوته إلى المسيح المنتظر، بل أقمعه أن دعوته وهو مسلم محاد سوف تكون أقوى تأثيراً من أن يظهر بثوب المدعي أنه المسيح.

وقام أتباعه بإشاعة «أن شخصية ساباتاي قد عرّجت إلى السماء، وحرّ محليها بأمر الله مسيحاً يرتدي ثوب مسيحه»^(٢)

وتروي لمرجع أن ساباتاي عذب مثل آدم لسلطان محمد الرابع، وطلب إليه أن يشتدّ دعوته، أو يقتل، فحين أدرك ساباتاي أنه لا مخلص من الموت أكرز دعوته بأنه المسيح المنتظر، وأظهر رغبته في الإسلام^(٣)

وبهذا تحوّل ساباتاي من مسيح مزيف إلى مسلم مزيّف في ١٥ أيلول - سبتمبر عام ١٦٦٦م، ونسب باسم (محمد أفندي) فحصل له السلطان ربيع وظيفة رئيس السوابير في القصر السطاني^(٤)

فقام ساباتاي وأرسل بشرة إلى كل أتباعه قال فيها

«جعلني الله مسلماً، أب آحوكم محمد الوّاب، هكذا أمرني،

(١) انظر محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٢٦ نويهض، مرجع سابق، ص ٢١٠ ومصطفى حياتي طبيب مسلم في لظهر، وهو من اليهود الذين طردوا من صاي، واحتشدوا بالسلطان العثماني، فأحارهم السلطان، وأقاموا في كنفه، فأصبحوا يهوداً منبلس الإسلام للتصليل، انظر نويهض، برونكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥٢١.

(٢) عجّاج نويهض، مرجع سابق، ص ٥٢٢.

(٣) محمد إبراهيم رعبوت، دور يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٣ «إنه في عام ١٦٦٦م خيّر ساباتاي بين الموت والإسلام. لا نسب تعصب ديني مفاجئ أظهره الأتراك، بل لأن أحمد كوبرولي شعر أن ساباتاي يحلق كثيراً من الخلافات بين اليهود في تركيا»

(٤) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢٧.

وأطعت^(١) عرف مريدوه أنه يظن منهم النقاء على عهدهم له، وأنه إنما فعل ذلك محاربة للواقع، وتجنباً لمخاطر الموت^(٢)

فدخل عدد كبير من أتباعه في الإسلام، وذلك لكسب ثقة الأتراك، وبدلوا أسماءهم بأسماء إسلامية، وندمجوا في صفوف الشعب، وراحوا يعملون في أسر لتحقيق أغراضهم القومية تحت ستار الإسلام

ثم قدم ساباناي تقديم طلب للسلطان بالسماح له بدعوة اليهود للإسلام، وعندما أذن له أمر مريديه بالاندحول إلى الإسلام، فلبوا دعوته، ولبسوا الحب ولعائنهم، فكانوا في المظاهر مسلمين، وفي الباطن يهود^(٣) وكان عددهم حينئذ حوالي مئتي أسرة، استقرت في سلانيك^(٤).

وأطلق على أتباعه لفظ (الدونمة) وهي كلمة تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركي (دونمك) Donmek بمعنى العودة والرجوع، وهي صفة تعني للعد، أي الذي أسلم بعد أن كان يدين باليهودية، ثم أصبحت تعني اصطلاحاً المسلم ظاهراً اليهودي فعلاً وباطناً.

وتفيد دونمك لهن أيضاً بمعنى لا ترجع ولا تعد، أي أنهم لن يقبلوا ديناً غير دينهم، وكلمة (دونمة) بمثابة التنبيه أنهم لن يتركوا اعتقاد نهم القديمة^(٥) وفي مصدر آخر يقول إن الدونمة تعني (المبذل لدينه)^(٦).

(١) انظر محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢٧ ومحمد إبراهيم زغروت،

مرجع سابق، ص ١٣؛ وبوري العبيدي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٨-٣٩

(٢) محمد إبراهيم زغروت، دور يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٣

(٣) زغروت، دور يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٣.

(٤) Ilgaz Zorlu, a.g.e p. 26.

(٥) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢٨ ومحمد حرب، العثمانيون في

التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٨٠ وانظر أيضاً في بعض الدونمة، Belgeier e

Türkiye de Donmeler ve Donmenlik. Istanbul 1977 S 9-14 ومما يجدر ذكره هنا أن

المؤلف أورد في مقدمة كتبه كل معاني الدونمة، ويهود، دونمة لغة ومصطلحاً، ورجع إلى المصادر اللغوية والتاريخية في هذا التعريف.

(٦) أريست أ. رامور، تركيا الفتاة، ترجمة صانع أحمد انعي، منشورات دار مكتبة =

ومن معاني الدونمة أيضاً أنها تعني المرتدين^(١). وتعني التراجع والعودة من مكان إلى آخر.

من معانيها أيضاً لفظ مافز والمرئي، وذو الوجهين، والمرتد، والمخادع، ومن يضمر الشرك والكفر، ويعمل للإسلام^(٢)

والدونمة بالمعنى العام تعني عودتي، وتستخدم لمن يترك دينه، ويدخل الإسلام، أما الدونمة ليك (Dunmalek) فتعني الارتداد قبل الإسلام، أما دخوله بعد ظهور الإسلام إلى دين الإسلام وترك دينه فيسمى مهتدي، وقد أطلق الردة أو الارتداد بعد الإسلام بمعنى تكذيب بعد التصديق.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَفْتَنُوا عَلَىٰ أَذْنِهِمْ مِنْ تَعْدٍ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ ۚ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا سَرَّكَ اللَّهُ سَبْطِيفُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَفْعَلُ بِمَن يَرَاهُمْ ﴿٢٥-٢٦﴾﴾ [محمد ٢٥-٢٦]^(٣).

والدونمة في المعنى الخاص هو الاسم الذي أطلقه الترك العثمانيون على جماعة اليهود التي تعيش في سلايك. وأظهروا إسلامهم

وتذكر أحد المصادر أن تعبير الدونمة اسم أطلق على الجماعة التي قبلت الإسلام لأسباب سياسية، ولم يرتبطوا بسبب لا باليهود أبناء دينهم وجسدهم ولا بالترك المسمين السكان الأصليين لمدينة سلايك، وعاشوا منعزلين عن المجتمع، ولم يستخدم تعبير (مهتدي) أحد منهم على الإطلاق.

= الحجة، بيروت، ١٩٦٠م، ص ١٩٤-١٩٥ نقل عن Abraham Galant, Nouveaux Documents sur Sabbetai Sevi, Istanbul, 1935, s.73.

(١) قدم الدكتور حسن طاطا تعريفاً آخر لكلمة (دونمة) قال فيه: الدونمة كلمة مركبة تتكون من (دو) أي اثنين (مدرسية الأصل) (رجمه) بمعنى نوع، أي المارقة القائمة على نوعين من الأصول (النوع السهودي) و(النوع الإسلامي) ثم عدل أسأوها تسميتهم بفرقة (المؤمنين) (الرفاق) و(المجاهدين)، اعترضه التعريف في حسن طاطا، الفكر الديني الإسرائيلي، مرجع سابق، ص ٢١٠.

(٢) Aburahman Kucuk, a.g.c.s.197.

(٣) Abdurahman Kucuk, a.g.c.s.208,209.

وذلك لأن الإسلام كان يفرق جيداً بين المؤمنين، وبين من تصهروا بالإسلام قال تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَمَّا قُلْ لَمْ تَوَسُّوْا وَلَكِنْ قَوْلُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوْا وَحَدَّثُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّٰدِقُوْنَ﴾ [الحجرات: ١٤-١٥] (١)

في ذلك الوقت قدم الحبر (أبراهام باشا) بإعلان، «أن ساداتي رفي هو مسيح ليهود بأمرهم من سلامه» كما أعلن أنه بالرغم من ارتداء سببتي العمامة الإسلامية، فإن هذا ليس تدبيراً لحرمة كشخص، فهو مقدس (٢)

ويطبق الدونية على أنفسهم أسماء صالحة مثل (المؤمنين) و(المجاهدين) وكنوا يستترون عن الناس بكل ما يشت أنهم يهود، فكانوا يتحفون بأسماء إسلامية، لا يستعملونها في بيوتهم، ولكن يستعملونها في الحياة العامة وكانوا يستعملون العربية في صلواتهم، والتركية في حديثهم مع عامة الناس (٣)

كان ساداتي يمارس الشعائر الإسلامية إلى جانب شعائره اليهودية، كان يدعو ليهود لقبول الإسلام حيث اعتره يمش (توراة المعصرة) لديهم، فدحل الكثير من أتباعه الإسلام، وانتشر مذهبهم من القاهرة إلى هامبورج، ومن سلايك إلى اليمن، ومن بولندا إلى بلاد المرس (٤)

(١) (Abdurrahman Kucuk, a. g e p. 215-217).

(٢) نوري النعيمي، يهود الدونية، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٣) حسن ظاظا، مرجع سابق، ص ٢١١.

(٤) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٦٠، ويعرف عجاج بويهض يهود الدونية بقوله إن يهود لدونية هم أولاد اليهودية محبين لحنه وبنعمة، وقد كانوا المعول الأول في الهدم، ونش لترك من العثمانية لإسلامية إلى فكرة نظرية وهدف فكرة الصورية إلى إعلاء بقومية تركية، وتدعم ضلالت من ترك في الدولة العثمانية وسائر أحاسهم في أميا لوسطى، ويقوم أساسها بنفسها على بدعوى إلى

١- ربط أثر الدولة العثمانية سائر أحاسهم خارج الدولة

٢- تحرير، ثراث التركي والثقافة واللغة من مؤثرات العربية ودرسية

٣- العمل على سيادة لعصر التركي وتغويه بتريك سائر لحسب في الدولة

ولتدعيم تلك الاتجاهات فقد تم تأسيس أكاديمية تركيا عام ١٩١٢م، قامت بترجمة

وقد أصيب يهودُ العالم بالاحباط بسبب اعتناق (مسيحهم) الإسلام بدلاً من نشر اليهودية في جميع أنحاء العالم كما كانوا يعتقدون^(١)

وقد حدثت ردود فعل كبيرة بين الأوساط اليهودية حول رفضهم اعتناق ساباتاي الإسلام. ونتيجة لذلك قدم (أر هام باش) بتقديم تفسيره حول سلوك ساباتاي. مستنداً إلى معرفته بالكتب الدينية، إدرج إلى بعض الكلمات الغامضة في هذه الكتب، فقدم التفسير الآتي. «إنه يسغي دحون لمسيح بين الأمم غير اليهودية، وإشعل الشرارات المقدسة الكثيرة فيها. وتسيه الأشخاص المقدسين والأولياء رعم حهلهم هذا، على أن حركة المسيح هذه هي أيضاً لأجل غاية النهاية وبهذا فإن لمسيح كان يحلج نفسه ورغته من حذره المقدس، ويعيدُ نفي إسرائيل مرة أخرى في ذاته. إن ارتداد ساباتاي كان جزءاً ضرورياً من وظيفته الصوفية والتاريخية في الوقت نفسه. وبعد هذا كان عليه حتى بعد عودته من جديد وعظمة مسيحيته كافة، أن يعيش على شكل شخصيتين مختلفتين: شخصيته الداخلية، وشخصيته الخارجية، وستبقى هاتان الشخصيتان مختلفتين الواحدة عن الأخرى»^(٢).

غفران بكريم، رئيس اللجنة التركية، ثم أثنى نحد (بي ساد) أي اللجنة الجديدة و(تحد بي حيات) أي اللجنة الجديدة، بشقيه لجنة تركية من لأقط العربية ودرسية ومن أقوالهم (نحن أتراك، فكمتنا حورن)، كما أنهم راحوا يتعنون بمدح جنكبير خان، ويُحمون مفتوحات المعون، ولا يكرون شيئاً من أعمالهم وشعر الطورانية هو شعار الدناب الأبيض أو الأحمر - وهو رمز الأتراك لقدمي، وقد تم نشر هذا لشعار على بعض طوائع الريد في حكومة تركيا الجديدة. وكانت فكرةً طورانية في حقيقتها إجابة بعضية التركية بي أعد لها لاجاديو بعداداً محكماً، وحضصوا لها دعماً مالياً كبيراً، أطلق عليه (إعدادات لملية تركية)، وكان كبارُ لاتحاديين أعضاء منتمين إليها، ومن ثم بررت سياستهم في هذا الصدد متجهة نحو سياسة التثريت الإجبارية للشعوب العربية والشعوب العثمانية الأخرى. انظر محمد رعروت، ص ١٠٦ - ١٠٩، نقلاً عن الشيخ مصطفى صري مقال جريدة الأهرام لمصرية ٨ ديسمبر ١٩٢٣م؛ وعن كتاب الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية للشيخ مصطفى صري، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ١٩٧.

(١) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٦.

(٢) نوري العيمي، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٤٠.

وفي نفس الوقت أرسل ساباتاي توصيحاً إلى يهود العالم قال فيه:

«كيان ساباتاي القديم صعد إلى السماء بأمر من يهوه، ترك ملكاً يستمر في كونه المسيح، لكن تحت جبة وعمامة»^(١).

قام ساباتاي بتعلم أركان الإسلام على يد (ونلي راده محمد أمدي) وكان يذهب إلى معبد اليهود يقدم مواعظ تتعلق بمعتقداته، وكان يدعوهم إلى الإسلام من الناحية الشكلية فقط^(٢).

كما ذكر ساباتاي أنه تنقّى وحيّاً في عيد الفصح بحره بامتلائه بروح مقدس من حديد، وأنه المسيح، الخفّيفي على الرّغم من تغيير دينه^(٣) وناطق يواصل دعوته إلى الإيمان به، وطق أنصاره بشعور دينهم اليهودي سرّاً، ويظهرون إخلاصهم الظاهري للإسلام. وكان ساباتاي يقول لأتباعه: «إنه كلبي موسى الذي اضطر أن ينفى مدة من الزمن في قصور المراجعة»^(٤).

وقد قدم ساباتاي بإضافة بعض الريدات على أدعية اليهود السمردي، وكان أعضاء الجماعة يطبقون سرّاً هذه الطقوس والادعاء كل وقت مع إعلان إسلامهم^(٥).

وسأله يوماً الصدر الأعظم ما هو العمل الذي تقوم به في كنائس اليهود؟ فأجاب ساباتاي سيدي كما جعلتُ قسماً من أقربي وأصدقائي مسلمين، أحاول دعوة الناس إلى دين الله بحق^(٦).

(١) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق ص ٧٩

(٢) محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٢٨

(٣) بوري السعيمي، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٣٩، نقل عن

Atilhan, s. 118, A. Kucuk, s. 170.

(٤) بوري السعيمي، أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، وراة التعليم العالي والبحث العلمي، رئاسة جامعة بغداد، مركز دراسات فلسطينية، مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٢م، ص ٢٨.

(٥) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s 14.

(٦) بوري السعيمي، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٣٩

فرد عليه الصدر الأعظم: «كن عاقلاً بعد أن أعلنت إسلامك، إن قمت ثانية
بيهوديتك ستجد ما لا تحمد عقباه».

فقال ساباتاي: أمركم يا سيدي^(١).

قدم ساباتاي قائمة تتضمن عقيدة الدوامة، وأسس دعوته: وقد جاء فيها:
هذه الأوامر الثمانية عشرة التي أمر بها سيدنا وملكنا ومسيحنا ساباتاي زفي فليزدد
شرفه، ومن أهم هذه الأوامر^(٢).

- الإيمان بأن مسيح الله هو المسيح الحق، ولا مخلص غيره، هو سيدنا
وملكنا ساباتاي زفي، وأنه من نسل داود، فليزدد شرفه.

- عدم القسم بالله أو المسيح كذباً، لأن اسم الله مندمج فيه أيضاً، ويجب أن
لا نعمل على تحقيره.

- كما يعظم اسم الله عند ذكره لابد من تعظيم المسيح عند ذكره أيضاً، كما
يجب أن يعظم كل شخص ممتاز بين أقرانه بعلمه.

- يجب تناقل وشرح ودراسة سِر المسيح من مجتمع إلى مجتمع.

- أن يجتمع كل الأتباع في بيت من البيوت في اليوم السادس عشر من شهر
كيسلف (الشهر التاسع من السنة اليهودية) ويتداولوا فيما بينهم ما سمعوه عن
المسيح، وعن سر الإيمان بالمسيح.

- الاحتفال بسرور بالغ بالعيد الواقع في السادس عشر من شهر كيسلف
(الشهر التاسع من شهور السنة اليهودية وهو ١٦ ربيع الأول الذي أسلم فيه
ساباتاي في سراي أدرنة).

- قراءة مزامير داود سراً كل يوم.

- يجب مراعاة عادات الأتراك المسلمين درأً للرماد في أعينهم، ويجب

(١) نوري النعيمي، يهود الدوامة، مرجع سابق، ص ٤٠

(٢) محمد حرب، يهود الدوامة، مرجع سابق، ص ٢٩

عدم إظهار الضيق بصوم رمضان، أو عند تقديم الأضحية، ويجب المحافظة على جميع المظاهر.

- ممنوع الزواج من المسلمين^(١).

نظم ساباتاي هذه الأوامر التي تمثل عقيدة الدونمة في ثماني عشرة مادة، وتعتبر أهم مادتين في هذه المواد المادة رقم ١٦ وهو أهم سمات الدونمة، وقد جاء فيها: يجب أن تطلق عادات الأتراك بدقة لصرف أنظارهم عنكم والمادة رقم ١٧ التي تقول: «إن مناكحتهم (أي المسلمين) ممنوعة قطعاً»^(٢) فتقول الدونمة في هذا «إننا إذا لجأنا إلى مصاهرة إخواننا في الدين ممن ليسوا منا، لفقدنا الأخوة المتبادلة المبنية على التعاون والمشاركة فيما بيننا، ومن جهة أخرى فإن بعض المسلمين من غيرنا يأخذون جانب اللامبالاة في حبهم لعيالهم، لذلك نرى الكثير من هؤلاء يفارقون رفيقات حياتهم دونما سبب، وحيال هذا الوضع، فإن الحب الذي يكتنه أولادنا يمنعنا من أن نرميهم بأحضان كل إنسان»^(٣).

رأي الصحف والمجلات العثمانية في إسلام يهود الدونمة:

كانت دعوة يهود الدونمة في عدم التزاوج مع المسلمين قد أثار حفيظة المسلمين الأتراك، فقامت الصحف الإسلامية التركية تعارض هؤلاء الدونمة المسلمين.

كتبت مجلة (سبيل الرشاد) الإسلامية عن مسلمي الدونمة، إن الدونمة فئة أسلمت لكنها لا تتزوج مع المسلمين، وإن لها لغتها الإسبانية للحديث فيما بينهم، واللغة التركية يحدثون بها الأتراك، وأنهم لا يحتلطون بأحد، وأنهم منفلقون على أنفسهم، وهذا مما ينفر الناس منهم^(٤).

(١) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠

(٢) توري العيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٥؛ ومصطفى طوران، مرجع سابق، ص ١٩-٢٠.

(٣) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٨٥-٨٨-٨٩

(٤) محمد حرب، يهود الدونمة، ص ٣٧-٣٨ نقلاً عن مجلة الرشاد الإسلامية، العدد رقم

٢٠٨، تاريخ ٢٩ آب-أغسطس عام ١٩١٢ م.

وقالت أيضاً إن هذه المجموعة من الناس، وإن عُرف عنها أنها أسلمت، إلا أنها (طائفة خاصة)^(١) كذلك فإن لهؤلاء الدونمة صعدت خاصة حيث بهم يدفنون موتاهم في مقابر خاصة بهم^(٢).

وعن هؤلاء الدونمة نشرت أيضاً (الحريفة المصورة) التركية مقالاً جاء فيه «دونمة سلايك الذين يعيشون بين طهر نيا، ويتكلمون بلغة، يحسنون في الطاهر بحساسنا، لكنهم في الحقيقة يأخذون الحبيطة والحدرد تحده لأترك، لا يكبحون إلا من كان معهم، يخشون حياة خاصة بهم من المهد يس لحد في أعراسهم ومآتمهم، وفي كل صفحة من صفحات عيشهم الاجتماعية منها والعائلية»^(٣).

أما جريدة (الوطن) التي يُصدرها يهود الدونمة فكانت عنهم «إنه في عهد السلطان مراد الرابع أعلنت فئة من الناس تقدرُ بـبضعة آلاف، تفتقر في سلايك إسلامها، ونقبت هذه الفئة مدة من الزمن على حاشتها لمحردة، ثم انقسمت إلى فرق، انتشرت فيهم خرافات لن تصادفها إلا في لقبائل البدئية في أستراليا، ثم اضطرت إلى مجتمعات صغيرة جداً نقبت في معزل عن بعضها البعض، وعن الأترك، فلم تكبح، لا بعضها، ومع ذلك فقد تحلفوا بالحق التركي الإسلامي، واعتبروا أنفسهم مسلمين أترك، فمهم من سلك طريق التجارة، ومهم من ترقى في وظائف الدولة، وقدما الكثير من الخدمات لدولة»^(٤).

وجاء على صفحات (جريدة الوطن) التي يصدرها الدونمة أيضاً على لسان يهود الدونمة وهم يدافعون عن أنفسهم بقولهم «لا شك أن إثارة الفتنة والفرقة في البلاد، بغرض الانتقام الشخصي أمر مذموم. فأي شيء أقبح وأبشع ممن يسعى إلى عزل أس قبلوا الإسلام قبل قرنين ونصف وأصبح أكثرهم أتراك

(١) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) مصطفى طوران، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٢ نقلاً عن جريدة المصورة (التركية)، العدد رقم ١١٦، عام ١٩٢٥م في مقال بعنوان (دونمة سلايك).

(٤) نقلاً عن مصطفى طوران، المصدر السابق، ص ٦٦.

حقيقيين. إننا نأمل أن يسعى المجلس الوطني إلى التحقيق في الأمر، ومعرفة الوضع الحالي، وإلى وضع حدٍّ لاستغلال هذا الوضع (ألا وهو إسلام يهود الدونمة) في إثارة الفتنة»^(١).

وجاء على صفحات (جريدة الوطن) أيضاً في محاولتهم الاندماج مع الأتراك:

«ألا تعلمون أن الشعب التركي يرغب أن يكون كلُّ الدين يعيشون على أرضه على قلب رجل واحد؟ أو تظنون أن الأتراك سينخدعون ببضعة أشخاص منا خالطوهم رياء ونفاقاً، ليصبروا على طفيلية حمسة عشر ألفاً منا تمتصُّ دماءهم، وتأكل من خيرات بلادهم؟ لقد انصرفتم إلى جمع مزيد من المال والثروة، أما الأتراك الذين أصبحوا محرومين من كلِّ عون فقد ربطوا قلوبهم بربهم وتوكلوا عليه. واليوم ليس لنا إلا اتباع أحد سبيلين إما أن نلتحم بالشعب التركي التحاماً تاماً، نشاركهم في الأفراح والمصائب، وإما أن نبحت عن إمكانات مادية ومعنوية خارج حدود هذا الوطن»^(٢).

ونشرت أيضاً هذه الجريدة أنه أصدر شباب الدونمة محلة (زهرة الأدب) يصفون ساباتاي زفي بقولهم. «إنه دجال عاش في القرن السابع عشر، ومن المضحك أن يتبعه الناس، فيشكلوا مذهباً لأنفسهم، فلا يذكحون الأتراك ولا يخالطونهم»^(٣).

ويقول (قره قاش زاده محمد رشدي): «إن الدونمة ما هم إلا يهود طاطيون، ولا يمتون إلى الإسلام بصلة»^(٤).

ويدكر (ليون سايكى) Leon Sciaky أن خمسة عشر ألف شخص حولوا

(١) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٢) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٧٠. نقلاً عن مقال لمحمد رشدي، جريدة الوطن، ٧ كانون الثاني - يناير، ١٩٢٤ م.

(٣) مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٧٢ نقلاً عن مقال بجريدة الوطن في تاريخ ٢٠ كانون الثاني - يناير، ١٩٢٤ م.

(٤) عجاج نويهض، مرجع سابق، ص ٥٢٢.

كتبهم من لتوراة إلى القرآن الكريم، وفي استخدام التركيبة بدلاً من الإسبانية، مع الاحتفاظ بلغتهم العبرية ولكن في سرية كاملة

ظل ساباتى وأتباعه يتبعون دينهم اليهودي سرًا، ويمارسون عملهم في الخفاء، ويظهرون الإخلاص للإسلام في لعن والصلح والتقوى أمام الأتراك^(١)

ويصرح أحد اليهود الساباتيين، وهو من سلايك: إن لساباتيين اضطروا إلى اتباع السرية بسبب الصقوط التي تعرضوا لها بسبب الصراع بين الأديان واندین لحديد اندي أظهروه، ولهذا أصبحت السرية هي أسلوبهم وسماتهم.

أما من ناحية عدم السماح بالتراوح من أحبيات فيقول إنه لو تروح أحدهم من الحارج، فإنهم سوف يعلموه هذه السرية، وبمرور الوقت سيبدأ، وسيظهر فساد هذا الزواج بمرور الوقت، وكان هناك خوف يدخلهم من المحتملات البصرانية، نتيجة الاضطهادات التي لاقوها من البصاري كما أنهم كانوا يعيشون حياة غير سعيدة، ويغلب عليهم التشاؤم، ويسع هذا من كونهم غير مسلمين حقيقيين، وأنهم مضطهدون دائماً، ويحشون دائماً من المستقبين، وذلك نتيجة عقليتهم التي تمت على أنهم أقبية^(٢)

لقد كان عتاق يهود الدومة الإسلام وسيلة لتحقيق أهدافهم لتوراتية، وتسهيلاً لمهمة التغلغل في السلطة.

كما جاء إشهار اليهود لإسلامهم لتحقيق هدف سياسي، فكان توسعهم في العلاقات التجارية مع لنجر الأورويس والشركات الأجنبية التي يملكها الرأسماليون ليهود في الممار الألمانية^(٣).

(١) نوري أيممي، يهود الدومة، مرجع سابق، ص ٤١

(٢) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 154, 155.

(٣) محمد سرحان، النظام العثماني، مرجع سابق، ص ١١٧ وفي مقال معوان يد الله مع الجماعة جاء فيه: «إن الأتراك الذين أقدموا حكمهم في سدان فتحوها وقعوا في أخطاء كثيرة، جنست لهم بعض الأصرار، ومع ذلك فقد كانت لهم مرياً عظيمة، وأعظم هذه المريا اعتبار المسلمين سواسية كأساس المشط، لا فصل لتركى على غيره. لذلك فكل»

وجاء في (مجلة سبيل الرشاد) أيضاً.

«هذه الطائفة التي تسمت تسمية إسلامية لا تزال تعتمد طريقاً خاصاً بها في الزواج، الذي هو أهمُّ عامل في تماسك المسممين بعضهم ببعض، وكان من الأجدر في عصرنا هذا، بعدُ، لعقودنا الحاهلية الباطلة، لا السعي إلى ترويحها

كان أمناً كبيراً في هذه الطائفة الصغيرة الدكية لنشيطه المعالة، التي تحدث سلايك مستقراً لها، أن تكون مع المسلمين الآخرين قلباً وقياساً، فهم يعرفون جيداً أن دراعي أحوال الإسلام مفتوحٌ لهم في كل الأوقات»^(١)

وقد تم القبض على ساداتي وبعض أتباعه داخل المعبد اليهودي، وكان يرتدي زياً يهودياً، وكانوا محاطون بالسياء، يشربون لحمر، ويشدون لأشبه الدينية، ويقرؤون المزامير، وتهم ساداتي أنه يدعو المسلمين إلى ترك دينهم^(٢)

طائفة لا تنحاً إلى الشقاق والتماف تعيش في المملكة العثمانية بهاء مادة ومعوية، وفي ظل هذا التماسك تكسب لدولة قوة على قوتها، وفي ولاية هامة من ولايات المملكة العثمانية تعيش طائفة صغيرة أصلها من بني إسرائيل، لا بدري في أي وقت من التاريخ أعلنت إسلامها، بما يعرف أفراد هذه الطائفة كمسلمين، يكتفون لعنا، ولم تنق لهم أية روط بجماعة اليهود، مع أنهم يحاورونهم في مساكنهم، كما أنهم لا يراوجونهم، فاليهود يتكلمون فيما بينهم بالإسبانية أما مع الآخرين فالتركية، ومن المعروف لديهم أن كل من دخل للإسلام يعتبر (دومة) أو على الأصح مهتداً، تكن صفة الالهند، تكون مرفقة ترول بالآخر ط في صف المسلمين، فلا يقف بينهم وبين المسلمين أية علامات عارفة أما هذه الطائفة المهدية، فقيت على صفة (دومة) ونسب، وهي العادات ولما كحدث التي هي أهم الأوصاف المميزة لجماعة المسلمين تلك هذه الطائفة مسكاً حصاً بها. وهذه حال تدعو للأسف الشديد بقاء عن محنة (سبيل الرشاد) عدد ٢٠٦ تاريخ ٢٩ آب - أغسطس ١٩١٢ م. ويعر رئيس إسرائيل الأسبق إسحاق بن رفي في كتبه الصادر عام ١٩٥٧ م بعنوان (دومة) عن هؤلاء الدومة بقوله «إن يهود كثيرين وكثيرين جداً يعيشون بين الشعوب بطبيعتهم إحداهما ظاهرة وهي عنان دين الشعب الذي يعيشون وسطه اعتقاداً حمادياً ودهرياً وثانية باطنة، وهي إخلاص عميق لليهودية».

(١) انظر مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٤١-٤٣

(٢) نوري السعيمي، يهود الدومة، مرجع سابق، ص ٤١

أما اليهود التابعين له فتبقى يهوديتهم في قلوبهم، وكان يعظهم بالعبرية، ويخون الإسلام، واصططع صنوائه هي مزيج من الإسبانية وتركية ينشدها اليهود ولدموع تنهمر من عيونهم تعلقاً بساباتاي^(١)

فحكموا عليه بالإعدام إلا أن شيخ الإسلام اعترض على إعدامه حتى لا يدعي مريدوه بعروحه إلى السماء كعيسى عليه السلام، فكتفى بفيه إلى مدينة (درلسجنو) في ألمانيا وذلك عام ١٦٧٣ م^(٢)

وعاش ساباتاي في ألمانيا حتى وافته في ٣٠ أيلول - سبتمبر عام ١٦٧٥ عن عمر يناهز تسعة وأربعين عاماً^(٣).

والمؤمنون به يعتقدون أنه لم يمض طقاً لعقيدتهم في التسامح على مذهب المقالة لذي يقول: إن المسيح قد مر منذ آدم من أحساء كثيرة، ولا يرالون يدونه على سواحل البحار والأنهار يقولون: ساباتاي رفي نحن في انتظارك... .

ولا تزال عقيدة السابائية موحودة لدى بعض فرق يهود سلايك حتى الآن^(٤). ولا يزال أتباعه يقفون على ضفاف الأنهار يدعون ويستظرون مسيحهم ساباتاي، الذي سوف يقودهم إلى أرضهم الموعودة.

لقد نحتت الدوسمة طويلاً في إخفاء حقيقتها، على الرغم من ثبوت يهوديتهم متأصلة، وبعدهم التمس عن الإسلام

* * *

(١) عجاج نويهض، مرجع سابق، ص ٥٢٣-٥٢٤.

(٢) نوري سيمي، يهود الدوسمة، مرجع سبق، ص ٤١.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٢-٤٣.

(٤) المرجع السابق، ص ٤٢-٤٥.

الفصل الثالث

موقف يهود الدونمة (الساباتائية)

بعد وفاة مؤسسها ساباتاي زفي

خليفة ساباتاي زفي وانقسام الساباتائية:

قبل وفاة ساباتاي زفي راره (يعقوب حلي) أخو زوجته (يوهبيد) لى تروّحها بعد وفاة زوجته (سارة) وكان ساباتاي حينئذ طريح مرض، فأحد يعقوب موافقة ساباتاي على خلافة من بعده، ومات ساباتاي في ٣٠ ٩ ١٦٧٥ م في أسب من عمر يناهز التسعة وأربعين عاماً^(١)

وكما ظهر سلفاً فإن ساباتاي زفي لم يترك أيّ تدرّ مكتونة توضّح حياته السرية الروحية^(٢). وبعد وفاته جمع (يعقوب) و(يوهبيد) أنصارهم من الدونمة، وكانت أسرهم تتحوّل إلى أمثليين، حيث اتفقوا على سلايت، ونصم إليهم اليهود بقدّمون من أوروبا، واستطاعت (يوهبيد) أن تجد أنصاراً كثيرين من عشاق المسيح، ينضمون إليهم^(٣).

جماعة اليعقوبيين:

وعندما تولّى يعقوب رئاسة الساباتائيين في سلايت قام بتنظيم عقائدهم، وحفّهم على مراعاة القواعد الإسلامية، والحفاظ على التقيد التركية، وقد قام بدخول لتعطلة يهوديته، لا أنه توفي هناك^(٤)

(١) مصطفى طور، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٢٢-٢٧

(٢) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 16.

(٣) بوري لعبي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٧-٥٤

(٤) المرجع السابق نفسه، و 1٩ 92 Ilgaz Zorlu, a.g.e.s.

قسم يعقوب جماعته التي تسمت بـ (اليعقوبيين) إلى قسمين: الأغنياء والفقراء، وكان لكل منهم ري خاص، ورحلتهم يحفون شعورهم بالموسى، أما النساء فيضفرون شعورهن، وادعى اليعقوبيون أن روح ساداتي تقمصت جسم (يعقوب جلبي) (١).

ولليعقوبيين عقائد يعتنقونها هي:

- أنهم يناصرون الطلاق عكس عقيدة ساداتي
- يحظر على النساء التزجج للغرباء حتى أظفرهن
- اتباع الأوامر الإسلامية في الظاهر.
- إلزام النساء بارتداء ملابس بيضاء.
- إجراء الختان حسب العادات الإسلامية.
- إخلاص للعبادات اليهودية فيما عد يفقد سر أيام سست، حتى لا يكتشف أمرهم.

• قراءة أدعيتهم بالعبرية والإسبانية واللاتينية

• عدم الذهاب للمساجد.

• عدم التعرف على أسرار الطائفة إلا بعد الروح (٢)

وكان لهؤلاء ليعقوبين ملابس خاصة وقد اتته إليها (مدحت باشا) أثناء ولايته على سلايك، إلا أنه لم يد أي اعتراض، أو يطلب تعديل أي شيء من عاداتهم، وقد تأثر هؤلاء اليعاقبة بالعلمانية في فكرها، وتلقوا مساعدات مادية ومعنوية من الطريقة المكناشية ولمولوية، كما كان (حمدي بك) رئيس بلدية سلايك من اليعاقبة، أسس اليعقوبيون في سلايك محلة باسم (نموحة الأدب)

(١) نوري العجمي، بهود لدومة، مرجع سابق، ص ٤٧-٥٤

(٢) المرجع السابق، ص ٥٤-٦٢.

أو (برعمة الأدب)، واتجه أعضاء هذه الجماعة إلى التراوح من الخارج، وكان لهم مرار خاص بهم، ويبيعون ويشترون من أماكن خاصة

قام أعضاء هذه لجماعة أيضاً بفتح مدارس خاصة مثل مدرسة (فيزي بك) ومعاهد (الوغاز) في إسطنبول وبعد موت رئيسها انطوت هذه الجماعة على نفسها، وكانوا يتخذون تعاليم ساداتي إلى جانب القبالة مدأ لهم في تعاملهم اليومي^(١).

وقد ظهرت من هذه الطائفة شخصيات هامة، تولت ماصب هامة في الدولة، مثل أمين الترسنة وكنجدا القصر السلطاني، وكنجدا الحدية، وأمين الصرة وغيرهم^(٢)

واشتهر منهم الكاتب والصحفي (أحمد أمين يلماز) وغيره وكان لهم تأثيراً على بعض الطرق الصوفية ومنها الملامية^(٣)

جماعة القره قاش:

انفصلت عن جماعة اليعقوبيين جماعة تسمت باسم القره قاشيون، وذلك لاختلافهم مع اليعقوبيين على بعض العقائد برئاسة (مصطفى حلي) حيث اختلفوا على ممارسة الأحكام الإسلامية، وهذه الجماعة لا ترى ضرورة للحفاظ على التقاليد التركية الإسلامية^(٤).

ادعى (مصطفى حلي) رعية هذه الجماعة بأن روح ساداتي قد حلت بحسد طفل ولد بعد موت ساداتي تسعة أشهر، وسمي هذا الطفل (عثمان) وعندما وصل عثمان إلى سن التاسعة والعشرين أعلن مصطفى حلي أن عثمان هذا، ممثل

(١) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 92,93.

(٢) مصطفى حلي، يهود مدونة، مرجع سابق، ص ٢٢ - ٢٦، ومحمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٣.

(٣) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 128.

(٤) Kucuk. A.g.e.s.s. 204-205 Tanyu A.g.e.s. 175.

سابقاً زفي، وعندما وصل عثمان إلى مس الأربعين تم إعلانه (مسيحاً) وأوصلوه إلى مرتبة الألوهية^(١).

وحذير بالذكر أن جاويد بك ناظر المالية كان من أعضاء هذه الجماعة^(٢)، واشتهر منهم أيضاً (دقيق نزهت) أحد وزراء المالية في الدولة العثمانية و(عدي إيبكجي) وكانت لهما علاقات مع البولنديين^(٣).

جماعة القابانجلو:

قام أحد أعضاء هذه الحرب بالاعتراض على تصرفات هذه الجماعة، فانفصل عنهم بحزب آخر سُمي حزب (إبراهيم آغا) وعندما مات عثمان، وكثر الحدس حوله طلب (إبراهيم آغا) فتح مقبرة عثمان، فبدأ واحد حسمه سبيماً ليس متحلاً فهو المسيح وإلا فلا^(٤) وجماعة (إبراهيم آغا) أو (القابانجيون) أو (البابو) أو القابانجلو يطقون مبادئ سابقاً كما هي

وتوصف هذه الطائفة بأنهم مثقفون، ولا يهتمون بالحرافات^(٥) وقد

(١) محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٣٣، يوري سمعي، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٥٤-٦٢.

(٢) Ilgaz Zorlu, a.g.e.a 95.

(٣) Ilgaz Zorlu, a.g.e.a. 128.

(٤) محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٣٤.

(٥) يوري سمعي، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٥٤-٦٢، قدم كنان فرسيان كتاباً بعنوان (حقيقة التاريخ) يتضمن معلومات عن القابانجليين من الدولة، وقد نشرتها مجلة (محراب) التركية في عددها الخامس عام ١٩٢٤ بعنوان (الدولة القابانجكية) نقول عنهم هم أكثر مجموعات أهل سلاييك دكة، فقد اندسوا في حلايا حزب الاتحاد والترقي بشكل كبير ومنحوط، ويستطيع لقول بأنهم قد أداروا بحراً لأعظم من انقلاب تركيا الفتاة (ندي أسقط السلطان عبد الحميد الثاني) وقد اندسوا في حزب الاتحاد وهم مسمون طهراً، وهم في الحقيقة معدون للإسلام، وكل صنعتهم بالإسلام بحصرت في الأفعان القاهرة فقط انظر محمد حرب، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٤٢-٤٣، وفي مذكرات (عالم دشت) وهو من الاتحاديين وبرتبة أمير لائي، وكان يفتش العام للشرطة، وحرس الحدود، يذكر أنه في حادثة ٣١ مارس ١٩٢٤ تمت صد الاتحاديين في =

أظهره وانشاطاً وتأثيراً في المراكز الأوروبية في القرن ١٨، وكانوا يسكنون بالقرب من بعضهم في سلاييث، ويخاضون بعضهم بعضاً بلقب (الجر) وكانوا متقدمين في النواحي الصناعية والتجارية وأعمال تصرافة، كما كانوا مهتمين بالمعجز التعليمي^(١) وكانت لهم تأثيرات كبيرة في عهد أتاتورك، ومن أشهر عائلاتهم عائلة (بزمين) وعائلة (اطه بك)^(٢).

تلك هي المجموعات الثلاث التي اشتقت عن الدونمة بعد وفاة ساداتي، وعلى الرغم من اختلافهم في بعض العقائد، إلا أنهم يجمعون على اتباع مبادئ عامة، وهي عدم الرواح من أصحاب الديانات الأخرى، وهو المبدأ الأساس الذي وضعه ساداتي زفي لجماعته يهود الدونمة حتى يظلوا معلقين على أنفسهم

وقد ظلّ الرّاع قائماً بين صوائف الدونمة حتى نهاية القرن التاسع عشر، وبلغ الخلاف حدّاً كبيراً، حتى إنهم كانوا يحرمون شراء أي مواد عدائية من طائفة أخرى، ولا يمكن حدوث تراوح بين طائفة من طائفة أخرى وقد تمت إزالة هذه الأقسام تحت وطأة نصاء الجمهورية التركية وحاولوا التحفي ولا نصهار داخل الأتراك، وعلى الرغم من هذا، فقد بقيت بعض العناصر حاولت الحفاظ على تقاليد الساداتية خصوصاً بعض المثقفين منهم أمثال (حالة أديب)،

= عهد السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن هذا الصلح الكبير كان حدثاً من تحروح من مرله، وفي يوم أربع من هذا الحدث الشهير خرج وهم يوجه إلى مركز محلات إينكحي سلايكي، و معروف أنه من الدونمة أصحاب نفوذ، كما بعد أن محمد رؤوف لستو ويكي - وهو من صباه لاجئ والترقي - نفى إلى ساحة السوي صد لدوة إلى سلاييث عام ١٨٩٥، وهناك احتضنته الدونمة، وشر محمد رؤوف هذا كتاباً في ١١٢ صفحة بعنوان (مدد كتاب جمعية لاتحاد والترقي)^(٣) وقد دافع فيه عن الدونمة دفاعاً حاراً وحيها، بقوله: لقد أظهر "الدونمة" أنه جهدي وكفاحي وبقي إلى سلاييث من صباه نصحيات واعداء من عصمه في نظري إنهم محبون للحرية، انظر محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٣.

(١) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 95.

(٢) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 128.

و(شفيق حسني)، و(صبيحة سرتل) بالإضافة إلى (عائنة يسكجي)^(١).

كما أصبحت المؤسسات التعليمية لجمعية مثل مدرسة (أفيرية) ومدرسة (الترقي) من أكبر المدارس تطوراً في تركيا، وكست انمبادي التي يسير عليها السابانايون تتفق مع الماسونية واليهودية بالإضافة إلى هذا فقد تعلم ساباتانايون الثقافات العربية واللغات الأجنبية، وعلى الرغم من هذا كانوا يحاولون إخفاء أصولهم^(٢).

أما الجيل الجديد من طائفة الدومعة فيحاولون إثارة أسس الخلاف بينهم، ويعملون على الاندماج في المجتمع التركي، كما يحاولون التخلص من لقب الدومعة، الذي يعرفون به، حيث أصبح من الصعب إقامة صائفة الآن في تركيا مطوية على نفسها، وذلك نتيجة للثورة الاجتماعية التي حدثت في تركيا، والتي أدت إلى انصهارهم داخل المجتمع^(٣).

والحدير بالذكر أنه حدث حريق في سلاييك عام ١٩١٧م وقد التهم هذا حريق جميع مصادر ووثائق الدومعة، وأثناء هجرتهم من سلاييك عام ١٩٢٤م قام اليهود بترك كتب دعاء خاص بهم، وقد انتقل هذا الكتاب إلى إسرائيل عام ١٩٤٨م^(٤). وقبل هذا الحريق توضح المصادر أن المؤرخ (رورس) هو الشخص الوحيد الذي استطاع دخول مكتبة جماعة نقسحتر في سلاييك وقام بتدوين ملاحظاته في كتاب باللغة العبرية.

ومن الملاحظ أن يهود المحافظين لا يعترفون هؤلاء ساباتانيس، ولا يعترفون بأن لهم وجود في الثقافة اليهودية، إنني جئت عدم اعترافهم بالمحشيين

(١) لمزيد من معرفة دور شفيق حسني وصبيحة سرتل وعائنة يسكجي نظر
Ilkmet Tanya Tarix Beyunca Yahudi, erve Turkler Istanbul, 1977 C.1s 722-723

724nc C.1 359-361.

(٢) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 147.

(٣) بوري شعيبي، يهود الدومعة، مرجع سابق، ص ٦٥

(٤) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 15.

الأثراك الذين درسوا وثائق الساتانية^(١) ومع أن الساتانية حركة قامت وانتهت في تركيا إلا أنه يعيش كثير منهم حتى وقت الحاضر، ويعيشون في أمريكا وبحرر وفرنسا وإسبانيا وهولندا^(٢).

ومن عادات الدونمة أن الذي يقوم بتطبيق تعاليمها رحل له صفة (مشر) لمراقبة نصيقتها بين الرحال أما نساء فكانت تقوى بهد العمل امرأة مرشدة، لها حق تطبيق العقوبات على الذين يحالفون تعاليم الدونمة.

ولم يكن مسموحاً لأبناء الدونمة بتعلم اللغات الأجنبية أو دراسة القانون أو لصيدلة أو الطب^(٣) ومن العادات الحية ليهود الدونمة والتي لا تزال يتبعها هؤلاء الدونمة:

١ - عادة ذبح الحروف، وأكل لحمه في اليوم الأول من السنة ليهودية في ذكرى فداء إسحاق على حذ زعمهم.

٢ - عادة حلق الشعور بالموسى لدى اليعقوبيين بالرحال، وتحديد الشعور إلى صفائر رفيعة للنساء.

٣ - لكل فرد من الدونمة اسم آخر يهودي

٤ - الالتحاء سمة من سماتهم.

٥ - لا يؤكل لحم الحروف في أول كل سنة إلا بعد إحرء الطقوس الخاصة بذلك اليوم، ومن يأكل لحم الحروف في غير أوانه يكون معرضاً لموت طوال ذلك العام^(٤).

(١) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 16.

(٢) Ilgaz Zorlu, a.g.e.s. 96.

(٣) محمد حرب، يهود الدونمة، ص ٣٤-٣٥.

(٤) يعون علاء لديس عوسه في كتابه "كنت مديراً لمدرسة ببلدة تابعة لبلدية بقرية ماكري، وكان طراح المدرسة ساتانية، أمرته في أحد أيام الربيع أن يفتح لحم حروف مرفص، فشكروني إلى الهيئة الإدارية فلم أفلح في شكواي، ولم تمكن من إصعاع أحد لحم حروف قبل أوانه" نقلاً عن مصطفى خوران، يهود الدونمة، مرجع سبق، ص ٣٦.

٦ - لا يجوز لأي واحد من الدوامة إنشاء علاقات جنسية مع امرأة ليست من الدوامة، ومن يفعل كان من أهل النار.

٧ - لا يجوز للدوامة المبادرة إلى أداء النحية لغيرهم.

٨ - لذهاب إلى ساحل البحر أو إلى صفة نهر والقيام بالنداء التالي:

«ساياتاي زفي نحن بانتظارك»^(١).

العادات التي تتبعها الساباتانيون:

يحتفل الساباتانيون (يهود الدوامة) بجميع الأعياد اليهودية، ويقيمون شعائهم فيما عدا الكف عن العمل يوم السبت حتى لا يلتفتوا النظر إليهم^(٢).

وللدوامة حوالي عشرين عيداً، يحتفلون به من أهمها عيد يسمى (عيد الخروف) أو (عيد الشمعة)^(٣).

عيد إطفاء الشمعة عند الساباتانية:

وهو من أهم الأعياد عند الساباتانيين، ويوافق هذا العيد يومي ٢١-٢٢ آذار - مارس من كل عام، حيث تتم فيه دبح حروف، ويؤكد وهو عيد ليبي، ويشترط لهذا الاحتفال نواحد رحلين وروحتهما، ويمكن زيادة العدد بشرط أن يتعدى عدد الرجال ونساء، تتحلى النساء في هذا اليوم بأبهى ريشتهن، وبعد تناول الطعام تطفئ الأنوار، ويبقى الجميع في الظلام والأولاد الذين يولدون في هذا اليوم يكتسبون قدسية خاصة^(٤).

(١) مصطفى ضراب، يهود الدوامة، مرجع سابق، ص ٣٥ نقلاً عن (أبراهام علانتي) من كتاب (وثائق عن عادات ومنظمات السباتاي).

(٢) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مادة (لدوامة)، مرجع سابق، ص ١٩١.

(٣) İlgaz Zorlu, a.g.e.p.51.

(٤) محمد حرب، يهود الدوامة، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٦ نقلاً عن جريدة (أفشام) في عندها الصادر في ٤/٥/١٩٣٥م.

ولا يزال يحتفل بهذا العيد حتى الآن، وخاصة عند فرقة القره قاش
السباتانية^(١).

تأثير يهود الدونمة على الحياة الاقتصادية في الدولة العثمانية:

كان لليهود الدونمة دورهم البارز في الميراث الاقتصادي التركي، وذلك من
خلال القود لإسسية والنمسوية التي جعلها اليهود متحارثهم إلى تركي، فكان
الأترك يفصلون هذه العملات عن أية عملات أخرى، وكانت تستخدم في شراء
سلع باهظة الثمن، وكانت الشركات اليهودية الأوروبية والأمريكية ترسل لليهود

(١) محمد حرب، المرجع السابق، ص ٣٥ - ٣٦، ويذكر شتت سباتاني من حرب (إبراهيم
آغا) هذا، القتل في مقال نشره عام ١٩٢٥م في مجلة (الدنيا لمصوره) «أعقدت
الاحتفال بوظفه لأورمايرث من معادلات المنفعة لدى قره قاش وأعطت طلي أن
العائلة التي أيا فرد منها كانت إلى عهد قريب تدرس هذه اللغة، ولم أترك في أي حضان
كهدا بسبب كوني عرباً، وكلمة أظهرت رعة في حضور الاحتفال معنوي وقبول إن
الاحتفال بمروحين فقط» (انظر مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٢٩)

كما نشرت حريدة لسماء التركية في عدده الصادر بتاريخ ٤ د ١٩٣٥م خبراً من
مراسلها في مرعش يقول فيه: «أنفت مسقط الأمن نقص على جماعة من لرحان
ولسماء يمارسون عدة إصفاة الشموغ، وصيغتهم بالحرمة المشهود، كما عثرت في
معرفة محاوره بصفة الاحتفال على بعض آلات الموسيقية، وعلى دحاح سوداء
قُطع رأسها ويستدل من هذا خبر أن بدحاح قد أحدث مكان بحروف في الاحتفال،
وأن هذه إعادة منعمة حتى في هذه الأيام» (انظر مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٣٠)
وقد انتهت هذه الجماعة بالاحتفال الحقيقي، ولا يعمد في مجلس نظر (عند الوهاب
المسيري، موسوعة جدهم والخصفانحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ١٩١)

كما أضاف يهود الدونمة عبداً خاصاً بهم أسموه عند ميلاد صاباني في كما كانت
صوبهم، صقوسهم نكب في كس صغيرة الحجم حتى يسهل عليهم حملها وقد
شربت (الحريدة حصوره) في عددها رقم ١١٦ الصادر عام ١٩٢٥م مقالاً قالت فيه إن
حقيقة الدونمة أنهم شعراء الألبان علاقتهم بحبيبة بهم. لكنهم في حياتهم لاقتصادية
كما في الحياة بعائلة يحذرون من الأترك حذر عرب (مصطفى طوران، يهود
الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٢ - ٣٣).

من الخارج معونات مالية أحدثت انتعاشاً في الحركة الاقتصادية في تركيا^(١).

وقد توصل (حكمت طانيو) عند دراسته ليهود الدونمة من خلال شواهد مقارنهم في إزمير إلى حقيقة هامة، وهي أن التجار من يهود الدونمة أخذوا يتراوحون من العدائلات التركية المسلمة المعروفة في عالم التجارة، وقد حدث تزاوج بين الدونمة والمسلمين الذي كان مموغاً بينهم طبقاً للعقيدة الدونومية من قبل، ومن أبرز هذه الحالات زواج (زكريا سرتل) الكاتب التركي المعروف من (صباحة سرتل) اليهودية الدونومية الأصل^(٢).

(١) محمد سرخان، النظام العثماني، مرجع سابق، ص ١٧.

(٢) صبيحة سرتل أو صباحة سرتل هي فتاة من صائفة الدونمة، تزوجها زكريا سرتل، سميت فيما بعد صباحة زكريا سرتل، قامت مع زوجها بعدة نشاطات في فترة الهدنة وفي العهد الجمهوري، ثم أسست معاً عام ١٩٤٥م جريدة شيوعية (طيس) وأخيراً هرب من تركيا عام ١٩٥٢م، توفيت الروحة عام ١٩٦٨م في ناكو بروسية، ونشرت مذكراتها في إستانبول عام ١٩٦٩م.

أما زكريا سرتل فهو أول شيوعي تركي، بقي أكثر من عشرين سنة خارج تركيا، حيث سمع من اندحور إليها بسبب دعايته الشيوعية مع زوجته صبيحة، وعندما صدر قانون لعموم عدم عام ١٩٧٤م عاد زكريا سرتل إلى تركيا، ولا يزال حياً، ويكتب في صحف الدونمة.

والصحيفة صبيحة سرتل - روضة زكريا سرتل - قامت بتأسيس جريدة طيس الشيوعية، وفادت هي وزوجها حركة شيوعية، وكانت هي وزوجها من أفراد الجمعيات العليا، وكان مغزيين إلى قيادة ترك الحرة، واعتقد الاشتراكية معقائدية خلال فترة وجودهم في الولايات المتحدة في نهاية الحرب لعامة الأولى، رفض العروض المقدمة لهم من قبل القيادة الكمالية، وانحوا إلى صحافة المعارضة، فأتى ذلك إلى اعتقالهما في منتصف العشرينيات كاد فاديين على نشر المحلات الأولى ولصحف التي حققت لهما مكافأة ثمناً ورئيساً في تاريخ الصحافة التركية. إلى جانب دورهما في تاريخ اليسار التركي، وكان نشاطهما الوصفي قد طبع بالصرعات مع السلطة، وحتى نسحق، وبعد مصيرهم في النهاية إلى تدمير صحيفتهما من قبل الجماهير في عام ١٩٤٦م هرباً إلى المنفى عام ١٩٥٠م واستقر في الاتحاد السوفيتي، وظلت صبيحة سرتل هناك حتى ماتت في مدينة ناكو عام ١٩٦٨م، ونشرت مذكرتها في إستانبول عام ١٩٦٩م، رجع محمد حرب، لعناببول في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٥٨١ =

التأثير السياسي ليهود الدونمة السابائاتية:

يقول داشمند عن هؤلاء الدونمة إن هؤلاء برحال محرومون تماماً من الشعور بالوطن والأمة، وهؤلاء الذين أسلموا قهراً، وتسبوا إلى المجتمع العثماني كعبيد، كانوا يظفرون إلى اترك بعين رديئة وسيئة^(١)

يرى البعض أن جماعة الدونمة احتلظت تاريخياً بالأتراك بإعلان الجمهورية، وأن حياتهم السرية قد انتهت من القرن السادس عشر وبعد مشروطة عام ١٩٠٨م بدأ الرواج بين لفرق بعد أن كان محزوماً قبل ذلك، وتطور الأمر بعد ذلك، وأصبحوا يتصاهرون مع أتراك سلاييك، فزالت عرقيتهم -تدريجاً- وتركوا لعنتهم الإسبانية في الربع الأول من القرن العشرين

وهناك رأي آخر يقول إن طائفة الدونمة ما تزال موحودة حتى وقتنا الحاضر^(٢).

وعائلات الدونمة كانت ما تزال موحودة عام حتى ١٩٦٠م، وكان أحدهم يعمل أستاذاً في جامعة إستنبول، وتقول المصادر إنه في عام ١٩٣٥م عُثر على كتب أدعية خاصة بالدونمة في يد أطفالهم، وفي عام ١٩٣٩م عثر أحد الموصفين في مدرسة الدونمة في إستنبول على كتاب أدعية فكتب كتاباً باسم سابائاتاي رفي

وفي عام ١٩٤٢م طُبقت على هؤلاء الدونمة صريفة لوجود، على أن تأخذ منهم الحكومة التركية ضعف ما تأخذه من المسلمين، الأمر الذي أدى إلى الإضرار بوضعهم في الدولة^(٣).

وكذلك Ukmet Tanyu Tarhi Bıyınca Yahudıner ve Turkler... 350-351

وكذلك محمد حرب، (يهود الدونمة إلى الآن يحجون وبصومون ويحجون بمساجد)، مرجع سابق، ص ٤٦.

Ismail Ham. Densimend İzaat Osmanlı Tarıh Kırncıojıst c11 İstanbul, 1972, s. 354. (١)

Abdurrahman Kucuk, a.g.c.s. 461. (٢)

Abdurrahman Kucuk, a.g.c.s. 402. (٣)

وعند تأسيس دولة إسرائيل ذهب إلى هناك جزء من جماعة الدونمة، وكان ذلك عام ١٩٤٨م - والمجتمع التركي يرى استمرار هذه الجماعة، لكنه لا يعرف ما يريد هؤلاء، وذلك نتيجة لأسلوب التحقي الذي يتبعونه، فليس من السهل معرفتهم، وذلك لاستخدامهم أسماء تركية إسلامية، وهم يستطيعون معرفة بعضهم البعض، ولكن في سرية شديدة^(١).

وفي القرن العشرين بدأ البحث عن أدوار وتأثيرات الدونمة في ضعف وتقسيم الإمبراطورية العثمانية، وقد تم رصد هذا الدور الذي لعبه الدونمة في حركة (جون ترك) و(جمعية الاتحاد والترقي) و(واقعة ٣١ مارس) حيث كانت الدونمة ولما سون على رأس التشكيلات التي بذلت جهداً كبيراً لنقصاء على السلطان عبد الحميد بقيادة رئيسهم الدونمي (مرمرى بك) وبدلاً من محاكمته عسكرياً بسبب سوء تصرف الجنود الذين كانوا تحت إمرة غير رئيس الأركان حرب السلطان محمد الخامس^(٢).

أما المسؤول عن حراسة السلطان بعد نفيه إلى سلايك فكان أخا (مرمرى بك) (موشيه الآتينى) اليهودي الدونمي^(٣).

احتل أيضاً عدد من الدونمة مناصب وزارية، وذلك في الحكومات التي أسست بعد عام ١٩٠٨م ورعمت الموسوعة اليهودية أن (حويدي بك) الذي كان وزير المالية في أول حكومة لجمهورية التركية كان من الدونمة^(٤).

وفي حديث - (أحمد زورلو) الساتاناني الذي كتب الكثير عن سببانية في تركيا، وقدم نشر بحوث كثيرة في هذا الموضوع، نشر في جريدة (جوراسلم بوست) (Jerusalem Post) الإسرائيلية أن (روحشان أحويد) زوجة (بولاند

(١) Abdurrahman Kucuk, s. g.e., p 463,464.

(٢) وثائق في الحاسوية، مخطوط عبر مشور، مركز بحوث العالم التركي، القاهرة.

(٣) Abdurrahman Kucuk, s. 464.

(٤) Abdurrahman Kucuk, s. 465.

أجويد) و(إسماعيل حم) وزير الخارجية التركي و(تانسو تشيلر) رئيسة وزراء تركيا سابقاً، من السباتانيين وذكر أيضاً (رورلو) السباتاني في حوار له مع حريدة (يديعوت أحرونوت) (Yedioth Ahronot) المشهورة في إسرائيل: «أنّ السلوك الذي اتبعته إسرائيل و اليهود في عدم دخول سباتاني تركي بينهم يعد ظلماً في حق السباتانيين في تركيا»، وأوضح أنّ هناك الكثير من الشخصيات الأكاديمية والصحفية التركية يتسبون إلى السباتانية، كما أكد أنّ جماعة اليهود لا ترغب في المساواة بينهم وبين السباتانيين، وقد أعس كثيرُ المحامات «أنّ سباتانيين إما أن يكونوا مسلمين أو يهود، ولا يمكن أن يكونوا بين بين».

وقد دفع زورسو عن هذا بقوله «إنّ جماعتنا لم تتروح بالمسلمين حتى تبقى يهوديتهم حاضرة، كما أنّ الأحياء القديمة للسباتانيين مرتبطة بالعدت السباتية إلى أقصى درجة، أمّا أجيالنا الجديدة فقد تربت على منطق جديد . من الممكن أن تكون هناك فروق بين، لكننا في النهاية كلّنا يهود» وصرح أنّ سباتي زفي أعلن أنّه أسلم حتى يسجو من العقاب، لكنّ عنى الزعم من هذا فإنّ الذين استمروا معه بعد إسلامه ظنوا يحفظون على يهوديتهم

ويقول أيضاً «في النجرة التي تمت عام ١٩٢٤م انتقل كلّ السباتانيين الموجودين في سلانيك إلى إسطنبول وانقسمت الجماعة بعد موت سباتي زفي إلى ثلاثة أقسام، وقامت كلّ فرقة باتحاد كبير محامات لها، ومعدّد حصة بهم هذه الجماعة جماعة يهودية حاضرة وحقيقية»^(١)

يهود الدونمة (السباتانيين) والماسونية:

استفاد يهود لدونمة من إنشاء جمعيات سرية ماسونية لتحقيق أغراضهم نفسها، من هذه الجمعيات جمعية (فرسان المعبد)، و(جمعية ساء بحر)^(٢)

(١) Ogun Durt, Sabetaşlar den Mithis İdd'a, ventı Safak, 22 Mayıs 1999

(٢) جمعية ساء بحر جمعية تعمل كمعظم الجمعيات سرية على محق لتعديم الدينية، وبث لدساتن لسياسة تحت ستر الإحاء والمصادقة وبحرية (انصر محمد وغروت)، =

وجمعية (إحوة الشيطان)^(١)، وجمعية (أصحاب القداس الأسود)^(٢)، وجماعة (شهود يهوه)^(٣)، وجمعية (بني برت)^(٤).

= دور يهود الدومنة، مرجع سابق، ص ٢٥، نقلاً عن محمد عبد الله عثمان، توزيع الجمعيات السرية، ص ٩٥.

(١) إحوة، الشيطان أو المعابد الشيطانية، وتلك جماعة يتحدون من الشيطان رعباً لهم، لأنه كما يدعون نزع ثور الملائكة في السماء، ورفض أن يسجد لآدم، ويعتقدون أنه لا قيامة ولا دين، ولا وجود لله، وأن عُدَّة الشيطان هم الغالبون، ويتكون المعبد الشيطاني من مديح يعلوه صورة امرأة عارية، طع على جسمها خمسة رؤوس رمزاً لمعبودهم الشيطان، وأول ما ظهرت هذه المعبد في سان فرانسيسكو عام ١٩٦٦م. (محمد رغروت، مرجع سابق، ص ١٦، نقلاً عن داود عبد المعوي، القوى الخفية اليهودية العالمية الماسونية، دار الفرقان ١٩٨٣م، ص ٣٢٨ - ٣٣٠)

(٢) أصحاب القداس الأسود، دعوة ظهرت في جنوب فرنسا ضد تعذيب الكيسة، يدعون لمحاربة الأخلاق والسلطة، والاطواء تحت سوء الشيطان، الذي هو في نظرهم حصم الله، وتعتمد على السحر والشعوذة، وترجع أصولها إلى مدرسة القذالة اليهودية، وتهدف إلى هدم الكيسة، وتديس شعائر نذير المسيحي محمد رغروت، ص ١٧، وفهمي نشوري، مصرع الخلافة العثمانية، المحاضر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٦٩

(٣) جماعة شهود يهوه، هم جماعة يهودية تنطهر بالمسيحية، ويرغمون أنهم جمعية يدعون للتحرير، لكن تعييمهم السرية تهدف إلى إقامة مملكة يهوه به يهود، وهدوهم الأسمى تكوين دولة دنيية واحدة تسيطر على العالم كله، وأعصاؤها يعملون في أعمال المحاربات والدعاية (محمد حرب، شهود يهوه - سلسلة درامات ناريجة، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٣٦ - ٣٧).

(٤) جمعية بني برت، تأسست في نيويورك تتكون من رعاة يهود لكبار أمثال (ماحوم سو كوف) و(ديكوف) و(حليم بحم) و(حليم وايرم) و(دافيد بنين)، و(مانير برين) وغيرهم، وترعى هذه الجمعية أنها نشر الخبر بين الناس، وكان لها أثرها على قادة العالم العربي في العصر الحديث، (رغروت، ص ١٦)، وعند الله التل، أطر اليهودية العالمية، ص ١٥٢ - ١٥٣) أسست هذه المنظمة عام ١٨٣٤م وكانت مهمتها انتقاط الأحبار، واحتلال مراكز حاسة في الدول، كان لهذه المنظمة في لندن إدارة ومكتبة، وقد كشف جهود هذه المنظمة الحمران التركي (محمد حواد رفعت أتلحاح) في كتابه (إسلامي صاران نهلكت) وكان لها في كل بلد فرع سري، يسيطر على التجارة، وفرع يدرس وضع البلد لسياسي، وكان من أشهر شخصياتها (فرويد) وهو أحد =

وكذلك جمعية (الروحية الحديثة) هذا إلى جانب أندية (الروتاري) و(الليونز)^(١).

قام يهود الدونمة بالتحالف مع الصهيونية ولاستعمار، وذلك في فترة الضعف التي كانت تسري في لدولة العثمانية، فكان هؤلاء اليهود هم لأداة المسفدة لأكبر حركتين شهدتهما تركيا، وهما.

- الحركة الصهيونية التي هدفت لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

- والحركة الثانية هي حركة لاتحاد والترقي، التي أثرت على مجريات حياة في الدولة العثمانية، والتي أدت إلى سقوط الخلافة الإسلامية، وإعلان الجمهورية التركية بزعامة كمال أتاتورك.

و(الدومة) - طائفة إسلامية يهودية، منهم جاويد بك (١٨٧٥ - ١٩٢٦) الذي تكرر تعيينه وزيراً للمالية - قاموا بدور رئيس وقبضي في ثورة الشبان، لأتراك عام ١٩٠٩م تلك الثورة التي انضم بها وأوحى بها وأوحىها الماسون^(٢).

وكانت العقول المفكرة لرحال لاتحاد والترقي هم يهود الدومة، الذين حططوا من أجل هدم الخلافة العثمانية وتثريت تركيا من ناحية والهيمنة لاقتصادية من ناحية أخرى، هذا إلى جانب السيطرة على الإعلام التركي، وتشجيع

= الأقطاب الذين اعتمد عليهم هرترل، وهو يرى هدم جميع الأديان والأحلاق، كما يرى إساءة الشعوب، وخاصة هذه الجمعية ترفع من شأن مهاجري لأديان الأخرى (انظر محمد علي الرعبي، المسبوبة في لعر، ص ٦٠-٦٣)، وبني برت عدة عربية بمعنى إساءة لعهد، تستهدف توحيد اليهود والعمل على تحسين أحوالهم، بها فروع فيما يريد على ثلاثين دولة، ساهمت في مؤتمرات الصهيوني في واشنطن عام ١٩٣٥م، وقامت بمعونه صدوق لقومي يهودي في شراء الأراضي وقامة لمستعمرات في فلسطين (انظر عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم ومصطلحات يهودية، مرجع سابق، ص ١٠٨).

(١) محمد زغروت، مرجع سابق، ص ١٤-١٦-١٧.

(٢) محمود شت الشاذلي، المسألة الشرقية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ١٤٧.

قام يهود الدونمة أيضاً بدور مؤثر مع الأحزاب السياسية التركية دون أن يتموا إليها، وذلك من أجل التأثير على اتخاذ القرارات السياسية في الدولة، وكانوا يعينون بعض النواب والشيوخ وكبير الموظفين في مجلس إدارة الشركات اليهودية، وذلك من أجل الاستفادة من دورهم السياسي، ونفوذهم فيه.

وكان هدفهم من هذا هو عدم اتخاذ موقف من قبل الدولة يصر بالمصالح الصهيونية^(٢). وكان شعارهم هو شعار الماسونية. الحرية. المساواة. الإخاء^(٣).

واليهود لا يكرهون أن الماسونية هي حليفهم، وأنهم مؤسسون، وقد صرح الحاخام الأكبر (إسحاق ويز) أن لماسونية هي مؤسسة يهودية خالصة، وأن تقاليدهم وأنظمتها وتعاليمها مأخوذة من مصادر، فهي من ولنا من البداية حتى النهاية^(٤).

علاقة الساباتانيين بالاتحاد والترقي ودورهم في تنريك الدولة:

ترجعُ حذور (جمعية الاتحاد والترقي) إلى عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ - ١٨٧٦ م)، وكان نشاطها يقتصر على إصدار لصحف التي كانت تتمتع بحقوق خاصة، عن طريق دوائر البريد الأجنبية الموحدة بالدولة، وكانت هذه الدوائر تتمتع بحرية خاصة^(٥).

وقد كانت (جمعية الاتحاد والترقي) صاحبة السلطة الحقيقية في الدولة العثمانية بين عامي ١٩٠٨ - ١٩١٨ م، وفي هذه الفترة نشطت الجمعيات السياسية

(١) محمد زغروت، دور يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ١٦ - ٢٤.

(٢) نوري السعيمي، أثر الأقلية اليهودية، مرجع سابق، ص ٢٩.

(٣) فهمي الشناوي، مرجع سابق، ص ٧٠.

(٤) جواد رفعت أتلخان، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٥) رامزور، تركيا الفتاة، مرجع سابق، ص ٤١.

والأحزاب، وكانت تدعو إلى الإصلاح ولا مركزية الإدارة.

وكان لجمعية الاتحاد والترقي دور كبير في القضاء على الحريات، وتحذت سياسة القمع والعنف مع زعماء المعارضة لسياساتها الدخلية والخارجية^(١)

وكان لهذه الجمعية فروع في عواصم أوروبية محتلة، فكان لها فرع في باريس يضم الطلاب والدارسين فيها، هذا إلى جانب فروعها في سلايك

تقول بعض المصادر عن هؤلاء الدونمة:

«في سلايك طائفة يقال لها (لدونمة) أي العندون، أصبهم يهود من مهاجري إسبانيا، أسلموا منذ أربع مئة سنة إسلاماً مشوباً بعض عقائدهم لأصية، ولما كانوا المثل العبد في الحصافة والدكاء، ولقبام بأمور المالية سوع خاص، فكان الدور الذي يمثكونه في الهيئة الاجتماعية التركية أعظم حدّاً مما يستحقه عددهم، وكان أثرهم في حركة الانقلاب الدستوري مهماً، فكان مهم أناس يعدون أركاناً في جمعية الاتحاد والترقي»

«إن (جمعية الاتحاد والترقي) قامت على عناصر تركية، وعناصر إسلامية غير تركية، فمنذ أن وُجِدَت هذه الجمعية لم نجد من قدتها راحل واحد من أصل تركي فـ (أورباشا) هو ابن لرحل بولندي مرتد، وكان (حاريد) من يهود لدونمة، و(قره صو) يهودي سمارديمي من ولاية سلايك، وكان (طلعت) من مسلمي الغجر البلفاريين، أما (أحمد رضا) فينتهي إلى إحدى الجماعات الوضعية الفلسفية، ويجب أن نعرف أن هذه هي صورة تركيا الفتاة»^(٢)

وقد كانت (جمعية الاتحاد والترقي) في بداية أمرها فرعاً لحزب تركيا الفتاة الذي تأسس على أيدي الترك المنشعبين بالأفكار الفرنسية بزعمه (أحمد رضا بك) وكانت هذه الجمعية سرية، لها فروع في برلين وسلايك وإستانول، وكان

(١) محمد لحير عبد القادر، بكبة الأمة العربية سقوط الخلافة العثمانية، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٨٥.

(٢) نوري العميم، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٦٩

فرع سلايك بصم معظم الصطط، من بينهم (طلعت بك) لذي أصبح رئيساً للوزارة فيما بعد.

وقد رحت المحفل الماسوني في سلايك برشاء هذه الجمعية، وقد اتخذ اليهود هد المحفل مركزاً لانطلاقهم برئاسة (قره صو) بالتعاون مع (جاويد)، وكانت جلساتهم تعقد داخل المحافل الماسونية مستخدمين أساليبهم في تأمين اتصالاتهم بالعاصمة، حتى تمكنوا من قلب الحكم في بلاد عام ١٩٠٨ م.

وقام يهود الدونمة بدور فعال في نصره القوى التي تحركت من سلايك عزل السلطان عبد الحميد، وانتشروا في البلاد لعثمانية، وتحسّسوا بحنسيات مختلفة، وساعدوا الجمعيات السرية، وأسسوا المدارس الخاصة، فعملوا على نشر الإلحاد والأفكار العربية والدعوة لهنك حجاب المرأة المسلمة، إلى جانب نشر الدعايات المختلفة ضد السلطان عبد الحميد، والتي تقول إن البلاد تورج تحت الحكم المطلق، وإن الحرية قد فقدت، وإن السلطان يفتك بالعناصر المثقفة، ويرميها من بواقد القصر إلى البحر، وغيرها من الشذرات التي تقول: إنه لا حرية في دولة العثمانية، والاستبداد يحنّ عبنا، وكان هذا من الشذعات لماسونية^(١)

وقد تشكّلت جمعية (الانحد والترقي) عام ١٨٨٩ م بمرص القضاء على اسلطان عبد الحميد، برعامة رجل ماسوي الباني هو (إبراهيم تيمور)^(٢) المعروف بأدهم، حيث اتفق مع عدد من طلاب المدرسة الطبية العسكرية في إستانبول على برشاء ذلك التنظيم بهدف عزل السلطان عبد الحميد اثني، وكان منهم (إسحاق سكوتي)، و(شركس محمد رشيد)، و(عبد الله جودت)، وكرديان، وقد باشرت أعمالها في جنيف أولاً عام ١٨٩١ م، ثم انتقلت إلى باريس، وقد ركروا دعوتهم داخل صفوف الجيش، وقد أنشأ كل من (إسحاق سكوتي) و(عبد الله جودت)

(١) علي حور، الدولة العثمانية وعلاقتها الحارحية، مرجع سابق، ص ١٨٧ و محمد ناسر الشاذلي، المسألة الشرقية، مرجع سابق، ص ١٨٤

(٢) Ibrahim Timonun ittihad ve Terakki Anıları, Arba yayınları, İstanbul Tarihşiz

مجلة (عثمانلي) في جنيف، لتأليب الرأي العام على السلطان^(١).

وجدير بالذكر أنَّ السلطان عبد الحميد كان يعلم أنَّ عددًا من بدوامة يُسهمون في الحركة ضده، لكنه لم يتخذ أيَّ إجراءات صدهم خشية ترويضهم الغريب^(٢).

وفي مقدونيا برز (أورث) ^(٣) الذي كان يشغل منصب مدقق عسكري في

(١) مذكرات لسلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار بقله، ١٩٩٨م. ونظر في ذلك أيضاً مذكرات إبراهيم تيمو *İbrahim Temo'nun İhtidat ve Terakkî Anıları Arba Yavınlar* İstanbul, Tarihsiz.

(٢) ريمزور، تركية الفتاة، مرجع سابق، ص ١٩٥، نقلاً عن إبراهيم عيلاشي.

(٣) أورث مات وند عام ١٨٨١م في إسطنبول، وهو حرار عثماني، وواحد ركن ثورة تركية الفتاة عام ١٩٠٨م، وأحد الرجال الثلاثة الذين حكموا بدوره بعثمانيه من عام ١٩١٣ - ١٩١٨م، لعب دوراً أساسياً في دخول لدولة العثمانية الحرب إلى جانب الألمان، ثم بهزم الدولة عام ١٩١٨م، حاول تنظيم الشعوب التركية في سبب الوسطى ضد الروس رُقي أورث تدريجياً في الأكاديمية العسكرية في إسطنبول، حيث تخرج برتبة رئيس، وعين في الجيش الثالث سلايك التي كانت مركز النشاط الرئيس للمصاد بحكم عبد الحميد قد في عام ١٩٠٣م العميد العسكرية العثمانية ضد "عصابات مقدونية، وفي عام ١٩٠٦م عُيِّن في أركان الجيش الثالث (بممانتر) إذ انضم هناك إلى (جمعية لاتحاد والترقي) وحدث إليه بحرس (محمود شوكت) الذي تقلد جيش الحركة تحت إمرته إلى العاصمة عيِّن في عام ١٩٠٩م مدققاً عسكرياً في برلين، فتحققت معرفته باللغة لأهميته العسكرية، ترك برلين أثناء الحرب الإيطالية التركية، وانضم إلى المقاومة العثمانية في ليبيا، ثم عيِّن حاكماً لسعدي عام ١٩١٢م، وبعد رجوعه إلى إسطنبول اشترك في ثلاث (لاتحاد والترقي) لسياسية، ثم قاد انقلاباً في عام ١٩١٣م، وأطاح بالحكومة، وأرجع حربه إلى السلطة، استعاد أدرنة من السعدي في حرب السلطان الثاني، وحكم الدولة بدءاً من ذلك حين وحتى عام ١٩١٨م، إلى جانب طهمت وحيدر فزايي أرمانيه - هزيمة الدولة في الحرب العالمية الأولى، ثم ذهب إلى موسكو عام ١٩١١م حيث أنه جده لروس على تشكيل اتحاد تركي في روسيا، ثم رجع إلى برلين للتخصيص لاستلام رماح القيادة في الأنصول، ولكن الروس يقصو عهودهم، فانضم إلى الثورة بمصداة للشبوعية في بحاري، احتل كواثر لثورة الروسية لعام ١٩١٧م، وطلب إخلاءها من الروس فقصوه في السنة الثالثة، علي حسن، ص ٢٠٣.

برلين، وقد حاول هو و(بازي بك) إحياء دستور ١٨٧٦ الذي وضعه (مدحت باشا)^(١).

وخوفاً من تعقب رجالات السلطان عبد الحميد لنشاط هذه الجماعة فقد اتجهت إلى أوكار المحفل الماسونية في تركيا، وإلى مسار يهود الدومة لعقد اجتماعاتهم السرية بها، كما فتحت السفارات لأجنبية أبوابها داخل تركيا وخارجها لأولئك المتمردين لحمايتهم وتشجيعهم على معارضة السلطان عبد الحميد عن، لإسقاطه وإنهاء حكمه^(٢)

(١) مدحت باشا (١٨٢٢ - ١٨٨٥م) كان والياً على بيش عام ١٨٦٠م، ثم عين والياً على لظومة عام ١٨٦٤م، ثم عين والياً على بغداد عام ١٨٦٩م، ثم عين صدر أعظم (=رئيس وزراء) عام ١٨٧٢م في عهد السلطان عبد العزيز، وتولى الصدرة العظمى مرة أخرى عام ١٨٧٦م في أول عهد لسلطان عبد الحميد يقول السلطان عبد الحميد عن مدحت باشا: «إنه كان فيه ميرة رجل الدولة، وكان يسرع في أداء بعض الأعمال، وتم اختياره في منصب الوالي، ويتصرف وحده الدولة في الأماكن التي عُيِّن فيها وأمكن الإعادة منه ومن خبرته. إلا أن له مجموعة أخطاء فائقة (انظر مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، محمد حرب، ص ٤٥).

وكان مدحت باشا من أبرز الداعين لتأسيس من العرب من أجل نهضة الدولة العثمانية، وكان يرى أنه من الضروري تقليص نفوذ السلطان العثماني، ولي يحدث هذا إلا بإعلان الدستور، وكان الدستور قائماً على مفاهيم أوروبية، وقد رأت العالمية العظمى أن هذا الدستور بدلاً عن الشريعة الإسلامية ورأى السلطان عبد الحميد أن مدحت باشا كان خطراً على الدولة، وكان لمدحت دور كبير في دخول الدولة العثمانية في حرب مع روسيا عام ١٨٧٧م، ومبت الدولة بهزيمة كبيرة خسرت على أثرها كل ممتلكاتها في أوروبا، وقد أدته السلطان عبد الحميد من منصب الصدرة، ونفاه خارج البلاد، ثم عاد مرة أخرى، وولاه على سوريا في الفترة ١٨٧٨ - ١٨٨٠م، وعمل خلال هذه الفترة على استقلال سوريا عن لدولة عثمانية، ثم نقل وياً على إزمير، وقد اتهم مدحت باشا في حادثة مقتل السلطان عبد العزيز، ولجأ إلى بقصية لبريطانيا، إلا أن سلطات إزمير ألقت القصص عليه، وقصت المحكمة بإعدام مدحت باشا إلا أن السلطان عبد الحميد أمر بالاعتفاء بإيعاده إلى الطائف، حتى مات عام ١٨٨٥م (انظر أحمد همد الشواكة، حركة الجماعة الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٣م ص ٢٥-٣١).

(٢) حسان علي حلاق، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية، ط ٢، دار الهدى، =

وفي رسالة بعثها السفير البريطاني في إستانبول إلى وزير خارجيته في آب - ١
أغسطس سنة ١٩١٠م جاء فيها: «إن لجنة الاتحاد والترقي تبدو في تشكيلها،
لداخلي تحالفاً يهودياً تركياً مزدوجاً. فالأثرak يمدونها بتمادة العسكرية
الفاحرة، ويمدوها اليهود بالعقل المدبر، إن اليهود الذين يدون الآن في الموقف
الملهم والمسيطر على الجمهور الداخلي للدولة، يعملون على السيطرة الاقتصادية
والصناعية على تركيا الفتة، ولكي يصل اليهود إلى مكان الممؤذ في تركيا الفتة،
فإنهم يشجعون الاتجاهات القومية التركية»^(١)

وفي تأثير اليهود على (جمعية الاتحاد والترقي) قال (لويس شيخو) في
كتابه (السر المصون في شعبة القرمسون). إن من لوازم تشييع الاتحاد والترقي
للماسونية، قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة، وذلك يقضي بفور الجمعية
الصهيونية في ستمار بلاد فلسطين، الذي يُراد به إعادة ملك سرائيل إلى وطنهم
الأول، وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لكثير من حيرت البلاد^(٢).

استخدم الضباط الانحاديون من وقت لآخر قصور ومنازل يهود الدونمة
لعقد اجتماعاتهم السرية^(٣) كما أن جمعية الاتحاد والترقي جعلت في وزارتها
الحديدة ثلاثة وزراء من يهود، وجعلت في أيديهم نظارة النافعة (الأشغال العامة)
وعلى رأسها (بساريا)، ونظارة الزراعة الذي تولى أموره (سبيه مزيلج) ونظارة
التجارة التي يرأسها (حاويد) بمعنى أنهم يمتلكون يبيع الثروة في البلاد^(٤)

بيروت، ١٩٩٠م، ص ٢٨٧.

(١) سوري العمري أثر الأقنية اليهودية، مرجع سابق، ص ١٢٩ نقلاً عن، حسن مصري
الحولي (دكتور)، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في نصف الأول من
القرن العشرين، المحل الثاني، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠، ص ١٠٩.

(٢) أحمد بوري العمري أثر الأقنية اليهودية، مرجع سابق، ص ١٢٩ كتابه نقلاً عن لويس
شيخو، المرجع السابق، ص ٣٢٩.

(٣) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٤) رشيد رضا المار ١٥٦/٢ - ١٥٧، ١٦ فبراير ١٩١٣م.

وقد ذكر (أرمسترونج) أنَّ أعضاء (الاتحاد والترقي) دأبوا على الاحتماء بحصانة اليهود فكانوا يحتشمون في بيوتهم آمين من كل خطر!^(١)

بعد ذلك بدأت الماسونية في سلايك الاتصال بعاصرها في العواصم الأوروبية، ولا سيما بجماعة (الاتحاد والترقي) التي برزت في المحيط السياسي التركي كقوة مؤثرة.

ويذكر أحد قادة الأتراك المعاصرين للمستطاع عبد الحميد أنَّ لقرار رقم (٧٠) للجمعية الماسونية لفرنسية قد نصَّ على تأسيس جمعية سرية باسم (جون ترك) حيث باشرت نشاطها من سلايك، التي تصبُّ ليهود لأكثر نفوذاً في أوروبا، عدا ذلك كن يوجد هناك المحافل الماسونية الكثيرة تقبُّب التأثيرين فيها، نظراً لكون هذه المحافل تحت حماية السياسة الأوروبية

وقد ولدت (جمعية الاتحاد والترقي) في المحفل الماسوني المسمى (ماكدونيا ريرورتا) الذي أسسه (فره صو اليهودي الدوسي اسلايك) ^(٢) وقبل انتشارهم في سلايك كانت لهم فروع في يافا و القدس، وكان مقر الجمعية في دمشق ^(٣).

(١) هـ س أرمسترونج، الدنث الأعز، مصطفى كمال، در الهلال، القاهرة، يوليو ١٩٥٢م، ص ٢٩.

(٢) محمد رعموت، دور يهود الدوسة، مرجع سابق، ص ٣١.

(٣) نوري العجمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٦١ (فره صو) إسماي الأصل، وهو يهودي من سلايك، وأستاذ أعظم في المحفل الماسوني المعروف بـ (ماكدونيا ريرورتا) أصبح فيما بعد عضواً بارزاً في (جمعية الاتحاد والترقي) فكان أحد أعضاء الوفد الذي نقل إلى عبد الحميد سألحه في ٢٧/٤/١٩٠٩م، وأصبح عضواً في المجلس اسماي العثماني مرة عن سلايك في عام ١٩٠٨م ومرتين عن إستابول (١٩١٢م و ١٩١٤م) من بين ثلاثة نواب لليهود شأن بقية الأعضاء اليهود، وكان حريصاً على أن يكون تركيا بالدرجة الأولى وهذا موقف تنفيذي لليهود الأتراك، عجل في الحرب العالمية الأولى منشأ للإعاشة، واستنصاع أثناء وجوده في هذه الوظيفة أن يجمع أموالاً كثيرة لحسابه الخاص، فضلاً عن ذلك فإن فره صو كان حقة وصلي بين سلايك =

ولم يقتصر الأمر على ذلك الحد، بل قامت المحافل الأوروبية، ولا سيما الفرنسية والإيطالية بتأييد فرقة (الاتحاد والترقي) وليدة (المحفل الماسوني لسلايكي) وتقديم العون المالي والسياسي والإعلامي لأفراد هذه لجمعية تتأثر بشاغلها ضد السلطان عبد الحميد داخل تركيا وخارجها^(١)

اتخذت جمعية الاتحاد والترقي شعار الحرية للمواطنين، والمساواة بين شعوب الدولة. فأشاعت لدعيات ضد السلطان عبد الحميد، ولا تزال كتب التاريخ تبني هذه ادعاءات حتى الآن^(٢)

كان الدعم الأوروبي لنشك الطائفة كبيراً حيث إن عدداً من أعضاء (جمعية الاتحاد والترقي) كانوا من (الدوسمة) ممن عاشوا في المنفى، وكان هؤلاء تلاميذ السياسة الأوروبية الذين كانت تأنيهم بالنسب عدات المالية من الرأسمالية العالمية

= وإستاسول فيما يتعمق بانصلاص (حركة الاتحاد والترقي)

وبعد عام ١٩٠٨ أصبح (قره صو) من ضمن الجناح ليعقوبي (Jalal) للاتحاد والترقي، وكان مقرباً من طلعت باشا.

وقد كشف (لاوتر) في رسالته المطولة إلى هارديع وزير خارجية بريطانيا في ٢٩ ٢/ ١٩١٠م، هذه لحقائق، وقد جاء في قسم منها ما يأتي: أقام (قره صو) وقتل عدة سبوت، وهو من الماسونيين اليهود في سلاييك. ووثب المدينة، واثبت عرفة لتجاره، على إيجاد محفل (مكدوب ريرورت)، وذلك بالنسبة والتعاون مع محافل الماسونية الإيطالية، وقد استطاع (قره صو) شتملة جمعية الاتحاد والترقي، من مديس وعسكريين إلى الانضمام إلى الماسونية، وكان يهدف من وراء ذلك هو فرض اليهود ليهودي على النظام السياسي الجديد في تركيا العثمانية، و(قره صو) هو مسؤول عن تكوين عصبة السبوت والحروب السلفية، وكان يعرف محاولة العسا في حربها على صرب قس بضعة أشهر، وقد بين (قره صو) ذلك لأحد أصحابه، وكان مقتنعاً بقيام حرب عامة في تلك الحقبة، وأن الدولة العثمانية سوف تنال حصتها من ذلك وأخيراً هرب (قره صو) إلى إيطاليا، حيث حصل على لمواطنة، واستقر في تريستا إلى أن مات عام ١٩٣٤م. وقد رثته صحيفة التيمر الإيطالية رثة حراً إثر وفاته (نوري العيمي، اليهود ولدولة لعثمانية، مرجع سابق، ص ١٩٢-١٩٣).

(١) محمد زغروت، مرجع سابق، ص ٣١.

(٢) عبد الله البكري، أحقاد على الإسلام، ص ٣٢.

من فيينا ويودابست وبرلين ولندن وبأريس^(١).

وقد بلغ تدخل لجنة (الاتحاد والترقي) في شؤون الدولة حدّاً كبيراً^(٢) فقد تمادت هذه اللجنة في تدخلها في شؤون الحكومة، حتى استأثرت بالسلطة في كلّ فروعها، ولما استأثرت بها لم تكتف بالانضال عنها، بل لحأت إلى وسائل الإرهاب، حتى أفضت تلك الوسائل إلى ما عُرِيَ إليها من مقتل الصحفي العثماني (حسن فهمي)^(٣) فتحمهر جمعٌ غفير من فئات الشعب والجنود الألبانيين مع بعض الطلاب في الشوارع الرئيسة للعاصمة، و يرددون (الشريعة في خطر) و(نريد حكم الشريعة) وهؤلاء من الذين عارصوا حدوث الثورة على السلطان، فلم يشترك واحد منهم في هتاف للاتحاديين، أو امتداح لعهد الحديد، بل إنهم ألفوا جمعيات مناهضة لجمعية الاتحاد والترقي لا شيء إلا لأنها تضم بينها خيطاً لا ديباً من أتراك ويهود دوسة وروم ومن هذه الجمعيات (جمعية الأحرار) وكان هدفها الاحتفاظ بالدستور، وترك السلطة الفعلية للحكومة والوهاب، وقد تصدّت لجمعية الاتحاد والترقي لإجبارها لوقف توسع نفوذها، وكانت هناك أيضاً (لجمعية المحمدية) برئاسة مراد بك الداعستاني، وكان يسيطر عليها العلماء والعامة.

كان تخطيط يهود الدوسة لإلعاء الخلافة تدريجياً، وذلك حتى لا يألّبوا الرأي العام المسلم ضدهم، وكانت وسائلهم في ذلك هي:

١ - إثارة الأقليات غير المسلمة، مثل إثارة الأرمن ضد السلطان عبد الحميد، بهدف تكوين دولة أرمنية داخل الأناضول

(١) انظر حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٩٧-٢٩٨

(٢) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣٢١.

(٣) المجلة المصرية مقب بتاريخ ٢٥/٤/١٩٠٩م، ص ٥٦، والصحفي (حسن فهمي) كان يعمل ضد سياسة الاتحاديين، يؤيده في ذلك عدد كبير من الشعب وللدلالة على ذلك أنه عندما شُيعت جنازته بلغ عدد المشتركين فيها أكثر من ثلاثين ألفاً، وقيل يومذاك إن إستانبول بأجمعها قامت بتشييع الجثمان، وأظهرت سطحها على انجاة

هذا إلى جانب استغلال الطوائف المسيحية للتمرد على الدولة، مما دفع السلطان إلى القول بأن أنه أكن أدهش لقيام الأرمن بحب الاستقلال، وخاصة بعد معرفة إثارة الدول الكبرى لهم بلا توقف، لكنني أدهش لأن بعض أفراد (تركيا الفتاة) الذين هربوا إلى أوروبا وأصدروا هناك صحفاً صدي، كانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات، الأرمنية، كما أدهش لأنهم كانوا يأخذون منهم أموالاً أيضاً. وكانوا يقولون: بهم يريدون إنقاذ الدولة العثمانية من التمرق، ثم يتعاونون مع الذين يعملون على تفتيت الدولة، ويتعاهدون معهم، ترى هل قيام دولة في بطن الأناضول شاهد على إثبات وظيفتهم؟ .. إنهم لم يهدموا عبد الحميد، هاهم قد هدموا الدولة العثمانية^(١).

وفي الوقت نفسه كان اليهود يقومون بحلق الأكاديب والأضاليل وتزويد الدولة بمعلومات كدبة عن الأرمن، ومن هؤلاء المحامي (قره صو) فكان يقدم عشرات التقارير التي يتهم فيها الأرمن بالتجسس، أو تهريب الأموال إلى الخارج، أو محاولة اغتيال السلطان، وإذا ما حاولت الدولة التحقق من هذه الأمور، كان اليهود يسارعون إلى دفع الرشاوى إلى المحققين من أجل طمس الحقيقة^(٢).

٢ - تمحيذ الحضارة العربية، وتشجيع تغريب تركيا، والبعد عن لمظاهر الإسلامية، في الوقت الذي قام فيه أساتذة اليهود بتلقيش الشك التركي المبادئ والاتجاهات الفكرية الغربية^(٣).

كما أنهم حاولوا إرغام الطلاب الأتراك للانضمام إلى صفوفهم عن صريخ رشوتهم، ومدهم بالأموال، ومن يأبى محاربتهم كانوا يلغفون له التهم بانضمامه إلى الجماعات السرية المناهضة للدولة^(٤).

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار الفقه، دمشق، ط ٤، ١٩٩٨م، ص ١٢٩.

(٢) انظر س. ناجي، المفسدون في الأرض، مرجع سابق، ص ٣١٤.

(٣) أرمسترونج، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٤) انظر س. ناجي، مرجع سابق، ص ٣١٤.

أطاح بحكم السلطان عبد الحميد، وأفسح لمحمد لحكم جمعية الاتحاد والترقي^(١)

ومن أبرز يهود الداخل الذين كان لهم تأثير كبير على الحياة لتركية (موثيز كوهين) الكاتب اليهودي، وكان عضواً أساسياً في جمعية الاتحاد والترقي، وهو الذي دعى إلى ضرورة قيام دولة تركية طورانية، تجمع أثرى العالم في دولة واحدة، وتترىث لسيادة السلطنة العثمانية، ومن يهود الداخل أيضاً برر (أورام غالاتي) و(عمانويل قره صو)^(٢)

ومن أبرز شخصيات الدولة في الحياة السياسية تركية هي

(عمانويل قره صو) وهو عضو اللجنة التي قبلت لسلطان عبد الحميد لجلعه، وكان (قره صو) مسؤول جمعية الاتحاد والترقي، وكان له دوره في نهضة الفرصة لعمل الجمعية الثوري، وهو الذي باع ليبيا لإيطاليا بظير رشوة تنقذه من الإيطاليين^(٣)

محمد جاويد وقد شغل منصب وزير المالية في عهد الاتحاد والترقي أكثر

(١) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٨٣

(٢) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣٢

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، مقدمة، دار القلم، ١٩٩٨ م، ومحمد

حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٨٣، ومحمود ثانت،

لمسألة الشرقية، ص ١٩١، ويعني رصاص بور الذي كان وزيراً هاماً في أول حكومة كمالية

على دور اليهود في إسقاط سلطان عبد الحميد بقوله: لقد أسقطوا السلطان التركي،

وهو رئيس منظمة عظيمة، على يد يهودي حقير جداً، ومع ذلك الذي رد على قاتل، هو أسعد

باشا، ثم أسلوا السلطان معياً إلى سلاسل ليحسوه في سجن ناجر يهودي على يد

آلايس، رصاص بور المجمع الكوبيني، العدد ٥٣٤، ٦/٣٠، ١٩٨١ م، ويقول سلطان

عبد حميد في (مذكراته) عمانويل قره صو الذي كان ضمن لجنة سني ألمعني بقرار

عزلي، كان هذا الرجل ضمن الوفد الذي أُرِدَ عام ١٨٩٨ م شراء المزارع السلطانية

لموجودة في سحر القدس لإقامة وطن يهودي في فلسطين، ولم رفض هذا الاقتراح

صلب الوفد تأجيل العمل لمدة ٩٩ سنة (مذكرات السلطان عبد الحميد)، محمد حرب،

دار القلم، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

من ثلاث مرّات حتى عام ١٩١٨ م^(١) وهو يهودي من الدونمة

نزهت فائق. وهو أحد ورراء مالية هذا العهد.

مصطفى عازف: أحد ورراء داخلية الاتحاد وترفّي من يهود الدونمة

أيضاً.

مصلح الدين عادل. الذي كان مستشاراً لوزارة التعليم التركية، وأحد

أساتذة الحقوق وكان نائباً لوزير التربية^(٢)

في تلك الفترة أوعز اليهود إلى أنصارهم اغتيل محمود شوكت قائد

الانقلاب على السلطان عبد الحميد، الذي اصطدم بهم حيث لم يكن ماسونياً
وسهلوا عملية قتله^(٣).

ومن يهود الدونمة البارزين:

رمزي بك: أحد قواد الجيش وكان ذلك أيام سلطان عبد الحميد،

وأصبح بعد ذلك رئيس مساعد السلطان محمد رشاد.

وأحمد أمين يلمان^(٤): الذي أسس صحيفة (الصباح) عام ١٩٠٧ م، والذي

(١) نوري السمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٨٣

(٢) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٨٣، حسن علي
حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٢.

(٣) س. ناجي، مرجع سابق، ص ٣١٧.

(٤) نوري السمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٦٩. ود (أحمد أمين يلمان) في

سلايك عام ١٨٨٨ م، درس الحقوق، ودرس في جامعة كولومبيا دكتوراه الفلسفة. قام

بتأسيس (صحيفة الصباح) في عام ١٩٠٧ م، وفي عام ١٩٠٨ م أوجد الصحيفة الجديدة

Yeni gazete، وأصبح رئيساً لتحرير صحيفة طين Tanin، وفي عام ١٩١٦ م أصبح رئيساً

لتحرير صحيفة صباح Sabah، وفي السنة الواقعة بين ١٩٢٣ - ١٩٢٥ م أصبح رئيساً

لتحرير صحيفة الوطن، وبعد مرور سنة ترك مهنة الصحافة إلا أنه عاد في عام ١٩٤٠ م

وأسس صحيفة الوطن. قامت جامعة كولومبيا بإصدار مجموعة من كتبه منها على سبيل

المثال (تركيا والحرب العالمية) و(تركيا في أيامي) راجع: Govsa. Ibrahim Alaettin.

Türk Meshurları Ansiklopedisi, S 401 وصف أحمد أمين يلمان في كتابه (تركيا في =

أصبح رئيساً لتحرير صحيفة طنين (Tanin) عام ١٩٠٨م، وفي عام ١٩١٦م أصبح رئيساً لتحرير صحيفتي (صاح) و(الوطن)^(١).

ومن هؤلاء اليهود الذين كان لهم دورهم البارز في الحياة السياسية التركية:

مدحت باشا: وهو من يهود الدونمة الذي كان والياً على بغداد عام ١٨٦٨م، وكان متأثراً بالأفكار الغربية، واستطاع الإطاحة بالسلطان عبد العزيز بالاتفاق مع إنجلترا وألمانيا وفرنسا، وفي عام ١٨٧٧م تبيّن أنّ (مدحت باشا) كان له اتصال بإنجلترا حين كان يعمل صدر أعظم للبلاد، فقام السلطان عبد الحميد بإقالته، واتهم بالحياة لعظمى، وحُكِمَ عليه بالإعدام، إلا أنّ الحكم لم ينفذ نتيجة لتدخل السفراء الأجانب، وتوفي وهو في منفاه في الطائف في الحجاز، واستغلت اليهودية العلمية هذه الحادثة ضد السلطان عبد الحميد^(٢).

■ أبيمي (إستبول صاح ٢٥/٧/١٩٠٨م) إن الصحف التي ظهرت في ٢٥ ثمر - يوليو لم تكن سوى صرخة داوية من الفرح والسرور، وكان أثر ذلك كبيراً وعمدية القلم انتفعت وقد عرّتها هرة الانفعال والحماسة، فامتلات الشوارع بالجمهير المرحّة، وهي تولي الحطّات الثورية عابثتها واهتمّتها، وأحد أسس من مختلف الأجناس والمداهب يعاق أحدهم الآخر ويؤاخيّه (راجع: راورور، المصدر السابق، ص ١٤). قام موطن تركي في كابول النسي - يدير ١٩٥٢م بمحاولة عتيال بلمان، حيث كان يطالب باستمرار إقامة دولة أرمنية في تركيا، فصلاً عن مصائته العرب بأن تستعمر تركيا، وتدير شؤونها استعلت الحرائد ووسائل الإعلام لماسوبية والصحف التي يملكها يهود الدونمة هذه الحادثة، ونتيجة لذلك ظهرت حملة صحفية كبيرة من صحف المعارضة للهجوم على حكومة مدرس، مؤكدة أنها المسؤولة عن هذه الحادثة، حيث أعطت الحرية للرجعيين، واستجابت الحكومة بها، وقامت بعلاقات جميع الجرائد والمجلات الإسلامية، واعتفت جميع الكتاب والمفكرين المسلمين (راجع: بديع الرمان، سعيد النورسي، الإيمان والإيمان، المصدر السابق، ص ٦٢ - ٦٤)، وقد قام لشعر (يرون توفيق) بهجاء بلمان في قصيدة مطعنها (أحمد أمير، دومة بقذف بالغيب أهل الشرف) راجع عبد الحميد، محمد حرب، (يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويدعون المساجد)، مرجع سابق، ص ٤٧.

(١) نوري النعيمي، يهود الدونمة، ص ٦٦ - ٧٦.

(٢) راجع سوري النعيمي، اليهود والدولة العثمانية ص ١١٠٣ وإرنست راورور، مرجع سابق، ص ٤٦.

قام يهود الدونمة بالعمل ضد تركيا تحت أسماء متعددة منها (جمعية الاتحاد ليهودي العالمي) و(المنظمة لصهيونية) و(منظمة رأس المال العالمي وإسرائيل) كما اتجه يهود الدونمة إلى العمل نحو هدفهم في تحقيق فكرة السيطرة على العالم، وفي هذا يتفق كل اليهود^(١).

كان ليهود الدونمة دورهم البارز داخل جمعية الاتحاد والترقي في اعتبار السلطان عبد العزيز، وذلك لأنه كان يفصل الأرمن على اليهود، وكان يعد إيهود عن المركز لحساسية في الدولة، فتَمَرَّو عليه، وأراحوه عن السلطنة، والسلطان عبد العزيز هو حفيد مراد الثاني الذي فتح لهم البلاد على مصراعها عند طلبهم الهجرة إليها^(٢). واستبدلوه بمراد الخامس، ومن بين هؤلاء كان مدحت باشا حاكم ولاية الطونة (الدانوب) اس حاحم هنغاري، وهو الذي أسس المدارس اليهودية في الشرق^(٣). وفي عام ١٩٠٨م هاجر عدد كبير من يهود الدونمة إلى إسطنبول، حيث مارسوا هناك سياسة لصعظ السياسي والاقتصادي على العثمانيين^(٤).

واليهود هم الذين قاموا بحوادث ١٩٠٨م، إذ ثبت تأثير الدونمة (الموتدين) في صفوف الجيش عندما تحفوا في زي لحود، وبدؤوا بتحريضهم للقيام بالثورة^(٥).

كما أن لجنة سلايك قد تكوّنت تحت رعاية ماسوبية بمعاوضة اليهود والدونمة في تركيا، وكان مركزهم في سلايك^(٦).

(١) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٨، إسطنبول، ١٩٧٩م.

(٢) ص. ناجي، مرجع سابق، ص ٣١٣.

(٣) أبو الحدي، البقعة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، دار الاعتصام، القاهرة، بلا، ص ١٢٥.

(٤) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٤.

(٥) حسان علي حلاق، مرجع سابق ص ٣١١؛ نقلاً عن جواد رفعت أنحن في كتابه (الخطر المحيط بالإسلام) الصهيونية وبروتوكولاتها، ص ٧٦.

(٦) كان عدد يهود الدونمة في سلايك عام ١٧٠٠م بضع مئات، وفي أوئل القرن الثامن =

وإن أمثال (قره صو) و(متر سالم) و(ساسون) و(فرحي) و(مازيراح) و(حاويد) وأسرة (بالجي) لعبوا دوراً بارزاً في تنظيم الملحنة، وفي مناقشات جهازها المركزي في سلايك^(١).

وكان السلطان عبد الحميد يعلم حقيقة العلاقة بين يهود لدونمة وجمعية الاتحاد والترقي، ففي ذلك الوقت طلب لسلطان عبد الحميد من حاكم إستانبول (موشي ليهي) أن يكتب له تاريخهم، فقام بكتابة هذا التاريخ، وترجمه إلى اللغة التركية، وقدمه إلى السلطان عبد الحميد، فكان السلطان عبد الحميد يعلم جيداً أسباب هؤلاء اليهود للإطاحة به، إلا أنه لم يتخذ قراراً صدهم^(٢).

عشر كان عدد يهود لدونمة في سلايك سبع حوالي عشرين ألف نسمة، وذلك من خلال وثيقة بريطانية أرسلت إلى القسطنطينية في ٢٩/٣، ١٩١٠م بوري العيمي (يهود لدونمة، مرجع سابق، ص ٢٤)، وفي رواية أخرى بلغ عدد السكان عام ١٩٠٩م (٢٠٠) ألف من يهود لدونمة (انظر حساب علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٨٥).

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٢.

(٢) بوري، يهود لدونمة، مرجع سابق، ص ٧٧؛ نقلاً عن حمزة هادي حسن، ص ١٣١ - ١٣١.

يقول (رفعت أتلحان) إن لشخص الوحيد في تاريخ نثر، الذي عرف حقيقة لصهيونية والناسانية وأصرارهما على الترك والإسلام وكفح معهما مدة طويلة وبصورة حدية لتحديد شروطهما هو السلطان العثماني الرابع وثلاثون (عبد الحميد الثاني) إن هذا سلطان تركي الأعظم كفح هذه المصنعات المحصورة مدة ثلاث وثلاثين سنة بكاء وعزم وإرادة مذهنة جداً كالأبطال ويقول أيضاً: إن الهدف من ثورة ١٩٠٨م هو أن الصهيونيين يريدون تحرير سلطان عبد الحميد من سيطرته وثروته وأملكه سقماً منه عدم إفراح محال له بتقييم صدهم ثابته وتمرردون (لدونمة) كانوا محصرين في سلايك يريدون إزالة عبد الحميد من طريقهم سلبية الحزبهم و(جمعية الاتحاد والترقي) كانت بحاجة إلى دعم "وصيف في كتبه (الإسلام وسو إسرائيل) إن اليهود هم الذين شروط القوصي في داخل اسلاد، ويظنوا لقوة مذهبهم لتتحكم التركي بقصد تحطيم لإمبراطورية العثمانية، وسنحو أعضاء تركية لقناة في الخارج، ويظنوا صغرهم، وأمدوهم بالأموال. كما يظنوا بعضات السلافية في اسلاد" وكتب المحلل الماسوني Machedonia Ristors قد شارك في هذه النشاطات قبل فترة طويلة، فقبل عامين من انقلاب تمور-يوسو، حصل اليهودي (قره صو) =

وكان العثمانيون يعلمون بهذا الأمر، ويعلمون أن مركز ذلك الانقلاب إنما كان في سلاييك، واليهود فيها يتف وسعون ألفاً. بعد أن قام السلطان عبد الحميد بإبعادهم عن إستنبول^(١). وقد استطاعت هذه الحركة استغلال عداة العرب، وبقية القوميات في الدولة العثمانية لحكم السلطان العثماني، بالرغم من أنه لم يكن هناك هدف واحد وقسم مشترك بين المشتركين بالثورة، ولكن تعددت الأهداف بتعدد القوميات، وتعددت المطالب بتعدد لزعومات، ويمكن القول: إنه لم تكن توحد أهداف مشتركة بين الاتحاديين وبين الحركة العربية سوى اشتراكها في كراهية سياسة السلطان عبد الحميد^(٢).

أما عن يهود الدومنة الذين عاشوا في سلاييك. «فقد كان يهود سلاييك يعرفون بأنهم شركاء الثورة التركية الحقيقية وهؤلاء من العرق اليهودي، لكن

على أن عقد اجتماعات (جمعية لاتحاد والترقي) في محله وبهذه الطريقة أصبح أعضاء هذه جمعية من الماسون، في الوقت الذي كان فيه (قره صو) مهيك في تكوس للحار اند حبة للجمعية انظر حساب، مرجع سابق، ص ٣٠٠-٣٠٢

هذا ويمكن القول إن اليهود لعبوا دوراً فعالاً في ثورة ١٩٠٨ م. ويؤكد Seton Watson هذه حقيقة بقوله: إن أصحاب العقول المحركة بثورة الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ م كانوا يهوداً ومن الدومنة. وأما المساعدات المالية فإنما كانت تأتي إليهم عن طريق لدومنة ويهود سلاييك المنموين حساب، ص ٣٠١ وكان العثمانيون يعلمون بهذا الأمر. كان اتحاد معاصراً يحكم السلطان عبد الحميد الثاني، وكان مديراً لثوره لأمن النعم العثماني أثناء الحرب العظمى الأولى، وقد وصى أهداف الحركة لصهيوية أثناء إنشاء الشاهد بصهيوي قبل وبعد ثورة ١٩٠٨ - ١٩٠٩ م. ويعتبر هذا القائد من الذين تعرضوا - فيما بعد - لتهديدات لصهيوية إثر كشفه استار عن كثير من المعلومات التي تتعلق بأطماع اليهود في فلسطين، وحظرهم على لعالم عربي والإسلامي ومن مؤلفاته: إسلام صارت تهيك (الحظر لمحيط للإسلام)، نورث أو على دوشمايك طاسي (أيها التركي، اعرف عدوك)، أسرار لعمانية، كيري دوت (الدوة لحقية)، حسن موسى، ايه ني فيحي، للإسلام وسي إمبرايل، تمرق المصاع لعماني وغيرها. وكان يصدر جريدة استقلال (المستقل) وجريدة بالبحيرة باسم United Is am

Natlos) انظر حساب علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣٠١

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١١.

(٢) جريدة بشارق، عدد ٨، اب - أغسطس ١٩١١، ص ٦١٧.

معتقدهم قد لا يكون يهودياً أصيلاً، والاعتقاد الشائع بين الناس هو أنهم مسلمون بالاسم، أما لفعل فهم من أتباع توراة موسى^(١)

وفي تلك الفترة التي نحر تصدهد لم يعرف أحد من الناس شيئاً عنهم سوى فئة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى، ولم يكن أحد من الناس يحرز أن ينشأ أن هذه طائفة يهودية المغمورة لمسممة (الدونمة) ستعقب دوراً رئيساً في ثورة كان لها نتائج خطيرة في سير التاريخ^(٢)

من هنا نستطيع القول أن حركة (سائاتي رفي) كانت حركة سياسية وحركة دينية، وذلك لأن سائاتي كان أول صهيوي يبشر بعودة بني إسرائيل إلى فلسطين.

تأثير يهود الدونمة على الفكر التركي المسلم:

كان ليهود الدونمة تأثيرهم القوي على الفكر التركي المسلم، فقد قام هؤلاء ليهود بتوجيه الرأي العام التركي، وعلى الأخص المسلم منه إلى تشجيع تغريب تركيا، ولبعد عن مظاهر الإسلامية، واتجهوا إلى تنفيذ الشباب بمبادئ الفكرية الغربية، مع تمجيد حصارة لعرب^(٣)

هذا إلى جانب دعوة إلى سفور المرأة، حتى به أشاء دحون لدولة العثمانية احرب لعلمية الأولى وهي البنية التي أعرق فيها لأعداء عدّة سف حربية عثمانية، أراد يهود الدونمة تنظيم حملة على أحد المسارح أو دوا أن يعسوا فيها العداء للحجاب، وكان من المقرر أن تقوم النساء بتريق الحجاب على خشبة المسرح، لكن الحكومة في ذلك الوقت منعت هذه الحملة، وعلى الرغم من عدم تقديم العرض إلا أن هذه الأفكار كانت مقدمة طبيعية لقيام الثورة التي قادها (كمال أتاتورك) ضد لإسلام، وصد الحجاب وتثريث البلاد متشرباً من أفكار واتجاهات هؤلاء اليهود^(٣).

(١) رين سور دين رين، نشوء تقوية العربة مع دراسة تاريخية في علاقات عربية التركية، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) محمد زغروت، مرجع سابق، ص ٢٣-٣٥.

(٣) محمد حرب، عثمانيون في التاريخ والحصارة، مرجع سابق، ص ٨٢، نوري لمعني يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٥١.

وفي سبيل تشبه بالعرب فإن مسابقات ملكات جمال التي تشترك فيها تركيا كانت من تنظيم جريدتي (ميللت) و(كون أيدن) اللتين يمتنكهما يهود الدونمة^(١)

(١) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٢٨٢ وعن هذه المسابقة كتب الدكتور محمد حرب أستاذ التاريخ التركي بجامعة عين شمس بالقاهرة والمتخصص في الشؤون التركية في مقالته ترجم إلى التركية، وصدر في آب أغسطس ١٩٩١م تحت عنوان (كيف أفسد العرب شباب المسلمين؟) بقول العقول قال أحد المتحدثين في الهيئة العامة لاتحاد الكتاب في فرانكفورت المرأة المسلمة تشغل في الإسلام مكانة هامة، وعندما سلمت المرأة المسلمة قلبها وعقلها وجسدها للإسلام في ذلك الوقت تمكن المسلمون من إقامة دولهم الكبرى في التاريخ، أما عندما ذهبت المرأة المسلمة إلى الدنيا وإلى نفسها أصبحت الدول الإسلامية خاصة للعرب خضوع لعبد المرأة المسلمة شكلت في الماضي الحظر الأكبر ضد العرب، وستكون كذلك عندما تعود إلى الإسلام مرة أخرى، وطريق القضاء على المسلمين لا بد أن يمر بالمرأة المسلمة قال (نمباني ميشيل) وزير خارجية إيطاليا في ١٩/١٢ ١٩٨٩م، وكان وقتها رئيساً للمجلس الأوروبي إن الشباب المسلم في شمال أفريقيا وخاصة في الجزائر يتجه بسرعة منحوطة إلى السلوكيات الإسلامية، وإلى أخلاق لإسلام، وإلى الحجاب، وإلى الصلاة، وهذا يعني أن أوروبا محاصرة إسلامياً من الجنوب، ولأنه من إيمان معقول لهذه الإسلامية في شمال أفريقيا توجيه الشباب هناك إلى وجهات غير دينية، وتشجيع هذا الشباب على تنسي نمط الغربي في لسلوك وحبابة عن طرق عدة أهمها المسلسلات التلفزيونية. ولأنه من تخصيص ثلاثة عشر مليار دولار لهذا المشروع

وفي مقال حرب يدعى محمد حرب بعنوان (نوعي الإسلام في تركيا) جاء به

«الغرب ينصب تركيا ملكة لجمال العالم»:

في رسالة من أحد شخصيات قوية السلطة التركية المتديعة، والتي يرقف فيها مولانا جلال الدين الرومي وأستاذه شمس تبريزي نشرت في ١٩ ١٢ ١٩٨٩م جاء فيها أن جريدة (جمهوريت) كبرى الصحف التركية الداعية للتعريب في تركيا نظمت عام ١٩٣٢م مسابقة لاختيار ملكة جمال تركيا. بجعت فيها فتاة تركيا ندهي (كريماني حالي) ذهبت كريماني إلى ملحقها للاشتراك في المسابقة الدولية لاختيار ملكة جمال العالم، وبدون الرجوع إلى لجنة التحكيم، تقدم رئيس اللجنة في حركة مفاجئة بعد استمر ص كل ملكات جمال العالم إلى المسابقة، ليقرر نجاح وفوز (كريماني حالي) بنصب ملكة جمال العالم التي اشتركت فيها (٢٨) دولة قال رئيس اللجنة في كلمته أيتها لسانة =

أعضاء اللجنة! إن أوروبا كلها تحتل اليوم بانتصار الصراية، لقد انتهى الإسلام الذي ظلّ يسيطر على العالم منذ ١٤٠٠ سنة إن (كريماني خالص) ملكة جمال تركيا تمثل أمامنا المرأة المسلمة، تلك المرأة التي لم تكن تخرج إلى شارع، وإنما كنت ترى الناس من وراء المشربيات، ها هي كريماني خالص حميدة هذه المرأة المسلمة المحافظة بينما الآن بالمابوه، ولأنّ من الاعتراف بأنّ هذه الفتاة هي نتاج انتصارنا، منحناها مدكّة جمال العالم، وقد يكون بين المشتركات من هي أحمل منها، وقد لا يكون، هذا لا يضيرنا، إنما في هذا العام بالذات لا نختار ملكة جمال للعالم بقدر ما نحتفل بانتصار النصرانية على الإسلام.

دات يوم من أيام التاريخ ارفع السلطان العثماني (سليمان القانوني) من من الرقص الذي ظهر في فرنسا عندما حاورت الدولة العثمانية حدود فرنسا، فتدخل السلطان لإيقاف الرقص خشية أن يسري في بلاده ها هي حميدة لسلطان العثماني المسلم تقف بيننا، ولا ترنّدي عبر المابوه، تطلب منا أن نبحث بها، ونحن نعين لها بالتالي أنا أعرضا بها، وقد انسافت إليها، إنما اليوم نختار ملكة جمال تركيا ملكة جمال العالم مع كل تمسياتنا بأن يكون مستقبل الفتيات لمسلمات يسير خست ما يريد، فنترفع الأقداح تكريماً لانتصار أوروبا (محمد حرب، خوطر هاند من إسطنبول، حريدة لأحر، ١٥/١١/١٩٩٦م مقال بعنوان (الوعي الإسلامي في تركيا)

كانت محلة (سبل الرشاد) قد نشرت في عددها الصادر في ١٨ ٢ ١٩٩٩م ترى أن (الدومة) يسعون إلى هتك حجاب المرأة المسلمة، فيقول الكاتب مؤيداً المرأة المسلمة التي تحافظ على شرفها معارصاً لأفكار المخزنة أيتها المرأة المسلمة! ما أكثر أهدك، إن عفتك وعصمتك قد أصحنا شوكة في أعين فاقدي هائب العنمين، لديك فهم لا يتوقفون لحظة عن نهجهم عليك، بارك الله فيك، بما أمّنت من يسانة لينك عرفت كم من المؤمرات يدنّون لهدمك، وكم من القوى والأسوال يدنونها، لن يستقيموا معالمة الإسلام طامناً عتصمت برداء عفتك، ونفت مثلاً حياً لشعائر لإسلام، إنهم يريدون إزالة الحياء من وجهك، وتمريق حجابك، وقصع الروابط بين أهدك لذلك فهم يلبسون لك الدتور، يبحثون عن لمعية والذوق والجمال، ويصمون لك أمثلة من القرن العشرين فمن هؤلاء من هو فاقد لدينه، ومنهم من هو مفتقر للعفة والحياء، ومنهم من تقطعت صلته بأهله وأسرته من الطبيعي أن يناصوك هؤلاء العدة، لأنهم غرءاء عن محنتك، يحتلّ نوارهم بصمودك، فينشون عن سبل لراحة منك، ولن يتأني لهم هذا إلا بجعلك تشبهين بهم.

أيتها المرأة المسلمة المسكنة! تحطّين ونظّين أن كل من يحمل سماً مسلماً هو

كما تولت أجهزة الدعاية التي يمتلكها الدونمة إصدار الكتب والرسائل والمقالات لمهاجمة الحجاب. وتجمع كثير من الكتب لملحددين ولقوميين حول (المجلة الجديدة) أو (بني مجموعة) وأفاصوا في الكتلة عن مساوئ الحجاب، وأنه يس من الإسلام، وإنما انتقل من الروم إلى المسلمين. فله يكتفوا بمهاجمة الحجاب، وإنما وجدوها فرصة للمهجوم على شعائر الإسلام^(١)

= مسلم. فما أكثر المافقيين منهم وما أكثر اللاسطين. وما أكثر من يحمل في طيات قلبه ديباً آخر، إبهم يظهرون الإسلام حتى يضمنوا بقاءهم بين المسلمين، ويحصلوا به على مكاسب ضخمة، يلقبون أولادهم أنقياً إسلامية. وليست لهم أية علاقة بالإسلام، بل ملأت قلوبهم الأحقاد، يتحدون كافة التدابير الخفية لهدم الشعائر الإسلامية فإن وجدوا فرصة سانحة انتقموا من الإسلام. وفعلوا كل شيء من شأنه إفساد الحياة الاجتماعية الإسلامية انظر مصطفى طوران، مرجع سابق، ص ٤٤-٤٥

(١) نظر محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٠. وقد حملت مجلة (اختهاد) حملة شعواء على الدين الإسلامي ومحاربة أسس منه، ووصفه بأنه دين محلف عن ركبه انقصر وأحد (الدونمة) يروحوون (الموضة) بين النساء، ويكثرون من زينة المحاصرات العامة، وعن طريقها يتيحون فرصة للاختلاط بين شاب وشابات وكان للدونمة نصيب وثيق بالتحولات لعبها في حكومة (الاتحاد والشرق) وسي حلت محل السلطان عبد الحميد الثاني بعد خلعهم، وعن طريق هذه نصبة كانوا يصعدون بقرارات بإغلاق كل صحيفة معارضة لهم، وكل صحيفة يصدر فيها مقاد صدهم

وسار (سداد سماوي) على لحظ نفسه بمهاجمة الحجاب في جريدة (حرب) وكثير من صحف والمجلات التي أسسها، ومنها مجلة (يحيى) وهي مجلة سائبة واشتركت مجلة (بيوت مجموعة) في الحملة الكبيرة في هذه الحملات التي أدرها بدونمة وهذه المجلة لأخيرة أصدرها (كريب سرتل)، وتولت روحه (صاحبة سرتل) وهي من (الدونمة) إصدار هذه المجلة بعد أن شجن زوجها.

نقول المصادر الإسلامية إن زكريا هذا كان يصدر جريدة (المسفة الجديدة) وكان شاعراً مثقفاً ثقافة عربية ومشهوراً وندك سهل له (الدونمة) نروح بهذه الفتنة، لكي يكون لعبة في أيديهم وقد حرم تعرضهم ولأح تكبير لصاحبة كان محامياً يدعى (خلال دروش) وهو دومي، وكان مموياً ينتمي إلى محفل (حاجة) وكان لمتحدث باسم هذا المحفل وهذا المحفل المسؤولي هو الذي أسس (جمعية حماية لأطفال) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤١-٤٢.

وتصدت مجلة (سبيل الرشاد) لهؤلاء الدونمة رداً على دعوتهم لاختلاط
الشبان بالشابات، ودعوة المرأة إلى السفور^(١).

وفي سبيل مصي (الدونمة) في سياستهم التخريبية في البلاد، قام يهود
الدونمة بإشياء مدرستين خاصتين بإستاسول، وهما: (ثابوية الفيضية) و(ثابوية
الترقي) وذلك لتلقين أبنائهم فكرهم، وحتى لا يضطروا لإرسالهم إلى المدارس
التركية^(٢).

وفي الوقت الذي أعقب الحرب العالمية الأولى دعا الدونمة عن طريق
صحفهم ومجلاتهم بحرارة للاحتلاط بين الطلبة والطالبات في الجامعة وكذلك
بذلك يهدفون إلى منع ظهور شباب جيد، يخدم الإسلام من المحسنين من الذين
يريدون أن يحصلوا تحصيلاً عالياً.

وقد انحرف لحملة الدونمة التي تدعو للاحتلاط بين طلبة وطلبات
الجامعة بعض المثقفين الأتراك، الذين تأثروا بالفكر العربي، وهؤلاء لم يكونوا
في ذلك الوقت على وعي بما يجري حولهم، ويدتر ضد دولتهم من مؤامرات
وسعة لطاق هؤلاء الأتراك أغلوا القومية فوق الدين، وانتموا حول مفكر قومية
التركية وفيلسوفها (صب كوك آت) في (المحلة الحديدية) و(صب كوك آت) كردي
العرق^(٣)، وتلميذ لدور كايم المفكر اليهودي الفرنسي، كما نجمع بعض شباب

(١) مصطفى طوران، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٦ - ٤٧، نقلاً عن مجلة (سبيل
لرشاد) في مقال بعنوان جاء فيه: (التدريس المحظ في الجامعة) في عدده رقم ٤٠٦
الصادر بتاريخ ٤/٣٠ ١٩١٩ م جاء فيه: إن الذين شهدوا مدفعهم في لهجهم على
دين هذا البلد ومقدراته، جمعوا هدفهم في الأغوم الأخيرة إلى من حجاب المرأة
المسلمة، لإحداث فوضى اجتماعية في هذا المجتمع وفي السنوات الست الأخيرة
عمل أسس مجهولوا مذهب، مدفون، ليست بهم أية علاقة بالإسلام، على وجه
أنفسهم معصون لمصير الحق، بعينه إحداث تعبير عائلي في البلاد، وإشاعه مدحشة بين
المؤمنين، وبدون كل جهد ممكن في سبيل الإسراع في حراب هذا الوطن، انظر في هذا
أيضاً محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٩.

(٢) مصطفى طوران، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٥٤.

(٣) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٩.

الأترك السذج حول (عبد الله جودت) صاحب حريدة (احتشاد) وعبد الله جودت رجل معروف بالحاده^(١).

واستغل الدونمة بتأثيرهم الإعلامي هؤلاء الشباب في ذكاء مسألة الاختلاط والدعاية لها، وكانوا هم القدوة لبقية المسلمين الأترك^(٢).

وقد استطاعت لحركة الصهيونية مع المحافل الماسونية منسقة النشاط سياسي لتحقيق المشروع الصهيوني باستيطان فلسطين وكان يهود الدونمة يشكلون اللجنة الأولى لتنفيذ المحطات الصهيونية - الدولية - الماسونية^(٣).

علاقة الدونمة بكمال أتاتورك:

أكد بعض يهود سالوبيث أن كمال أتاتورك كان أصله من الدونمة، وقد حثت كثيرون في نسبه، إلا أن الحكومة تركية أنكرت انتسابه لليهود لدونمة، وهناك رواية تقول: إن (حاوید بك) و(كمال أتاتورك) كانوا من أعضاء الدونمة لنشيطين وكانت تصل للمحافل الماسونية أموال طائلة من قبل حاوید بك، لذي كان يشغل منصب أمين صندوق جمعية الاتحاد والترقي^(٤).

كان المحفل الماسوني هو مكان اجتماع جمعية الاتحاد والترقي، وكان أتاتورك يلتقي هناك بأعضاء هذه الجمعية^(٥).

ويعزو يهود الدونمة قوتهم بانتساب أتاتورك لهم بأن ميلاد كمال أتاتورك كان في مدينة سلاييك ترك، وقضى سنوات دراسته في كتاب شمس أهدي^(٦).

(١) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٣٨-٣٩.

(٢) مرجع سابق، ص ٣٩-٤١، نقلاً عن محله (مسبل برشد) (سلامية في هجومها على الدولة ووجهتهم بين الأترك المسلمين القوميين ولأترك المنحدين، في عدد هارقم ٤٠٦، الصادر في ٣٠/٤/١٩١٩ م.

(٣) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ٢٩٢.

(٤) نوري، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٨٧.

(٥) المرجع السابق، ص ٩٠.

(٦) د. شمس أهدي عام ١٨٥٢ م، من أسرة ساداتية الأصل، عمل مدرساً في المدرسة

وتقول المصادر إن أول مدرسة تحمل صفة التعليم بالحديد كانت مدرسة شمس أفندي لتي أسست عام ١٨٧٢م في حي (صري باشا) في تكية (جار شمة). وكانت كل علومها عربية، درس أتاتورك في الفترة لتي كان أساتاتيون هم لذين يدرسون فيها، وكان شمس أفندي هو أول مدرس لكمال أتاتورك واحتل مكاناً في كتاب أتاتورك^(١) وشمس أفندي هو أحد كبار الفلاسفة اليهود اساتاتيين في القرن التاسع عشر^(٢).

قضى شمس أفندي جزءاً كبيراً من حياته في دراسته بتمود^(٣). وكان يدرس للشباب قواعد ومبادئ الدين الساتاني، وكان يهدف إلى توحيد جماعتي القره قاش والقانحلي، إلا أن كل جماعة كانت لها أهدافها الخاصة، لد فقد فشل في تحقيق أهدافه، ومن أسباب هذا الفشل هو رعة الشك في لاحتلاط بالأتراك^(٤).

هذا وتقول بعض المصادر إن أتاتورك كان ماسونياً، لتلقيه تعليمه في المدرسة اليهودية، وأن محفنه هو مقدونية روزورت (Macedonia Risorta Veritas) كما أن لوحة أتاتورك لتي أقامها اليهود تظهر أنه من أكر الماسونيين في العالم، وقد نشرت هذه اللوحة بإحدى الصحف التركية^(٥). ولم تصدر

الأحبة في سلايت كان يدرس فيها لعرية والفرسية ولروسية، وفتح مدرسته بمساعدة من أعضاء جماعة نقانحلي الساتانيين، وشمس أفندي من أعضاء نقانحلي

(١) قسم شمس أفندي أستاذ التصوف اليهودي العهد المسيحي في رسالة كتبها لسبعة الاتينية إلى ثلاثة عصور رئيسة العهد الأول هو العهد الذي بشر بمحيي المسيح، وقد تحقق على يد (محقق لوري) العهد الثاني هو الذي سيرب فيه المسيح على وجه الأرض في صورة إسان يؤمن بالله ويجمع حو به جماعة له، وقد حقق هذا (سباتي رمي) والعهد الثالث هو الذي سياتي فيه المسيح مرة أخرى، وأن هذا سينحقق عام ٦٠٠٠م، واليهود المتصوفون جميعاً يسفرون محيي المسيح عام ٦٠٠٠م واسر في ذلك هو أن الله خلق الدنيا على ستة أيام، كل يوم يقدر بألف سنة 119 a g c p 119 Ilgaz Zorlu

(٢) Ilgaz Zorlu, a g c s, 19

(٣) Ilgaz Zorlu a g c s 21

(٤) Ilgaz Zorlu, a g c s 20

(٥) كما بشر لبيقي أبو عسل صورة أتاتورك في كتابه (يقطة العسم اليهودي) مع صورة هرتز لما لأتاتورك من أيد بيضاء على اليهود!! (اساشر)

الدولة أيّ اعتراض عليها^(١).

كما أنّ هناك زعماء أيضاً جاء على صفحات المجلات الإيطالية أنّ أتاتورك واصل حياته حتى وفاته كماسوي نشط، وأنّه كان مستحقاً في محفل (مقدونيا ريزورنا)^(٢).

كما زعم بعض الكتاب عن انتساب أتاتورك إلى الماسونية بقوله: «هذه حقيقة تاريخية، وإنّ الماسونيين يتباهون كون أحدهم مثل أتاتورك ماسوياً»^(٣)

لكنّ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن كوتشوك ردّ على هذه المعلومات في كتبه عن (الدونمة) قائلًا: إن انتساب كمال أتاتورك لدونمة هو زعم ادّعته الموسوعة اليهودية، وهو يرجع لعدة أسباب هي:

١ - أن الدونمة كانوا يشكّلون أغلبية في سلاييك، وكان ينظر لكل مواليد سالونيك أنهم دونمة.

٢ - المدرسة التي درس فيها كمال أتاتورك تأسست من قبل الدونمة، وهو كتب شمس أفندي، وقد تربى فيه أكثر أقطاب الدونمة

٣ - رغبة الدونمة في كسب مشروعية مثل الماسونية عن طريق انتساب الرجال المشهورين إليها.

ويؤكد كوتشوك عبد تقيّمه لهذه الحالات ثلاث، أنّه كما كان يوجد دونمة في سلاييك، فقد كان يوجد أتراك مسمون فيها، وهذا لا يعني أنّ كلّ سلايكي من يهود الدونمة.

وأكد أيضاً أنّ ستمرر كمال أتاتورك في المدرسة التي فتحها الدونمة

(١) ذكر الكاتب أحمد قازقلي أنّه عقد اجتماع في الجمعية الماسونية به مورع في هذا الاجتماع عرضت هذه النسخة المذكورة، وقد نشرت صورة هذه اللوحة جريدة ترجمان في ١٢/١١/١٩٨٨ م.

(٢) جاء هذا الكلام في المجلة الماسونية الإيطالية Revista Macedonia في عدده الصادر في كانون الثاني -يناير ١٩٧٣ م.

(٣) نوري، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٩٨-٩٩.

لا تعني أنه من الدوسمة، فهناك العديد من مدارس الأقليات يتعلم فيها أطفال
الترك.

والرد على هذه التهمة اليهودية هو أن الدوسمة تسعى لكسب أتاتورك في
صفتهم، ونحن نرى أنه ليس منهم، ولو كان منهم لما سمح بعوده حاوياً
كما أنه لم يكن يقوم بعلاقات جماعيات الماسون^(١)

وفي سبيل علاقة اليهود بأتاتورك يجدر بنا أن نذكر أنه فتح أبواب تركيا
ليهود، واستعان بهم في تنظيم الجامعة التركية يقول المؤرخ اليهودي يني
ليني أبو عسل «أظهر دولة تركيا وسطها العظيم، عاري مصطنعاً كش كمال عمر
قليل من سخوة والمروءة، وممقو لغو طف، وسعة الصدر نحو بعض من علماء
اليهود الذين نذتهم لمصائب، وقد استعان بهم هذا المصلح الكبير لتنظيم الجامعة
التركية على الأساليب العلمية العصرية، وقيل مشروع انعالي شهير (فيبيت
سوارتس) الذي يرقى إلى إنشاء معقل عظيم للعنوة فيها، واستدعى ما سيف عن
أربعين أستاذاً من هؤلاء اليهود، لتوسيع نطاق تلك الجامعة، من بينهم الاقتصادي
شهير الأستاذ (ريك) الذي كانت له مكانة عظيمة في كلية (ماربورج)»

كما كان عدد كبير من المحبطين بأتاتورك من الماسونيين، وفي عام
١٩٣٥م صدر بيان من قبل الحكومة التركية يوقف نشاط المحافظين الماسونية (من
الناحية العلمية) وتذكر بعض المصادر أن هذا البيان كان خطوة تصريبية من قبل
أتاتورك^(٢)

ومن ناحية أخرى فقد شجع يهود خطوات أتاتورك التي تحدهم نحو فصل
الدين عن الدولة فحيماً قال «نحن الآن في القرن العشرين لا نستطيع أن نسير
وراء كتب تشريع عن النبي والرسول» صنفق له يهود الدوسمة، ورددو مع شاعرهم
(فاروق نافد) قائلين:

«لا نسلح لبلاد لأبيدي مصطفى كمال، لأمية، وترك الكعبة للعرب».

(١) Abdurrahman Kucuk, s. 465, 466.

(٢) انظر صاحب رهر الدين، اليهود في تركيا، مرجع سابق، ص ٣١

واعتبره اليهود والماسون قائد الثورة الثقافية التي استبدلت الحروف العربية باللاتينية واعتبرها إصلاحات جذرية في تاريخ تركيا

وكن كمال أتاتورك بسنتين ثلاثة أشخاص في أموره، ويتلقون أوامره وهم: عصمت، وفوري باشا، وضب صفوت، لسكرتير العام لحزب الشعب، وكان يهودياً.

ومنذ أوجد أتاتورك مسابقة ملكة الجمال في تركيا تسمى يهود الدومعة فكرة مسابقة ملكة جمال تركيا حتى يومنا هذا^(١).

ومن الجدير بالذكر أن اسم (مشرق أعظم عثماني) قد تحول عام ١٩٢٦م إلى (الجمعية التركية العليا) وذلك وقت إغلاق أتاتورك للرواب والتكيا في الدولة^(٢).

والماسونيون يعظمون أتاتورك، ويمدونه (عظيم عظمائهم) ويوظفون على زيارة صريحه، وقد كتب رئيس محفل الماسونيين الأتراك (حاج ريش) في الذكرى السبعين لقيام الجمهورية التركية إهداءً إلى أتاتورك يقول فيه «أيا أتاتورك يا علة وجودنا في الذكرى السبعين لجمهورية العلمانية، أثرك بغيره، أتينا كماسونيين أثرك بعيشون معك كل يوم، ونكرر اليوم أبداً - مهما كانت الظروف - لن نحيد عن مبادئك. إن الحفاظ بأرواحنا على نور إلهي أشعثته، وحمله إلى المستقبل، سيكون المهمة المندسة لنا جميعاً، مع احترامات لأكثر عمقاً»^(٣).

ويشير أحد الباحثين إلى أن اليهود الذين هاجروا من تركيا إلى إسرائيل أقاموا نصباً تذكاريّاً على الخط بين تل أبيب وحيفا، وكتبوا عليه بالتركية والعبرية (غاية أتاتورك)^(٤).

(١) انظر محمد حسين الطوسي، الحركة الكمالية والعلمانية في تركيا، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص ٣٣٠-٣٣٢.

(٢) انظر صالح زهر، مرجع سابق، ص ٣١.

(٣) شؤون تركيا العدد ١١، ربيع ١٩٩٤م، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، إعداد محمد تور الدين، ص ٣١.

(٤) ميشال نوفل وآخرون، العرب والأتراك في عالم متغير ١٩٥٠، مركز الدراسات

وقد شكل قادة (الاتحاد والترقي) فكرة الطورانية ومبادئها لمسوية من
الدونمة، وكان من أهم أهدافها محاربة الأديان، وبث روح 'الاحاديث الشعوب،
وكانت تمول من قبل اليهود^(١).

وقد يكب اليهود في تركي بتسليط بريطانيا عليها أثناء الحرب العالمية
الأولى، وكادت بريطانيا تعقد الصلح مع تركيا أثناءها، ولكن اليهود عطلوه
برعاية (وايرمن) رئيس إسرائيل - كما ذكر وايرمن في مذكراته - أن بعض النساء
هم الذين حاولوا دون الصلح بينهما، حتى تحرب تركي، وتحلّ خلافتهما، وتمتد
حاجة بريطانيا بشدة إلى اليهود.

كما كان لهم نصيب كبير في إلغاء الخلافة لأنّ لليهود ولا سبباً
(الدونمة) في سلايك وغيرها - وهم يهود يتظاهرون بالإسلام - هم الدعون إلى
الجامعة الطورانية للتحقق من الإسلام وصلة لترك بالعرب^(٢)

الاستراتيجية والبحوث، بيروت، ١٩٩٣م.

- (١) واستراتيجية هي الفكر القومي التركي، وهي حركة ترك تهدف إلى تزيث الدولة عثمانية
بما فيها من عناصر غير ترك، واشتقت كلمة الطورانية من طوران، موطن مقدس لتركيا،
الذين كانوا يعيشون في منطقة حوضي شرقي إيران، وقد تأسست في تركيا العديد من
الجمعيات من أجل نشر فكرة الطورانية، وندعوه لاحتضان اللغة التركية من مفرداتها
العربية، وقد قامت هذه الحركة بهدف بناء مجتمع حديث، وتؤكد بمصادر أن هذه
الحركة حركة أجنبية وليست تركية، فتقول دائرة المعارف أنه يفترض أن نشأ الطورانية
مستوحاة من الأوروبيين، أدخلها الصهيونيون على الإمبراطورية عثمانية، وكان معظم
قادة الاتحاد والترقي من المدسوس الطورانيين، وكانوا يهدفون إلى قيام وحدة قومية
ترك مدنية عن 'الوحدة الإسلامية، وكان من أبرز دعاة الطورانية (نكس آب) وسمي
(أسيرت كوهين) الذي وضع نظرية تهدف إلى تحول لاقتصاد عثماني بعد الحرب
معالم الأولى إلى الاعتماد على الأموال اليهودية، إلى جانب الاعتماد على لشخصيات
ليهودية لإدارة الاقتصاد عثماني (انظر صالحي زهر الدين، اليهود في تركي ودورهم في
قدم الحلف التركي الإسرائيلي، بدار لوطية للدراسات وشرع واستشرع، كفر سرح،
١٩٩٨م، من ص ٣٨ - ٥٥ - نقلاً عن الموسوعة الفلسفية العربية م ٢، في ٢، ص ٨٢٩ -
٨٣٠، وكذلك موسوعة السياسية (المؤسسة العربية للدراسات وشرع) بيروت
١٩٧٤م ص ١٣٦٣ وأيضاً تاريخ العرب لعليّ حنّ، ص ٥٣٨)
- (٢) نوري، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٩٣.

تأثير الدونمة في الأدب التركي:

من أبرز وجوه لأدب التركي المعاصر كانت الداعية النشطة لظهورية والنقومية المتعصبة (خالدة أديب) حيث تزوجت هذه السيدة من (الكبة الأمريكية) في إستانبول عام ١٩٠١م وتزوجت مرتين، الأولى من مدرستها في الرياضيات (صالح ركي) والثانية من (عبد الحق عدنان بك) ورثت من البلاد الإسلامية كلاً من مصر والهند وسوريا وعملت أستاذة للأدب العربية في جامعة إستانبول عام ١٩١٨/١٩١٩م تعاونت هذه السيدة مع (جمعية الاتحاد والترقي)، واحتلت مكاناً بارزاً في عهدهم، وكانت لها تأثيرها الكبير على رحلات الاتحاد والترقي^(١).

كتبت (خالدة أديب) رويتها المشهورة (طوران جديدة) عام ١٩١٦م لتعبر عن الأيديولوجية الظورية، ثم أصبحت للكماليين. وصارت من أبرز شخصياتهم، وكتبت روايتها (اصربوا لعدية)^(٢)

كانت خالدة على صلة شخصية بـ (جمال باشا) أحد قادة (الاتحاد والترقي) المشهورين وحاكم سوريا المعروف، وأيضاً كانت على صلة شخصية بمصطفى كمال باشا قائد الحركة الكمالية لكنها احتفت معه، وهربت من تركيا^(٣)

وقد احتفت الباحثون عن أصل (خالدة أديب) فمنهم من يقول إنها ترجع إلى أصل يهودي، وإنها من لدونمة، ومنهم من لم يقل هذا، لكنهم اتفقوا على أنها صهيونية الهدف، وعنصرية الفكر^(٤).

يصف الكاتب (خالدة أديب) أنها (حار دارك الأثر) وقد علها كتب إنجليري: "الكي يستطيع الإنسان أن يقابل في أوروبا سائبة مثقفة مفكرة مثل (خالدة أديب) فعليه أن يبحث جيداً ويبحث كثيراً"

(١) صالح زهر الدين، اليهود في تركيا، مرجع سابق، ص ٥١

(٢) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٤-٤٥.

(٤) صالح زهر الدين، مرجع سابق، ص ٥١.

وقال عنها كاتب تركي معاصر: «إن (خالدة أديب) تكتب بمفهوم القومية الإنسانية».

وتقول (خالدة أديب) في روايتها (طوران) «أيتها المنطقة البديعة! يا طوران الجديدة! حدثنا عن الطريق إليث».

وخالدة أديب تنميدة فيلسوف القومية التركية (ضرب كوك آب) وكما ذكرنا من قبل من ضيا كوك آب هو تلميذ المعسكر اليهودي (دور كايم).

تقول خالدة أديب: «إن لذهنية الشرقية تسنت في إصفاء نوع من القدرة الإلهية على الحكم، وأفسحت الطريق لفقر الأكثرية أمام عظمة وغنى أشخاص قليلين، وأكر وصف للعرب أنه يعتنق فكرة القانون والقدوس في الشرق يأتي من الله، والقداسون في الغرب من وضع الإنسان والنضال والحركة يشكلان سب الحياة في الذهنية الغربية».

لقبت خالدة بقب (أم الملة) (ميدلت آداسي) وقد عُرفت أيضاً باسم (رسول الطورانية)^(١).

أما أبلغ حديث عن خالدة أديب جاء على لسان لمفكرة المسجمة لسيدة (مور عياشلي). والسيدة مور من أسرة مسلمة عريقة، كانت هي سوري أثناء الحرب، حيث كانت (خالدة أديب) مديرة للمدرسة التركية في بيروت

تقول السيدة مور عياشلي: «كان جمال باشا يعيش عيشة الملوك في سوريا أثناء الحرب لأولى سريعا ما بررت في قصر جمال باشا سيدة محتلفة كل لاختلاف عن لسيدات الأحرار، اللاتي نسمع عنهن، سواء من ناحية المرايا أو من ناحية المداوي، وكانت معدنة جمال باشا لها تختلف عن معدنة للجميع، فقد كان يحرمها أكثر مما يحترم الجميع، ويعلي من قدرها فوق قدر الجميع، ويعطيها أهمية أكثر مما يعطي الجميع، ويستمتع إليها اهتمام نابع»^(٢).

(١) صالح زهر الدين، مرجع سابق، ص ٥١-٥٢.

(٢) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٦.

لم تكن هذه السيدة تحترم جمال باشا كما كانت لسيدات الأخريات يعلنن، لأنها كانت تجلس أمامه واضعة ساقاً فوق ساق، وتطلب من جمال باشا أن يشعل لها سيجارته، وكانت تدير مع أنبائها مناقشات سياسية وفكرية. وكان جمال باشا من أصدقاء مصطفى كمال المقتربين

.. كانت هذه السيدة هي حادثة أديب وسرعان ما تقبل المحيضون بها أنها من «دولة اليهود»، وولدها أديب أفندي من الدولة أيضاً، كان موطئاً صغيراً في القصر السلطاني، يعني أنه عاش في قصر يلدر موطئاً صغيراً، لكنه مكث فيه مدة طويلة.

وبنته كانت معادية للقصر. كانت قومية، وكانت طورية متعصبة وكانت حادثة أديب تشبه فتيات سي إسرائيل الحميلات، وكان فيها جمال التوراة أي جمال العهد القديم.

جاءت (حادثة أديب) إلى سوريا مكلفة من حكومة (لأنحاد والترقي) لكي تنشر الثقافة التركية في سوريا، وتعلم أبناء العرب اللغة التركية، وتدعو إلى حب قومية التركية، وبالتالي كان هدفها تترك سوريا^(١)

حصصت لها الحكومة مئة مدرسة فرنسية تركها أصحابها أثناء الحرب.. كانت هذه المدرسة بحوار بيروت وكانت كبقصر

وتستكمل السيدة مور حديثها عن حادثة أديب قائلة

افتتحت لمدرسة، لم يكن بها طلبة بعد وكانت أدرس في ذلك الوقت في مدرسة المانيا، وكنت أحب مدرستي إلى أن قال جمال باشا «والدي» «يا أحي إن نريد أن ندخل أولاد عرب في مدارسنا، ومع ذلك فإن أولادنا نحن يذهبون إلى مدارس أحيية» وحادثة أديب هذه ملاحظة على هذا ونشكو اليس بها حق في سخطها وشكواها؟ وتقول... وكانت مديرة مدرست خالدة أديب هاجم. مديرة سينة الإدارة، كنت مضطرة للدوام في مدرستها، وداومت مدة ثلاثة أشهر لم أتمكن في المدرسة درساً واحداً، كل ما فعلته نحن الطالبات هو

(١) محمد حرب، يهود الدولة، ص ٤٧. و Abdurrahman Kucuk, a g e p 465

حضور أوبرا من تأليف حائدة أديب، موضوعها مأخوذ برمته من التوراة . عنوان هذه الأوبرا (رعاة كنعان) وأمرتها المديرة حائدة أديب تتمثل هذه الأوبرا ومثلها على المسرح في حضور لولاة والقادة العسكريين من الاتحاد والشرق ومديري الشرطة وغيرهم .

كانت هذه الأوبرا تعصبي وتؤلمني كثيراً، وتثير في نفسي التفكير بحرين فولاة الأمور الذين يقصون على أزمة الأمور بأيديهم يشاهدون وقت الحرب هذه الأوبرا، التي مثلها أمامهم وكانت عبادة عن (شعري) تعلق قرب قيام إسرائيل^(١) .

كانت (حائدة أديب) روايتين عن حرب الاستقلال أولهما (قميص من نار) والثانية (اضربوا العبيدة) . و (قميص من نار) ليست برواية الحيدة، وإن كانت تحمل عنواناً حميلاً، أما (اضربوا العبيدة) فكانت بمثابة الرواية للرائدة في طريق شيء تم إنداعه بعد ذلك بهدف عداء الدين .

تروحت (حائدة أديب) روايتها التي من عبد الحق عدنان بك وفي عهد (أتاتورك) كانت حائدة أديب وزوجها عدنان بك محبرين على معاداة البلاد . . .

لا نعلم نسب الحقيقي في معادرتهما البلاد، ولكن (ماجد رفيق بك) وهو أحد المقربين جداً من (أتاتورك) في ذلك الوقت، قال «الخلافاً بين أتاتورك وحائدة أديب هاتم لم يكن اختلاف في طريقة التفكير - الخلاف بينهما لم يكن أكثر من خلاف بين رجل وامرأة» .

وعندما مات أتاتورك عدت حائدة أديب وزوجها عدنان بك إلى تركيا، وقام زوجها بتأليف كتاب يحمل عنوان (لدين والعلم عبر التاريخ) فلفق (رافت بك) - وكان على صلة بحائدة وزوجها - علق على الكتاب متفكهاً بقوله «كأن طن أبنا بحراً في استقطاب حائدة أديب إلى الإسلام، وجمعها تعتقه، فإذا بنا نجدها تهوّد عدنان بك» .

(١) محمد حرب، يهود الفنون، مرجع سابق، ص ٤٩ .

كان هذا ما قصته الكاتبة منور عياشلي عن حادثة أديب لكانة التي تعتبر من أكر أعلام الأدب التركي الكماني^(١)

التأثير الإعلامي ليهود الدونمة في تركيا:

كان للدونمة تأثير واسع المدى على الإعلام التركي، وذلك من خلال عائلات لدونمة الذين كانت لهم مكاتهم الصحفة في الحبة الإعلامية في تركيا، ومن أهم تلك لعائلات عدلة (قناحي) وعائلة (كدر) وعائلة (إيكحي) وتأثيرهم على هيئة الإذاعة والتلفزيون كبير، وكان يهود لدونمة يسيطرون على دور الصحف الكبرى هناك.

كان يهود الدونمة يمتلكون مؤسسة جريدة (حریت) التي توزع يومياً حوالي مليون وثمانمئة ألف نسخة، وقد صدر أول عدد منها أول أيار - مايو ١٩٤٨م، وشعارها (تركية للأتراك) وتملك هذه المؤسسة دار نشر معروفة، وتمتلك عدة مجلات دورية مثل (هفته صونو) (بهاية الأسوع، وهي مجلة فنية) و(بيلدريوي) (مجلة التاريخ) وهي مجلة شهرية. ومؤسسها هو (سدد سيماري) من يهود لدونمة، وعائلة (سماونوي) تملك صحيفة (حریت)^(٢)

ويملك يهود الدونمة أيضاً جريدة (كون إيدير) بمعنى (صاح الحير) وهي جريدة يومية يطبع منها ٥٧٠ ألف نسخة يومياً، وهي ثاني صحف تركيا توزيعاً بعد (حریت).

ويملك يهود الدونمة جريدة (ترحمان) وهي ثالث نصحف التركية اليومية الصباحية توزيعاً، ويملك هذه الجريدة (عثمان كدر) وهو من عائلة كبار من يهود لدونمة، وكان هذا الصحفي والكاتب رئيساً لبندية إزمير^(٣)

(١) محمد حرب، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٥٠.

(٢) نوري ليعمي، يهود الدونمة، مرجع سابق؛ ومحمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٨٤، ص ٧٤.

(٣) محمد حرب، يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون، مقال. مرجع سابق، ص ٤٨، ومحمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٨٤ - ٨٥.

ويملك يهود الدونمة أيضاً جريدة (مبيلت) وهي رابع صحف تركيا توريعاً، وقد تولى تحرير هذه الجريدة (عدي إيكحي) ^(١) وتنسبها مجلة (صغت) بمعنى (الفن) وهي مجلة أسبوعية ^(٢)

وتتملك لدونمة أيضاً جريدة (جمهوريت) الصباحية وهي جريدة يومية يطبق عليها براءات تركيا لعللة النطاع الماركسي عليها

وقد سيطر على إدارتها عام ١٩٧٢م (يونس نادي) ^(٣) و(رشاد تابت).

(١) عدي إيكحي من الشخصيات البارزة من يهود الدونمة في عصر الحديث، تولى عام ١٩٦٤م إدارة تحرير جريدة (مبيلت) الصباحية اليومية، وترأس بداره الصحفيين الأتراك، وكان عضواً في اللجنة التحضيرية لقانون أخلاق الصحفيين، وكان أمين العام لديون الشرف الصحفي، وعضواً بمجلس إدارة معهد الصحافة بربوريج (أي سي أي) المعروف بسيطرة ليهود عليه وفي عام ١٩٦٨م عين إيكحي عضواً في هيئة التدريس بمعهد صحافة جامعة إسطنبول عتيل في شاطئ مريز عام ١٩٧٩م راجع محمد حرب، (يهود الدونمة إلى الآن يحجون ويصومون ويحجون لمساجد)، مرجع سابق، ص ٤٧.

(٢) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٨٥

(٣) يونس نادي، ولد في سنة ١٨٨٠م في قضاء fetiyye التابعة بمنطقة ديار بكر ولقب به abalioglu وتذكر الموسوعات التركية أنه ابن abdizade halil etendi درس الابتدائية في قضاء fetiyye، ثم درس في مدرسة suleymaniye في حربية رودس و سبي كوت تابعة للدولة العثمانية.

يقول الدكتور رضا نور في (مذكرات) اكان يونس نادي من أساء إحدى لعوائل الموحدة في رودس، ثم جاء إلى إسطنبول، وانخرط في سلك الجاسوسية على عهد السلطان عبد الحميد، فهو رجل كل عصر، قام باختلاسات مدهشة، بحيث أصبح من أعين رجالات تركيا ومن الآثار المذكورة له، أنه كان يحرق جريدة اليوم الجديد (yenı gün) في أنقرة، به يكن يبي ويبس هذا الرجل أي شيء، ولكنه عذبي مند انقدم عدواً له، وعانت يكمن لسبب في ذلك كوني رجلاً شريفاً في حين يقع يونس نادي في عداد الأشخاص غير الشرفاء.

بعد أن أكمل درسه في مدرسة نسيمانية، دخل مدرسة حقوق في إسطنبول بدأ يكتب في جريدة (المعلومات) وهو في العشرين من عمره، وفي هذه لمة حكم عليه بالسجن لثلاث سنوات بسبب بصفاته إلى جمعية سرية تعمل ضد الدولة، حيث أرسل =

في عام ١٩٠١م إلى قلعة في جزيرة روملي (İmtilat) وكانت تعدة وقتاً لمدونة
لثمانية وبعد أن أنهى عقوبته رجع إلى إسطنبول، وبدأ يكسب في جريدة Tasvir-i
İkdam وبعد عودة دستور عام ١٨٧٦م وذلك في عام ١٩٠٨م أصبح رئيساً لتحرير
جريدة روملي، Rumeli ولب كونه عضواً في جمعية الاتحاد والترقي تم انتخابه نائباً في
مجلس المبعوثين، وعمل في الوقت نفسه رئيساً ومديراً للتحرير في جريدة (تصوير
أفكار) وقد قام يوس رادي فيما بعد بتأسيس جريدة (جمهورية)

كان هذا اعتقاد من قبل مصطفى كمال في بداية حرب الاستقلال، أنه من الممكن
بصد الأمة عن طريق الشيوعية، وعليه فقد قام بتكليف كل من (حقي بهيج) و(يوس
رادي) و(توفيق رشدي) بتأسيس حزب شيوعي، وقد أصبح يوس رادي من الأعضاء
سريين في جيش الأحصر vesil ordu وعمل الجيش الأحصر بالدمج بين الماركسية
والإسلام توفي يوس رادي في عام ١٩٤٥م

وقد كتب يوس رادي وهو يقوم بالتدريس لتركى قنلاً "تركوا تاريخنا القديم،
وتاريخنا القريب، إن عدم معرفتنا بتاريخنا يرجع أساساً إلى رتناط بحرية صغيرة من
خلال دولة عظيمة، ليس هذا دلالة بعدم معرفتنا لأشخاص، حسب ما جاء على لسان
حدي korkut من أن هؤلاء انتهوا بسبب دهمهم في تتراب، حيث ذهبوا إلى الدنيا الحقيقية،
ولكن بقيت في السهبة" (انظر موري النعيمي، يهود المدينة، مرجع سابق، ص ٧٤ -
٧٥)

إن يوس رادي الذي جاء إلى أنقرة مع مطعنه، ستمر في إصدار جريدة اليوم الجديد،
ويحدث فتح صفحة جديدة من حياته، ويظهر أنه يترك تخصصه المدرسي في todos و لا يحد
في إسطنبول، وأصبح في أقوى الأحزاب في أنقرة، وكان على رأس هذا
الحزب مصطفى كمال.

ويجب أن يؤكد في هذا المجال أن يوس رادي، كان يحافظ المعارضة السياسية
قنلاً "لا بد من تعلمهم، يؤمن مثل هؤلاء الرجال" ومن جانب آخر، يقول الدكتور
رصدور في أنقرة كاتب صدر جريدة اليوم الجديد، وكان يوس رادي على الدوام يقوم
بالثناء وتمدح لمصطفى كمال، ولكنه في بعض الأحيان يكتب صده وتحدث الإشارة
في هذا المجال أن مصطفى كمال كان يدفع ليوس رادي جميعخصصات لمطبوعات،
ويقوم بدخول الأوراق له بدون حمرك، فضلاً عن ذلك كان يدفع له مبالغ في هذا
المجال في أحد الأيام كتب مع مصطفى في داره، وتحدثت معه عن موضوع اعتقاد
يوس رادي أنه، أحاب مصطفى كمال قنلاً، "هذه محنوق عريب، لا يمكنني ما يأخذه
بين مدة وأخرى يقوم بالتفقد، لأنه بحاجة إلى مبالغ مالية، وأن على دراية به في هذا

وكلاهما من يهود الدونمة.

أما جريدة (طيس) الشيوعية فقد أسستها الصحيفة اليهودية المشهورة (صباحة سرتل) في عام ١٩٤٥م وكان لهذه الصحيفة إسهام كبير في نشر الفكر الماركسي في تركيا^(١).

وبعد عام ١٩٧٤م زدت الأحداث والمقالات والاهتمام بوجه عام في تركيا بيهود الدونمة، وذلك بعد تولي (إسماعيل حم) منصب المدير العام لبرديسو والتلفزيون التركي^(٢).

و(إسماعيل حم) من أبرز الكتّاب الماركسيين أيضاً، وهو الذي أسس جريدة (بوليتيكا) اليومية^(٣).

ويتحدث (فاروق تيمور طاش) الأستاذ الجامعي والكتّاب عن دور (إسماعيل حم) بقوله:

«لمتروص رسمياً أن تكون هيئة لإذاعة وتثقيف الأتراكية جهاراً محيداً، لكن (إسماعيل حم) وجه الجهار فكرياً إلى الدعوة بفكر يسار متطرف،

= المحل، وعلى أن يدفع به ألف أو ألفي بيرة، ولكنه في أيام الأخيرة أصبح في يده حساسة شديدة، لا يكفيه ما يأخذ، ولكن ما يحل، يحب أن يتعامل معه بهذا الشكل»
وتحذر الإشارة في هذا المحل، أن بدر بوس من بوس نادي أصبح رئيساً لتحرير جريدة (جمهوريت) بعد وفاة والده، أظهر عداء كبير للإسلام، مهاجماً علماء الأتراك المسلمين، مشوهاً صورهم، منهم إباهم بالترحمية وانتعشت بوشطة صر كاريكاتيرية، علماً أن بوس نادي أنهى دراسته لعمه في المدرسة العثمانية، وكان مدرساً لعمامة؛ بوري العبيبي، يهود دونمة، مرجع سابق، ص ٧٦؛ محمد حرب، يهود دونمة، مرجع سابق، ص ٥٢.

(١) بوري العبيبي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٧٣

(٢) abdurhman kucuk, a.g.c. p. 467

(٣) د. إسماعيل حم عام ١٩٤٠م وتلقى تعليمه في روبرت كوجح الأمريكية، ثم تخرج من كلية الحقوق في لور عام ١٩٦٢م وعمل بالصحافة في حريدي (حرب) و(ميليت) محرراً ثم مديراً لتحرير كذا نشر عدة دراسات منها (الإصلاح الزراعي) (ناحر تركيا) (مصر عبد الناصر) وعمل وزيراً للحدادية التركية في حكومة أحويدي ١٩٩٩م

وحرية إسي تأييد حزب الشعب الجمهوري، والدعاية له (وهو أكبر الأحزاب اليسارية في تركيا).

وظل إسماعيل حم هد مسيطراً على اتجاه هذه الأجهزة، وتسيير مجه، حتى قامت حكومة الائتلاف عام ١٩٧٥م، وكان (حم هدين أركان) مشتركاً فيها، حيث كان نائباً لرئيس الوزراء حيث نشرت بياناً قالت فيه «إن حكومة ستعمل على مع كل ما من شأنه الإصرار بالأمن الوطني والأخلاق، الذي يأتي عن طريق الإذاعة والتلفزيون - التي كان إسماعيل حم يرأسها - كما أنها - أي الحكومة - ستدخل في صراع مع الشيوعية أيضاً»

وفي ٥/٤، ١٩٧٥م وقع محسن نورر قراراً بإعفاء إسماعيل حم مدير العام للإذاعة والتلفزيون من منصبه، وأرسل القرار إلى رئيس جمهورية للتصديق عليه فرفض التوقيع، وقام رئيس حزب الشعب الجمهوري المعارض بالهجوم على هذا القرار، واعتبر سلوك الحكومة في إقالة إسماعيل حم سلوكاً مستبداً هونياً. ولم عاد قرار إقالة (حم) إلى محسن نورر، بعد رفض رئيس لجمهورية التوقيع عليه، صرح المتحدث باسم الحكومة أن حكومة ستفعل قراره بإقالة المدير العام للإذاعة والتلفزيون حتى ولو لم يوقعه رئيس الجمهورية، واضطر رئيس لجمهورية أخيراً للتوقيع على القرار في ١٢ ٥ ١٩٧٥م

وبهذه الإقاة توفرت للإداعات التركية وتلفزيونها فرصة أفضل لث الأتافي و(إعادة بناء الأمة السعوي) كما يقول دكتور حم هدين أركان^(١).

وقد شغل (إسماعيل حم) منصب وزير تدرجية اتركية في حكومة أجاويد عام ١٩٩٩م والتي كان لها دورها في المشكلة تركية سورية

نحت أجهزة إعلام الدولة في (شتر) رأي عام تركي مؤيد لإسرائيل، وغير متعاطف مع العرب باستثناء (حرب لسلامة الوطني) الذي يادي بضرورة لاعتراف بمظمة التحرير الفلسطينية وتوطيد لعلاقات مع العرب^(٢)

(١) محمد حرب، يهود ندومة، مرجع سبق، ص ٥٤-٥٥

(٢) محمد حرب، العندين في لتاريخ والحصارة، مرجع سبق، ص ٨٦

ومن ناحية أخرى تقوم أجهزة إعلام الدونمة بخدمة ليهودية عالمية عن طريق عرض أفلام تلفزيونية تتجه نحو التشديد بمعاداة اليهود، والمصدرة لتعاطف مع إسرائيل واليهود.

وتقول مصادر إن يهودياً مرتداً عتق لإسلام كان اسمه (إبراهيم متفرقة) أصبح مديراً لنشر المطبوع لأول مطبعة تركية، وكان ذلك خلال الفترة من ١٧٤٢-١٧٨٤م^(١).

ولم يجرؤ أحد أن يتعرض لدونمة في أي صحيفة أو مجلة، فسرعان ما كان يقوم أصحاب المجلة بتقديم شكوى لدى أقطاب الدولة، فتصدر الصحف والمجلات التي تعرض طريق الدونمة^(٢).

وفي لقاء عُقد مع الكاتب والمعلم (سهال تسر) في ١٩/٧ ١٩٧٥م مع (عبد الرحمن كوتشوك) أوضح فيه أنه عمل مع الدونمة في (شوية بوعرجي) التي أسسها الدونمة، وكان لديه أصحاب منهم، وذكر بعض الأشخاص الذين يعملون في وظائف ورتب عالية في تركيا، وكان منهم من عمل وزيراً أو عضواً في مجلس الشعب أو رئيس بلدية أو عالم أو صاحب حريدة إلى آخره حتى قيل إن رعماء ماركسيس كانوا من الدونمة لكن ذكر هذه الأسماء ممنوع، أما الأسماء التي ذكرها سابقاً فهي أسماء تاريخية ومشهورة^(٣).

وفي مقال لـ (ديميد بورشود) الذي يحمل عنوان (سماحة تركي بعين أحني) أوضح فيها «أن الدونمة من الممكن أن تكون عاملاً مساعداً في افتتاح العلاقات بين الترك واليهود وليس يحق أن أمهر بمثقفين وأصحاب لحرارة الترك من أصل دونمة، ويعلم من هذا أن الدونمة مارأوا موحودين حتى اليوم، ولا يزالون يخدمون الثقافة التركية»^(٤).

(١) محمد سرحان، مرجع سابق، ص ١٨.

(٢) مصطفى طوران، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧.

(٣) abdurrahman kucuk, a.g.e.s. 468,469

(٤) abdurrahman kuc, a.g.e.s. 470

ويوجد في تركيا الآن أعضاء كثيرون ينتسبون للسبائانية، ولهم نشاطات واضحة في المجالات المختلفة منهم رجال الأعمال والصحفيون والكتاب، وكلهم ذوي أصول دوسية، ولا تعترف إسرائيل هؤلاء كجماعة كيهود، ولا حتى الحاخامية الكبرى في تركيا تعترف بهم. على الرغم من أنهم ذوو أصول يهودية، ويُعدون جزءاً من الثقافة اليهودية، وبالطبع منذ عام ١٩٢٤م فكل من لهم أصول سبائانية يبقون صغوطاً كثيرة في تركيا وأكثر دليلاً على ذلك حادثة ضرائب ١٩٤٢م، حيث اضطُر هؤلاء لدين بنسبون إلى الدوسمة لدفع ضرائب أكثر من المسلمين نظير وجودهم في تركيا^(١).

وفي نهاية حديثنا عن (السبائانيين) أو (يهود الدوسمة) أو اليهود الدين تظاهروا بالإسلام نستخلص أن موضوع هؤلاء الجماعة التي سميت بالسبائانية أو يهود الدوسمة كما جاء في الأدب الاجتماعي مصفة عامة يشكّل موضوعاً من موضوعات التي مع الأسف تم تناولها قليلاً جداً في التاريخ سيدي والثقافة في تركيا.

كما إن موضوع السبائانية ووجودهم على الساحة التركية لم يحظ بأي اهتمام سواء في الحياة السياسية التركية أو في الحياة الاجتماعية التي هي انعكاس لسياسة. فلم نلق عنهم أي دراسة قص، اللهم إلا بعض الآثار القديمة بخصوصهم كما أن هؤلاء (سبائانيين) لعبوا أدواراً كبيرة في محريات الأمور في الفترة بين القرن التاسع عشر وحتى الآن ولا عجب في أن الموضوع لم يُسأَل بالدراسة، وذلك نتيجة الاحتياط ولحد السرية التي كانت تسير عليها الجماعة لسبائانية التي كانت تدبر بالدين الإسلامي مع ارتباطها في نفس الوقت بالتصوف اليهودي.

والخلاصة فإن السبائانية هي حركة دينية ظهرت في القرن السابع عشر، أخذت اسمها من اسم مؤسسها (سباتاي رهي) الذي ادعى أنه المسيح المنتظر وبالطبع عندما أعلن سباتاي نفسه المسيح المنتظر لفت أنظار كل الجماعات اليهودية إليه واكتسب شهرة من أوروبا حتى فُريق بل إن يهوداً كثيرين أتوا إلى

(١) ilgaz zorlu, a.g r.s. 163

تركب لكي يروه وقد آمن به أناس كثيرون. حتى إنهم اعتقدوا أن يوم القيامة قد حان وأنه ستؤسس دولة إسرائيل.

وبالطبع روى ساداتي في دعوته هذه أنه واحد من ثنائيين بالصهيونية إلا أن هذه الحركة وجدت معارضة شديدة من رجال الدين الأرثوذكس، وبالطبع حدث الصراع بينهم وبين هؤلاء الجماعات الساداتية

كما أن زعماء اليهود الموحوديين في الدولة العثمانية هم ندين طيسو من الحكومة العثمانية لتصدي لهذه الحركة، والقضاء عليها، وفي ساداتي زهي

وفي نهاية اضطراب ساداتي زهي أن يغير ديه، ويصبح مسلماً، وقد أسلم معه بعض مريديه الدين بلغ عددهم حوالي مئتين أسرة، وقد قام ساداتي بتأسيس حركته بهؤلاء العائلات، وأصبحت جماعة الساداتية لها دورها في الحياة السياسية في الدولة العثمانية وأوروبا اعتباراً من القرن التاسع عشر كما سبق وأوضحنا ذلك من قبل.

والذي تلمت الانشاء أيضاً هو وحوود جماعة من المتغيبين لدين وقوا حوار أناتورك عند تأسيس لجمهورية التركية الحديثة، وكان جميعهم ذوي أصول ساداتية، وكانوا أيضاً أعضاء في لساتاتية، كما كان لهم نوح مؤثر في الحياة الاجتماعية لتركيا.

وجدير بالذكر أن معظم الكتب التي تحرب عن الحياة نديبة لساتاتيين كلها أو معظمها قد حُرقت في حريق مالتويك عام ١٩١٧م، وبعد اسسب بدأ التعليم الصوفي ندي كان موحوداً في تشكيل جماعة لساتاتيين يُسى تماماً، ومعنى هذا أن الكتب والمؤلفات نتي نُشرت عن جماعة ساداتيين وساداتي زهي تكاد تكون نادرة. ولا يوجد في كتب تلمت الانشاء عن هذ الموضوع سوى كتب باسم (لدومة وتاريخهم) لندكتور (عبد الرحمن كوحك) وكتب (نعم ن سلايكلي) (اساداتية في تركيا) لأليغار زورلو، وهذ الكتب نتيجة لدراسة قام بها مؤلفها أليغار زورلو على المشاهدات التي رآها منذ عام ١٩٧٥م حتى وقت صدور كتبه (١٩٩٨م) إلى جانب مقابلاته في الزيارة التي قام بها لإسرائيل لمدة عام كامل مع عدد من الشخصيات والعائلات الساداتية

من هنا يتضح لنا أهمية الدور الذي نلعبه - وما يربطه به هؤلاء يهود في مختلف أفرع الحياة التركية، ويهود الدونمة على وجه الخصوص، والدور الخطير الذي لا يزال مستمر فيهم وتأثيرهم الكبير والفعال سواء داخل الحياة السياسية أو الاجتماعية أو الإعلامية وتغلغلهم وسيطرتهم على المجتمع التركي والذي نجد آثاره حتى يومنا هذا.



الباب الثاني

التواجد اليهودي في ظل الدولة العثمانية

الفصل الأول أحوال اليهود وعلاقتهم بالمسلمين
والدولة العثمانية

الفصل الثاني: التواجد اليهودي في البلدان العثمانية

الفصل الثالث: محاولات اليهود استيطان فلسطين من
خلال الدولة العثمانية

تمهيد

كانت الاصطهارات والمعداة التي واجهها يهود في شتى أنحاء العالم، وعلى الأخص ما لاقاه يهود الأندلس في مختلف عصور بني عاشر، اليهود هناك، واضطروا لهم إلى الفرار ونهجرة من الأندلس، حيث لم يجدوا أمامهم صداراً راحياً غير الدولة العثمانية، التي كانت تعاملهم معاملة أهل الدمة، وفتحت لهم أبواب الرحمة والعمل في جو من التسامح وسعة الصدر، كدلالة على حسن التعامل الإسلامي.

لما كانت فترة التي عاشها يهود في رحاب العرب مسلمين عند فتحهم بلاد الأندلس، هذه الفترة التي هي المرحلة الوحيدة التي استفرد يهود فيها، حيث استطاعوا أن يؤكدوا دعتهم في ظل التسامح الإسلامي، تأكيداً ورد في القرآن الكريم بعدم المساس بأصحاب الأديان السماوية، ومعاملتهم معاملة حسنة، فالإسلام يعترف بهم، ويعترف بدينهم، سواء كانوا يهوداً أو نصارى.

وسوف نستعرض في هذا الكتاب أحوال اليهود وعلاقتهم بالمسلمين، ومظاهر التسامح التي صنفت عليهم المسلمون وسلاطين الدولة العثمانية تصيفاً لأحكام القرآن الكريم في معاملة أهل الدمة، إلى جانب إظهار رد الفعل اليهودي أمام هذا التسامح الإسلامي لهم.

الفصل الأول:

اليهود وعلاقتهم بالمسلمين

معاملة أهل الذمة في القرآن الكريم:

ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات القرآنية التي تأمر المسلمين بمعاملة أهل الكتاب معاملة احترام لديانتهم، ونورد هنا بعض من هذه الآيات التي تحث المسلمين على معاملة أهل الذمة معاملة تسامح وإحسان، كنت هذه الأمور قرآنية هي التي نتخذها لسلطات العثمانيين معها في تعاملهم مع أصحاب الديانات الأخرى.

جاء في القرآن الكريم ضرورة لإيمان بجميع الأنبياء وأرسل وتكتب التي نزلها الله تعالى، ويظهر ذلك في قوله تعالى ﴿وَأَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ، وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَنْ يُكَلِّمِهِ، وَلِكُلِّهِمْ وَرُءُوسُهُمْ﴾ [سفرة ٢٨٥] وجاء قوله تعالى في كيفية التعامل مع أهل الذمة معاملة الرحمة وعدم ﴿لَا يَسْتَنْكِرُ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُقِنُّوكُمْ فِي الْإِيمَانِ وَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَرْوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [لممتحنة ٨]، وورد أيضاً في هذا المعنى قوله تعالى ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّيهِ إِلَيْكَ﴾ [ن عمران ٧٥]، وقوله تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَدِيمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنْتِلَ وَهُمْ يَسْتَحْذِرُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [ن عمران ١١٣-١١٤]

ويأمر القرآن الكريم المسلمين بالكف عن محاربة أهل الذمة إلا باشي هي أحسن، ومعاملتهم معاملة الكريمة العادلة، وجاء في قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، لَا الَّذِينَ طَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا: مَا بِاللَّهِ أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَجِدْ وَتَحَنَّنْ لِمَنِ اسْلَمُوا﴾ [نساء ٤٦].

وَيَذْكُرُ اقْرَأَ الْكِتَابَ الْكَرِيمَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَنُصَاحِينَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ قَبْلَ بَعْثَةِ
لِرَسُولٍ ﷺ، أَنَّ اللَّهَ سَيُوفِيهِمْ أَجُورَهُمْ، وَيُظْهِرُ هُدًى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا
فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [النقرة ٦٢].

ويأتي أمر الله سبحانه وتعالى بدعوة المسلمين إلى الاستقامة، وأن يحكموا
بالعدل بينهم وبين أهل الكتاب، فيقول سبحانه وتعالى ﴿قَدْ لَيْكَ قَادَعٌ وَأَسْتَقِيمَ
كَمَا أَمَرْتُ وَلَا سَمْعَ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ
بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّ وَرَثَتِكُمْ لَا تَغْصَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَ وَبَيْنِكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ
بَيْنًا وَبَيْنَهُ الْمَصِيرُ﴾ [الشورى ١٥].

وحاء في حق اليهود وكتائبهم (التوراة) الذي أنزل الله عليهم قوله تعالى
﴿إِنَّ أَوَّلَ الْتَّورَةِ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ آمَنُوا لِلَّذِينَ هَادُوا
وَالرَّاسِخُونَ وَالْأَخْبَارُ يَمَّا سَتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَحْشَوْا
الْكَافِرِينَ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَشْرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَاذِبُونَ﴾ [المائدة ٤٤].

وقوله تعالى في حق أهل الكتاب الذين يؤمنون بالله وكتبه، ﴿وَمِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ فَهُمْ حَشِيصُونَ لِلَّهِ لَا يَشْرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

وقوله تعالى في حق المسلمين عن محاسبة غير المسلمين - ومنهم أهل
الذمة - على أفعالهم، والله يحاسبهم بما عملوا يوم القيمة فيقول سبحانه وتعالى
﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ
عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِنَّ رَبَّهُمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعام ١٠٨]، وقوله
تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ
يَسْتَخَذُونَ زُرْعَةً يَوْمُوتُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤].

وفي حث الله سبحانه وتعالى المسلمين على الإيمان به والقيام بواجبهم في طاعة الله ما جاء في قوله تعالى ﴿لَنْ يَكُنَ الزَّيْجُورُ فِي الْبَيْتِ مَعَهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُرِوْا مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِأَسْوَأِ الْيُؤِرِ الْأَخْرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء ١٦٢]

ويحث المسلمين على الصبر عليهم، ومعاملتهم بالحسنى في قوله تعالى ﴿وَصَبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَنْقِضْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المرم ١٠]

ويحث لقرآن المسلمين على الوصول لأقصى درجات التسامح مع أهل الكتاب، ويظهر هذا نصاً في قوله تعالى ﴿قُلْ لِلدِّينِ مَا تَوَفَّقُوا لَدَيْكَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيُخْرِىَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة ١٤٠]

ويهيى عن محادثتهم، وتركهم لله حتى يفصي الله أمره فيهم، ويظهر ذلك في قوله تعالى ﴿يَكُلِّيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ جَعَلْنَا فِصْلًا بَيْنَهُمْ نَاسِكُونَ فَلَا يُرْجِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَدَعِ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَّ هُدًى مُسْتَقِيمٌ وَإِنْ حَادَّوْكَ فَقُلِ اللَّهُ أَغْنَىٰ عَمَّا تَعْمَلُونَ إِنَّ اللَّهَ يَخْلُكُم بَيْتَكُمْ يَوْمَ الْفِتْنَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [نوح ٦٧-٦٩]، وقوله تعالى أيضاً ﴿وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ الَّذِي يَتَشَوَّعُ عَلَى الْأَرْضِ هَوًى وَإِذَا حَضَرَهُمُ لُحُوبُكَ قَالَوْا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [الفرقان ٦٣]، وقوله تعالى، يحاطب الرسول ﷺ ويأمره بتركهم وشأنهم لله تعالى ويتحلى ذلك في قوله تعالى ﴿تَذَكَّرْ إِنَّمَّا آتَاكَ مُدْكَرًا لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ [نوح ٢١-٢٢]

ويحل لقرآن للمسلمين طعام أهل الدمة، من دون تحلى ذلك في قوله تعالى ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكَزَّ وَصَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَّهُمْ﴾ [المائدة ٥].

ويستدل الفقهاء في حل دئح لليهود أيضاً بحديث المرأة اليهودية التي أهدت الرسول ﷺ شاة، وقد سفت دراعها، فأحر الدراع رسول الله ﷺ أنه مسموم، فلفظه الرسول ﷺ^(١).

(١) من كثير، تفسير لقرآن ١٩، ٢، ونظر العلاقات الدولية في الفقه الإسلامي، تأليف لجنة من أساتذة كلية الشريعة والقانون في جامعة الأزهر، القاهرة ١٩٩٤م، ص ٨٤.

أهل الذمة في الأحاديث الشريفة:

حثَّ رسول الله ﷺ المسلمين من خلال أحاديثه الشريفة حيث أمرهم بحسن معاملة أهل الذمة. من هذه الأحاديث، حديث «من ظلم معهداً، أو كلفه فوق طاقتِه فإنا حَاجِبُهُ يومَ القيامة»^(١).

كما كان الرسول ﷺ يعودُ جاره اليهوديَّ «د' مرص'» ويقولونَ عنهم ﷺ «اتركوهم وما يَدِينُون».

وقد نَحَدَّثنا من قبلُ عن الاضطهاد الذي وُجِّهه يهودُ الأندلس، وما تعرَّضوا له من حرقِ صحفِ التوراة أكثر من مرة، مع أن النبي ﷺ أمرَ المسلمين بتسليم اليهود صحائفهم في غزوة خيبر^(٢).

وقد سمح للإسلامُ لزوجَةِ المسلمِ سِوَةِ كاتِبة يهودية أو نصرانية أن تذهب إلى الكنيس أو الكيسة، ولا يحقُّ لزوجها أن يمنعها^(٣).

وكان رسول الله ﷺ يأمرُ بالصدقة على أهل 'الأديان'، فيقول «تصدقوا على أهل الأديانِ كلِّها»^(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ اشترى طعاماً من يهوديٍّ لي أحلٍّ، ورهنه درعاً من حديد، وفي لفظ: تُوفي رسولُ الله ﷺ ودرعُهُ مرهونٌ عند يهوديٍّ ثلاثين صاعاً من شعير^(٥). رواه أحمد، سنن أبي داود، ومسلم.

وحمهور العلماء مجمعون على أن قتلَ المسلمِ ندمي يعدُّ من الكُفْرِ، ويظهر ذلك من قول الرسول ﷺ «من قتل معهداً لم يَرُحْ رائحة الجنة، وإن

(١) الترغيب والترهيب، در إحياء التراث الإسلامي، ص ٣، ١٩٦٨م، ٤، ١١، والبد

سابق، فقه السنة، در الكتب العربي-بيروت، ١٩٦٩م، ٢، ٦٦٨

(٢) العلاقات الدولية في لُفْقَةِ الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٥

(٣) المرجع سابق، ص ٢٧.

(٤) المرجع سابق، ص ٧٦.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ١٣٧/٣، دار الفكر-بيروت.

(٦) السيد سابق، مرجع سابق: ٦٠٩/٢-٦١٢.

رَبِّحَهَا يُؤْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا أَخْرَجَهُ الْبَحَارِيُّ رَقْم (٣١٦٦)، وَ مِنْ مَاحِهِ رَقْم (٢٦٨٦).

وقد اتخذت الدولة العثمانية من هذا الحديث مباحاً لها، وحزمت قتل الدمي، وعدت دمه كدم المسلم، وديته مثل دية المسلم^(١)

فالإسلام أقر لأهل دمة التمتع بالحرية في صل محتتمع من تسامح والإخاء و العدل والمساواة، فمنهم حق حماية أعراضهم ودمائهم، وعدم إكراههم على اعتناق لإسلام، والسماح لهم بممارسة شعائهم في كنسهم ومعابدهم

وعلى الرغم من سماحة الإسلام في معاملة أهل دمة إلا أن اليهود خاصة تنكروا له، وانعصوا عن الدولة الإسلامية التي كانوا يعيشون تحت طيها، ومنهم من أسلم نفاقاً، وكانت لديهم القدرة على التامر والمراوغة، وتاريخ الإسلام يشهد لكثير من الأحداث التي تظهر أن هؤلاء اليهود لم يقدروا المعنى القرآنية والتسامح الإسلامي.

وما ورد في القرآن الكريم واضح من حيث حيث المسلمين على معاملة أهل الكتاب من يهود ونصارى لمعاملة الطيبة التي كفلت لهم جميع الحقوق الإنسانية من حقوق دنية أو مدنية أو سياسية، ويحكم الإسلام على المسلم أن تقطع يده إذا سرق مال الدمي، لأنه مال محترم^(٢) وعلى الرغم من تكريم القرآن لهؤلاء وسماحته، إلا أنهم كانوا يكونون للإسلام والمسلمين في كل أرجاء العالم عداً وحقدًا واضحين.

وفي مقابل هذا العدا كان المسلمون يعاملونهم بالمعاملة الطيبة والإكرام، وتاريخ المسلمين مع يهود يشهد بهذه المعاملة منذ بداية ظهور الإسلام

وقبل أن نتطرق لأحوال اليهود في الدولة العثمانية نستعرض أحوال يهود

(١) كمال السعيد حبيب - الأقباط والممارسة السياسية في بحره (إسلامية، دراسة حالة الدولة العثمانية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة القاهرة، كلية لأقتصاد وعلوم السياسية، ١٩٩٥م، ص ٩٨-٩٩

(٢) العلاقات الدولية في الحق الإسلامي، مرجع سابق، ص ١٩

في لعالم، إسلامي في ظل معاملة الإسلام لهم^(١)

تأثير الأدب العربي على اليهود:

أخذ اليهود عن العرب فن الكلام، وفن الشعر، واسطق التصحيح، وكان يهود العراق والشام وفلسطين والمحار يتكلمون اللغة العربية

وقد تأثر الأدب العبري بالأدب العربي، وكان تأثر الشعر العبري بالشعر العربي واضحاً حتى أصبح صورة منه في الورد والقفية، كل هذا يدل على الحق العربي والإسلامي الذي كان يفتح الباب على مصرعيه لكل من أراد أو رغب في معرفة العربية وعلومها.

وقد حظي اليهود بمكانة كبيرة بين العرب، باعتبارهم أصحاب ديانة سماوية لها الاحترام لديهم، فأسسوا المعاهد الأدبية والثقافية، وكان لهم أساتذتهم وعلماءهم الذين كانوا يعملون بحرية مطلقة من حلال معاملة العرب لهم^(٢).

وكما عني المسلمون بالقرآن الكريم كذلك عني اليهود بكتبهم، وشرعوا في وضع نحو لغتهم على طريقة النحو العربي صيغة لها من النحو والصباح^(٣)

تسامح الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين مع اليهود:

يتحدث التاريخ عن معاملة الإسلام لليهود، فيذكر التاريخ أنه عندما أمر الرسول ﷺ بإحلال اليهود من الحرية لعربية فم عمر بن الخطاب رضي الله عنه بإحلالهم، فأعطاهم أراضي على نهر الفرات بالقرب من الكوفة تعويضاً لهم عن

(١) نظر من قيم بحرية حقوق أهل ادم، محمداً، شرار نعم للملايين، نحبو الدكتور محمد صبحي الصالح.

(٢) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٤٧-٧٤٨.

(٣) أسور الحدي، السطان عبد الحميد وخلافة الإسلام، دار من ريدون - بيروت ١٤٠٧ هـ، ص ١٩٢ - ١٩٣ نقلاً عن مقولة الدكتور فؤاد عبي حسبي في بعض حسنات العرب على اليهود.

أراضيهم التي فقدوها بالجلاد^(١).

وعند الفتح الإسلامي لمسططين على يد حبيثة عمر بن الخطاب يسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه لليهود بالعودة إلى القدس^(٢)، ومسحهم هناك قطعة أرض على جبل بريتون لإقامة صلواتهم عليها^(٣).

وحديث مذكر أنه عندما فتح المسلمون بيت المقدس عام ٦٣٦م قدم لحبيثة عمر بن الخطاب لدى تسليمه المدينة عهداً وأماناً لنصارى جاء فيه

بسم الله الرحمن الرحيم:

«هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل يثيب من الأمان أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنسهم وصلاتهم سقيمها وبريئها وسائر متها أنه لا تُسكن كنسهم، ولا تُهدم، ولا يُنتصر منها، ولا من حيرها ولا من صلبهم، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يُبصار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل يثيب أن يعصوا، تحرية، كما تعطي أهل المدائن، وعليهم أن يحرروا منها الروم ونصوص، ومن خرج منهم فهو من، وعليه مثل ما على أهل يثيب من الحرية ومن أخت من أهل يثيب أن يسير نفسه وماله مع روم، ويختلي بينهم وصلاتهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلاتهم حتى يبيعوا ما منهم ومن شاء منهم فعد، وعليه مثل ما على أهل يثيب من حرية ومن شاء من الروم، ومن شاء رجع إلى أهله، فإنه لا يؤخذ منهم حتى يحصلوا حصدهم (وعلى ما في هذا كتاب عهد الله ودمة رسوله ودمة الحلفاء ومؤمنين.

(١) أبو جدي، مسطاب عبد الحميد وخلافة إسلامية، مرجع سابق، ص ١٩٢ نقلاً عن د. أحمد ح. اليهودي (حرث)، في حق الإسلام، المستمير

(٢) هذا خبر مدقق حيث العهد الأممية نصارى بيت المقدس، لهي مرجعها مسلم عمر رضي الله عنه المدينة، وتصل صراحة، (ولا يسكن يثيب معهم أحد من اليهود) (الناشر)

(٣) ربيع شاكر شة، مسطاب عبد الحميد، شامي وفلسطين، مكتبة مدبولي ط ٥، ١٩٩٠م، ص ٤٥.

إذا أعطوا لذي عديهم من الحرية) كتب سنة ١٥ للهجرة

(شهد على ذلك خالد بن الوليد، وعبد الرحمن بن عوف، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان).

وكان وضع اليهود في البلاد التي برلوا بها وصعاً قنعاً، إذ كانوا يكونون طبقة خاصة معدية للجميع، تعيش في عزلة عن باقي فئات المجتمع، ويبحثون عن سيد يمشون في ركبه، ولا يتوزعون عن حياته. بر طهر سيد حديد أقوى كل ذلك في سبيل العودة إلى أرض الميعاد فلسطين^(١)

ومن ناحية أخرى سمح السلطان صلاح الدين لأيوبي اليهود بالعودة إلى فلسطين بعد تعرضهم للإبادة والتعذيب أثناء الحروب الصليبية. كما سمح لهم لعثمانيون بدخولها وامتلاك أراضي بها، وذلك بعد صردهم من الأندلس كما أوضحنا سابقاً.

وفي مصر عاش اليهود طوال ألف سنة مع المسلمين، وبعضهم من أحفاد (موسى عليه السلام) الذين خلفهم وراءه عبد حروجه من مصر^(٢)

وفي سوريا كان أكثر ضيافة وأرباب الملوك من يهود، وكان بهم مراكز مرموقة، وذلك على عهد الحليفة المعتصم، وكان ذلك في الفترة من ٨٩٢ - ٩٠٢م

وفي بغداد كان لليهود مستعمرة كبيرة، بها عشر مدارس للحاخاميين، وثلاث وعشرون كنيسة^(٣).

ويمكن من القول إنه لما نسي السليبي ندي قدم به (سوحده مصر) كان أكثر اليهود مورعين في المعبد المعني، ولم يقتصر وجودهم في فلسطين فقط وكانت

(١) يوسف محمود يوسف، إسرائيل، سنة ١٩٩٤، نشر في أول - أكتوبر ١٩٩٤

(٢) رفيع شاكر، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣) رفيع شاكر، مرجع سابق، ص ٢٧. يحذر الدكتور الفوري هذا عند حديثه عن معاملة أهل عرق لليهود أن يذكر أنه عندما تشكلت حكومة العراق عام ١٩٢٠م كان أول وزير للديانة فيها وزيراً يهودياً هو (سامون حقيق)، كما كان لليهود هذا المقعد في مجلس النواب والأعيان (انظر في هذا أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٤٨)

أوضح اليهود فترة الحكم الإسلامي في الأندلس عام ٧١١م فترة استقرار، وقد شهد اليهود أنفسهم على أن هذه الفترة كانت بمثابة العصر الذهبي لهم، حيث منحوا فيها حرية لتقل في أنحاء لبلاد، ولتجارة، وأعيدت لهم أراضيهم، التي صدرت منهم من قبل، كما أصبح لهم الحق في أداء شعائهم الدينية، إلى جانب استقلالهم القضائي.

ونتيجة لمسحهم تلك الحريات التي خرموا منها في عصور سابقة فقد راحت تحذرتهم، واحتكروا بعضهما، مثل تجارة عبيد، وحديد، وسوايل، وبحالت هذا الاتعاش الاقتصادي حدثت لهم نهضة فكرية كبرى، ونشؤوا المراكز الثقافية التي دأبوا بها مراكز شرق الثقافة لأخرى، وأصبحت لهم مكانة عالية تصم آلاف المخطوطات في مختلف العلوم والفنون.

وفي العهد الحديث حظي اليهود بمكانة قوية في بلاد مغربية لأخرى، فكان منهم المؤرخون مثل (سراكين) في المغرب، و(أندرس سس) و(أندريه ماروخ) في تونس، إلى جانب هذا فقد وقف الملك محمد الخامس ملك المغرب في وجه حكومة هتلر حينما حاولت اضطهاد يهود المغرب^(١)

معاملة السلاطين العثمانيين لليهود المهاجرين إلى الدولة العثمانية.

في ظل معاملة الدولة العثمانية بكرامة لليهود سمحت لليهود لعدم تمييزهم فيهم، والإقامة فيها كمستوطنين، مع تمتعهم بكافة الحقوق التي تكتل لهم الحياة الكريمة، حيث عمل اليهود في كل فروع التجارة والصناعة، ووصلوا إلى مراكز مرموقة في الدولة، وتمتعوا بالاستقلال الذاتي والبلديات، وقد بقي

وقد كان حاكم الأكبر هو ممثل يهود أمد الحكم، وكانت مدارسهم تتمتع بالاستقلال الثقافي، وكانت قصصهم تظن أمد محاكم على حسب شريعة اليهودية^(٢).

(١) محمد حر، يهود في الأندلس، المكتبة الثقافية، العدد ٢٣٦، السلسلة المغربية العدد للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠م، ص ٢٠-٢٢.

(٢) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٤٨.

(٣) ربيع شاكور، مرجع سابق، ص ٣١، نقلاً عن حسن صوري الحمالي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين، م ١، ص ٨٣.

وفي الوقت الذي حصصت فيه فلسطين لحكمه عثماني أوّل القرن السادس عشر الميلادي هاجر اليهود إليها، واستوطنوا (عندس) و(طرية) و(صفد) و(الخليل).

وفي القرن ثامن عشر هاجر يهود إليها مرة أخرى، واستقروا في (صفد) و(طرية) تحت حكم (صاهر العمر) الذي أعطاهم الحماية والأمن، وحلّال لحكم العثماني ثم تتحد أية إحصاءات صدياق يهود وصد حقوقهم الدينية وحكمهم الذاتي^(١).

وقد شهد المؤرخون العربيون واليهود أنفسهم على تسامح بني لاقه اليهود في العالم الإسلامي وخاصة الدولة العثمانية في حب العلماء والسياسيين، ومن ثمر هؤلاء الكاتب اليهودي لماركسي (أرعم يور) والكاتب اليهودي (أفريد بنس)^(٢) وصحفي الإسرائيلي (شمون سحفت) والكاتب اليهودي

(١) ربيع شاكرا، مرجع سابق، ص ٣١، صلاً عن ح. حاس، صهيونية وإسرائيل وآسية، ص ١٢٦، مركز الأبحاث-بيروت، ١٩٧٣م.

(٢) ولد أفريد بنس في بيروت في عام ١٩١٣م لأبوين يهوديين. حصل على بكالوريوس في فقه اليهود، وعمل ممثلاً لمطبعة وشيخ في المجلس الأمريكي ليهودية، لكنه سرعان ما انسحب منه بسبب سببه. حصل في مدينة إسرائيل، رار القذرة عام ١٩٤٤م. نشر مقالاً في مجلة (ريند) عن حزب العمال (الحزب الإسرائيلي) وطلب منى وقد أثر هذا المقال على بعض المنظمات اليهودية، وعصمت حملات ضدّه، واصلت في تأييد السفر. وأمريكتين من أصل يهودي كبره في برصده، حيث كان يعمل في مجال الشؤون اليهودية لدى، ه. حاربه لأمريكة في عام ١٩٥٤م أصدر كتبه لشهر (ثمن قيام إسرائيل) وكان لهذا الكتاب أثره الكبير في أمريكة، حيث جعلت (جون كنيدى) يرسل لأفريد رسالة منه جاء فيها: «إنني أوافق موافقة تامة على أن لا اختيار الأمريكى إلى أحد طرفي الصراع العربي-الإسرائيلي بشكلٍ حطراً على كل من الولايات المتحدة والعالم الحر».

أصدر لئيل بعد ذلك عدداً من المؤتمرات منها (الوجه الآخر للعملة) و(بني حث يعصبي الشرق الأوسط) كما أصدر دورية شهرية بعنوان (وجهات نظر حول الشرق الأوسط) طبت تصدر لمدة (١٧) عاماً، حتى قام متطرفون يهود بإشاعة قسدة على سيرته أثناء جولة له في نصفة العربية. وقد تم إقصاءه عن لدية يهودية إثر احتجاجه على

(ج. هـ. حانسن) وغيرهم وقد عر هؤلاء في كتاباتهم عن المعاملة العنصرية التي وجدوها بين المسلمين، الأمر الذي ساعدهم على العمل بحرية مطلقة. وقد شهدوا أنه «في ظل الإمبراطورية الإسلامية والدويلات التي قامت على أشلائها، والتي احتفظت فيما بينها بصلوات وثيقة، ازدهرت التجارة بين مناطق متباعدة، وتقدم لإنتاج الرعي، وراحت الصناعات اليدوية، وشارك يهود كسانر عند صر السكان في هذا التقدم ومارس عدد كبير منهم التجارة»^(١)

وقد وجد اليهود انديس كانوا يعانون الاضطهاد القاسي محالهم في البلدان المجاورة، وخاصة خارج البلدان المسيحية في العالم الإسلامي الذي فتح لهم صدره^(٢).

ويقول المؤرخون «إن العصر الذهبي لليهود منذ على انقرون سادثة مسد عام ٧١١م عندما كان اليهود يعيشون متمتعين بالهدوء والاحترام تحت السلطة الإسلامية في إسبانيا ولينغدان، وحين اصغر اليهود إلى نمر من وجه محاكم التفتيش المسيحية، وحدوا في شمال أفريقيا والشرق الأوسط ملجأهم»^(٣)

= عرو، إسرائيل لسان عام ١٩٨٢م وحينما شش أمان يهودياً، أحاب، لست يدي رعة في العودة إلى تلك المنطقة، وفي تشرين أول - أكتوبر ١٩٩٩م نصب حصه سكريم بيليتان بأعشاره من نمر مع حصص مصهيوية، وحدث معه بدوعه سن - (٨٥) أشرف على تنظيم احفاح حمس نورق أول أمريكي عربي بحصى مصهية مجلس لشيوخ الأمريكي (محنة يوسف، العدد ٤٠٤، تشرين أول - أكتوبر ١٩٩٩م، ص ٣٦-٣٨)

(١) ربيع شاكرا، مرجع سبق، ص ٢٦، نقلاً عن نمرهم سون (المفهوم جادون بمساء اليهودية).

(٢) نظر ربيع شاكرا، مرجع سبق، ص ٢٦، نقلاً عن نمر لسان، اهكد يصبع شرق الأوسط).

(٣) نظر ربيع شاكرا، مرجع سبق، ص ٢٦، على حد قول الكتب و سلف يهودي (نمر لسان) - د لمر جمع أوضاع يهود في يرد في المعص الحديث له من بين (١٠٠٠٠٠) (لناس ألف يهودي) يودعشون في يرد عام ٩٦٨ م سنة (١٠) (أثرياء جادون) (٨٠) من لأثرياء جادون، أو من منطقة المتوسط، و (١٠) (مفتد كانوا فقراء جادون) إلى مساعدة لأحابه يهودية و صها، انجس ندي صر على وضع يهود في يرد في محاد التعليم، حيث أصبح منهم صصه جادون و لساندة و لساندة و في جادونات =

لقد كانت فترة الاستقرار الأولى لليهود في القرن التاسع عندما وصفت لفتوحات الإسلامية في إسبانيا حداً للاضطهاد المسيحي لليهود هناك ومنذ القرن العاشر فصاعداً أخذ الضغط على اليهود في أوروبا الغربية في الازدياد ببطء، حتى إذا ما أضف القرن السادس عشر، كانت تلك المنطقة كملها قد أفرغت من اليهود، ما عدا بعض لحيوب الصغيرة والبعثرة في ذلك الوقت. تنقلت مجاليات اليهودية نحو الشرق، حيث وجدت في الإمبراطورية العثمانية الأمان، وانتقلت أيضاً إلى بولندا وروسيا حيث تجمع بقسم الأكر مناهم في المقاطعات الغربية من روسيا وبولندا، وهي التي عرفت فيما بعد بمناطق الاستيطان، فلم تكن هناك أي مشكلة يهودية في أي قطر عربي أو إسلامي في العالم بسبب تسامح الإسلام معهم^(١).

وحينما قامت لدولة العثمانية عام ١٢٩٩م شملت رقعة واسعة من العالم، امتدت في قارات آسيا وأفريقيا، وبعض أكراء من أوروبا، تولد عالم جديد عرف بعالم المهمة الإسلامية مع حدود أصحاب الديدات الأخرى بأحقينهم الدينية، فعاشوا مع المسلمين حباً إلى حب في ظل التسامح الإسلامي، سواء كانوا يهوداً أو نصارى.

كان اليهود يعيشون في ظل الدولة العثمانية عهد أمان واستقرار، حيث طبقت حكومة العثمانيين عليهم أحكام الشريعة الإسلامية، فكان للحاكم اليهودي الذي يمثل جميع اليهود في الدولة أمانة الحكومة العثمانية، عليه مهمة تحديد مصرات لصدقات يهودية التي يعيشها، وكان له الحق في اختيار الرؤساء المحليين، وكانت لهم مكنتهم بدينية رسمية في الدولة، وكان لهم استقلالهم الذاتي في إدارة ممتلكاتهم، وفي التعليم، وفي إقامة كنس والمعابد الخاصة بهم، مع الحفاظ على تراكيبهم الاجتماعية وعاداتهم وطقوسهم الدينية،

= وكان أكثر من نصف أولاد يهود بدرسوس في مدراس عبرية رفيق شاك، مرجع سابق، ص ٣٥ - ٣٦ بدلاً من كتاب شموئيل سيجف (مجلد الأيراني)، ص ١٨٠ حدث للصحفي (سرايبي) (شموئيل سيجف) عن أحوال يهود في إيران (١) رفيق شاك، مرجع سابق، ص ٢٨ بدلاً من ح ه حاس، الصهيونية وإسرائيل وآسيا.

إلى جانب مدارسهم المتوفرة في المحاللات الإدارية و لاقتصادية، كما كانت لهم مدارسهم الخاصة بهم^(١)

أما من ناحية السلاطين العثمانيين فقد عاينوا اليهود لمعاملة الإسلام الكريمة التي أمر بها الإسلام...

وفي عهد أورخان بن عثمان (١٣٢٦ - ١٣٥٩ م / ٧٢١ - ٧٦١ هـ) نبي حكام لعثمانيين سمح لليهود ب إقامة حارة ومعبد خاص لهم في مدينة بروسة وهو أول سلطان أعطى اليهود مميزات خاصة. كما أذن لليهود ساء صومعة كانت ما تزال تمارس نشاطها حتى الأربعينيات من القرن العشرين، وبعد فتحه مدينة إربيق سمح لأهلها بإقامة شعائره الدينية الخاصة بهم^(٢)

وفي عهد مراد الأول (١٣٥٩ - ١٣٨٩ م / ٧٦١ - ١١٩٢ هـ) عام ١٣٦٥م استولى السلطان مراد على أنقرة، وحولها إلى عاصمة بدلاً من بروسة، وأصبحت فيها أكثر الصويف اليهودية لكونها أكثر مدن الدولة العثمانية في ذلك الوقت^(٣).

وفي عهد مراد الثاني (١٤٢١ - ١٤٥١ م / ٨٢٤ - ٨٥٥ هـ) أصبح من حق اليهود تملك الأراضي نتيجة سياسة التسامح التي أولاهم بها السلاطين العثمانيون وخاصة السلطان مراد الثاني، الذي لقبه اليهود (بأرحل الإسلامي الكبير)^(٤)

وفي عهد السلطان مراد الثاني تقدم مجموعه من حكامي اليهود في أوروبا بطلب إليه ب السماح لهم بالسفر إلى الدولة العثمانية، فبني طلبهم دون قيد أو شرط، وحدث مهاجرون يهود معهم حراتهم في استخدام السدق، وصناعة المدافع التي عرفوها، وعندما تم فتح 'دره'، أعطى رئيس حكامتها سيادة على كافة يهود الروملي^(٥).

(١) نظر أحمد بوري العيمى، ص ١٨ - ٢١، ورفق شكر، مرجع سابق، ص ٣١

(٢) محمود شكر، تاريخ الإسلام، العهد العثماني، مكتب الإسلامي - بيروت، ١٩٨٦ م، ٨، ٦٤

(٣) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ١١.

(٤) عائدة اعلي سري ندين، دون مملث، مرجع سابق، ص ٣٢٢

(٥) أحمد بوري العيمى، اليهود و الدولة العثمانية، مرجع سابق ٣٥ / ٣، Abdurrahman 99.S.e.g. kucuk

وحينما فتح سلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١ م / ٨٥٥ - ٨٨٦ هـ) القسطنطينية (إستاسول) عام (١٤٥٣ م / ٨٥٧ هـ) رُحِبَ ليهود به، حيث رُدت امتيازاتهم في عهده، و انتظموا تحت رعاية رئيس المحامات وقد فتح السلطان المُنْتَاحَ المحالَ للتواجدِ اليهودي بالدولة، وسمح لهم بالهجرة إليها من مناطق (أسكوت)، و (سلايك) و (حاص كوي) وأسكنهم جاً خاصاً بهم في إستاسول، حيث كان في حاجة إلى زيادة السكان في هذه المنطقة

ومن أهم الامتيازات التي منحها المُنْتَاحُ لليهود، السماح لهم بأجراء طقوسهم الدينية بحرية مع المحافظة على كنسهم القديمة كما هي، وعدم منعهم من وضع نُصُور في الكس و البيوت، وألا يُسمَعوا من قراءة تنوّة شكّل عني

وفي هذا المجال أصدر السلطان محمد المُنْتَاحُ إعلاناً لكل يهود جاء فيه

«ليرتقوا امرلة العرش العالي، ويستوطنوا فصل أرض، تحت شجر الأعاب عائدة لهم مع حصّة والذهب مع الثروة والأعاب»^(١)

في ذلك الوقت برز لأضواء اليهود في سلاط العثماني، وأصبحت لهم شهرة واسعة، فكان من بينهم (الحكيم يعقوب) و (دابال فوسيك) و (حريال).

وفي عهد الفاتح أيضاً قام رئيس طائفة يهود ويدعى (إسحق صفني) بدعوة يهود العالم إلى الهجرة إلى الدولة العثمانية، مؤكداً لهم أن موضع في الدولة العثمانية يساعد يهود على العيش فيها بأمان وحرية^(٢)

يقول (د شمد) تعليقاً على سياسة الفاتح مع يهود (بحسب التحقيق بأي عقل وبأي فكر سلط المُنْتَاح هؤلاء (اليهود) على رئاسة الدولة، كما أنه أحدث بدعاً لم سمعها ولم يرها نسب إلى يهودي يصاني يسمى (الحكيم يعقوب)^(٣).

(١) 99 S e.g. Kucuk A.R, a g e.S 85,86.

(٢) بطريركي السعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، نقل عن Güeryuz Nam

"The History of the Turkish Jews" S.p 28

(٣) أحمد بوري السعيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق ٣٣ ٢٨

(٤) İsmail Hani Danışman I Izah Osman Tarih Kronolojisi 4 c İstanbul ١٩72

وتؤكد المصادر، أن اليهود هم الذين تسبوا في مقتل السلطان المتاح باسم، بالرغم من معارضة سلطان المتاح الطبية لهم. ويقول (باسحر) لكتاب الفرنسي إن سادقة حوونو قتل السلطان المتاح باسم أربعة عشر مرة، وفي النهاية تم اختيار (مستر ولكوب) وهو يهودي لأصل، الذي أسلم وسمى نفسه (يعقوب) جاء إلى تركيا هرباً من إيطاليا. وكان قد عمل في قصر السلطان ثلاثين عاماً، وأصبح ضمن الأصدقاء المحضين لسلطان المتاح، وقد تم إقناع يعقوب بتسميه المتاح مقادير رشوة كبيرة، لكن هذا مصادره أخرى تنفي موت سلطان المتاح باسم وإنما مات بسبب مرض (القرص) الذي يصيب معظم السلاطين، ومنهم (تكني دج) و(دورسونك) و(دي لامارتين) وكذا (دشمند)

ويقول (نوتوحي رويات) (بودير) و(باسحر) أن المتاح سممه الطبيب اليهودي (يعقوب) عن طريق يهود الدوسمة في مقادير رشوة بلغت (٢٤٠) مليون ليرة تركية.

قال (حيدر الله أفندي) عام ١٨٦٦م "إن الطبيب يهودي (يعقوب دشا) استمر مدة طويلة في إعطاء المتاح أدوية حادة بهدف قتله، لكنه قتل في هذا الوقت دشات، وتؤكد (حيدر الله) أن يعقوب دشا من يهود الدوسمة، وقد مات في سن مبكرة، وكان يروي جمع إمير صورييت روم شرق والعرب"

أما السلطان مايريد الثاني (١٤٨١ - ١٥١٢م) (٨٨٦ - ٩١٨ هـ) فقد شجع الوجود اليهودي في الدولة، ونحس لهم، وأسكن جزءاً منهم في سلاسل، وجزءاً آخر في ساقيز^(٢).

وعبر عن هذا بقوله "بني مدهش من الذين يقولون إن فرديبند ملك ساساني دكي، فهو يصعب دونه ويعني أرضي"^(٣)

(١) Abdurrahman Kucuk, a.g.e s.90-97.

(٢) Abdurrahman Kucuk, a.g.e.s. 1.1

(٣) عابدة، دول مثنت، مرجع سابق، ص ٣٢٢ نقلاً عن
Bratuşew's Emergence of Modern Turkey, London Oxford p 7 208

وعلى الرغم من هذا، فقد كان أول عمل قام به اليهود الذين جاؤوا بعد عهد بايزيد الثاني أن قاموا بالاستيلاء على أموال الترك، الذين حموهم، الأمر الذي أدى إلى زيادة ثروتهم^(١).

حيث سُمح لليهود بالهجرة إلى الدولة العثمانية بدون قيد أو شرط، وأعطاهم الحرية التامة، ولإقامة في حزيمة (ساقير)

وأم السلطان سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠ م) (٩١٩ - ٩٢٧ هـ) فعندما فتح مصر أقر نزعماء اليهود الدينيين كافة مصالحيات، ورضيهم بـ «عصمة إستانبول»، ولقب الواحد منهم بلقب (نجد) أو (ريس) أو (ربي) وأعطى كل جماعة يهودية حق حكم نفسها بنفسها تحت سلطة حاكمها المحلي^(٢).

أم السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦ م) (٩٢٧ - ٩٧٤ هـ) فقد تزوج من فتاه يهودية أكرانية تدعى (روكسيلانة) وهي تدعى (خاتم سلطان) وذلك في القرن السادس عشر، وكان لهذه السيدة نفوذ كبير في قصر السلطان، حيث زوجت ابنها (مهرماه) من (رستم باشا) الكروني الأصلي، واستطاعت نفوذها قتل (إبراهيم باشا) - الصدر الأعظم - وتنصيب صهرها (رستم باشا) بدلاً منه، ومن ناحية أخرى دبرت هذه السيدة مؤامرة حقن دماء العبد (مصطفى بن سليمان القانوني) من زوجته الأولى، وتنصيب ابنها (سليم) ولياً للعهد بدلاً منه^(٣) وكانت الدولة تصب بأرمت لولا وجود بوربر (محمد باشا صوفلي) الذي لعب دوراً في تمسك الدولة، ومعها من الأتباع^(٤).

وفي عهد السلطان سليمان القانوني حار الطبيب ييه دي (حوريف داسي)

(١) Abdurrahman Kucuk, a.g.e.S. 104.

(٢) انظر كمال حبيب، مرجع سابق: ٣٥٠ / ٢.

(٣) أحمد نوري لغمي، يهود الدولة، دار نشر مؤسسة البراءة بيروت ١٩٩٥ م
١٧ - نقلاً عن مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة كمال حوكة، دار السلام - بيروت ١٩٧٨، ص ٢.

(٤) علي حسن، مرجع سابق، ص ١٨٥.

مكانة راقية وكان مقرباً للسلطان^(١).

وبعد فتح السلطان سليمان لقانوني حرية رودس عام ١٥٢٣ جاء اليهود الذين استقروا في حرية ساقيز إلى رودس، فمسخهم السلطان امتياز (حق صناعة) معدن كريت - ايحرنبي، وأعطاهم إمكانية الإثراء^(٢).

وفي عام ١٥٢٥م - ١٥٢٦م عندما فتح القانوني (بوداست) قام بتخصيص سهر لنقل لليهود الذين كانت حائتهم سيئة في (بودين) (بوداست) (استرحوت)، وأعلن أنه لن يمس ضرر أموال وعيال الكافرين، وقام بنقل ما يقرب من ألف أسيرة من الرعايا واليهود المستأمنين إلى دار الإسلام، وتمكن العديد منهم مطلقاً (بدي قوله) وأرسلت فرقة يهود إلى سلايك وسائر المملكة^(٣).

وقام السلطان سليمان بإعادة بناء أسوار مدينة القدس، فسحبت الفرصة لليهود باستيطان بعض أحرار من قسطنطين عام (١٥٦١م) (٩٦٩هـ) ومنح سلطان سليمان مستشاره (حوريف ناسي) ندي استنجد به عند فراره من نيرتغال^(٤).

(١) أحمد نوري النعيمي، مرجع سابق: ٢٨/٢٣.

(٢) نوري، اليهود والدولة، مرجع سابق، ص ٢٨
Abdurrahman Kucuk age Donmeler s. 02 - 36 Tanya p. 108

(٣) Abdurrahman Kucuk Donmeler age s. 162

(٤) ولد (يوسف صده) الملقب بالناسي في استرعت في بداية القرن ١١٦٠ هـ، مات في سنة ١٥٦٩ وهو يهودي تنصير، ثم قساً عن استيرانية، مسجد بالسلطان سليمان بندي، وكان سليمان النعيمي ولد يهودي هو صاحب السلطان، وكان اسمه موسى هدمون، مسجد به يوسف وروخته عرساً، حيث كان معتقياً في استيرانية، فموسى موسى هدمون إلى سلطان، حيث من مركز يوسف ناسي ندي بالسلطان، فأرسل سلطان معه إلى استيرانية، وحصل بصلاح مخرج معتقياً ورثة أملاكهما إليهما، وعند ندي ندي به لعمامة بعد عرس، وكان معتقياً لمسجد، فكان وقت ندي يوسف، حتى أحب بددهما إلى اليهودية مرة أخرى، وعاش يوسف إلى جانب سلطان سلطان ثلاثة عشر عاماً، وعقد به سلطان عشره مع سبع قرى محاذرة، وملكه كل هذه القرى، وبسعيه، واستنجد به صاحب لليهود، وكان يوسف دور في نقل اليهود حقودودس من استيرانية ونيرتغال إلى قسطنطين عن طريق بطان.

كان يوسف ناسي يعرف باسم ادون حوان ميعير، يتعاطى لأعمال لغانية

امتياز على مدينة (طرية) الواقعة على الساحل لـعربي بُحيرة طرية مقابل دفع مبلغ من لـمال سنوي، واستطاع حوريف استحلاب اليهود، وتوطيئهم، إلا أن هذا المشروع فشل، لعدم إقبال اليهود على الحياة في فلسطين، حيث كانت المنطقة فقيرة.

وبعد ستيلاء لسلطان سليمان على المحر، حبس أغلب اليهود الذين كانوا هناك إلى تركيا، ووضعهم في (بلاوية) و(بيكولي) و(أدرنة)، وقد استفاد هؤلاء من حقوق المواطنة في تركيا، وقد وصف اليهود معدنة سليمان القانوني لهم بقولهم "لقد جاء المسيح المنقذ وحلّب لنا السعادة. وأوضحوا أن الطريق إلى تركيا هو طريق الحياة بالنسبة لهم"^(١).

ومع نهاية القرن (١٦) برح عدلية ليهود من فلسطين، وأصبحت صورية أصلاً خلال القرن (١٧م)^(٢)، وأقام السلطان سليمان أيضاً نظاماً دبلوماسياً يعطي امتيازات لـرعايا الدول الأجنبية المقيمين في الدولة ومسحهم لحماية^(٣)

بإضافة إلى هذا قام السلطان سليمان بإرسال رسالة إلى البابا (بول الرابع) في آذار - مارس سنة ١٥٥٦م ضابطاً منه إطلاق سراح بعض اليهود معلماً أنه أهم مواطنون عثمانيون، فلم يكن لدى البابا سوى إطلاق سراحهم، لأن

والمصرفية، وبمقتضى ذات بحارة بحرية، وكان صاحب ثروة ضخمة. وله اعتباره في الأوساط السياسية لأوروبا، وقد أرسل استيوار ١٥٤٤م وكان يعرض لشركات تتي يمكنها وعلاقته بأوروبا يؤمن للسلطنة اعتماديه معلومات استخبارية، ويشارك في اجتماع بـدبون بصفته مستشاراً، ويغده تقرير عن الوضع الديني والاقتصادي للدول الأوروبية، وتشكيلاتها العسكرية، وبصفها البحرية (أحمد بوري لـعيمي، ليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٢٤-٢٥).

و نظر أيضاً لـرؤس كولات حكماء صهيون، مرجع سابق، ص ٥٤٢ - ٥٥٩، ومحمد نور الدين (تركيا في الزمن المتحول)، مرجع سابق، ص ١٦٨، عبيدة العلي (دول المثلث)، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

(١) A.R., Donmeler, a.g.o. S.103.

(٢) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ١٤.

(٣) المرجع السابق نفسه.

لدولة العثمانية كست في ذلك الوقت قوة عظمى^(١)

ثم لحا اليهود القارون من إسبانيا إلى (حبر بدين بارباروس) لفظل
لعثماني الذي قام تهريبهم لإبقادهم من انداح التي تعرضوا بها في إسبانيا،
وحلبهم إلى ندونة العثمانية، واسكنهم في ثغورها^(٢)

أما سلطان سليم الثاني فقد قام بفتح بعض اليهود أنبأ جمعيتهم في مكانة
عانية في بلاطه ففي عام ١٥٥٣م كان عدد اليهود في ندونة العثمانية ما يقارب
خمسمئة شخص من أبرهم (براهيم كسترو) اليهودي الذي عيه سلطان سليم
وزير المالية، وكان مسؤولاً عن سكة العملة في مصر، وكان ولاية مصر عثمانيون
يحتارون شخصيات يهودية لقيام بالأعمال المالية^(٣)

ومن أهم الشخصيات اليهودية البارزة في تلك الفترة أيضاً كست يهودي
(يوسف ناسي)^(٤) الذي انتحأ إلى تركيا بعد فراره من السديقية، وتمكن بأمواله من
استقر إلى (الملكة ماري) الهسبارية التي اتخذته أمياً سريراً بها، وفرصته بالقيام
بعمل اتفاقيات مع ندونة مدلاً منها، حتى وصل الأمر إلى أن مولد نولوبيا وفرنسا
فكانوا يقترون منه الأموال، وهو الذي قام بكتابة صيغة المعاهدة التي وقعت
بين فرنسا وتركيا عام ١٥٦٩م، وقد كتبت هذه المعاهدة باللغة العبرية^(٥)

(١) أحمد نوري النيمي، اليهود، مرجع سابق، ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ١٣.

(٤) في عام ١٥٦٩م فتح سلطان سليم يوسف ناسي حق مصادره جميع سمن سارة في
الحياه العثمانية، وحق ربهها، ففتح يوسف سمن في الإسكندرية على الرغم من
احتجاج سمن نبرسي إلى سلطان سليم وعنده توفي سلطان سليم (١٥٧٤) فقد
يوسف ناسي نفوذه السياسي، وقضى بقية حياته في قصره، واستولى سلطان مر د على
تركته برف من صدر الأعظم محمد الصوفي، كان يوسف ناسي مسداً لعملاء
العمود، وأسس مطبعة يهودية، وقد أخرج كتاباً أثبت فيه أن التوراة أصبح من قبله
الرب، وكان يعرض من ذلك إعلاء شأن التوراة، انظر برونوكولات حكماء
صهيون، مرجع سابق، ص ٥٤٢-٥٥٩.

(٥) س. ح. المعنوف في الأرض، مرجع سابق، ص ٣٢٠-٣٢١.

كان ليوسف ناسي تأثيره الكبير على الدولة في الأمور الاقتصادية والمالية، وكان له دوره البارز في نشر فكرة تجنec اليهود في مكان معين، وقد شجع الهجرة إلى فلسطين، وتمكن من إعطاء اليهود بعض الأرض في فلسطين^(١) وانتقلت إلى أيدي يهود أمور التجارة والحمرk والانتراء^(٢).

في ذلك الوقت عاش اليهود بفضl الأرض التركية، وسعو إلى تحويل مورد حياة لترك إلى حيويهم، كما أدى تحرير وجمع اليهود بالأموال في إستانبول إلى فساد العملة^(٣).

كان السلطان سليم الثاني دكياً المعياً، وكان هناك صرفان يتحاذيه الأول الصادر الأعظم محمد صوqلي (١٥٦٠ - ١٥٧٩ م) وتجاهه توطيد لسلم مع البندقية، واستمرار الحرب مع إسبانيا.

والطرف الآخر يوسف ناسي، اندي محه اسسلطان سنيم لقب دوق دون كسون صاحب البحر الأبيض، ورعيه اليهود المطرودين من إسبانيا وإيطايا والمقيمين في الأستانة وسلايك وأدرية وكوا يعدون عشرات الألوف كما رحب السلطان سليم الثاني باليهود، وأعطاهم حرية الكاملة في ريادة أراضيهم لمقدسة، كما جعل (الحاحام ناسي) رئيساً لهم، وعين لهم (كحيا) ليمثل مصالحهم لدى الحكومة^(٤).

وفي عام ١٥٧٠ م حرص يوسف ناسي السلطان سليم على محاربة البندقية إثر رفضها التخلي عن قبرص، وكان ناسي يريد قبرص ليتحدده مدحاً لإخوانه يهود المصريون من إسبانيا، وتعهد السلطان سليم بأن يقوم بتمويل هذه الحملة والإنفاق عليها^(٥).

(١) أحمد بوري عيبي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق ٣٥/٣٠، نقلاً عن ترك والصهيونية:

Cec. I Roth, The House Nesl Dna Grecia, Greenwood press New York 1984, S 88

(٢) Abdurrahman Kucuk, a.g.e S 104

(٣) Abdurrahman Kucuk a.g.e Donmeler S 105

(٤) انظر كمال حبيب، مرجع سابق: ٢/٣٥٠.

(٥) س. دحي الممسدون في الأرض، مرجع سابق، ص ٣٢٢ = Abdurrahman Kucuk

وبعد حروب وشد ند استطاع العثمانيون الحصول على قرص سنة ١٥٧١م
وستمرت تحت الحكم العثماني حتى عام ١٨٧٨م إلى أن تركها سلطان
عبد الحميد لبريطانيا.

وكان السلطان سليم الثاني متروخاً من سيده تدعى (نوربانو) اليهودية
الأصل، وقد أنجب منها الأمير (مراد الثالث) وهذه السيدة هي التي فسحت
المجال لليهود للتدخل في قصر السلطان^(١)

وعندما توفي السلطان سليم عام ١٥٧٤م وجاء السلطان (مراد الثالث)
(١٥٧٤ - ١٥٩٥) في تلك الفترة انعقد الصلح بين الدولة العثمانية وإسبانيا وبعد
ذلك بدأت الدولة العثمانية في الانهيار، ووقف محمد صوقي باشا في وجه
(يوسف ناسي) إلا أن السلطان مراد أعرض عن مصالح (الصوقي) الذي عتيل
بعد ذلك.

قام السلاطين والنوراء العثمانيون باستخدام عدد من الأصدقاء اليهود، الذين
تعلموا الطب في الأندلس، وسفروا فيه، وقاموا باستئجارهم من دفع لأجور
للدولة أمثال (حسداي بن شروط) و(يوسف ناسي) وغيرهم^(٢)

وفي عام ١٨٣٦م قام السلطان العثماني محمود الثاني بإصدار مرسومين
خاصين بمعاملة أهل الدمة من اليهود والنصارى جاء فيهما

= 107 g « ذكر حالتي أنه لما وقعت حرية قرص في يد الترك عام ١٥٧٠م في عهد
سليم الثاني أصدر أمراً بتوطين خمسة يهودي أرمني لتحقيق عصر الأمن لمستقبل
لحرية، ولهد فقد جعل السلطان سليم الثاني لأقرباء مصر من لحرية بدلاً من
الأتراك، ومن هـ استغل يهود هـ اليهود كفرصة لتحقيق هدفهم الصهيوني
(Abdurrahman Kucuk, a.g.e S 108)

(١) أحمد موري العيمي، اليهود و الدولة العثمانية، مرجع سابق ٣٥ ٣٠ بقول د. شمس
إن (نوربانو) سلطان هي التي فتحت باب لليهود اليهودي في القصر العثماني، وهي أم
سلطان مراد الثالث، ومن يهود الدومة، كما أنه في عهد مراد الثالث كانت توجد ساء
يهوديات يتحكم في انوراء عثمانيين AR Kucuk, a.g.e s 107
(٢) أحمد عثمان، مرجع سابق، ص ٥١.

الأول تبعاً لأصول الشريعة الإسلامية صدر تصريح يقضي بالمساواة في الحرية الدينية لكل المواطنين في تركيا، الذين يتبعون أصول الديانات الثلاث

لثاني. ورد فيه (ولكي تستطيع كل جماعة دينية أن تمارس في حرية كاملة تعاليم دينها دون تدخل، نصرح بأن لكل مواطن أن يعبد الله تبعاً لأوامر دينه، وألا يحصر أي شخص على ترك دينه ومعتقداته)^(١)

وعلى الرغم من التسامح العثماني الذي وحده اليهود في حياتهم بين ربوع الدولة العثمانية، إلا أن لليهود لم يندمحووا داخل المجتمعات التي تواجدوا فيها، فقد تكتسبوا في أحياء معينة خاصة بهم، وحاء تكتسبهم هذا شيعة لرواسب قديمة عيشوها في ظل الاضطهاد الذي عاينوا منه في أوروبا، حيث عاشوا فيها حياة عرالية معلقة، حتى يستطيعوا الحفاظ على عاداتهم وتقاليدهم، فكثروا ما يعرف بالأحياء اليهودية أو (الجيتو)^(٢).

وكان لليهود يحافون من الشعوب التي يعيشون بينها، فتكوت لديهم

(١) أحمد نوري العجمي، أثر الأقلية اليهودية في سبسة الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٨

(٢) الجيتو هو حي مفسور على إحدى الأقليات الدينية أو القومية، ويستخدم في الإشارة إلى أحياء اليهود في أوروبا، ويرجع اشتقاق كلمة (جيتو) من الكلمة الألمانية (جهكتر) التي تعني مكتاً محظراً لأسوار، أو الكلمة العبرية (جيت) التي تعني الانعزال أو العزلة، نورد في السهم، أو أنها ترجع لكلمة (بورجسو) الإيطالية التي تعني (قسماً صغيراً من المدينة).

وفي (الحسو) كان اليهود يهرب من العاصم حارحي إلى هذه الحي حيث يمارسون فيه طقوسه الخاصة، ويحتوت هي التي ألفت الصهيونية، فكان اليهودي يعتبر العاصم المحرج عن الجيتو عموماً غريباً وشريئاً، أما داخل الجيتو فهو يشعر بالأمن والطمأنينة ويمكن القول بأن معظم المفكرين الصهاينة نشؤ في هذه الجيتو وقد كان إنشاء المستعمرات والمستوطنات في فلسطين على شكل جيتو حيث تحاط المستعمرة بسور وبرج، وينشأ هذا الشكل في حطباريف، فكان يتكوّن من عدة أسوار وأبرج ويظهر أثر الجيتو على اليهود في نظرتهم الانعصائية تجاه العالم النصراني الوهاب المسيحي، موسوعة المفاهيم ومصطلحات اليهودية، ص ١٥٤ - ١٥٦ وساء صري، لجيتو اليهودي، ص ١٧ - ٣٦، ط. دار القلم بدمشق.

كراهية هذه الشعوب، وحقدهم عليه. وتموا السيطرة على الشعب، وذلك نتيجة القيود التي فرضتها عليهم أوروبا باعتارهم عرباء، حيث كان محظوراً عليهم تولي المناصب، أو مراوئة لهم في الحرف المختلفة

وبالرغم من السماح الذي وحدوه لدى الدولة العثمانية إلا أن ظروفهم السابقة وأحقادهم السابقة جعلتهم يشعرون نفس الأساليب التي كانوا يتبعونها في أوروبا، حيث قاموا بقتل بعض السلاطين مثلهم فعلوا، في قتل سكندر قيصر روسيا عام ١٨٨١م^(١).

ومن الأخطاء التي وقع فيها سلاطين الدولة العثمانية أنهم لم يدركوا الشخصية اليهودية التي تواجهم، وما يمكن أن تؤدي به إلى هلاك الدولة والقضاء عليها وقد اعترف اليهود أنفسهم بهذا الأمر حينما كتب أحدهم يقول «لقد استيقظ ضميرنا على معاملة هنتر لليهود، لقد شعرنا بالحاجة إلى خلق وطن يستطيع أولئك المستعبدون أن يحوزوا إليه أما الحقيقة التي عكسها فهي هذه إما احترام لهم مبرر شخص آخر، إن معادي اليهود كانوا عربيين الحرمان والاسامية توجد في أمريكا وفي بريطانيا، كما توجد في كثير من البلدان الغربية، ولكنها لم توجد في البلدان العربية قط. إن العرب ساميون أيضاً، وهكذا فكيف ندفع دين صميرنا بكره العرب - دين لم يزلوا لليهود أي أدنى على تسديد الكميالة»^(٢).

ثورة الشيخ بدر الدين السماونوي ودور اليهود فيها:

في عهد محمد حلي (١٤١٣ - ١٤٢١م) حدثت حركة دينية يهودية انفصالية، تسمت بطاع اجتماعي واقتصادي هي حركة الشيخ بدر الدين اس قاضي سماونة، وبمساعدة اليهودي (طورلاق كمان) فعند وفاة بايريد الأول (الصاعقة) دحلت الدولة العثمانية عصر انهيار امتد إحدى عشرة سنة، وقد سمي

(١) رفيق شاكر، مرجع سابق، ص ٢٠.

(٢) رفيق شاكر، مرجع سابق، ص ٣٥. فلاح الفرد بك، هكذا أصبح الشرق الأوسط.

ص ٣١٤ Stanford, Show, Turkey and The Holocaust Hong Kong, 1993 p 14-26

هذا العصر فاصلة السلطة، وتقسّمت الدولة بين الأمراء أثناء بايريد وهم عيسى، ومحمد، وموسى، وكان من بين جيش موسى عالم شيبى يدعى (بدر الدين بن إسرائيل) وكان يشغل منصب (قاضي العسكر) أعلى مناصب في الدولة العثمانية في ذلك الوقت، وهو الذي قام بثورة من أجل الحصول على السلطة في الدولة بمساعدة يهودي يدعى (طورلاق هود كمال)^(١)

ولد بدر الدين عام ١٣٦٨م وقد اشتهر باسم قاضي سماوية نسبة إلى قلعة سماوية التي ولد فيها. وهي إحدى قرى أدرنة، التي تقع في الجزء الأوروبي من تركيا كان أبوه قاصياً، وكان أميراً على عسكر لمسلمين فيها وتذكر ترويات أن بدر الدين من سسل (علاء الدين كيقباد) سلطان سلاجقة لأصول، وعبد لعرب أحد بدر الدين شارك في احتلال العثمانيين للروماني، وسقط شهيداً في معركة ديموطيقة^(٢).

أخذ بدر الدين العلم في صباه على يد والده، وحفظ القرآن الكريم، كما تعلم النحو والصرف وتنقى تعليمه في قونية، وفي مكة، والاهرة، أشهر المراكز العلمية في ذلك الوقت^(٣).

تقول المصادر إن بدر الدين كان على صلة بالسلطان برقوق في مصر، وتيمورلنك، وعدد من السلاطين العثمانيين، وقد نال شهرة في مجال الفقه والتصوف والسياسة^(٤).

أدركت الشيخ بدر الدين الحذبة الإلهية، وأصبح مريداً للشيخ سعيد الأخطاي، الساكن بمصر وقتئذ، ثم أرسنه الشيخ الأخطاي إلى بلدة (تبريز) لإلقاء الإرشاد الصوفي هناك، وقد أسس رئيس حزيرة (سافر) على يديه بعد أن كان نصرانياً^(٥).

(١) محمد حرب، العثمانيون في التبريز والحصارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ص ١٠٣.

(٢) Abdurrahman Kuc., Donmelertarihi, Ankara.

(٣) Dan smened a g e 1\162, Adurrahman Kucuk S 75

(٤) Abdurrahman Kucuk, a.g.e ,S.75.

(٥) طاشكوبريلي راده، الشقائق النعمانية، مرجع سابق

سافر بدر الدين إلى إرنيق، واستقر بها، ومن إرنيق بدأ الشيخ بدر الدين دعوته، ذكر المؤرخون أن بدر الدين أراد الترقى من رتبة شيخ إلى رتبة ملك، فاحذر واحداً من يهود، حتى يكون ساعده لأيم في ثورته الدينية، وهو (طورلاق هود كمان) وكان من معيب، وتقرب المصداق أن ثورة بدر الدين الدينية كانت ثورة اجتماعية.

قام (طورلاق اليهودي) في مغنبا مدعوة لنصارى وتحريضهم على العصيان على الدولة العثمانية، وحلظ أفكاره بأفكار بدر الدين، وكنت هذه الثورة تضم الروم والمسيحيين والعنويين، وكان يساعدهم في هذه الثورة (بورقنوج مصطفي) خدام لشيخ بدر الدين، سدي عيه بدر الدين كنخدا (وكيل) وقد وصف إسماعيل حامي دشمند هذه الثورة بأنها كانت ثورة شيوعية، المعرض منها توريط الدولة العثمانية التي تحلصت من عهد المتور لأرمة أشد من سابقها^(١)

يقول (دوكس) في معرض كلامه عن ثورة لشيخ بدر الدين إن أحد أعوانه وهو (بورقنوج مصطفي) كان يعط الأتراك أن تكون كافة الأشياء - مثل الأكل والملبس والحيوانات والأراضي - مشتركة بين عموم الناس باستثناء النساء^(٢)

زوج بدر الدين أفكاره التي بادت بحلال تقسيم الأراضي والأموال بلافق بين الإسلام والمسيحية واليهودية، كما أحل المحرمات في الدين الإسلامي، وأشاع أن الدنيا ملك مشترك لسي الإنسان^(٣).

وقد اجتمع في هذه ثورة آلاف المؤيدين لطورلاق كمان يهودي، كما وصفت هذه الثورة بأنها ثورة اجتماعية ودينية وفلسفية سعت لإيجاد دين جديد، أرادوا بحلال العادية فيه، وتشيت أفكارهم بمبادئ فلسفية تهدف لإضعاف الدولة العثمانية من الداخل أثناء دحولها عهد الارتقاء^(٤)

(١) Abdurrahman Kucuk, a.g.e., S 77.

(٢) محمد حرب، عثمانيون في تاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(٣) Abdurrahman Kucuk, a.g.e., S 80.

(٤) Abdurrahman Kucuk, a.g.e., S 81.

كان الشيخ بدر الدين لا يهتم بفروق تدين أو المذهب، وكان العلويون أكثر المجتمعات قبولاً لأفكار بدر الدين، ومُساعده لليهودي (طور لاق كمال)

ينقر صاحب كتاب (هشت بهشت) عن الشيخ بدر الدين قوله يس في الهدف من ثورته على الدولة العثمانية "يبي مسأور" من أجل امتلاك العالم، وباعتقاداتي ذات الإشارات العيبية سأقسم العالم بين مريدتي بقوة العلم وسر التوحيد، وسأعطل قوبيين أهل التقليد ومذهبهم، وسأحلل - أتساع مشربي - بعض المحرمات^(١).

وقد نمة قمع هذه الثورة وقتل (طور لاق كمال) حيث أرسل إليه السلطان محمد الأول حيثاً بقيادة بايزيد باشا، وكان بصحته ولي العهد الأمير (مراد) لقتل اليهودي (طور لاق كمال) وقدر عددهم تذك ثلاثة آلاف رجل في معنيسا حيث ظفروا به وصلبوه^(٢).

وتم اعتقب بدر الدين عن طريق هيئة من العلماء، وتمت محاكمته، وأقيمت مناظرة علمية كما أقيمت محكمة شرعية، ترك فيها القصة الكلمة الأخيرة للشيخ بدر الدين ليحكم على نفسه، وأصدر الشيخ بدر الدين لحكم على نفسه بالإعدام^(٣).

جمع الشيخ (بدر الدين) آراءه في انقعه في كتاب (جامع الفصولين) أما آراؤه في فلسفة والتصوف فقد جمعها في كتابه (وردت) وله كتب في الصرف وال النحو والتفسير، منها كتاب (لطائف الإشارات) وكتاب (التسهيل) في الفقه، وله في التصوف كتاب (حاشية على مطلع حصوص الكلم في معاني فصوص الحكم) و(مسرة القلوب) وله في التفسير كتاب (نور القلوب) وفي الصرف والنحو (عقود الجواهر) و(جراغ الفتوح)^(٤).

(١) محمد حرب، عثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ١٠٩-١١٠

(٢) المرجع السابق، ص ١١١.

(٣) Abdurrahman Kucuk age 578، ومحمد حرب، عثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ١١١-١١٢.

(٤) محمد حرب، عثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ١٠٦-١١٨ وانظر =

وهي كتاب (واردات) قدّم الشيخ بدر الدين نظرية وحدة الوجود، وقدم
بنشرها بين أتباعه.

ومن أفكاره قصر شهادة على صفها الأول، بمعنى أن تقتصر الشهادة على
قول: «لا إله إلا الله» وحذف وصفها الثاني «محمد رسول الله» وكان ذلك طمعاً
في ضمّ اليهود والنصارى إلى الحركة.

يقول شكر الله صاحب (بهجة التوريج) وهو مؤرخ معاصر لحركة بدر
الدين:

«هؤلاء الصوفيون الذين شهدوا بأن «لا إله إلا الله» وأصرّوا على عدم ذكر
بقية الشهادة، وهي «محمد رسول الله»، هؤلاء المتصوفة قد حصّوا شيوخهم (أي
بدر الدين) بمرتبة النبوة».

يقول الأستاذ محمد شرف الدين أستاذ الفلسفة وعميد الكلام بكنية
الإنهيات بدار الفنون (جامعة إستانبول) في كتابه، (سماوية قصي سي أو علي
شيخ بدر الدين) (إستانبول ١٩٢٤م):

«إن أتباع الشيخ بدر الدين كانوا يحضّون شيوخهم بالسورة، حيث لم يكن
هناك طريق محضّر لجميع المسلمين تحت ربه إلا لتصحّية بدرجة النبوة في
الشهادة»^(١)

ومن أفكاره أيضاً الدعوة إلى الزهد المطلق، ودعت بأن يتحرّد الفرد من
فاخر لثياب، ويكتفي بقطعة من نملاس، وحادّة نسيده، وأن يسير عري الرأس،
وله أن يتحصّر من شعره تماماً ويسير حافي القدمين!

وواقع أن الشيخ بدر الدين جعل ترك الديب وعدم الاشتغال بأمورها من
أهم ما نادى به، ويعبر الشيخ نفسه عن نظريته هذه بعدد من تشبيهات
ترك الاشتغال بدين من أعظم أصول الوصول إلى الحق

= أيضاً، Abdurrahman Kucuk, a.g.e., S.78.

(١) محمد حرب، عثمانيون في التاريخ وحضرة، مرجع سبق، ص ١٠٦

- اعلم أن العبد ينبغي أن يطرز إلى القرآن وما جاء فيه مما يتعلق بأمور الدنيا ومعاشه، وما جاء فيه مما يتعلق بعلوم الآخرة وعلوم الدين على تدبيرة

والقرآن ثلاثون جزءاً، وما يتعلق بمعاش الدين يكون جزءاً من ثلاثين، أو أكثر قليلاً أو أقل، ولنا في تسعة وعشرون جزءاً تقريباً منها للآخرة

وترتيب القرآن على هذه السببة لتنبيه على العباد على أن اشتغالهم بالدنيا والآخرة وكذا اشتغال العلماء بعلوم الدنيا والآخرة يسعى أن يكون على هذه السببة والله أعلم.

- إنكار لجنة والنار ويوم القيامة والملائكة والشياطين، وللشيخ بدر الدين مفهومه الخاص للآخرة وللثواب والعقاب، سخف في وادته، فيقول عن الآخرة: «علم أن الكون والفساد أريان الدين، والدين والآخرة عتاريان، فالظاهر دين مادية، والباطن عقبي مادية، فهم موحودان أولاً وثنياً، ولكن الاعتبار بالأغلب».

- وعن الجنة والنار: «اعلم أن الجنة يصح أن تصدق على كل حال ورتبة ومقام شريف دنيا وآخرة، وكذلك النار والحيت والعقارب، والرقوم يطلق على كل حد، ومقدم حسيس ودنيء الذي يوصف في الكتب ويسمع من الحور والقصور وغيرهما صورة ما قلنا».

- عيسى عليه السلام حتى بروحه، ميت بحسده العنصرية، وما كان روح الله الروحانية غالبة ولا موب على الروح، لأنه لم يمت سوى حسده العنصرية، وهو محال فافهم^(١).

- عن الجنة والحور والقصور والأشجار والثمار والأنهار والعداب والنار وما شابه ذلك ليس واضح المعنى، فإن هذه الأشياء لها معاني أخرى لا يفهمها إلا المختارون من الأشخاص.

(١) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٧

- العالم الحادي أزنبي وأندي ولا يقل معتقد الحشر و لاخرة، كما هو في
الفقه الإسلامي^(١).

كانت تلك (ثورة الشيخ بدر الدين) مع مساعده ايهودي (طور لاق كمال)
انتي حاولت بث روح لشيوعية في لدولة العثمانية، والتي تم قمعها بيد الدولة
بقتل (طور لاق اليهودي) وإعدام الشيخ بدر الدين.

استفادة اليهود من نظام الامتيازات الأجنبية في الدولة العثمانية.

كان لتفسير لمصح سلاطين العثمانيين امتيازات لدول بكوني يكمن في
بناء اقتصاد قوي لدولة، مثل الإغناء من التصريف و حمارك وقويين املاحة،
وأصبحت إليها امتيازات أخرى مثل حرية العمل والسفر والإقامة وشراء الأراضي
والحصانة نقصانية، وقد ترتب على هذه الامتيازات أن امتنعها لدول في
اكتساب حقوق لها، جعلتها تمارس سلطاتها في السياسة الداخلية لدولة
لصالحها^(٢).

كان لنظام الامتيازات الذي أعطته الدولة لعثمانية بالأحزاب تأثير عكسي
على الدولة، حيث تمتنع الأحزاب في الدولة بحصانة قوية، جعلتهم لا يحصعون
سلطة الدولة، وكما يشكون حكومة داخل الحكومة عثمانية^(٣).

وقد حصل لليهود على العديد من الامتيازات، والتي جاءت من خلال
المعاهدات التي وقعتها دولة العثمانية مع الدول المحيطة، وبحصانة بحقوق
الأقليات، الذين يقيمون بالدولة، والتي تكمل لهم الحماية في الدولة، وحرية
التنقل والتجارة.

(١) Abdurrahman Kucuk, a.g e., S 79.

(٢) مسم كمال أوكي، اسلطان عبد الحميد لثاني بين نصهوسنة بعلميه والمشكلة
المسطبية، ترجمة إسماعيل صادق، لرهراء للإعلام العربي - القاهرة، ١٩٩٢م،
ص ٥٥

(٣) عبد العزيز محمد الشاوي، الدولة العثمانية، دولة إسلامية مفتري عليها، مكتبة الأنجلو
المصرية - القاهرة، بدون تاريخ: ٧٥٠ / ٢.

وقد رعت الدولة العثمانية العادات المعتمة في البلاد التي قمت بفتحها، فكان يسمح لليهود بالقيام بشعائر ملتهم بقيادة 'الحاج' الأكبر في العاصمة، كما منحوا لاستقلال بذاتي، ونحس وضعهم كمهاجرين للدولة^(١)

ومن هذه المعاهدات (معاهدة لسدقية) التي تمت عام ١٥١٧م بآء على طلب التحرر الأحب، وخاصة السدقة من السلطان سليم من أجل استمرار لقوة عد التي كانوا يتعوبها قبل دخولها تحت لحكم العثماني، وقد كفت لهم هذه المعاهدة حرية العمل داخل البلاد الإسلامية^(٢)

كما كانت المعاهدات التي أبرمتها الدولة لعثمانية مع الدول الأجنبية على شكل اتفاقيات قد اتخذت الشكل الرسمي للمعاهدة، وظهر ذلك في عهد السلطان سليمان القانوني، حيث ضمت هذه المعاهدات حرية التجارة للأقليات إلى جانب حرية تأمين إقامتهم في الدولة، وقد أوجت هذه المعاهدات حق الفصل في الحكم بين رعايا دولته، واللجوء إلى السلطان في تنفيذ أحكامه إذا ما عترضه عارض، وكان هذا يعني وحوذ سلطة أخرى موازية لسلطة الدولة، ومنفصلة عن ولايتها، فنتج عن هذه الحرية في الامتيازات التي أعطتها الدولة العثمانية لأقلياتها أن أثرت على الأمن العام للدولة^(٣).

وقد تهاقت الدول العربية في الحصول على العديد من الامتيازات داخل الدولة من أجل إرساء قواعدا الاقتصادية والتجارية في المنطقة، الأمر الذي أدى في النهاية إلى هيمنة وسيطرة تلك الدول على الدولة

ومن هذه المعاهدات التي أعطت لأحاب امتيازات كبيرة في الدولة معاهدة سنة ١٥٣٥م مع فرنسا، ثم معاهدة سنة ١٥٧٩م مع إنجلترا، ثم معاهدة سنة ١٥٩٨م مع هولندا، ثم معاهدة سنة ١٦١٥م مع مصر، ثم معاهدة سنة ١٧١٠م مع روسيا، ثم معاهدة سنة ١٧٤٠م مع نابولي، ثم معاهدة سنة ١٧٥٦م

(١) ميم كامل، مرجع سابق، ص ٥٦.

(٢) عبد العزيز شادي ١٧٠٨، ٢، وكمال حبيب، مرجع سابق ٣٨٦ ٢

(٣) عبد العزيز الشاوي: ٧٥١-٧٥٠ / ٢.

مع الدنمارك، ثم معاهدة ١٨٧٢م مع إسبانيا، ثم معاهدة ١٨٣٠م مع أمريكا، ومعاهدة هامة أخرى مع فرنسا سنة ١٧٤٠م.

وأهم ما ورد في نكث المعاهدات، كما تشير المصادر - حرية التجارة والملاحة للأحباب، وحرية الدين، وحرية العبادة في الكنائس والمجالات المقدسة، واحترام مساكن الأحباب، وغير ذلك من الامتيازات التي جعلت الأحباب في بلاد الدولة العثمانية متميزاً عن العثمانيين أنفسهم^(١).

وقد استفاد اليهود في الدولة من هذه الامتيازات، وخاصة سحر منهم كنٌ حسب البلد الذي ينتمي إليه من حيث تمنعهم بحماية هذه الدول بهم.

ولم يكن للدولة العثمانية صلاحية في طرد الأحباب يهود من حيث إياها كانت مضطرة للرجوع إلى قضاة الدول الأجنبية التي ينتمون إليها^(٢) وبصدور مرسوم الإصلاح عام ١٩٠٦م وضع المجتمعات غير المسلمة على قدم المساواة مع المسلمين أمام القانون، وقد تصورت الدولة أنه بهذا النظام الديمقراطي سوف تتجنب محاولات الاستقلال عنها.

وفي ظل هذا النظام أعس (هرتزل) للسفراء عند الحبيب أن المهاجرين اليهود سيصبحون رعايا جلالتهم، في الوقت الذي أعست فيه بريطانيا أن القضاة البريطاني في فلسطين محقون أن يتدخل لصالح اليهود بصفة عامة، ووحيد يهود في هذه الحماية وسيلة لزيادة نفوذهم في الدولة العثمانية على حساب الحكومات الأخرى، كما قامت ندوة لأخرى في إصدار شهادات حماية لليهود المقيمين في الدولة^(٣).

وفي عام ١٨٨٣م أصدر الباب العالي قانوناً بصح حذاً لحصول المستوطنين

(١) كمار حسب، مرجع سابق، ص ١٣٨٦، بقرص المعاهدات في نشاوي ٢، ١٠٠٠-٧٠٦.

(٢) حيرة دسميه، شهادت صهيوني في الشرق العربي وصداءه، بيروت، ١٩٦٣م، ص ٢٥-٢٦.

(٣) ميم كامل، مرجع سابق، ص ٥٧.

ليهود الذين حصلوا على حصيات دول أخرى على لأرض في سوريا، فينصّر
لقانون على أن (الأشخاص الذين عثروا حسيّتهم - دون حصول على تفويض
رسمي من حكومة الإمبراطورية - والذين أُلغيت حسيّتهم العثمانية يحرمون من
حقوق امتلاك الأرض في تركيا.

أما بالنسبة للأراضي التي كان يمتلكها، لأفراد، فكان من الصعب وضع
صوابط لها، حيث إنّ يهود كانوا يدفعون ثلاثة أصعاف ثمنها من أجل شرائها
منهم، وحتى يستطيع السلطان أن يوقف هذا كان يشتري لأراضي في فلسطين من
جيبه الخاص^(١).

وفي عام ١٨٨٧م أبلغ السلطان العثماني عبد الحميد استياءه واستياء
الحكومة العثمانية من عدم اتحاد موقف من جهة القنصليات الأجنبية في القدس
للعمل على إخراج يهود الذين امتدت إقامتهم فيها عن الأمد المسموح^(٢).

من ناحية أخرى فإن نظام الامتيازات لأجنبية كان له تأثيره في الدولة،
حيث كانت المنشورات لمصادرة للدولة تطع في الخارج، وتدخل الدولة عن
طريق الدوائر الأجنبية، وتورع معرفة التنظيمات السرية لجمعية (الاتحاد
والترقي).

وكان يهود الامتيازات الأجنبية يظهر في تفوق يريد انفصالية لمساوية في
القدس. سدي كان يدبره يهودي، فقد أخذ شهرة وروحاً كبيراً فاق الربيد
العثماني^(٣).

وقد حاولت الدولة العثمانية إلغاء تلك الامتيازات، إلا أنّ حكومات
الدول الأوروبية عارضت فكرة إلغائها بشدة^(٤) ولم يتم إلغاء هذا النظام إلا بعد

(١) ميم كامل، مرجع سابق، ص ٧٤-٧٥.

(٢) رفيق شاكور، مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٣) حسن عبي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٨٩، نقلاً عن يوسف الحكيم، سوريا في العهد
العثماني، ص ٢٠٠.

(٤) بخصوص إلغاء نظام الامتيازات يقول سلطان عبد الحميد في مذكراته أردنا إلغاء
الامتيازات في قرص قدمت الصحف الأوروبية بأصابع والنوعين على عرار الصحف

عام ١٩١٤م لكنه عاد مرة أخرى بعد هزيمة الدولة في الحرب العالمية الأولى عندما قامت بريطانيا بتوقيع معاهدة سيفر عام ١٩٢٠م وبعد نجاح الحركة الكمالية وقعت معاهدة لوران عام ١٩٢٣م التي تقرر فيها إلغاء نظام الامتيازات الأجنبية، وكان لتلك المعاهدتين أثرهما في تقرير حق الأقلية في الدولة^(١)



البوسني إنهم يريدون بهذا بمظهر المعدي على حقوق الآخرين في حين يدرك
المحيد جيداً أن هذه الامتيازات هي التي هضمت حقوقنا، وألحقت بحيف بـ (السلطان
عبد الحميد، مذكرتي السياسية، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٩٨٦م، ص ٧٠)
(١) بطر عبد العزيز أشتاوي، مرجع سابق ٧٥٢/٢

الفصل الثاني

التواجد اليهودي في البلدان العثمانية

يقسم الوجود اليهودي في الدولة العثمانية إلى قسمين

القسم الأول هو الجماعات اليهودية التي كانت تنتمي إلى الإمبراطورية البيزنطية، وكانت تعيش في الأراضي العثمانية قبل وصولهم إليها، وكانوا يتواجدون في مناطق صاروحدن، وقرم، وعاليوس، وسلاط، والقسطنطينية. والقسم الثاني هم يهود الذين هجروا من العالم العربي من مناطق بوسنة، والمسا وألمانيا وبصانيا إثر الاضطهادات التي لاقوها هناك، وخاصة من إسبانيا^(١).

وتشير الإحصاءات أن الدولة العثمانية فتحت أبوابها لآلاف لأسر متعددة لأديان والثقافات ولقوميات، ففي عام ١٤٧٨م كان يعيش في إسطنبول (٩٥١٧) أسرة مسلمة مقاس (٥١٦٢) أسرة مسيحية، و(١٦٤١) أسرة يهودية، وكان اليهود يمثلون نسبة (١٠,٠٨) من عدد السكان الأصليين^(٢).

اليهود في استانبول:

عند لجوء اليهود إلى الدولة العثمانية وفتحها أبوابها لهم، تشر يهود في كافة مناطق العثمانية التي كانت داخل مملكتها، فقد ذكر الرحالة (أوبيا حسي) خلال رحلته الشهيرة أن في حي عنطة كان يسكن (١٠٠٠) يهودي، ولاحظ أن اليهود يحافون من مسيحيين، ولا يحافون من المسلمين، ويقول أن سبب في هذا أن المسلمين يعاملون يهود معاملة طيبة عكس المسيحيين، وقد سجل

(١) انظر كمال حبيب، مرجع سابق، ص ٣٤٨.

(٢) المرجع السابق: ٣٢٩/٢.

(أوليا جلبي) نتائج رحلته ونتائج تعداد عام ١٦٣٨م أنه كان يوجد في إستانبول (٦٧٥) شارعاً يهودياً^(١).

وفي عام ١٨٣٨م قامت السلطات العثمانية بتعيين الحاخام (أبراهام هاليفي) رئيساً لكل يهود الدولة. وقد صدر هذا القرار من قبل الحكومة العثمانية بتعيين رئيس للحاخامات بناءً على طلب اليهود^(٢).

قدر تعداد اليهود في إستانبول عام ١٨٤٤م بحوالي (٤٠٠٠٠) نسمة وفقاً لما ورد في كتاب (إلى القدس) للمؤلف (أ. فرنكل)^(٣) وكان التعداد الكلي لسكان إستانبول في ذلك الوقت حوالي (٧٢٠٠٠٠) نسمة، وبهذا يكون عدد اليهود هناك يقدر بنحو (٦٪) من عدد السكان الأصليين^(٤).

وفي إحصاء عام ١٩٠٦م كان عدد يهود إستانبول (٤٧٧٧٩) نسمة، وكان التعداد الكلي لليهود في الدولة يقدر بـ (٢٥٦٠٠٠) نسمة. وقدر الوجود اليهودي في إستانبول في بداية القرن العشرين بنحو (٦٥٠٠٠) نسمة^(٥).

وكان التعداد الكلي لليهود الدولة يقدر بـ (٢٥٦٠٠٠) نسمة، والمعطيات التي قدمتها (الإليانس) تفيد أن الوجود اليهودي في إستانبول في بدايات القرن العشرين قدر بـ (٦٥٠٠٠) نسمة^(٦).

(١) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٢٨٥، قام أوليا جلبي برحلة شهيرة في القرن ١٧م واستمرت (٤٤) سنة، وقد بدأ رحلته من إستانبول، وشملت (٢٣) دولة منها تركيا وروسيا وألبانيا وبلغاريا وليونان ورومانيا ويوغسلافيا والمجر، وغيرها من البلاد لأجنبية، ومن البلاد العربية مصر وسوريا ولبنان والأردن وفلسطين والسعودية والسودان والحبشة وغيرها.

(٢) المصدر السابق، ص ١٩٧-١٩٨.

(٣) صموئيل إيتنجر، اليهود في البلدان الإسلامية، ترجمة جمال أحمد الرفاعي، عالم المعرفة (١٩٧) - الكويت، ص ١٥٨ - ١٥٩ جاء هذا الإحصاء وفقاً لما جاء في كتاب (إلى القدس) لـ (أ. فرنكل).

(٤) المصدر السابق نفسه.

(٥) صموئيل إيتنجر، اليهود في البلدان الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٦) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ١٥٩.

وفي عام ١٩٢٧م قدر عدد اليهود في إستانبول بحوالي (٤٧٠٣٥) نسمة، وقد شهد هذا العصر زيادة في عدد اليهود في هذه المدينة.

أما الإحصاء الذي أجري في تركيا عام ١٩٦٥م فقد قدر عدد اليهود في إستانبول بـ (٣٠٠٠٠) نسمة^(١) وفي عام ١٩٨٥م قدر عدد اليهود بـ (١٨٠٠٠) نسمة^(٢).

هؤلاء اليهود الذين هاجروا إلى إستانبول، واستقروا فيها، كانوا من نسل العائلات اليهودية التي طردت من شبه جزيرة إيبرية، حيث اندمحوا سريعاً مع يهود القسطنطينية.

أما غالبية اليهود فكانوا من اليهود السفارديم، وكانوا يمثلون أكبر نسبة من اليهود هناك.

وفي عقد العشرينيات من القرن التاسع عشر تزايدت أعداد اليهود المهاجرين إلى إستانبول، وكان معظمهم من يهود الدونمة، ومن أبرز قادة الطائفة اليهودية في إستانبول الذين ظهروا خلال القرن ١٩م (أفراهام كامودو) وكان من أثرياء اليهود في إستانبول، الذين قدموا مساعدات مالية ضخمة إلى المستوطنين اليهود في فلسطين، وكان من بين أنشطة هذه العائلة قيامها بتحويل الأموال من شرق أوروبا إلى اليهود الأشكناز في فلسطين^(٣).

انتشر اليهود في إستانبول في أحياء (نیشان طاشي) (شيشلي سعادية) (بورغاز) (هيبلي) و(بويوك) وأضنة، ويعتبر حي (باي أوغلو) في إستانبول المركز الرئيس للنشاط اليهودي التجاري^(٤).

(١) P. Alford Andrewes, Türkiye de Etnik Gruplar Türkcesi, Mustaf Kupus Oglu, (١) Istanbul, 1992, S.222.

(٢) P. Alford Andrews, a.g.e, S.222.

(٣) صموئيل إيتسجر، اليهود في البلدان الإسلامية، مرجع سبق، ص ٢١٧.

(٤) انظر، محمد نور الدين، مجلة الدفاع، لوطي اللساني، ص ٨٠، عدد (٢٤) نيسان - إبريل ١٩٩٨م.

كما عاشوا في أحياء (حاسكوي) Haskoy و (غلطة سراي) Talata Saray^(١) و (يري باشا) Piri Pasa ، و (أورطه كوي) Orta Koy .

وبموجب سياسة التنظيمات في الدولة العثمانية أصدرت الحكومة قراراً في القرن التاسع عشر يقضي بمساواة اليهود بالمسيحيين الذين كانوا يلاقون تأييداً من الدول الأوروبية، واستفادت أعداد كبيرة من اليهود من الامتيازات الأجنبية، وخاصة التجار اليهود في إيطاليا، وأكد المصدر الأعظم العثماني خلال الأعوام (١٨٣٤م - ١٨٤٦م) أن السلطة تتعهد بالحفاظ على حقوق اليهود، وبناءً على ذلك أصدرت الحكومة العثمانية عام ١٨٥٤م بياناً بمناسبة زيارة مندوب (عائلة روتشيلد) الأراضي العثمانية ورد فيه أن السلطة العثمانية تحافظ على حقوق اليهود.

وقد وصلت هذه السياسة إلى أوج قوتها عام ١٨٥٦م وقت صدور دستور الإصلاحات الذي يعرف (بخطي همايون) وكان مضمونه أن الفرمان العثماني يحافظ على أرواح وممتلكات كل الرعايا وأبناء كل الديانات دون أي تمييز بينهم^(٢)

وفي عام ١٨٦٥م صدر قانون خاص باليهود من قبل الدولة العثمانية، حيث منحهم هذا الدستور أيضاً حق الأقليات في التمثيل بمؤسسات الدولة، وجاء فيه أن ممتلكات أبناء الأقليات لم تتعرض لأي ضرر، ويحق لهم العمل في الوظائف الحكومية، والالتحاق بالمدارس الحكومية سواء كانت عسكرية أو مدنية، ويحق لهم تأسيس مدارس خاصة بهم، وتكتفي الحكومة بالإشراف على مضمون المساهج التعليمية فقط كما تم إلغاء ضريبة الحرية عن غير المسلمين^(٣)، وبناءً

(١) غلطة حي في إسطنبول كان يسكن به (٢٠٠٠٠٠) مسيحي، و (١٠٠٠) يهودي مقابل (٦٠٠٠٠) مسلم. (محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، مرجع سابق، ص ٢٨٤-٢٨٥).

(٢) انظر روبرت ماسترن، تاريخ لدولة العثمانية، ترجمة بشير الساعدي، دار الفكر للدراسات - القاهرة - باريس ١٩٨٩م ٢٠ / ٦٣، وصموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ١٩٩.

(٣) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ١٩٦-١٩٩.

على هذا الفرمان اشتغل اليهود في الأجهزة الحكومية والمدارس والجيش في الدولة.

ومن أبرز التغييرات القانونية التي أحدثها دستور ١٨٦٥م أن الدولة منحت رعاياها من غير المسلمين وغير العثمانيين حق شراء الأراضي في الدولة العثمانية، وكان اليهود يسجلون أراضيهم وممتلكاتهم في المحاكم الشرعية الإسلامية، ويسجلونها على أنها أوقاف مقدسة لهم، وكان نتيجة هذه القوانين أيضاً أن فتحت المجال أمام اليهود لشراء أراضٍ في فلسطين^(١).

وكان حد (كاموندو) قد اضطر في نهايات القرن الثامن عشر للهروب من لقسطنطينية إلى النمسا التي نعم فيها باللجوء السياسي، وكانت لهذه العائلة علاقات تجارية متشعبة في كل من إيطاليا ووسط أوروبا، واشتهر يهود إستانبول بالعمل في تجارة التوابل^(٢).

تأثر (كاموندو) في مرحلة مبكرة من عمره إبان الفترة التي قضاها في النمسا بفكر حركة التنوير الأوروبية، فأسس بعد عودته إلى تركيا عدة مدارس في إستانبول، كما دعا آنذاك إلى إعادة تنظيم الطائفة اليهودية، مما أثار غضب المحاكم، وتمكن (كاموندو) بفصل المساعدة التي حصل عليها من عائلة (روتشيلد) اليهودية من أن يؤسس أول مدرسة يهودية حديثة في إستانبول عام ١٨٥٤م، وقد رأسها (ألبرت كوهين) كما قدم كاموندو أيضاً تبرعات مالية ضخمة من أجل إنشاء مدرسة (مكفية إسرائيل) في فلسطين، ولذلك أطلق البعض عليه اسم (روتشيلد الشرق)^(٣).

(١) جاء في خطاب بعث به أحد قادة الطائفة اليهودية السفاردية في القدس عام ١٩١٤م إلى المحام (حاييم ناحوم) الذي كان يشغل منصب كبير المحامات اليهود في إستانبول جاء فيه: «أنا نشعر بسعادة بالغة إذا ما طُفقت قوانين ١٨٦٥م على كل يهود الدولة العثمانية، وليس فقط في القسطنطينية»، صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

(٢) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٣) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢٣٧، (مكفية إسرائيل) هي المستعمرة التي قبل فيها زعيم الحركة الصهيونية هرتزل الإمبراطور الألماني حينما كان الأخير في زيارة =

وقد شهدت إستانبول خلافاً شديداً بعد أن أسس بها (أفراهام كاموندو) مدرسة حديثة، وكان الحاخام (إسحاق أكريش) من أشد معارضي هذه المدرسة، فعقد اجتماعاً ضخماً ضمَّ حاخامات إستنبول، وقرروا في نهاية الاجتماع مقاطعة كاموندو وعدم التعامل معه.

ولكن بعد أن تدخل رؤساء الطائفة لدى السلطات قامت السلطات باعتقال الحاخام أكريش وأوقفت أنشطته، ولكن سرعان ما أطلق سراحه بعد أن أعرب يهودُ إستانبول عن تذمرهم من هذا الإجراء. وقد شكّل هذا الخلاف بداية الخلافات التي دامت بين الاتجاه الداعي إلى المحدثات، والاتجاه الداعي إلى التمسك بالتقاليد طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(١).

أيضاً تسببت المدرسة الحديثة التي أسسها (كاموندو) صراعاً بين الحاخامات المحافظين، والعلمانيين، وقد تدخل السلطان عبد العزيز لتهدئة هذا الصراع عام ١٨٦٤م^(٢).

اليهود في إزمير:

بلغ عدد اليهود في إزمير في الفترة من (١٨٨٢م - ١٨٩٣م) حوالي (١٤٣٥٠) يهودياً، وفي إحصاء آخر أُجري عام ١٨٩٤م كان عدد اليهود الموحودين بمنطقة إزمير (١٦٤٥٠) يهودياً، وتلك الإحصاءات ليست على مستوى عالٍ من الدقة، حيث إنّ الجاليات الأجنبية التي كانت تعيش في الدولة في ذلك الوقت كثيرة، وكان اليهود يشكّلون نسبة من هؤلاء الجاليات^(٣).

= المقدس، حاول فيها هرترل استدراز عطف الإمبراطور الألماني من أجل تأييد قضية اليهود واستيطانهم فلسطين (محمود ثات الشاذلي، المسألة مرجع سابق، ص ١٥٦)

(١) صموئيل إتيجر، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

(٢) أحمد نوري الميمى، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٤٢.

(٣) صموئيل إتيجر، مرجع سابق، ص ١٦٢؛ وإزمير مدينة في عربي تركيا على بحر إيجة، بها أقليات من اليونان واليهود، ولد فيها (ساباناي زفي) الذي ينسب إليه يهود الدوسمة عام ١٠٣٥ هـ، هاجر إليها عدد كبير من اليهود الذين تعرّضوا للاضطهاد في الأندلس وروسيا هرباً من محاكم التفتيش، وكان أول ظهوره في مدينة إزمير

وفي عام ١٨٨٥م قدر عدد يهود إزمير (١٦٠٠٠) نسمة وفي عام ١٩٢٢م قدر عددهم بـ (١٠٠٠١) نسمة^(١).

أما الإحصاء الذي أجري في تركيا عام ١٩٢٧م فقد قدر عدد اليهود المتواجدين في إزمير بنحو (١٦٥٠٠) يهودي، ويفيد الإحصاء أن اليهود شكلوا نسبة بين (٨٪) و (١٠٪) من عدد السكان الكلي في إزمير^(٢).

وتروي المصادر أن العمال اليهود في إزمير كانوا من الطبقة الفقيرة، وقد أشؤوا معابد خاصة بهم، وكان هؤلاء العمال يشتعلون في صناعة السجاد، ويشتعلون في الوساطة بين المزارعين في الأناضول وبين تحار المدينة، وعمل بعضهم باعة جوالين، وعاشت هناك حوالي (٥٠٠) عائلة يهودية تملك محلات تجارية^(٣).

كان المسيحيون يقومون بالاعتداء على اليهود والتكيل بهم في القرن التاسع عشر، حيث انتشرت شائعات مفادها أن اليهود يخطفون أطفال المسيحيين لشرب دماهم، وحدثت مذابح في إزمير عام ١٨٧٢م، وكانت من أشهر هذه المذابح تلك التي قام بها المسيحيون بتدمير أحد المعابد اليهودية، وأطلقوا النار على السكان اليهود، وقد تدخلت السلطات العثمانية لإيقاد اليهود منهم حيث أدانت هذه المذابح^(٤).

وقد شهدت منطقة إزمير كثيراً من الصراعات الطائفية والاجتماعية بين الأتراك واليونان من ناحية، واليهود والمسيحيين من ناحية أخرى، حيث تزايد الصراع بين اليهود واليونان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مما سبب تدهوراً ملحوظاً في أوضاع اليهود هناك سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية^(٥).

(١) P. Alford Andrews a.g.c.s.222.

(٢) صموئيل إتينجر، مرجع سابق، ص ١٦٢.

(٣) محمد نور الدين، اليهود في تركيا أرقام ومعطيات، شؤون تركيا، عدد (٢)، نوفمبر

١٩٩٢م، ومركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث واستوثق بيروت، ص ٤٨

(٤) صموئيل إتينجر، اليهود في السلطان الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢١٠

(٥) المرجع السابق، ص ١٦٢-١٦٣.

تعرضت إزمير للدمار إبّان الحرب التي قامت بين تركيا واليونان في الفترة من (١٩١٨ - ١٩٢٢م) وكانت نتيجة ذلك هو هجرة أعداد كبيرة من اليهود خارج هذه المدينة.

ومن أشهر الشخصيات اليهودية التي برزت في إزمير : (رفائيل عوزيال) وبعث رائد الصحافة اليهودية الصادرة بلغة (اللادينو) في الشرق، أصدر عام ١٨٤٢م صحيفة (الأمل الطيب) كما أصدر عام ١٨٤٦م صحيفة (أبواب الشرق) ولا نعرف عن عوزيال سوى أنه كان من عائلة دينية ترجع أصولها إلى يهود الأندلس، وعاش أباء هذه العائلة في أماكن شتى شملت المغرب وإيطاليا وهولندا وتركيا، وأقامت هذه العائلة في إزمير منذ فترة قديمة للغاية.

وقد أوضح (رفائيل عوزيال) في العدد الأول من صحيفة (أبواب الشرق) أهداف جريدته، فجاء فيها «إنّ الصحيفة ستؤدي إلى إحياء العديد من الأشياء الجميلة في مدينتنا، وستنشر مقالات جيدة ومفيدة للشعب اليهودي، وستفتح لليهود تركيب أبواب الضياء، وبهذا ستصبح مثل إخواننا اليهود في أوروبا الذين يصدرون صحفاً باللغة العبرية وباللغات الأخرى»^(١).

وفي عام ١٨٦٤م تأسست في إزمير أول مدرسة محلية لليهود، وقد ساهمت الإليانس في تأسيسها بالرغم من أنها لم تكن تابعة لها، كما أقيمت في إزمير عام ١٨٧٣م أول مدرسة تابعة للإليانس، وأنشئت فيها بعد ذلك خمس مدارس أخرى، وتفيد معطيات الإليانس أنّ ألف تلميذ يهودي درسوا في مدارسها في نهاية القرن التاسع عشر، وأنّ حوالي ألفي تلميذ يهودي تلقوا تعليمهم في مؤسسات (تلمود تورا) الدسية، وفي المدارس المسيحية والحكومية. ولا شك في أنّ تزايد عدد التلاميذ اليهود الدارسين في المدارس الأحبية قد أثر في الوعي الثقافي لليهود المدينة، وأدى إلى ظهور جيل جديد من اليهود يعرف شيئاً عن تعليم الديانة اليهودية. كما سعت (الإليانس) أيضاً إلى تأسيس مدرسة زراعية لليهود في إزمير^(٢).

(١) صموئيل إيتسجر، يهود في البلدان الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٣٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٣.

اليهود في أدرنة:

شهدت منطقة أدرنة وجوداً يهودياً كبيراً بها، فقد قدر عدد ايهود فيها عامي (١٤٨٨ - ١٤٨٩ م) - (٢٠١) أسرة يهودية^(١)

وفي بداية القرن التاسع عشر قُدر عددهم بنحو (٣٠٠) نسمة، وفي عقد الثلاثينيات من القرن التاسع عشر ارتفع عدد اليهود الموحودين بأدرنة إلى (٦٠٠) نسمة، وكان التعداد الكلي لها (٥٠٠) نسمة، وقد اختلف التقدير الحقيقي لأعداد اليهود في أدرنة طبقاً للإحصاء الذي أجري في الفترة من (١٨٨٢ - ١٨٩٣ م) حيث قدر عدد اليهود الموجودين في أدرنة (٨٩١٨) نسمة^(٢).

جاء تقرير (الإليانس) الذي أجري عام ١٨٨٠ م بتقدير عدد يهود أدرنة بـ (٥٠٠) نسمة. وبعد هجرة يهود بلغارية إليها وصل تعداد اليهود فيها حسب تقرير (الإليانس) (١٧٠٠٠) يهودي، وكان ذلك فترة الحرب العالمية الأولى. إلا أنَّ هناك تقارير أخرى تشير إلى أن أعداد اليهود المهاجرين إلى أدرنة وصلت إلى (٢٨٠٠٠) نسمة من العدد الكلي للسكان الذي قدر بنحو (٨٠٠٠٠) نسمة وقتذاك^(٣).

ولكن نسبة أعداد اليهود في تلك المنطقة بدأت تنخفض بسبب الحصار البلغاري الذي حدث في المنطقة عام ١٩١٣ م

وفي الإحصاء الذي أجري عام ١٩٢٧ م قدرت أعداد اليهود الموحودين بمنطقة أدرنة إلى (٥٧١٢) نسمة، وفي عام ١٩٣٤ م تعرض اليهود في هذه المدينة إلى بعض الاضطهادات التي أدت بهم إلى الهجرة منها، فأصبح العدد الموحود

(١) (كمال حبيب، مرجع سابق، ص ٣٢٩) كانت أدرنة تحت سيطرة لعثمانيين عام ١٧٦٣ هـ في عهد اسطان مراد الأول وكانت عاصمة الدولة حتى تم فتح إستانبول (انظر حسن ظاظا، ص ١٤٨ - ١٤٩).

(٢) صموئيل إتينجر، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٤.

بأدرنة عشية الحرب العالمية الثانية ضيقاً، فلم يبلغ سوى (٥٠٠٠) يهودي فقط^(١).

وحدير بالذكر أنّ منطقة أدرنة التي كانت مقرّ الحكومة العثمانية في ذلك الوقت شهدت محاكمة (ساناتاي زفي) مؤسس يهود الدونمة أمام السلطان محمد الرابع، وكانت تلك المحاكمة يوم ١٦/٩/١٦٦٦م، وفي هذه المحاكمة أعلن سانتاي دخوله الإسلام، وأعلن أنّه تم إلحاقه بسبل إسماعيل (أي بالعرب) وكان إسلامه هذا ستاراً لنواياه الصهيونية التي ذكرناها من قبل في الباب السابق

نشطت في أدرنة بعض الشخصيات اليهودية التي مارست الأنشطة القومية في الدولة في القرن التاسع عشر، ومن أبرز هذه الشخصيات، (باروخ ميتراي) وهو من قادة حركة التثوير اليهودية في تركيا، والذي أسس هناك مدارس يهودية حديثة، ودعى لإحياء اللغة العبرية، كما قام (يوسف ليفي) بتأسيس أول المدارس الحديثة هناك، إلا أنّه اضطر للهجرة إلى باريس بعد هجوم الحاخامات عليه، حيث تُهم بتشجيع اليهود لا اعتناق المسيحية^(٢)

اليهود في سلانيك:

سلانيك هي ميناء في اليونان بعد عن إستانبول بـ (٢٥٠) كم، دخلت في حوزة الدولة العثمانية عام ١٤٣٠م في عهد السلطان مراد الأول (١٣٢٦ - ١٣٨٩م) وقد كانت محل نزاع بين العثمانيين والبيزنطيين، وطلّت تحت سيطرة العثمانيين حتى حرب لبلقان، ثم تارلت عنها الدولة العثمانية بموجب معاهدة بوخارست^(٣).

قدّرت الإحصائيات أنّه فيما بين عامي (١٤٧٨م - ١٤٧٩م) كان يسكن منطقة سلانيك (٢٦٤٥) أسرة يهودية^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٦.

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، محمد حرب، مرجع سابق، ص ١٣٥، ١٩٧٨م.

(٤) انظر كمال حبيب، مرجع سابق، ص ٣٣٠.

يصف اليهود ولاية سلانيك بأنها مدينة ونام لإسرائيل^(١). حيث عاش اليهود فيها في سلام مع الأتراك حتى دخلت سلانيك تحت السيطرة اليونانية عام ١٩١٢م.

قدر عدد اليهود في سلانيك عام ١٧٠٠م ببضع مئات، وكان معظمهم من يهود الدونمة ارتفع هذا العدد عام ١٩٠٠م إلى (١٠٠٠٠)^(٢).

وفي تقرير لفصل فرنسي كان يعمل في إستانبول في الفترة من (١٧٩٢ - ١٧٩٦م) أنه كان يعيش بالمدينة سلايك (١٢٠٠٠) يهودي، و(٣٠٠٠٠) تركي، و(١٦٠٠٠) يوناني، و(٢٠٠٠) من يهود الدونمة، وعدد من اليهود من أصل إيطالي.

وفي تقرير آخر قدر عدد اليهود في القرن التاسع عشر عام ١٨٦٨م في منطقة سلانيك بنحو (٢٥٠٠٠) يهودي، وهذا التقدير ليس على درجة كبيرة من الصحة، جاء أيضاً في تقرير الفصل الفرنسي في الإحصاء الذي أجراه عام ١٨٦٨م حيث قدر عدد سكان اليهود في القسطنطينية (٢٦٠٠٠) يهودي^(٣).

إلا أنه حدث تضارب في إحصاء نسبة اليهود الموحودين بالمنطقة سلانيك نظراً لانخفاض الذي حدث في تعداد اليهود بإستانبول في نهاية القرن الثامن عشر.

وكان السبب الحقيقي في تضارب أقوال الباحثين في تعداد اليهود في المدن التي يقيمون فيها داخل الدولة العثمانية يظهر لنا من التقرير الذي أرسله أحد رؤساء الطائفة اليهودية الذين يعيشون في سلانيك - وذلك في منتصف القرن التاسع عشر - إلى (أ. فرانكل) حيث جاء فيه:

«يخفي اليهود دائماً - لتخوفهم من الهب والسرقه - تعدادهم الحقيقي عن أعين الحكومة، ومن هنا ليس من الممكن أن يعتمد المرء على ما يرد في الدفاتر الحكومية عن اليهود، وليس بوسعي أن أخبرك بالتعدد الدقيق لليهود في

(١) أحمد نوري العيمي، اليهود في الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٣٠

(٢) أحمد نوري العيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٤

(٣) صموئيل إتينجر، مرجع سابق، ص ١٦٥.

سلانيك، ولكن عدد العائلات اليهودية فيها يقدر بثلاثة آلاف وخمسمئة عائلة، وأن التعداد الكلي لليهود يقدر بستة عشر ألف نسمة^(١).

وأشار هذا التقرير إلى وجود عدد من يهود الدونمة هناك، إلا أنه لم يفصح عن عددهم، ويذكر المؤلف أن ما ورد في هذا التقرير من أرقام لتعداد اليهود يُعدُّ أقل بكثير مما أورده الرحالة والباحثون في هذا الموضوع، وتلك هي عادة اليهود دائماً، ونزعتهم في إخفاء الحقيقة^(٢).

أما الإحصاء العثماني الذي تم إجراؤه في الثمانينيات من القرن التاسع عشر فقد قدر عدد اليهود في سلانيك (٣٤٥٢٣) نسمة من التعداد الكلي للمدينة الذي وصل إلى (١٠٠٠٠٠) نسمة، وكان تقدير هيئة (الإلياس) في نهاية القرن التاسع عشر أن تعداد اليهود في مدينة سلايك قدر بـ (٥٠٠٠) نسمة من نسبة العدد الكلي لها، والذي بلغ تسعين ألف نسمة^(٣).

وجاء في أحد المصادر التركية عام ١٩٠٦م (أن التركيبة السكانية في سلانيك تكونت من (٤٧٣١٢) يهودياً، و(٣١٠٠٠) تركياً (كان من بينهم (١٠٠٠٠) من يهود الدونمة (١٥٧٠٠) بلغاري، وعاش مئات من اليهود من أصل إيطالي أيضاً في سلانيك).

وفي عام ١٩٠٨م وبعد ثورة تركيا الفتاة قدر عدد اليهود الذين عاشوا في سلانيك في تلك الفترة (٧٥٠٠٠) يهودي.

وفي تقرير وثيقة بريطانية سرية أرسلها السفير البريطاني عام ١٩١٠م إلى وزارة الخارجية البريطانية جاء فيها: «إن عدد سكان سلانيك (١٤٠٠٠٠) منهم (٨٠٠٠٠) يهودي من أصل إسباني و(٢٠٠٠) من فرقة (ساباتاي زفي) أو اليهود الباطنيين الذين تظاهروا بالإسلام»^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٨.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٦.

(٤) أحمد بوري العيمي، يهود الدونمة، مرجع سابق، ص ٤٤.

في عام ١٩١٢م أشار مكتب الإحصاء اليهودي في برلين أن عدد اليهود في
سلانيك قدر بتسعين ألف يهودي من العدد الكلي للسكان الذي قدر بـ (١٧٠٠٠٠)
نسمة. ونلاحظ من تلك الإحصاءات الأخيرة أنه حدث تزايد كبير في نسبة التواجد
اليهودي بمنطقة سلانيك، حيث تزايدت هجرة اليهود من تركيا واليونان ومن بلاد
البلقان إلى سلانيك.

وفي عام ١٩٣٥م قدر عدد اليهود في سلانيك بـ (٥٣٠٠٠) يهودي، فكان
اليهود يشكلون نسبة (٢٤٪) من التعداد الكلي للسكان^(١).

وجميع هذه الإحصاءات التي قدر عدد اليهود بولاية سلانيك لم تشمل
اليهود الأجانب الذين كانوا من رعايا الدول الأوروبية، ويقومون بالدولة^(٢).

وكان يهود الدونمة يسيطرون على محفل سلانيك الماسوني، وكان
يضم أشهر رجال الحكومة العثمانية من الأتراك أيضاً، وعندما أدرك السلطان
عبد الحميد الثاني خطر المحافل الماسونية قام بإغلاقها جميعها فيما عدا محفل

(١) صموئيل إتينجر، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٢) إن المدن الكبرى في تركيا كان يوجد بها تواجد يهودي، وهي (جند قلعة) كان يوجد بها
عشر أسر، وهي أدرنة حمص أسرو وكانوا يسكنون في الأماكن الكبيرة من إسطنبول، مثل
مناطق (شيشلي) و(سمادية) كما كان هناك نسبة كبيرة من اليهود في المناطق (بوغاز)
(هبة لي) و(بيوك اده) أما في التجارة فتمركزوا في مناطق كبيرة وراقية مثل (ماي أوغو)
وبعد عام ١٩٦٥م تناقص عدد السكان اليهود في تركيا حيث بلغ (٣٧٧١٦) أما اليهود
الذين عاشوا قديماً في (أدرنة) و(ديربكر) و(مردين) و(وان) وهم الذين أظهروا ميلاً
للتقافة الكردية، تدّوا بالهجرة إلى إسرائيل في بدايات عام ١٩٥٠م، وقد عاشوا في
(بصير) وتدّوا بالهجرة في بدايات ١٩٤٠م واليهود الذين عاشوا في (وان) هاجروا
إلى إسطنبول فيما بين عام (١٩٦٠ - ١٩٦٧م). واليهود الذين عاشوا في الأناضول هاجروا
بعضهم إلى إسطنبول والبعض الآخر إلى إسرائيل، وقد حدث بعض الشيء في طراقة،
كما أن اليهود بعد حرب الاستقلال تراجعت أعدادهم (٢١٠٠٠) نسمة بحيث لم
يبق إلا عائلة واحدة عام ١٩٧٩م واليهود القرائين نشئتو بعد الحريق الذي هدم أحياءهم
القديمة في (حاص كوي) عام ١٩١٨م وكانوا يعيشون في (قره كوي) أقدم منطقة توطوا
فيها اليوم يعيش القرائين في (علطة) و(إسطنبول القديمة) أما الجزء الأكبر منهم
فيعيش في إسرائيل (٣٤٠٠٠). (Alford Andrews, a g e S 223,224)

سلايك، وذلك لارتباطه مع قادة دولة أوروبا ومحافلها، وقد قام يهود سلايك بدور كبير من أجل التخلص من السلطان عبد الحميد، وكان لهم نشاطهم السياسي الملحوظ في الدولة العثمانية، حيث كانت سلايك مقرراً ومركزاً أميناً لليهود للعمل في النشاط السياسي والعسكري هناك.

كان أيضاً للمحافل الأوروبية، وخاصة الفرنسية والإيطالية، دورها الكبير في تقديم العون المالي والسياسي والإعلامي لليهود سلايك، وذلك من أجل استمرارهم في محاولة القضاء على السلطان عبد الحميد، والقضاء على دولة الخلافة الإسلامية أيضاً^(١).

تحدثنا أيضاً من قبل عن دور يهود سلايك في تنفيذ خطط (مؤتمر كاتوفيج)^(٢) الذي عقد عام ١٨٨٤م وتبنيه العدد من القضايا، منها قضية النعرات الطائفية، وتقليب السلطات على الأقليات، وتدمير الوحدة الوطنية، وتنفيذ الخطط لصالح الصهيونية العالمية، وقد نتج عن مقررات هذا المؤتمر الإضرار بالعلاقات العثمانية للطوائف المسيحية، وكذلك ضرب نفوذ الأرمن أيضاً^(٣).

(١) انظر محمد محمد إبراهيم زعروت، مرجع سابق، ص ٢٩ - ٣١

(٢) مؤتمر كاتوفيج ضم أعضاء جمعيات أبناء صهيون في تشرين الثاني - نوفمبر عام ١٨٨٤م، ألقى بسكر رعيم جماعة أبناء صهيون فيه خطاب الافتتاح (انظر عبد الوهاب المسيري - موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص ٣٠٥) عقد هذا المؤتمر في مدينة يسك، وحضر هذا المؤتمر أربعة وثلاثون عضواً ورأسه (ليون سكر) وكان افتتاح المؤتمر في العيد السنوي لسير (موسى مونتيفور) (Sir Moses Montefiore) وقرر المؤتمر إنشاء (اتحاد مونتيفور) لترقية الزراعة بين اليهود، وخاصة لمعاونة المستعمرات اليهودية في فلسطين وأعلن رئيس المؤتمر أن الأرض الوحيدة التي تصلح لهدف اليهود وتحقيق آمالهم هي فلسطين واتفق على مساعدة المستعمرات بالأموال، وعلى إيجاد مندوبين إلى استاسول لأحد تصاريح بالعمل في المستعمرات اليهودية دون أن تقدم في وجه سكانها عقبات من السلطات الحاكمة في فلسطين. وانتخب (سكر) رئيساً للاتحاد الجديد وأشياء المركز الرئيس في (أودسا) حيث كان (سكر) رئيساً لجماعة محبي صهيون المحلية أيضاً (عبد العزيز محمد الشاوي، الدولة العثمانية، مرجع سابق

(٣) محمد سرحان، مرجع سابق، ص ١٨ - ١٩.

وكان يهود الدونمة على وجه الخصوص الذين تركزوا في سلانيك هم الأداة المنفذة لمخططات الصهيونية العالمية في تركيا الإسلامية^(١).

ظهرت أيضاً في سلانيك حركة اشتراكية يهودية كانت لها صلات قوية بالحالية اليهودية في أوروبا الشرقية، وقام بتأسيس هذه الحركة جماعة من الشباب اليهودي بزعامة (أبراهام بن أرويه) الذي وصل من بلغاريا إلى سلانيك عام ١٩٠٠م، وحاول نشر الأفكار الاشتراكية، وقد ساعدته حركة تركيا الفتاة عام ١٩٠٨م على ممارسة نشاطه، وقد نجحت هذه الحركة كثيراً بين أوساط العمال وأصحاب المهن اليهود. كما أقيم عام ١٩٠٩م منتدى عمالي في سلانيك قام بإصدار صحيفة لانسيون (الأمة) وكان من أهم أنشطته تنظيم مظاهرات تؤلّب الأتراك على الدولة، وقد تحوّفت الحكومة العثمانية منهم، فعملت على محاصرتهم^(٢).

كان ليهود سلانيك ثقلهم الاقتصادي الكبير، وكانوا يسيطرون على الحركة الاقتصادية هناك، وكانوا يعملون في محلات التجارة والصناعة

وفي عام ١٩١٢م احتلت اليونان سلانيك، وحدثت تغيرات في المنطقة، حيث سنت الحكومة اليونانية قوانين وتشريعات في المدينة أثرت على الحياة اليهودية فيها، منها قرار إغلاق محلات اليهود يوم الأحد، وهذا يعني إغلاق اليهودي محله يومين متتاليين، وذلك لأن السبت مقدس عند اليهودي.

وفي نفس هذا العام (١٩١٢م) تطوّع بعض يهود سلانيك في الجيش التركي إبان حرب البلقان التي شبت خلال فترة (١٩١٢م - ١٩١٣م) وتبرعوا بالأموال لدعم تركيا في حربيها، وصدرت الصحف اليهودية تدعو اليهود للاندماج في الإمبراطورية العثمانية وكان (أبراهام حالانتي) (أورام غالانتي) من أبرز الداعيين للاندماج في تركيا^(٣) وفي نفس الوقت ظهرت صحيفة (مقدونيا) المعادية

(١) محمد إبراهيم زغروت، مرجع سابق، ص ١٩.

(٢) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٣) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢٢٣. و(أورام غالانتي) كاتب يهودي من يهود الدولة العثمانية، كان مرجعاً للحكومة (الاتحاد والترقي) وخاصة طلعت باشا. أشهر =

لليهود، وقد تولى أحد القساوسة رئاسة تحريرها، وفي عام ١٩١٣م حدث العديد من المذابح لليهود في سلانيك، فهاجر آلاف من اليهود من هذه المدينة إلى فلسطين وأمريكا وأوروبا ومصر.

وفي عام ١٩١٧م شهدت المدينة حريقاً كبيراً تسبب في تدمير أحياء كاملة، وتم تشريد الآلاف من السكان. وفي عام ١٩١٨م تشكل في اليونان اتحاد ضمّ كل المنظمات الصهيونية كان مقره سلانيك، وصدرت الكثير من الصحف منها (صحيفة المستقل) كما تشكلت رابطة نشر اللغة العبرية ورابطة مكابي الرياضية

وقد تزايدت قوة الحركة الصهيونية في سلانيك بعد الاحتلال اليوناني لها عام ١٩١٨م فعقد قادة الصهيونية في سلانيك المؤتمر الصهيوني ليهود تركيا عام ١٩١٩م شارك فيه (٤٩) مندوباً مثكوا يهود تركيا، ورأس هذا الاجتماع كبير المحاضرات، تحدّثوا فيه عن ضرورة حصول اليهود على الحكم الذاتي^(١)

ولأن معظم المهاجرين كانوا من العمال الذين اشتغلوا في ميناء سلانيك، فقد ساهموا في تأسيس ميناء تل أبيب لدى هجرتهم إلى فلسطين.

وفي عام ١٩٤١م سقطت سلانيك تحت احتلال الألمان الذين اتخذوا الكثير من الإجراءات المعادية لليهود، فمنعتهم من إصدار أي صحف خاصة بهم، وصادرت ممتلكاتهم ودمرت مقابرهم.

وفي عام ١٩٤٢م حشدت القوات الألمانية يهود سلانيك في أحد المعسكرات، وأرسلتهم إلى معسكرات الإبادة الألمانية^(٢). كما هاجر عشرات الآلاف من يهود سلانيك إلى إسرائيل بعد عام ١٩٤٨م.

وقد شجعت الحكومة العثمانية يهود سلانيك في نهاية القرن التاسع عشر

= كته (الأترك واليهود) الذي كشف به عن علاقة الجمعية الإسرائيلية في القاهرة بجمعية الاتحاد والترقي. مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار القلم، مرجع سابق، التراجع، ص ٢٧٣.

(١) صموئيل إتينجر، مرجع سابق، ص ٢٣١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٨.

على نظم البنوك، وشاركت العائلات اليهودية الثرية هناك في تأسيس البنوك الحكومية والخاصة، ومن أبرز هذه العائلات عائلات (الأطليبي) و(مزرأحي) وكانوا يعملون في البنوك^(١).

كما عمل يهود سلانيك في مجال خدمة الموانئ والصيد، وهؤلاء اليهود كانوا يعدّون من الطبقات الفقيرة هناك، وقد أسس هؤلاء اليهود معبداً لهم سمي (معد الصيادين).

أما في مجال التجارة الخارجية فقد عمل يهود سلانيك في استيراد البس والسكر من الخارج، وكانت لهم مخازن خاصة بهم.

وكانوا يمولّون عمليات الاستيراد كما عملوا أيضاً في صناعة العزل والنسيج واشتغلوا أيضاً في تجارة النبيذ والفواكه والحدوات، ولم تفرص تركيب عليهم أي قيود باعتبارهم رعايا الدولة^(٢).

وفي المجال التعليمي تأسست في سلانيك العديد من المدارس اليهودية لتعليم أبنائها، وقد تأسست فيها مدارس مهنية لأبناء اليهود التي ساهم العديد من الشخصيات البارزة في تأسيسها والعمل على إحياء اللغة العبرية فيها. وتعدّ المدرسة الدينية المحافظة في سلانيك من أشهر المدارس في كافة أنحاء الدولة، وكانت الدراسة في هذه المدرسة تقتصر على تدريس كتب الصلوات وكتاب العهد القديم، إلا أن الدراسة في هذه المدرسة كانت باللغة الصعوبة، وكان مستوى المدرسين اليهود فيها ضعيفاً^(٣).

وأقيمت في سلانيك عام ١٨٧٣م مدرسة للبنين، وفي العام التالي افتتحت (الإليانس) مدرسة للبنات، كان عدد البس في المدرسة التابعة للإليانس يقدر بـ (٢١٠) طالب، أم عدد الفتيات فقدّر بـ (١٥٠) طالبة. وقد وصل عدد التلاميذ الدارسين في هذه المدارس عام ١٩٠٩م إلى (٢٣٠٠) طالب، وقد شهدت

(١) المرجع السابق، ص ١٨٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٩-٢٤٠.

سلانيك تأييداً كبيراً من حاخامات المدينة لقادة (الإليانس) التي بادرت بفتح المدارس اليهودية الحديثة في تركيا، كما عبروا عن تأييدهم للشخصيات اليهودية المستتيرة التي تدعو لإقامة المدارس هناك. في الوقت نفسه تزايد عدد المدارس اليهودية التابعة لهيئة (الإليانس) وكان أغلب يهود سلانيك من أصول سفاردية، والقليل منهم من أصول إيطالية أو إسكنازية، وقد مؤل هذه المدارس أغنياء اليهود أمثال البارون (هيرش) و(أبراهام كاموندو) وغيرهم^(١).

وفي الوقت نفسه أثارت هيئة (الإليانس) غضب بعض الحاخامات المحافظين على التقاليد اليهودية القديمة، وانتقد الحاخام (أشير كوفو) حاخام سلانيك حركة الإصلاح الديني التي ترعّمها يهود الشرق من أصل إيطالي على إدخال بعض التعديلات على نظم العادة، حيث أدخلوا الآلات الموسيقية في أحد المعابد، فكتب عام ١٨٤٠م يقول: «حدثت بعض الانشقاقات في صفوف شعبنا، فقد ظهر الحاخامات الذين يحاولون الإساءة إلينا، ويحاولون حالياً السماح لنا بممارسة المحرمات، فيدعون نساءنا إلى ارتداء ملابس الفرنجة، ويدعوننا إلى عدم احترام قداسة يوم السبت»^(٢).

الشخصيات اليهودية البارزة في سلانيك:

كان كلٌّ من الحاخام (يهودا نحما) و(موشيه آلانيني) من أبرز الشخصيات اليهودية في سلانيك.

١- الحاخام يهودا نحما (١٨٢٦ - ١٨٩٩م):

يرجع أصله إلى مدينة سلانيك، وهو أحد رواد الصحافة اليهودية، قام بإصدار صحيفة (اللونار) عام ١٨٦٤م كما قام بتطوير نظام التعليم اليهودي في سلانيك، وأسس أيضاً مدارس يهودية تتبع النظم التعليمية المتطورة، كما دعا (نحما) إلى تغيير نظم حياة اليهود، ودعا لإقامة مؤسسات خيرية من أجل تحقيق

(١) المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

أهداف النظم التعليمية الحديثة^(١).

وكان الحاخام (نحما) شديد الاهتمام بالكتب اليهودية القديمة والمخطوطات، وكان له إنتاج غزير موجه ليهود سلانيك، ويعد (نحما) إحدى حلقات الوصل بين الثقافة الغربية ويهود سلانيك وتركيا، وكانت له اتصالاته بقيادة حركة التنوير اليهودية في أوروبا، وتعود إليه حركة نقل ثقافة يهود الشرق إلى أوروبا.

أسس (نحما) في سلانيك مدارس مهنية لتعليم أساء اليهود هناك المهن المختلفة، كما أسس أيضاً العديد من الملاجئ والمؤسسات الخيرية لمساعدة اليهود المحتاجين ومدارس أخرى لتعليم الدعات ومدارس للأطفال. كان أيضاً له دوره البارز في الدعوة لإحياء اللغة العبرية.

٢ - موشيه آلانيني (١٨٠٩ - ١٨٨٢ م):

تولى (موشيه آلانيني) رئاسة الطائفة اليهودية في سلانيك من أجل نشر فكر حركة التنوير بين اليهود هناك، ساهم أيضاً في تأسيس كثير من المؤسسات التعليمية والاقتصادية الخاصة بيهود سلانيك.

قدّم (موشيه آلانيني) تقريراً إلى الطوائف اليهودية في إنجلترا يصف فيها العوامل التي تسببت في تدهور المستوى الثقافي ليهود الشرق، وأرجع هذه الأسباب إلى تعليم اليهود في المدارس المسيحية والحكومية هناك، إلى جانب حالة الفقر التي يعانون منها. كما أرجع أسباب تدهور اليهود أنهم يتحدثون بلغة (اللادينو) وهي مزيج من التركية واليونانية والعبرية، وذكر أيضاً أن الأحياء التي يعيشون فيها ضاقت بهم. وفي نهاية تقريره قام بتشجيع يهود أوروبا على الاهتمام بيهود الشرق وتقديم كافة المساعدات الممكنة لهم^(٢).

ويجدر بنا هنا ذكر أن سلانيك كانت المركز الرئيس للاتحاديين الدين

(١) صموئيل إتينجر، مرجع سابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣٦-٢٣٧.

يتمون لجمعية الاتحاد والترقي، وكان أعضاء المركز اليهودي - الدونمي الماسوني الاتحادي - الدولي هم الذين تسبوا في حلع 'السلطان عبد الحميد، ونقله إلى سلايك حيث تمّ معجته هناك سنة ١٩٠٩م في قصر (الاتيبي) أحد أصحاب البنوك اليهود في جمعية الاتحاد والترقي، وكان السلطان تحت حراسة شقيق ومزي بك الدونمي الماسوني^(١).

* * *

(١) رفيق شاكرا، مرجع سابق، ص ١٢٨-١٢٩ محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني، ١٩٩٠م، مرجع سابق، ص ٤٨-٤٩؛ انظر في هذا أيضاً: حيرنة قاسمية، مرجع سابق، ص ٤٤.

محاولات اليهود استيطان فلسطين

من خلال الدولة العثمانية

التواجد اليهودي في فلسطين قبل هجرتهم إلى الدولة العثمانية:

قبل أن يستعرض وضع اليهود في فلسطين، نلجأ إلى الدولة العثمانية، نستعرض باختصار بداية تاريخ اليهود في فلسطين وبداية التواجد اليهودي فيها.

فتاريخ اليهود حتى حرب أورشليم مأخوذ عن التوراة والتوراة تشمل تاريخهم حيث إنها تحكي ما حل بهم من عصور عبودية والظلم، وهو كتاب يتصمّم معتقداتهم وشرائعهم الدينية والأدبية^(١).

والمعروف أن اليهود يتنسبون إلى سيدنا إبراهيم (أبراهيم تارح) من سل سام كما يستقيهم اليهود، وقد جاء من بلاده قاصداً أرض كنعان معروفة بفلسطين حالياً بأمر من الله، كما جاء في نص (التوراة) «أذهب من أرضك ومن عشيرتك وبيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة، وأدركك وأعظم اسمك، وتكون بركة»^(٢).

أخذ إبراهيم - عليه السلام - روحته سارة ونوه تارح، وبعض عشيرته، ونزل منطقة حاران^(٣) وبعد موت أبيه تارح توخّه إبراهيم بعشيرته إلى منطقة شكيم^(٤) وهي أقدم مدن فلسطين وحدث جوع شديد في منطقة، فاضطر

(١) بنظر شاهين مكاربوس، مرجع سابق، ص ٥٦١-٥٦٣.

(٢) سفر التكوين، إصحاح: ١٢/١-٢.

(٣) حاران تقع في الشمال الشرقي بين المرات وحانور.

(٤) شكيم هي نابلس حالياً.

إبراهيم أن يترك الأرض، ويذهب إلى مصر، نكته عاد مرة أخرى إلى أرض كنعان وستقر في حبرون^(١) وبعد موت إبراهيم ورثه ابنه إسحاق، وإسحاق هو الجد الثاني لليهود.

وإسحاق اسم عربي معناه (يصحح) عاش في أرض كنعان، وولد له توأمان هما (عيسو) و(يعقوب).

و(يعقوب) هو الجد الثالث لليهود، ونقه (إسرائيل) وإليه ينسب اليهود ومن أولاده يعقوب يوسف عليه السلام صاحب القصة الشهيرة في القرآن الكريم، وقد تحدثت عنه التوراة، وهو الذي بقى عنده جوثه، وبعوه لتخار مصريين، وما حدث نه من أمر سجنه ظلماً، ثم عمله في خدمة فرعون مصر، وكان له من المركز والسلطة الذي جعله يأتي بأبيه يعقوب وأهله ليسكنوا معه في مصر، حيث نعموا فيها بحياة مستقرة^(٢).

ثم تعيرت الأسرة لحكمة في مصر، فكروها لليهود، وعدوهم، وأمروا بقتل أولادهم الذكور، وفي هذه الأثناء ولد (موسى عليه السلام) وعاش في مصر، وعندما وجد (موسى) ما يحق بأهله من ظلم حيث رأى يوماً مصرياً يصرب أحد الإسرائيليين من أهل حسه، فانتصر للإسرائيلي وقاتل المصري، وسارت الأحداث المعروفة في قصة سيدنا موسى، وأمر الله نه بإيقاد بني إسرائيل كما جاء في التوراة فقدم (موسى عليه السلام) وأخوه (هارون) بإقناع فرعون أن يادن لليهود بالحروح من بلاده، فحرقوا معها وعبروا البحر بعد أن شق لهم، وعبروه على اليابسة مثلما جاء الحديث عنهم في التوراة وفي القرآن الكريم^(٣).

(١) حبرون هي مدينة الخليل حالياً.

(٢) بطر شهاب مكاربوس، دريح الإسرائيليين، مرجع سابق، ص ٥٦٧

(٣) وردت قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم في أكثر من (٢٠) سورة، حيث جاءت في سور البقرة، والأعراف، وطه، والشعر، والقصاص، وفي سورة القصص أكثر من (٤٠) آية تحدثت عن ظروف التي ولد خلالها موسى عليه السلام، فتحدثت عما فعلته أمه بعد مولده، وعن حاله بعد أن بلغ أشده، وعن هجرته إلى أرض مدين، وعن تشريعه بالسوة، وهو في طريقه من أرض مدين إلى مصر! (انظر محمد سيد طنطاوي، =

وتاريخ الإسرائيليين حتى خروجهم من مصر قاصدين فلسطين كان لا يتعدى تاريخ قصة أسرة صغيرة نكثها صارت بعد ذلك قبيلة كبيرة، لا كيان لها ولا حكومة

بعد الخروج أخذت هذه القبيلة تنماسك وتتألف من حل تكوين أمة خاصة بهم، وحاولوا الالتفاف حول موسى باعتباره قائداً لهم، ولكن سرعان ما انقلبوا صده عندما لم يحدوا ماء في الأماكن التي خرجوا إليها، فعصوا موسى في الوقت الذي كان يتلقى فيه الأمر من الله بالصعود إلى جبل الطور، وهو في طريقه بهم إلى فلسطين، وقد جاء نصر ذلك في التوراة في حديثهم لموسى، وهم يقولون «ليتنا متنا في مصر إذ كنا حاسين عند قدور النخع بأكل حراً بنسج، فإيكما أخرجتكم إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجويع»^(١).

بعد هذا صورت لنا التوراة معصية اليهود لموسى، وما كان من أمر صنع العجل وعبدته، وعضب موسى عليهم، وما ترتب على هذا العصيان عقاب الله الذي حدث لهم مدة أربعين عاماً، وهم في طريقهم إلى فلسطين وقد جاء في (التوراة):

«فقال الرب لموسى اذهب لأنه قد عبدت شعبي الذي أصعدت من أرض مصر، زاغوا سريعاً عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسوكاً، وسجدوا له وذبحوا»^(٢).

وجاء في القرآن الكريم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقُولُ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَقَدْ تَنَكَّبْتُمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ إِنِّي أَخْلَقْتُكُمْ فَلَمَّا رَأَوُا آرَاعَ اللَّهِ فَلَوْ نَبَتْ قُلُوبُهُمْ لَآتَيْنَهُ الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وقد شكى موسى قومه لله عز وجل كما جاء في القرآن الكريم قوله ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرِّقْ بَيْنَنَا وَقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [نحله: ٢٥]

= القصة في القرآن الكريم، د. المعارف - القاهرة، ١٩٩٥ م، ص ٣٦١ وهي التوراة جاء ذكر قصة موسى عليه السلام في أسفار الخروج واللاويين والعدد والشمية

(١) سفر الخروج ١٦: ٢-٣.

(٢) سفر الخروج ٣٢: ١-٨.

ورد الله عز وجل عليه بقوله ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ مَسَةً يَتَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المائدة ٢٦]

وبعد أن مات هارون وموسى في فترة التيه تولى (يوشع بن نون) قيادة بني إسرائيل، وقد اختاره موسى على حد قول التوراة^(١)

قام يوشع بالاتحاد بهم نحو فلسطين، واستولى على منطقة أريحا بعد أن دمرها، وكان هذا هو أول عهد لليهود في فلسطين^(٢)

وتنقسم حياة اليهود في فلسطين في تلك الفترة إلى ثلاثة عهود

١ - عهد القضاة (١١٢٥ - ١٠٢٥) ق.م:

وكان حكام اليهود في هذه الفترة قضاة من كهنة ينتخبهم الشعب، وكان بعض قضاة من النساء في هذا العهد، في هذا الوقت تم وضع أساس الحياة اليهودية، فانتقلوا من حياة البدو إلى حياة الاستقرار، وبدؤوا في تلك الفترة يعرفون زراعة إلى جانب الرعي الذي كان أساس عملهم، فأحدوا عن الكنعانيين أصول تتقدم في الصناعة وتطوير الأسلحة وصنع آلات للرعاة^(٣)

وتؤكد تورا أن اليهود في هذا العهد مكثروا بين أهل بلاد الأصليين كلاجئين^(٤)

(١) سفر العدد ٢٧: ١٥ - ٢٠.

(٢) يقول دبورانت في هذه الحادثة (قيل الإسرائيليون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم، وسوا من بقي من بينهم، وحرقت دماء يقتلى أبنائهم، وكان هذا القتل - كما تقولصوص الكتاب - دريعة لشريعة التي أمر بها الرب موسى وركبة الرب، ولما يعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستماع به، وقد كان موسى من رجال نسبة متمسكين بالصبر والناة، أما يوشع فلم يكن لاجدياً فقط أقدم حكمه على قتلون الطبيعة الذي يقول: «بأن كثير الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً، وهذه الطريقة الواقعية التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض لموعودة» (ويرن دبورانت، قصة الحضارة: ٢/ ٢٢٦ - ٣٣٢).

(٣) انظر أحمد شلبي، اليهودية، مرجع سابق، ص ٨٠ - ٨١.

(٤) انظر عهد القصة، أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٦٢٠ - ٦٢٥.

٢- عهد الملوك (١٠٢٥-٩٣١) ق.م:

ويحكى الإصحاح الثامن من سفر صموئيل لأول قصة الانتقال من عهد الملوك، بعد انهيار عهد القضاة بسبب ما شاع عنهم من الفسق والرشوة صلب بنو إسرائيل من صموئيل أن يجعل لهم ملكاً مثل سائر الشعوب، فاختار لهم (شاؤول) ليكون أول ملك عليهم، وقد حكم (١٥) عاماً بين (١٠٢٥ - ١٠١٠) ق. م، ويسمى في القرآن تكريم (طائوت)

قام شاؤول بقيادة بني إسرائيل، وكان (داود) أحد رجائه، ويحكى سفر صموئيل تاريخ بني إسرائيل في تلك الفترة وظهور (حبيت) الذي هو (حالتوت) في القرآن الكريم، ومباررته لداود، وانتصار داود عليه، وقد أثار انتصار داود حقد شاؤول، وحوه داود إلى فلسطين، وقيام بعض المعارك هناك

ثم يحكى بعد ذلك موت شاؤول، واستقر داود على عرش بني إسرائيل، واعتباره الملك الثاني لهم بعد شاؤول.

ومن أبرز أعمال داود أنه استولى على مدينة أورشليم، وشيد عليها الهيكل لمقدس وكانت فترة تولي داود فترة راحة لليهود^(١).

ويذكر سفر الملوك أن داود حكم أربعين سنة من (١٠١٠ - ٩٧١) ق. م منها سبع سنوات في حبرون، والباقي في بيت المقدس^(٢)

وتولى بعد داود ابنه سليمان، وقد أسهب سفر الملوك الأول في تصوير مجد سليمان، حيث قسم البلاد إلى اثني عشرة قسماً إدارياً، وبموت سليمان عام ٩٣١ ق. م بدأ عهد الانقسام والحلاف بين أولاده

٣- عهد الانقسام (٩٣١-٥٨٦) ق.م:

وبعد وفاة سليمان سنة ٩٣١ ق. م أعلن (رحبعم) نفسه ملكاً على اليهود،

(١) أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٨٣-٨٦.

(٢) الملوك الأول ٢١/٢، نظر أحمد سوسة، ص ٦٢٥-٦٣٦

إلا أنه حدث خلاف بينه وبين أخوه (يربعام)، وانقسمت المملكة إلى مملكتين
جنوبية اسمها (يهودا) وعاصمتها (أورشليم)، وشمالية (إسرائيل) وعاصمتها
(شكيم)^(١).

وقد كان عهد الانقسام عهد دمٍ نسيْلٍ، وأرواح ترهق^(٢)

بعد هذا التاريخ سقطت مملكة (إسرائيل) على يد (سرحون) الآشوري،
وسقطت (يهودا) على يد فرعون مصر، وحدث التدمير الأول للمدينة والمعبد،
وقد عُرفت هذه لفترة للأسر البابلي وبعد سقوط مملكتي يهودا وإسرائيل خلت
فلسطين تقريباً من اليهود.

في عام ٥٣٨ ق. م احتل (قورش) ملك الفرس بلاد بابل، وسمح لليهود
بالعودة إلى فلسطين، ورحل إليها عدد قليل من اليهود الذين أعددوا ساء المدينة
المقدسة، وبنو معبداً صغيراً بدلاً من الهيكل بعد موافقة الملك (قورش) وكانت
هذه العودة عودة أشحاص وليست عودة دولة.

اليهود في ظل الحكم الروماني لفلسطين.

في عام ٦٣ ق. م سنوت لدولة الرومانية على القدس وأقام (هيردوس)
هيكلًا لليهود على سق (هيكل سليمان) كان ذلك عام ٢٠ ق. م، وظل هذا الهيكل
قائماً حتى دمر مرة أخرى على يد (تيطس) لروماني عام ٧٠م الذي أحرقه ودمر
مدينة أورشليم، وكان هذا هو التدمير الثاني للمدينة والمعبد، وقد أزال معالمه
تماماً (هادريان) عام ١٣٥م حيث تحلّص من اليهود تماماً، وكان عام ١٣٥م نهاية
وجود اليهود في فلسطين في تلك الفترة^(٣) وبداية عهد تفرقهم وتشتتهم في
البلاد، ومنذ أن طردهم إمبراطور الدولة الرومانية هادريان عام ١٣٥م وإصداره
قراراً بمنع اليهود من السكن في (إيليا) القدس، ومنعهم من مدرسة طقوسهم
الدينية، عاش اليهود في فلسطين حقبة كبيرة، ثم تشرروا خارجها، وظلّوا

(١) انظر سفر الملوك الأول: ١١-١٢.

(٢) انظر أحمد شلبي، مرجع سابق، ص ٨٩-٩١.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٥.

متفرقين طوال فترة ثمانية عشر قرناً^(١).

في ذلك الوقت حُرِّمت القدس على اليهود، ودمرت، وأقيم مكانها مستعمرة للجند الرومان.

وفي عام ١٣٨م ورث (أنطوين) (هادريان) وأُعيد لليهود حق ممارسته شعائهم الدينية، فشكّلوا يعرف (بالسهدرين) وهو محلهم لروحي لأعلى، واهتموا بالتجارة والدين في هذه الأثناء، وابتعدوا عن أي نشاط سياسي أو حربي، وتدخلوا في بصوص كتابهم لسمى بالتوراة^(٢).

طُرِصَ طهاد انمسيحية لليهود شديداً حتى أصيب المسيحية بكسوة حينما اعتلى (حولين) العرش حيث إنه كان يشجع الوثنية ويقود المسيحية

قدم (حولين) بحب حانية يهودية إلى القدس لمداومة المسيحية، وأُعيد بناء الهيكل، ثم توقف هذا العمل بسبب موت (حولين)

بعد ذلك اندلعت حروب بين البيزنطيين والساسانيين ثم قام العرب بفتح فلسطين، وتسلم عمر بن الخطاب القدس، وكتب أمراً لأهلها، وكان ذلك عام ٦٣٨م^(٣) وقد سبق له يقول في لعصل الحاصر سماحة لإسلام لأهل الذمة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما تم له فتح فلسطين ودخلها سمح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس لعمارة شعائهم الدينية^(٤) كما منحهم قطعة أرض على جبل الزيتون لإقامة صلواتهم فيها^(٥).

اليهود في ظل حكم الصليبيين في فلسطين.

في عام ١٠٩٩م وقعت فلسطين تحت حكم الصليبيين، وكان هؤلاء

(١) يوسف سامي يوسف، وتاريخ فلسطين عبر العصور، الأهاس - دمشق، ١٩٨٩، ص ١٠١

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) المرجع سابق، ص ١١٥.

(٤) نصت المعاهدة العمرية أن لا يسكن بيت المقدس أحد من اليهود، بطر ص ١٥٥ من هذا الكتاب.

(٥) رفيق شاكور، مرجع سابق، ص ٢٥.

يصطهدون اليهود ويعادونهم مثلما اضطهدوا المسلمين

في عام ١١٠١م قدم لصليبيون أعمال وحشية في مدينة القدس، حتى أنهم قضاوا على أهلها دون تمييز بين مسلم ومسيحي. فقاموا بشعال النار، وإحراق كنائس التي كان يتجمع فيها اليهود، وقيل إن (٧٠.٠٠٠) قتلوا في القدس في ذلك الوقت على حد قول (ابن الأثير)^(١) حتى لم يبق فيها سوى شخص يهودي واحد في (اللد) وآخر في (حيفا)، واثنان في (بيت لحم)، وأربعة في (القدس) يعملون صباغين بموافقة من الصليبيين، وكان ذلك عام ١١٧٠م^(٢)

ويرى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني أن الحملات الصليبية طلت مستمرة على الدولة العثمانية، عن طريق اليهود، لكن تحت أسماء وعناوين مختلفة^(٣).

اليهود في ظل حكم الأيوبيين في فلسطين:

استمر الاضطهاد للصليبي لليهود في فلسطين حتى هزمهم (صلاح الدين الأيوبي) عام ١١٨٧م واستولى على فلسطين بعد هزيمة الصليبيين في معركة حطين

في هذه الأثناء سمح (صلاح الدين الأيوبي) لليهود بالعودة إلى فلسطين بعد الاضطهاد الذي تعرضوا له على أيدي الصليبيين، وبعد وفاة (صلاح الدين الأيوبي) طفت الحروب الصليبية مستمرة

في عام ١٢٤٠م تسلم (الصلاح نجم الدين) منصب السلطة الأيوبية، فقام باسترداد القدس مرة أخرى من أيدي الصليبيين واحتلها عام ١٢٤٤م^(٤) بعد ذلك دارت الأحداث في فلسطين حيث استولى عليها المغول، ثم

(١) انظر يوسف سامي ليوسف، مرجع سابق، ص ١٣٣

(٢) انظر حسن علي حلاق، ص ١٧٦ وانظر أيضاً شهاب مكاربوس تاربح، (إسرئيليين، ص ١٩٥ (مصر ١٩٠٤).

(٣) اسلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، مرجع سابق، ص ١١٧

(٤) انظر يوسف سامي اليوسف، مرجع سابق، ص ١٣٨.

استرده المماليك، ودارت المعارك بين المماليك والنصبيين، وفي أواخر القرن الثالث عشر لملاذي أصبحت مدن الساحل الفلسطيني خراباً، لا أنها بدأت في العمران بعد انتهاء الحروب الصليبية منها تماماً، وكان ذلك عام ١٢٩١ م.

وردهرت فلسطين أيام (نظامير بيرس) في القرن الرابع عشر، وهي أيام الناصر (محمد بن قلاوون)^(١).

اليهود في فلسطين أثناء الحكم العثماني المبكر.

يرجع أصل اليهود الذين كانوا متواجدين في فلسطين إلى يهود القدمى الذين كان يطلق عليهم اسم (مستعربين)، ثم جاء يهود إسبانيا، الذين أطلق عليهم اسم (السفارديم) وقد وحدوا الأمن والملاحا في الدولة العثمانية، وأصبحت إليهم في القرن التاسع عشر يهود نماب وشرقي أوروبا، الذين كان يطلق عليهم اسم (الاشكارييم)^(٢) وقد كان يتمتع اليهود الذين لحقوا إلى الدولة العثمانية في ذلك الوقت بالاستقلال الذاتي والإداري وضائفي، كما تمتعوا بكافة الامتيازات التي منحت للعرايا الأجانب.

في عام ١٥١٦ م رحل السلطان العثماني سليم الأول (١٥١٢ - ١٥٢٠) على سوريا، وانتصر على المماليك في موقعة مرج دابق الشهيرة التي دارت بينه وبين السلطان المموكي (قنصوه عوري) في ذلك الوقت قدم السلطان سليم يضم فلسطين إلى ولاية دمشق، وقسم فلسطين إلى سحاق (صمد) و(يف) و(عرة) و(نابس) و(القدس) وظنت فلسطين تابعة للدولة العثمانية هذه أربعة قرون، وذلك منذ عام ١٥١٦ م حتى عام ١٩١٨ م^(٣)

في تلك الفترة ازدهرت فلسطين، ورحلت فيها حركة التجارة، وحل السلام في ربوعها، وقدم السلطان سليم بفتح البلاد أمام اليهود مرة أخرى، حيث قام بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية مع هؤلاء اليهود، ومعاملتهم المعاملة

(١) انظر يوسف سامي اليوسف، مرجع سابق، ص ١٤٥ - ١٤٦

(٢) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ١٠ - ١١.

(٣) انظر يوسف سامي اليوسف، مرجع سابق، ص ١٤٨.

لطبية، حتى إن بعضهم تولّى مراكز مرموقة في الدولة مثل (جوزيف ناسي) اليهودي، الذي كان مقرّباً من السلطان سليم، وكان يعمل دوقاً (لكسوس) كما كان هذا الرجل يعمل في الأعمال المالية والمصرفية، ويمثل شركات تجارية وبحرية، وكان بفضل هذه الشركات وعلاقاته مع الأوروبيين، يعطي للحكومة العثمانية معلومات استخبارية، ويشارك في اجتماع الديوان، ويقدم تقارير عن الوضع المالي والاقتصادي للدول الأوروبية وتشكيلاتها العسكرية ونظمها الحربية^(١).

في هذه الفترة أيضاً سمح لرئيس الحاخاميين بممارسة سلطاته في الشؤون الدينية، وأصبح لليهود قانون خاص بهم، وأعطى للحاخام صلاحية تحديد الضرائب لطائفة اليهودية، والمصادقة على اختيار رؤساء المحلين^(٢).

وفي عهد كل من السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) والسلطان سليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤) تألّق اليهود في الدولة العثمانية إلى حد كبير^(٣).

قام السلطان سليمان القانوني بإصدار فرمان يسمح بسكّان حوالي (٥٠٠٠) يهودي بالقرب من (بحيرة طبريا) وقد استفلّ اليهودي (يوسف ناسي) علاقته بالسلطان سليمان لإصدار هذا فرمان، وذلك بعد فتح قبرص عام ١٥٣٥^(٤).

قامت حركات معارضة من قبل عرب فلسطين ضد الهجرة اليهودية إليها، وكانت تلك الحركات سابقة على ظهور الصهيونية المنظمة، ففي عامي ١٥٦٧م، و١٥٨٧م قامت العديد من الاحتجاجات والمظاهرات ضد اليهود، وصلت إلى حد الهجوم عليهم في منطقة (صند) في فلسطين، الأمر الذي أدى باليهود إلى الهروب إلى بيروت ودمشق ومصر، خوفاً من هجمات الفلسطينيين.

وطلت حياة اليهود في فلسطين غير مستقرة، حيث كانوا مشغولين في معظم

(١) انظر محمد نور الدين، تركيب في الرمن المتحول، مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٢) أحمد نوري العيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨.

(٣) انظر عابدة العلي، دول المثلث، مرجع سابق، ص ٢٢٣.

(٤) انظر أحمد نوري العيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٦٢.

البلاد، على الرغم من أنَّ أمل الاستقرار في فلسطين لم ينقطع لديهم.

وظهر هذا الأمل في محاولات ادعاءات بعض اليهود أنه المسيح الذي سوف يعيدهم إلى أراضهم المقدسة فلسطين، ويسودهم على العالم. وكانت من أهم هذه الادعاءات دعوة سبتاي رفي الذي اعتقد أنه سوف يقود العالم كله من فلسطين، وكان يدعي هذا بقوله «أن سليل سليمان بن داود حاكم البشر، اعتبر القدس قصرًا لي»^(١).

وفي تلك الفترة دخل يهود مرحلة انحطاط في علاقاتهم بالدولة العثمانية، وذلك بعد ظهور حركات تحرير يهودية تدعو للهجرة إلى فلسطين، فقد أحدثت هذه الحركات توترًا في العلاقات العثمانية اليهودية، الأمر الذي أدى بالسلطان (مراد الثالث) أن يقول حملته الشهيرة: «ما الذي يحصل فيما لو قُطعت رؤوس جميع هؤلاء»^(٢).

علاقة فرنسا بيهود الدولة العثمانية تجاه استيطان اليهود فلسطين خلال اعوام (١٧٩١ - ١٨٠٠):

في عام ١٧٩١ أصدر حكام فرنسا قوانين تنص على مساواة يهود بالفرنسيين أمام القانون، وقد كانت علاقة فرنسا بيهود الدولة العثمانية لها أثرها الواضح في وضع اليهود الدين كانوا تحت سلطة العثمانيين، وترجع علاقة فرنسا بفلسطين إلى وقت حكم (فرانيس الأول) باعتباره أقدم دولة أوروبية تهتم بشؤون فلسطين حصلت على امتيازات من قبل السلطان العثماني (١٥٢٠ - ١٥٦٦) حيث إنها كانت تحتكر رعاية المقدسات وحماية رجال الدين المقيمين بالدولة العثمانية.

كانت فرنسا تعتبر مناطق الشرق العربي وشمال أفريقيا وسوريا وفلسطين بصفة خاصة مناطق يعود لها من خلال علاقاتها القوية بالدولة العثمانية، وكان

(١) انظر بوري العيمي، أثر الأقضية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢) محمد نور الدين، تركيا في الرمن المتحول، مرجع سابق، ص ١٧٨.

لفرسية ثلاث قواعد بحرية على البحر الأبيض المتوسط في الجزائر وتونس والمغرب^(١).

ويرى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني أن عهد الصداقة بين الدولة العثمانية وفرنسا يعود إلى عهد (لويس الرابع عشر) الذي أعلن أنه لن يتحالف مع أية دولة أجنبية تعادي العثمانيين، ويرى أيضاً أن لدولة عثمانية مديّة في صلاح حيشها إلى الصباط الفرنسيين^(٢)، وكان شريك فرنسا في حرب القرم ورسد لتتحالف العثماني الفرنسي، كما يؤكد أن الإصلاحات التي نفذت في عهدي السلطان عبد الحميد والسلطان عبد العزيز هي إصلاحات مستمدة من فرنسا، وكانت لمدرس والمعاهد العسكرية تحت تأثير نظام فرنسي

ويذكر في هذا أن تدهور العلاقات مع الأصدقاء القدماء أمر يدعو إلى الأسف^(٣) وقد كان النسب في توتر العلاقات مع فرنسا هو صداقة الدولة العثمانية لألمانيا، فكان السلطان العثماني يرى أن الألمان قوم شرفاء صادقون، مخلصون في عملهم، أما الفرنسيون فسياستهم غير مستقرة على قرار، ولا يثبثون ثبات الألمان.

ومن ناحية أخرى فإن ستيلاء فرنسا على تونس كان له تأثير في تباعد بينها وبين الدولة العثمانية^(٤)

وفي عام ١٧٩٨م تلقى يهود فرنسا خطاً موحياً من يهود العالم، مقترحاً فيه إنشاء مجلس يهودي، ويقصدون فيه إعادة (الدولة اليهودية) إلى (شعبها التقديدي) وحاء في هذا لمشور ما يلي: «إن البلاد التي طألت بأرجلها ستضم - وهذا مرهون بتلك الاتفاقات التي نراها فرنسا مقبولة - مصر السفلى، بإضافة منطقة تكون حدودها خطاً بحري من عك إلى البحر الميت، ومن الأطراف الجنوبي

(١) انظر ميم كامل، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٩ - ٣١

(٢) كتاب نابليون بونابرت من حملة الصباط الذين دربو جيش العثماني، وأقام فترة في ستانسون قبل أن يقوم بحملته المشؤومة إلى مصر (الناشر)

(٣) السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، مرجع سابق، ص ١٣٨ - ١٣٩

(٤) المرجع السابق، ص ١٢٤ - ١٢٥.

لهذه البحيرة حتى البحر، لأحمر^(١) وعندما غزا نابليون البلاد عام ١٧٩٩م كان عدد اليهود في ذلك الوقت (٥٠٠٠) نسمة^(٢)

في هذا العام وخه الحاخام الأكبر للقدس (أرون يهي) دعوة إلى اليهود يصلب منهم إعادة بناء أسوار مدينة القدس وبناء معبد الرب

دور نابليون في دعوة اليهود لاحتلال فلسطين:

قام نابليون بدعوة ليهود إلى احتلال فلسطين عن طريق القوة، وكانت فرنسا في تلك الفترة في حاجة إلى التمويل اليهودي، وجاءت دعوة نابليون لليهود على النحو التالي:

«إن العناية الإلهية التي أرستني على رأس هذا الجيش إلى هنا جعلت من القدس مقري لعدم»، ومن ثم أحد يبحث اليهود على لقدوم إلى فلسطين بقوله: «ليجتمع كل ربح لشعب يهودي القادرين على حمل السلاح، وليأتوا إلى فلسطين»^(٣).

وكان نابليون يصف اليهود بقوله إليهم (ورثة فلسطين الشرعيين) ويعتقد بعضهم أن حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م كانت فاتحة لتطبيع الصهيوني نحو فلسطين، وقد ظلت الدعاية اليهودية تشير إلى دعوة نابليون هذه على أنها اعتراف أوروبي بحقوق يهود في فلسطين، كما أنها تعدّ بداية التعاون بين الحكومات الأوروبية واليهود على حساب العرب^(٤)

ويبدو أن نابليون قد أصدر هذا النداء من أجل كسب ليهود معرض استغلال

(١) انظر حسان، مرجع سابق، ص ١٤٣، وأيضاً هري بورس (نوبلوت والإسلام نوبلوت وديانة يهودية) ترجمه بشر الساعدي، ص ٤٦ نقلاً عن جعفرير فلسطين، [بيكم الحقيقة، ص ٧٨، ترجمة أحمد خليل الحاج.

(٢) حسان، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٦.

(٤) عمر عبد جعفرير عمر، تاريخ لمشرف العربي، دراسة مهصة عربية - بيروت، ١٩٩٥، ص ٤٧٥.

نفودهم في أقطار الدولة العثمانية ومعاونتهم له في تحقيق أغراضه^(١).

وحه نابليون أيضاً نداء إلى اليهود في آسيا وأفريقيا أن يتعدوا، من أجل تحقيق إعادة مملكة القدس القديمة، وحشد الكثير منهم في جيشه، وكان يسوي الزحف على إستانبول والاستيلاء عليها، وكانت فكرة إعادة القدس لليهود هي بداية الحطط التي كان ينوي تنفيذها فيما بعد^(٢) في تلك الفترة تسور بوضوح التعاون العسكري لفرنسي ليهودي من أجل إعادة فلسطين التي كانت في حوزة الدولة العثمانية لليهود، إلا أن محاولة نابليون في استمارة اليهود لإعادتهم إلى القدس فشلت بسبب هزيمة بريطانيا لفرنسا ومن ناحية أخرى فإن اهتمام اليهود في هذه الفترة كان يتركز على تثبيت أوضاعهم الاقتصادية والاجتماعية في البلاد التي كانوا يعيشون فيها دون الانسياق وراء معامرات قد تعرض وجودهم في البلاد التي يقيمون فيها للخطر، كما أن التفكير اليهودي باستيلاء فلسطين لم يكن قد اتضح بعد^(٣).

(١) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧١٨.

(٢) نطر أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧١٨ - ٧٢٠، وقد كتب هنري لورنس في هذا لنداء قوله: "أخيه نابليون نداه في ٢٦ ١٧٩٩م - المفتح الوثيقي للإمبراطورية عثمانية من حرب بونابرت"، وسوف نتحقق يوماً ما، إن نابليون لم يفتح بلاد الشام بمجرد أن يرد لليهود أورشليم، كانت هذه هي الوثيقة التي نشرها ج. بيتشو في كتابه (عودة لليهود) وكانت هذه الرسالة عبارة عن برنامج صهيوي يتحدث عن إنشاء مجلس يباي لليهود الملايين الستة مئتين في العالم. كما قدم (أخوه سوكلوف) في كتابه (تاريخ الصهيونية) وثقتين

- وثيقة الأوس، دعوة يهود اسيا وأفريقيا من أجل إحياء أورشليم القديمة

- والثانية: فتح إستانبول.

أوضح سوكلوف فيهما أنهما شهادتين تظهران تعاطف بونابرت مع لليهود، (نظر هنري لورنس، بونابرت والإسلام بونابرت وندوة لليهودية، ترجمة بشير الساعدي دار مصر العربية للنشر والتوزيع - القاهرة، ١٩٩٧م، ص ٤٦)

(٣) أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي، منذ قيام ثورة الفرنسية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عامه المعرفة، عدد ٧٤، فبراير ١٩٨٤م - الكويت، ص ١٦.

ويعزو المؤرخون أسباب إصدار نابليون التده باحتلال اليهود لفلسطين إلى رغبته في استقطاب الحاليات اليهودية في الشرق، وجمعها تحت لواءه لنحارب معه، وتكون عوناً له في دعم نفوذه وتثبيت سلطانه وبالإضافة إلى ذلك، فإن نابليون كان يهمن من وراء هذه الدعوة كسب ثقة يهود فرنسا، ودعمهم لمادي في صراعه الذي بات وشيك الوقوع مع حكومة الإدارة الفرنسية

ويصيف بعض المؤرخين إلى أن إهداء نابليون كان له هدف آخر، وهو تشجيع اليهود على الاستيطان في فلسطين بعبء إيجاد حاجر مادي بشري، يفصل ما بين مصر وسوريا، وسنعلن ذلك في تسهيل وتدعيم الاحتلال الفرنسي لكل منهما

كما كان نابليون يهدف إلى تهديد مصالح بريطانيا من خلال إغلاق طريق مواصلاتها المؤدي إلى الهند، وهناك إشارات أخرى في بعض المصادر تقول إن نابليون كان يهمن كسب رضا وتأيد (حاييم فارحي) اليهودي، وكان يشغل منصب وزير الشؤون المالية في إدارة (أحمد باشا الحرار) الذي كان يتمتع بنفوذ مالي في عكا، ويتولى مسؤولية ترويدها بالمؤن الغذائية^(١)

في عام ١٨٥٦م تم عقد معاهدة بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية بواسطة فرنسا وبريطانيا وقد نصّت على منح الأقليات النقطة في الدولة العثمانية حق حرية العمل، واستغل اليهود هذه المعاهدة لتشكيل الجمعيات التابعة لهم^(٢)

ظهرت في تلك الفترة مظامع فرنسا في الحصول على امتيازات خاصة بها، عن طريق تأييد اليهود وتشجيعهم على استيطان فلسطين، فقد دعا (أرنست لاهران) السكرتير الخاص لنابليون الثالث إلى إعادة بناء الدول اليهودية بقوله (أي قوة في أوروبا ستعرض على الخطة الدعية إلى اتحاد يهود من أجل شراء

(١) أمين عبد الله محمود، تاريخ الاستيطان اليهودي، مرجع سابق، ص ١٥، ١٦، وأيضاً هري لورنس، ص ٤٦. صوّر نابليون نفسه أنه لمهدي الذي يتطرده المسمومون، أما البروتستانت لإحذر فقد رأوا فيه المسيح الدجال عدو المسيح. واعمره اليهود آده بامشينة (النهاية لهم) هري لورنس، مرجع سابق، ص ٦٥

(٢) أحمد توري عيمي، يهود الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٦٣ و بطر روسر مانترن، تاريخ الدولة العثمانية، مرجع سابق ١٣٢/٢ - ١٣٩

أر ضي أجدادهم القديمة؟ ومن ذا الذي سيعترض إذا عمد ليهود إلى إلقاء بضع حفلات من الذهب إلى تركيا العاجزة المتهانكة. وقولوا لها: «أعدي لنا أرضاً واستخدامي هذا المص في تعزيز الأجزاء الساقية من امراطوريث امنداعية»^(١) ومن تثار أي اعتراضات على تحقيق هذه الحطة، وسيسمح لليهودية أن تمتد حدودها من السويس إلى ميناء إزمير، بما في ذلك كامل المنطقة عربي حبان لبنان. وستسعى الصناعة الأوروبية يومياً إلى البحث عن أسواق جديدة تصرف فيها منتجاتها. والوقت أمدت قصير، فقد آن لأول لأن يدعو الأمم القديمة إلى الحياة من حديد كي تفتح طريقاً جديدة ومعدراً لحضارة الأوروبية»^(٢)

قدم (أيرست) أيضاً بدعوة اليهود أن يكونوا قناة الاتصال الحية بين القارات الثلاث، وأن يكونوا حملة لحضارة إلى شعوب ما زالت بدائية، فيقوموا بدور الوسيط بين أوروبا وأقصى آسيا، ويفتحوا الطرق المؤدية إلى الهند ونصير التي عثرها على حد قوله: «المجاهل التي ينبغي فتح أبوابها لحضارة»^(٣) وقدم أيضاً تشجيعهم للعودة إلى فلسطين بقوله «سيروا قدماً، إن سعدكم سيحصل قلوباً تختبئ (أي قلوب الطبقة الحاكمة الفرنسية) وستقف حيوش إلى جاسكم مستعدة لتقديم المعونة. سيروا إلى الأمام يها اليهود في كل أرض! إن وطنكم القديم يندىكم، وسيكون من دواعي افتحارب أن نفتح لكم أبوابه»^(٤)

ويظهر أيضاً من موقف (لاهران) نحاه اليهود ودعوته لاستعمار فلسطين، وإنكاره الوجود العربي التأثير الواضح على أفكار (موسى هس) والتي أثارها كتابه (روما والقدس)^(٥).

(١) أمين عبد الله محمود، مشاريع الاستيطان اليهودي، مرجع سابق، ص ٣٠-٣١. فضلاً عن (أيرست لاهران) من كتابه (المسألة الشرقية الجديدة - امراطورية لمصرية و لمربية وإعادة إحياء القومية اليهودية).

(٢) المرجع السابق، ص ٣١.

(٣) المرجع السابق، ص ٣١.

(٤) وقد ظهر الآن كتاب (روما والقدس)، وموسى هس (١٨١٢-١٨١٥)، ولد في ألمانيا، وتلقى تعليماً دينياً على أيد حده لأمه لذي كان حاكماً، كان مهتماً بدراسة التاريخ والفلسفة، قضى معظم حياته في باريس، وكان على اتصال بالأوساط والمجالات =

وفي عام ١٨٦٢م صائب (موسى هس) بالعمل على إحياء قومية يهودية تحرر القدس، وتكون بداية عهد الاتفاق الجديد على عرر (لمدينة الحادثة روما)، كما طالت فرنسا بوقمة شبه حرية سيناء

كما دعا (هس) لشعب اليهودي إلى استيطان فلسطين، باعتباره مهدهم لأصلي بقوله «إن الشعب اليهودي حين يعي رسالته التاريخية، ويشعر بقوميته، ويستولي على فلسطين، سوف يذهب ثورة الأحاسيس المصطنعة ضد سيطرة الشعوب المستبدة».

ورأى أيضاً أن اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبية لا يشكل حلاً عملياً لمشكلة اليهودية، وبادى بالحسب يهودي باعتباره أمة وأعرق لأحاسيس البشرية، وإليه ترجع وحدة اليهود، لأن الحسب اليهودي حفظ صفاء عبر مئات السنين، وعلى ذلك يجب أن يكون اليهود أحراراً، ولا يتحقق ذلك إلا في فلسطين (الأرض الموعودة).

إلا أن كتابه (روما والقدس) نقي معارضة شديدة من جانب الإصلاحيين اليهود في ألمانيا في الوقت الذي لم يهتم به الاشركيون، فوصفه (أبراهام جابير) اليهودي لاشتركي بأنه ليس ولادة عهد جديد، بل نقر لفتح العهد مضى، وبذلك لم يقبض لدعوة (هس) الانحاح بسبب اندماج يهود ألمانيا في مجتمعاتهم، وبصيف مؤرخ يهودي (يسرائيل كوهين) (Israel Cohen) مرراً

= الاشركية، كان عصوراً في أحد المحاولات النمساوية، ساهم بمقالات في المجالات النمساوية، وكان متأثراً بفكر (روسو) و(ميسور) و(هغل) نشر عام ١٨٦٢ كتب (روما والقدس) وعنوانه الأصلي (جاء برنيس)، ربح هس بكتابات (كيشير) واليهودية الأرثوذكسية، كان يؤمن أن فرنسا مستعدة في تشييد بعض المستعمرات في قدامت من النمسا إلى القدس، وعلى صفتي نهر الأردن و(هس) مفكر صهيوني، ثقافته به دة عممية، وهو أيضاً الذي اقترح نقل جماهير شرقي أوروبا إلى لشرق لتشييد رؤى العهد القديم من خلال دولة مستطاة حلالة، تستخدم منهج لاشتركي، وقد ساهم (هس) في الأعمال التمهيدية للاستيطان في فلسطين، واشترك في تحقيق مشروع المدرسة لدراسات قريوت يافا (عهد لوهب النمساوي، موسوعة لفاهيم والمصطلحات اليهودية، ص ٤١٧-٤١٨).

عدم نجاح دعوة (هس): بأنَّ العوائق اللغوية حالت دون اطلاع اليهود في البلاد الأخرى على كتابات (هس)^(١).

في عام ١٨٦٨م حصل (أودلف كريميه) النائب اليهودي في البرلمان الفرنسي على فرمان من السلطان العثماني باستئجار (٢٦٠٠) دونم (Donum) من الأراضي بالقرب من يافا لمدة (٩٩) عاماً^(٢).

وفي عام ١٨٧٠م قامت (الإلبنس) بتأسيس أول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين أطلق عليها مدرسة (مكينة إسرائيل) الزراعية لتمويل من لبارون (إدموند روتشيلد) والبارون (موريس دي هيرش) وقامت هذه المدرسة بوضع دراسات استكشافية عن فلسطين، كما قامت بتدريب اليهود المهاجرين على أعمال الرعاة، وأقامت لها عدة فروع في دول أوروبا^(٣).

في عهد استعمار عبد الحميد نشأت فرنسا فرصة انعقاد مؤتمر برلين عام ١٨٧٨ من أجل التخطيط لاحتلال تونس وفي نيسان - إبريل ١٨٨١م أرسلت فرنسا قوة قوامها (٢٠٠٠٠) جندي إلى تونس بحجة ضمان أمن الحدود، وتقدمت نحو الأراضي التونسية، وأخبرت وني تونس العثماني (الباي محمد الصادق) على توقيع معاهدة (ردود) في ١٢ / ٥ / ١٨٨١م واضطرته إلى الاعتراف بحماية فرنسية على بلاده، وقد احتلت الحكومة العثمانية على ذلك الاحتلال بشدة^(٤).

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣٦.

(٢) الموسوعة كلمة تركية تدل على (٩٤) متراً مربعاً (قاموس المعجم التركي) ٥٠٩ / ١ تشير إلى وحدة قياس المساحات في فلسطين قبل إنشاء الانتداب البريطاني، حوالي ربع فدان، وعبراً أن لفدان يساوي (٤٢٠٠) متراً مربعاً (عند الوهاب المسميري، موسوعة المفاهيم ومصطلحات يهودية، مرجع سابق، ص ١٩١) وكذلك أودلف كريميه هو رئيس الإلبانس.

(٣) أمس عبد الله، مرجع سابق، ص ٦٣ ورفيق مناصرة، مرجع سابق، ص ١٠١، نقلاً عن جورج ماكه (دولة إسرائيل الصهيونية)، ص ٥١ - ٥٢، ترجمه عن ترجمية أسد محمد قاسم.

(٤) محمد حرب، استعمار عبد الحميد، آخر سلاطين العثمانيين بذكر، دار القلم -

في ذلك الحين بدأ اليهود بوجهون نداءهم إلى بريطانيا في أوخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر يطالبونهم بمساعدتهم في العودة إلى فلسطين^(١)

موقف بريطانيا تجاه محاولات يهود الدولة العثمانية استيطان فلسطين:

قبل أن نتحدث عن تأييد بريطانيا لليهود، ومساعدتها لقوية لهم من أجل تمكينهم من الحصول على أرض فلسطين، وقد استطاعت بالفعل أن تمكنهم منها، لا بد لنا أن نلقي الضوء في لمحة سريعة عن معاملة بريطانيا لليهود المقيمين فيها، والتي وصفها أحد وزراء الحكومة الإنجليز (مونتاجو) وهو في الأصل يهودي فيقول: "إن الحياة التي عاشها يهود البريطانيين، ولأهداف بني وصعواها نصبت أعينهم، ودور الذي لعبوه في حياتنا العامة ومؤسساتنا، يحسن من حقهم أن يُعتبروا بريطانيين يهوداً، أكثر منهم يهوداً بريطانيين، بني على استعداد لحرم كل صهيوي من الحقوق المدنية، بل بني أحد دفعاً لتحريم المنظمة الصهيونية باعتبارها غير قانونية وضارة بالمصالح الإنجليزية"^(٢)

وأكد (مونتاجو) أيضاً أن الحكومة البريطانية تسعى لمواطن يهود في فلسطين بهدف التخصيص منهم، وذلك لأن الأمة الجديدة التي سوف تتكون في فلسطين سيكون قوامها يهود الروس والإنجليز والرومانيون وغيرهم

ويعبر عن الصهيونية بقوله: "لقد بذت الصهيونية بني دئماً عقيدة صهيونية، لا يمكن أن يؤمن بها أي مواطن محنص للمملكة المتحدة، ذلك أن يهودي الإنجليز الذي يتطلع إلى حل التوتوم، ويتوق إلى يوم الذي يستطيع فيه أن

= دمشق، ١٩٩٠م، ص ١٤٦-١٤٧.

(١) في محاضرة بني أنطاليا (تحت عنوان) ١٩٢٥م أمام جمعية تاريخية يهودية في بحر، وكان من بين المحاضرين (روبي ميس) و(روبيد جورج) حيث أعلن (ميس) أن مشروع الدولة يهودية سبب إلى بولندا، وأنه جاء من صريح المنور بمئة عام، وأن إنجلترا تحدد حدودها مع الروس. (مرجع سابق، ص ٤٧)

(٢) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٦٥.

ينقص عن حدته لثرب البريطاني، ويعود إلى مشاطة الترر عي في فلسطين، إنما يعترف بأنه لا يصنع للاستراك في الحياة العامة هي بريطانيا العظمى بل ولا يصلح لأن يعامل كمواطن إنجليزي. لقد كان اعتقادي دائماً أن الذين عكفوا على هذه العقيدة كانوا مدفوعين إلى ذلك بسبب قيود المفروضة على حرية يهود في روسيا، ولكن بعد أن تم الاعتراف هؤلاء يهود، باعتبارهم يهود روس، ومُنعوا كافة حرياتهم، يبدو من غير المتصور أن تقدم حكومة بريطانية على الاعتراف برسمي باليهودية، وأن يحول من منظور تصريح بأنه يجب أن يُعاد تأسيس فلسطين (كوطن قومي للشعب اليهودي) وأنا لا أعلم على وجه التحديد ما يقضي عليه هذا. وإن كنت أستشعر أنه يعني أن على المسلمين والمسيحيين في فلسطين أن يحلوا السبل لليهود، وليس سوف يتمتعون بالأفضلية، وبصحاح مرتططين فلسطين الرئاسة الإنجليزية باعتبارها أو الفرنسيين بفرنسا.

كما يعني ذلك أن الأتراك يعتبرون أجانب مثلهم في ذلك مثل اليهود، الذين سوف يعملون منذ الآن كأجانب في كل بلد آخر غير فلسطين^(١)

في عام ١٨٠٠م ظهر كتاب (إرجاع لليهود - أزمة جميع الأمم) لجيمس تشيمو (James Bicheno) حيث طالب البريطانيون باستخدام نفوذهم لدى الباب العالي، لكي يتحلى الأتراك عن فلسطين^(٢) وفي مسيل تحقيق هذا العرص عُقد اجتماع يهودي في بريطانيا برئاسة حاكم لندن (موسى مونتفيوري)^(٣) تم فيه

(١) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٦٤.

(٢) انظر حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٤٦.

(٣) موسى مونتفيوري يهودي، بريطاني الحسبة. كان من أشد المتحمسين لمشروع استعمار فلسطين، كان يحصل برعاية خاصة من الملكة فيكتوريا، زار فلسطين عدة مرات، وأقام في مصر فترة، قبل عام ١٨٣١م محمد علي باشا زلي مصر، وذلك خلال فترة حكمه على فلسطين في الفترة من ١٨٣١ - ١٨٤١م وتدخل في حوادث قتل وانقش التي ارتكبتها اليهود في سوريا وفلسطين في الفترة من ١٨٤٠ - ١٨٦٠م لارتكبتهم مهاجمة حسان علي حلاق، ص ٤٦ - ٤٧، وعرض عليه أن يؤخر لليهود مئة أو مئتي قرية لمدة خمسين عاماً، وقد تعهد له محمد علي بالترخيص لليهود في شراء أية مساحة يحدونها

جمع (١٣٠) ألف جنيه إسترليني من أجل تنفيذ مشروع عودة اليهود إلى فلسطين إلا أن هذا المشروع قوبل بالرفض.

وفي عام ١٨٣٨م أعلنت بريطانيا حمايتها لليهود في فلسطين، وفي سبيل تحقيق هذا الأمر افتتحت قنصية لها في القدس، وفتح عن هذه الحماية أن تردد عدد اليهود في القدس، حيث تمنعوا بالحماية، لأحسية، كما أوفدت بعثات أوروبية إلى لأراضي العثمانية - إنجلترا، وألمانيا - دعت اسحث عن الآثار التاريخية، سيما كان هدفها السحث عن التروث في المنطقة^(١)

كانت بريطانيا ترى في اليهود أقبية يمكن أن تعتمد عليها في فلسطين، فمرر العديد من الشخصيات البريطانية الذين تحمسون لفكرة توطين اليهود في فلسطين، وكانوا يعتقدون أن بعث لامة يهودية سوف يعطي نقوة للسياسة الإمبريرية

في عام ١٨٤٠م أرسل نوبير البريطاني مذكرة إلى السفير البريطاني في استانبول، يطلب فيها التوسط لدى الباب العالي للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين كما طلب بطرد سكان فلسطين المسلمين، وإسكان يهود مكبهم

من ناحية أخرى قدم السياسي البريطاني (شافنيسري) بكتابة رسالة موجهة إلى وزير خارجية بريطانيا يقول فيها: "إنه لا بد من تحويل سوريا إلى محمية بريطانية، ويتطلب هذا رأسمالاً وقوة بشرية"، أما الرأسمال فهو بصيغته يتوجه من تنفاه نفسه إلى أي بلد يتوفر فيه لأمان على المال والحياة، وفي الاحتام يهود (شافنيسري) ولو فكرت جيداً في موضوع إعادة توطين اليهود في فلسطين

= في ربيع سوريا، وقد ظل نائب محمد علي حتى عادت سوريا بما فيها فلسطين إلى لأتراك طفاً شروط الصلح التي فرضت على محمد علي بالشارب عن سوريا عام ١٨٤٠م، وكان هذا الصلح صيغة قوية لمشروع موشقوري (أحمد موسى، مرجع سابق، ص ٧٢٠-٧٢١).

(١) رفیق شاکر، مرجع سابق، ص ٥٨٩ وحسب علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٧٧ وفي هذه المناسبة يعلق السطص عبد حميد بقوله إسي كث سأوفق على تثقيب عن اسرون بشرط مصادرحتي بدت، ولكن أن بأنوبي كخوسيس فهذا ما لم أرصه أبداً (انظر مذكرات اسططان عبد حميد، نفيه وترجمة محمد حرب، دار انشم، مرجع سابق، ص ١٥٧).

لوحده أن هذه أرخص وأضمن وسيلة لتوفير كافة الإمكانيات في هذه المنطقة غير المكتظة بالسكان، ومن هنا كانت المصلحة السياسية العامة والصهيوية تهدف إلى السعي نحو توطين اليهود في فلسطين^(١)

وكانت وجهة النظر الصهيونية حيال الأطماع الدوية في فلسطين - كما عثر عنها كتب يهودي سنة ١٩٠٧م - هي « أن منح فلسطين لليهود هو الحل الوحيد لهذا التنافس، والعداء بين الدول الكبرى على النفوذ في لأراضي المقدسة، على الأقل لكي تتوصل هذه الدول إلى تسوية للمشكلة اليهودية عندها، وتعد الهجرة اليهودية عن شواطئها... »^(٢).

ومن أبرز المعاصر الإنجليزية الذين أيدوا لاستيطان اليهود في فلسطين اللورد (نمرستون) واللورد (شافيتوري) وكان شافيتوري متأثراً بـ (جيمس تشيمو) التي صممها في كتابه (The Restoration of Jews) وقد دعا فيه اليهود إلى التجمع من جميع أنحاء العالم في فلسطين من أجل تتوصل إلى «حل الأزمات التي تحتاج الدول المسيحية والدول العثمانية»^(٣)

(١) رابين شاكرو، مرجع سابق، ص ٨٦، وأحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٢١ - ٧٢٢، في ذلك الوقت وجه (نمرستون) وزير خارجية بريطانيا رسالة إلى نائب لقنصل الإنجليزي في القدس جاء فيها «كل حاملي يهود بصورة عامة» وفي سنة ١٨٤٠م كتب (نمرستون) أيضاً إلى مدير جلالة الملك في ستانبون رسالة يقول فيها «من أم صبح أنه سيكون لمسطون مصلحة كبيرة في أن يشجع اليهود على أن يعودوا إلى فلسطين، وأن يستقروا فيها - ضمن هذه الفكرة - إلى المحاكم التركية، وأصلب منه في صدحه تأمله أن يشجع يهود أوروبا على العودة إلى فلسطين (أحمد سوسة، ص ٧٢١) في هذا القصد جاء على لسان الكاتب يهودي بريطاني (رايمويل) تأكيداً للسعي نحو هذا الهدف قوله «الآن، وليس في وقت آخر، هو فرصة إمبراطوريتنا - هناك تعهدات كثيرة - لن نستقر لا يهودي ولا فلسطين بعد أن حملت فة سويسر العالم إلى أبواب فلسطين - لقد كان وقوع فلسطين على لسان الشرق في تسخير المتوسط عند نقطة لافء بين لشرق ولغرب، د أهمية قصوى، استراتيجية وتجارية بأسسه إلى أي دولة أوروبية، تدفعها للسعي إلى امتلاكها.

(٢) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ١٨.

(٣) أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ١٧ - ٢١.

أيضاً كان من أشد المتحمسين لإنشاء دولة يهودية في فلسطين (شارك هنري تشرشل) حيث قام بمطالبة بلاده باحتلال سوريا وفلسطين فكتب يقول «إن كنا نريد الإسراع في تقدم مدينة وتوطيد سياسة إنحدترا في الشرق، فمن لوجب أن تقع سوريا ومصر تحت سيطرتها ونفوذها بهذا الشكل أو ذاك»^(١)

ومن هؤلاء البريطانيين المتحمسين لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين أيضاً (إدوارد ميتفورد) الذي قدم مذكرة إلى المحكمة البريطانية عام ١٨٤٥م يطلب فيها «إعادة توطين اليهود في فلسطين بأي ثمن، وإقامة دولة خاصة بهم تحت لحماية البريطانية» وجاء في المذكرة «إن إقامة مثل هذه الدولة يحقق فوائد لبريطانية. حيث تصح الممرات النمانية لمواصلاتنا البحرية لمتحفة نحو الشرق بين أيدينا كلياً كما سيحقق لنا مكانة قوية يستطيع من خلالها العمل على وقف ودحر أية محاولة من أعدائنا للتحكم في منطقة الشرق»^(٢)

ثم ظهر الحاحم (بياس) الذي قدم المشاريع لاستيطان فلسطين. وكان هذا الحاحم هو كبير الحاحمات في جزيرة (كورفو) الواقعة بحر إيجه^(٣)

في هذه الأثناء ظهر دور العديد من العائلات الكبيرة اليهودية في العمل على تمويل اليهود ومساعدتهم في الهجرة إلى فلسطين، مثل عائلة (كاموندو) التي ساهمت في الارتقاء بالأوضاع الاقتصادية في فلسطين، وبعض لشخصيات اليهودية أمثال (موشيه مونتيفوري) وعائلة (روتشليد) والأخوين (بريرة) و(دي بيخوتو) وغيرهم، كما ساهم أيضاً يهود تركيا وأوروبا وشمال أفريقيا في سبل تحقيق الهجرة إلى فلسطين^(٤).

في نفس هذا العام ١٨٤٠م وقعت حادثة دمشق التي اعتبرها المؤرخون

(١) أسير عبد الله مرجع مسعود، ص ٢٣، نقلاً عن شارك هنري تشرشل - حل لسان، ١٨٥٣م

(٢) المرجع السابق، ص ٢٤-٢٥.

(٣) انظر، صموئيل إتينجر، مرجع سابق، ص ٢٢٦.

(٤) المرجع السابق، ص ١٩١.

نقطة تحول في تاريخ اليهود في العصر الحديث. إذ ظهرت هذه الحادثة العلاقة بين يهود الشرق والغرب ومصمونها هذه الحادثة هو احتفاء القسيس (توما الكبوشي) وخدمته المسلم، حيث وجهت تهمة احتفائهم إلى اليهود، حيث تهموا بقتل القسيس بعرض شرب دمه في عيد الفصح^(١). وقد هت يهود أوروبا بتقديم كل وسائل المساعدة إلى يهود الشرق، كما قامت لدول العظمى (بريطانيا وفرنسا) بتكثيف وجودها في المنطقة حيث كانت علاقة لتوتر تسود العلاقات الإبحلية الفرنسية. فقامت فرنسا ببدء اليهود في هذه الحادثة، وقام مندوبو فرنسا في دمشق باعتقال قادة يهود في دمشق، ثم قامت لجنة معوشي بطوف اليهودية في إسطنبول بتنظيم أنشطة ماهرة لتلك الحادثة، وقد اليهود في نفس الوقت بتنظيم حملة دينوماسية لإدانة الحادثة، وتوجيه وفد من يهود أوروبا برئاسة (كرمييه) و(متيمبوري) وقد التقى هذا الوفد بالمسؤولين الأتراك الذين أصدروا قراراً تركياً يدين لمذبحة، وأمر بإطلاق سراح المتهمين اليهود^(٢).

كانت هذه الحادثة هي نقطة التحول التي وجهت هتمة الغرب يهود الشرق، وتقديم كافة المساعدات الاقتصادية والسياسية والعلمية لهم، كما قاموا بتقديم تقاريرهم وقترحتهم بشأن حل المشكلات التي يواجهونها في الشرق، وطالبت تقاريرهم يهود أوروبا بمساعدة يهود الشرق، ولعمل على نشر الفكر العربي الحديث بينهم، الأمر الذي أدى إلى احتياج خدمات يهود من ظهور هذه الأفكار العربية عليهم، معيين نمسكهم ومحافظةهم على تقاليدهم وعاداتهم الدينية وملابسهم المألوفة لديهم، رافضين الملابس الأوروبية والعداء، المحارحة عن الشرق^(٣).

أدى هذا إلى تأثير في فكر الدولة العثمانية إلى إنشاء الصحف وخطوط

(١) نظر الكبر المرصود في قواعد الشهود، ص ١١٥، ط دار نفقه دمشق (١٩٨٠).

(٢) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢١١ يقول الكاتب إن هذه الحادثة كانت مكيدة دبرها لهم المشركون الفرنسيون في المدينة، (رغم شكركم مرجع سابق، ص ٩٥، بغلاً عن جورج بطوموس، نقطة العرب، ص ١٦٥ - ١٧٦، دار العلم للملايين - بيروت).

(٣) صموئيل إيتنجر، ص ٢١٤.

لتعليمهم ولتغريفهم، ولعب اندوماسيون الأحابب والقوى العظمى دوراً في تغيير الأوضاع بالدولة، كما قدمت الإرساليات التبشيرية بتأسيس المؤسسات التعليمية والصحية والخيرية، وتوزيع سلع من العهد الجديد، ومنح المساعدات الاقتصادية لهم^(١).

وفي عام ١٨٤١م كتب (المستور) إلى سفير بريطانيا في إسطنبول يطلب منه لاتخاذ بالحكومة العثمانية لإقناعه بتغيير موقفها تجاه الهجرة اليهودية، والسماح لهم بالإقامة في فلسطين ونحو لفترة محدودة كعشرين سنة مثلاً^(٢).

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر توالى مشروعات إعادة توطين اليهود في فلسطين من إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وروسيا وأمريكا، وكلها تعتبر عن الأهمية السياسية والاستراتيجية للأراضي المقدسة.

وفي عام ١٨٤٥م أكد حاكم حبوب أستراليا رأياً يقول فيه إن استقرار الأوضاع في آسيا عثمانية لن يتحقق إلا بإشياء مستعمرات لليهود في المنطقة^(٣).

وفي عام ١٨٤٩م نجح (موشيه مونتيفوري) يهودي اسرطاني في الحصول على فرمان من السلطان عبد الحميد بشراء بعض الأراضي في فلسطين.

وفي عام ١٨٥٥م تمكن (مونتيفوري) من شراء أول قطعة أرض في القدس كان من المقترحة أن يبنى عليها مستشفى، إلا أنه أقام بدلاً منها حياً سكنياً لليهود، وكان ذلك أول حي يهودي يقيم في القدس وغرف باسم (حي مونتيفوري)^(٤).

قال (جيمس بيل) في كتابه (الروح إلى فلسطين) أو (جمع شمل إسرائيل

(١) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢١٤-٢١٧.

(٢) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ٨٨.

(٣) عمر عبد العزيز، مرجع سابق، ص ٤٧٩.

(٤) بطريرك شاكرو، مرجع سابق، ص ٩٧. بفلاً عن حسن صري الحولي، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في نصف الأول من القرن العشرين م ١، ص ٨٣ وحسان حلاق، مرجع سابق، ص ٤٧.

المشردة) سنة ١٨٧٧م: «إن احتمال إمكانية استيطان الإنجليز أرض فلسطين بنفس النجاح الذي استوطنا به أمريكا الشمالية بعيداً جداً، وذلك بسبب حررة الجو، والصعوبات التي يقيمها العرب، ولافتقار إلى حماية فعالة وكثير غير ذلك لهذا فهو يقترح أن يستحدم اليهود لتحقيق هذا الهدف»^(١)

وبين سنوات (١٨٥٩م و ١٨٦٩م) كان لإشياء قناة السويس أثر كبير في توجيه سياسة بريطانيا نحو فلسطين بهدف تحاددها قاعدة لحماية انقضاء، فقاموا بتشجيع وتأييد اليهود نحو استعمارها^(٢).

وفي عام ١٨٦٤م أسس الحاخام (هيرش) جمعية استعمار أرض إسرائيل بالتعاون مع (الإلياس الإسرائيلي العالمي)^(٣)

أقامت هذه الجمعية عام ١٨٧٠م أول مدرسة زراعية يهودية في فلسطين تدعى (مدرسة بيتر) عند مدخل مدينة يافا، وقد قامت هذه الجمعية على أسس

(١) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٢٣، نقلاً عن يوري يغانوف في كتابه (حدار من الصهيونية) ترجمة محمد كامل عارف، ص ٤٥-٤٦.

(٢) جاء في (مذكرات تشرشل) في هذه المناسبة قوله: «بد أنجح ما في حياتي، وهو ما سيفتح حتماً، أن تشهد مولد دولة يهودية، لا في فلسطين وحدها، بل على ضفتي نهر الأردن معاً، تقوم تحت حماية الناح البريطانية، ويضمه نحواً من ثلاثة أو أربعة ملايين من يهود، وبما مشاهد وفوق حادث يقع بناء لاندو مع المصالح الحيوية بالإمبراطورية البريطانية» أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٧٢٤.

(٣) موريس دي هيرش ١٨٣١-١٨٩٦م مذوبير ألماني يهودي، تلقى في صباه دراسة دينية، وتعلم العبرية، وساهم في تمويل عمية بناء مكث حديديه في برك وروسا سعت ثروته عام ١٨٩٠ عشرة ملايين جنيه، نزع للإلباس جمع (٢٠٠) ألف جنيه، أسس جماعات للمساهمة في تحويل اليهود إلى قطاع اقتصادي مسيح عن طريق تعليمهم الزراعة والحرب وتهجيرهم إلى الولايات المتحدة وكندا وإسرائيل ولأرجنتين، حاول أعضاء صهيون وهرتزل أن يصلوا ما تمويلات لمشروعاتهم، وبعد موته عثر هرتزل عن حربه لفقده، إلا أن جمعية الاستيطان اليهودي التي أسسها طفت مستمرة، وفي عام ١٩٢٣م تم دمجها مع مؤسسة روتشيلد، وكانت تمثل هذه الجمعية في فترة ١٩٢٢-١٩٤٨م مساحة (٤٥) ألف دونم (عند لوهد النميري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ٤٢٤).

دينية عسكية، وهذا الشخص (هيرش) هو الذي تدخل لدى السلطات العثمانية من أجل إطلاق سراح (٤٠٠) مهاجر يهودي كانوا في السجن لانتهاهم بدخول فلسطين بطرق غير شرعية^(١)

وعند مات اسارون نيهودي (هيرش) أوصى بمتين وخمسين مليون فرنك من أجل إقامة وطن لليهود، وقد كان لليهود مصطفيين تداث في كل من أوروبا الشرقية وروسيا وكان (هيرش) قد تصور الأرحنين مكان هذا الوطن، لأنها كانت تقل مهاجرين من كل أنحاء العالم فتكونت جمعية لتنفيذ وصية هيرش، لكن الجمعية لم تجد الأرحنين صالحة لعرض المطوب، وخاصة بعد أن تدخل (تيودور هرتزل) في مسألة يهودية، واستعدت الأرحنين تماماً وبذلك لم تعد لمسألة إقامة وطن لليهود الشرقيين فقط، بل وطن يهودي لكل يهود العالم وطُرح فلسطين مقراً لذلك الوطن وإطلاقاً من هذا، قام اليهود باللجوء إلى السلطان عبد الحميد صاير منه السماح لليهود بإقامة وطن لهم في القدس، باعتبارها جزءاً من الدولة العثمانية، وكان (رونشيد) حلف هذا التحرك^(٢).

وفي عام ١٨٦٥م أنشئ صندوق مستكشف فلسطين برعية (الملكة فكتوريا) قام هذا الصندوق بتزويد عسكريين البريطانيين بمعلومات هامة في مختلف النواحي الجغرافية والتاريخية والسياسية بعرض مذكرات لاسميري البريطاني في المنطقة التي كانت تصنع فيها قوى أوروبية أخرى مثل فرنسا وروسيا، وقد أعاد السياسيون الإنجليز نشرهون على هذا الصندوق أن طبع هذا الصندوق ديني علمي، لكن الحقيقة الحقية أنه كان يلعب دور رئيساً في الاستعمار البريطاني للمنطقة من ناحية، ولإستيطان اليهودي في فلسطين من ناحية أخرى^(٣).

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣٥ وص ١٢٤ ورفيق شاذلي، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار الوثائق، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

(٣) أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ٢٧.

كانت تقارير هذا الصندوق تتضمن دراسات عن ضرورة عودة اليهود إلى فلسطين، وكان من أهم هذه الدراسات (حياء القدس) ومذكرات (عملية مسح فلسطين) وكتاب (أرض لميعاد) الذي نشر عام ١٨٧٥م والذي دعا إلى تولي شركة الهند الشرقية تسمية موارد فلسطين، وخاصة موارده الزراعية والتجارية، وتدريب المستوطنين اليهود على إدارة شؤونهم تمهيداً لتسليمهم حكم فلسطين وإدارة شؤونها^(١).

وفي عام ١٨٧٥م زاد النشاط الصهيوني التريصدي نتيجة شراء بريطانية أسهم قناة السويس، وكانت أموال هذه الصنفقة أموالاً يهودية وليست بريطانية حيث تمت عملية الشراء من قبل (دراينيلي) رئيس الوزراء لبريطاني اليهودي وأموال عائلة (روتشيلد) اليهودية أيضاً^(٢).

في تلك الفترة ظهرت المعارضة العربية نتيجة لاستئجار اليهود أراضي في فلسطين فتأسست عام ١٨٧٥م أول حركة قومية ضد نشاط الصهيوني، وكانت هذه لحركة سرية، وكان شعارها (تسهور واستيقظ أيها العرب) وكان نشاطها يتمثل في الدعوة لتحرير من الصهيونية عن طريق عقد الاجتماعات وتوزيع المنشورات.

وفي عام ١٨٧٧م نشر (دراينيلي) مذكرة جاء فيها «أبسر محتمل أن يعمو في تلك لأرض خلال نصف قرن مثلاً شعب يهودي متراس، قوامه مليون إنسان بكامل عدتهم، يتكلمون لغة واحدة - لغة حاميئهم - يحترقونهم روح واحدة - الروح القومية المودحية، والرغبة في تحقيق الحكم الذاتي والاستقلال»^(٣).

وفي عام ١٨٧٨م تأسست الجمعية الحبرية في دمشق، وكانت تدار بها حلقات سياسية، وكانت تحري، اتصالات مع أعضاء (تركيب الفتاة) فرزت أسماء منها الشيخ (ظاهر الحرائري)، و(رفيق العظم)، و(شيخ (سليم الحاربي)،

(١) أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ٣٨.

(٢) حسان حلاق، مرجع سابق، ص ٣٤١.

(٣) أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ٣٣.

والشيخ (جمال الدين القاسمي)، و(عظ الكيلاني)، والأمير (شكيب أرسلان) و(محمد كرد علي) وغيرهم. أما أعضاء تركي الفتاة فبرر كل من (أسعد بك درويش انطرابلسي)، و(سليم بك حنترلي)، و(شكري عسبي)، و(فارس الخوري)، ومن الأتراك الذين كانوا يتعاونون معهم (سري بك)، و(حسن عوني بك)، وقد كان الهدف من هذه الحلقات هو العمل على نشر الدستور العثماني، بعد ذلك تحولت هذه الجمعيات إلى مراكز للماسونية، وأصبح اليهود من خلالها يحفظون لأجل تحقيق هدفهم نحو إقامة دولة اليهودية في فلسطين ومن ناحية أخرى استطاع اليهود في ذلك الوقت شراء أرض في قرية تسمى (مسس) كما قاموا بإنشاء مستوصى (نسخ نكح) التي أطلق عليها اسم أم المستوصيات^(١)

ومن أهم الشخصيات البريطانية أيضاً التي تعاضدت مع اليهود، ورأت ضرورة استيطانهم فلسطين (لورنس أوليفانت) الذي كان يعمل في المكتب الدبلوماسي البريطاني، وكان مراسلاً لصحيفة (التيمر) السديّة، حيث دعا بريطانيا لدعم وتأييد مشروعه الرمي لـ (إنقاذ الدولة العثمانية من مشاكلها المستعصية عن طريق وضع عناصر اقتصادية نشطة في جسمها المتهاوي) وكان العصر المقصود بالطبع هو العصر اليهودي، وقد طب وساحة سفير الأمريكي في تدعيم مشروعه هذا^(٢).

وتوجه (لورنس أوليفانت) إلى إسطنبول، وقابل سبستان عبد الحميد، وطلب السلطان بإنشاء شركة ستيطر يهودية، وقد جاء قوله في هذا الصدد "إن الأمة التي تقف إلى جانب اليهود، وتدعم مسألة عودتهم إلى فلسطين ستكسب دعمهم في المحاللات المالية، وتأييدهم على صعيد الإعلام في مختلف بلدان العالم، وبالإضافة إلى ذلك فإن اليهود يقدمون لهذه الأمة كل دعم ممكن في المجال السياسي، وبخاصة وفي صدّية دولة معادية"^(٣)

(١) أمين عبدالله، مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) لمرجع السابق، ص ٣٤ ورفيق شاك، مرجع سبق، ص ١١١.

(٣) أمس عبد الله، مرجع سبق، ص ٣٤ - ٣٥ يقول السبستان عبد الحميد في مذكراته بخصوص مساعدات لإيجير لليهود والتي أدت في نهاية إلى عرله عن حكم =

ودعا (أوليفانت) إلى طرد العرب من فلسطين، ليعودوا رعاة (كما كانوا) في الواحات الصحراوية، وهم ليسوا بحاجة (إلى أكثر من يلهم ومواشيهم لتسدّ أودعهم). وقد صدم من موقف السلطان الذي رفض مشروعه، فرح يشر الدعايات صده، مما كان من السلطان إلا أن طرده من إستاسول ومعه من دحولها^(١)

قام (دموند روتشيلد) وهو من أشهر الممولين لليهود في عام ١٨٨٢م بتأسيس (مظمة الاستعمار اليهودي) بهدف تقديم الأموال لليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين وشرء الأراضي وإقامة لمستعمرات فيها، ونمكن من إنشاء اثنين وأربعين مستعمرة في فلسطين، وقد نة لإعلان عن هذه المظمة رسمياً عام ١٩٠٠م^(٢).

وقد شرح القنصل البريطاني في القدس من خلال رسالته إلى السفير (أوكونر) في إستاسول موقف الدولة العثمانية من تدفق اليهود إلى فلسطين بقوله: "به حين اصطهد اليهود في روسيا سنة (١٨٨١م - ١٨٨٢م) لم يكن لسكان اليهود في فلسطين أية أهمية. ولكن منذ ١٨٨٢م بدأ تيار الهجرة يتدفق ومرت خمس سنوات قبل أن تتحقق للحكومة التركية من أن هناك خطراً يحم عن استيطان اليهود الأحاب بأعداد كبيرة داخل إقليمها. وتأسست عام ١٨٨٢م في أورشليم مدرسة كبيرة بمساعدة جمعية (المستأحو) في لندن. ونعد في مقدمة مدارس لاتحاد الإسرائيبي، وكان عرضها تعليم الشباب الإسرائيبي^(٣)".

وفي عام ١٨٨٤م اشتد تأييد بريطانية لليهود من أجل توطينهم في فلسطين، فظهر (ويليام هشير) وهو من كبار رجال الدين في إنجلترا، حيث كان يغيب عليه لطابع الصوفي، وقد أوف به بحلته، لمقابلة سلطان عبد الحميد، لإقناعه بعودة

أسفسي تعاديو سلايك عن العرش. وتوصو إلى اتفاقية مع الإنجليز، ودخلو بحرب كحليف مع دولة تسود البحار (ألمانيا) وكان المسألة حله، (مذكرات السلطان

عبد الحميد، تقديم وترجمة محمد حرب، دار القلم، مرجع سابق، ص ١٥١

(١) أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ٣٥ وحسان عبي، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٢) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق: ٩٩٣/٢.

(٣) شاهين مكاربوس، تاريخ الإسرائيبيين، مرجع سابق، ص ٧٠٨ - ٧١٠

اليهود إلى فلسطين، وقد نشرت له دراسة في هذا الصدد^(١)

وفي عام ١٨٨٧م أصدرت الحكومة العثمانية الأوامر الأولى بشأن هجرة اليهود إلى فلسطين، وكانت هذه الأوامر موجهة إلى حكام (القدس) و(يافا) حيث سمحت لليهود بالدخول إلى البلاد كحجاج أو زوار فقط، وكان على كل يهودي أن يصل إلى يافا أن يدفع (٥٠) ليرة تركية كتعهد بترك البلاد خلال (٣١) يوماً. وقد بررت الدولة العثمانية هذا الميع لما يلحق بالبلاد من ضرر على الأحوال الصحية وعلى أحوال الأمن العام.

وفي تعليق للسفير البريطاني في إسطنبول (أوكوثر) حول هذا الموضوع، ولني تضمنها في رسالته إلى وزير الخارجية البريطانية جاء فيها في «إن السلطات التركية لها بعض العذر في ذلك فعالية اليهود الذين يصلون فسيصير هم من الطبقة المهاجرة والمعدمة، والمؤسسات الخيرية المتعددة لإيواء وعشرة مثل هؤلاء اليهود هي مرهق وأصبح على ذلك، وبظام (التسوية) الذي تشجعه الحاخامية لجمع التبرعات في كل أنحاء العالم بهدف إعدادة لليهود لغتراء، هو تأكيد أبعاد عن الحجة العامة للمجتمع اليهودي في فلسطين، هذا الظام المعروف باسم (حقوقهم)^(٢) هو أكثر المؤسسات صرامة لكونها تشجع على تنهب والكسل...»^(٣).

(١) أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٧، كتب (وبنيامين هشر) كتاباً ينادي فيه بعودة اليهود إلى وطنهم الأصلي، وكان هذا الكتاب بعنوان (إرجاع اليهود إلى فلسطين حسبما ورد في أسفار الأنبياء)، وقد ظهر هذا الكتاب عام ١٨٨٤م دعا فيه إلى عودة اليهود إلى فلسطين، وقدم خريطة فلسطين وصفها هنترل أنها (خريطة عسكرية متدنية) واقترح هشر على هنترل أن تنسج (الدولة اليهودية) لمقترحه بتصل حدودها إلى (قادوك) (الوفاة في شرق آسيا الصغرى) شمالاً، وقده سويس جنوباً بالإضافة إلى لصفحة الشرقية نهر الأردن - حرم حدودها الشرقية الحدود بقرعة، وكان نهر الأبيض المتوسط يشكل حدودها الغربية.

(٢) (الحقوق) هي كلمة عبرية بمعنى توزيع، وهي المساعدة المالية التي كان يرسلها اليهود لإخوانهم الذين استوطنوا فلسطين ليكرسوا حياتهم للتعبد، ودراسة التعمود، وهي تعني الصدقة (عند لوهاب المسيحي، موسوعة المصطلحات الصهيونية، ص ١٦٤)

(٣) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٤.

ولجدير بالذكر أن هجرة اليهود إلى فلسطين التي استمرت بين سنتي (١٨٨٢ و ١٩٠٣ م) بلغت (٢٠) ألف مهاجر سكنوا مناطق القدس ونجيب وصفد وطبريا^(١).

وفي عام ١٨٩٢ م أصدر صندوق استكشاف فلسطين الذي كان تحت رعاية الملكة فيكتوريا عدداً من الكتب والدراسات التي تعمل على تشجيع اليهود للعودة إلى فلسطين^(٢).

-
- (١) نظر مجلة الشريعة، عدد (٢٨٦) تاريخ ١٤ ٩ ١٩٨٧، ص ٥٦، نقلاً عن كتاب جهاد صايح، تطوارة التركيبة بين الأصولية والفاشية، دار صدقة.
- (٢) من إصدارات هذا الصندوق (كتاب المدينة والأرض) جاء فيه: أكد مستعيد مجد فلسطين في عهد هرودس. كما استعيد بلاد داود، ويرد إلى حارطة أسماء المدن التي دمرها القائد العظيم يوشع. لقد أعدنا إلى القدس مكانتها ومجدها وفخمتها، لقد أعدنا بلاد (فلسطين) إلى عالمها بالحارطة والأسماء ولأماكن المذكورة في التوراة عندما وصفت لأسماء في أماكنها أصبح في وسط شمع سير الحوش في رحمتها (انظر أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ٣٩، وكتاب (مستقبل فلسطين) الذي جاء فيه: إن عدد يهود في مدينة القدس عام ١٢٩٣ م لم يكن يتجاوز بضعة مئات، أما في عام ١٨٩٢ م فقد بلغ عددهم أربعين ألفاً، وأصبحوا يسيطرون على التجارة في المدينة، وهم يعد اليهود أقيية مصطنعة وحبية، وبما يبدو أنهم سادة المدينة الآن، ثم انتقل كوندري في حديثه إلى مستقبل فلسطين قائلاً: إن الذي يتوقع أن يراه في فلسطين - إذا كان مستقبلها سليماً - هو زيادة تدريجية في عدد سكان مزارعين وأثرياء (المستوطنات) المرددة وبن يحول وجود الأثرياء دون التقدم وبأن كان من الممكن أن يحدث من سرعته وكثافتها رداد رأس المال الأوروبي، المستعمرون الأوروبيون في بلاد، وردد حولها في دائرة يدور التي تنشق من جسم نترك (لإمبراطورية عثمانية) وإن أية محاولة غيصة للتدخل في تطور بند - يستطيع عائلة شعب كبير - تطور سميماً، ستؤدي حتماً إلى حدوث (مشكلة فلسطينية) هائلة بمعنى حلها في كركميشر ومحدو وفي الوقت نفسه لا تعتمد عودة اليهود على أي عرق سوى عرقهم، وقد بدؤوا يعودون ويسوون العودة بأعداد كبيرة، لأن معارضة الحكومات لا يمكن أن تعوق مثل هذه الحركة، وبما قد تظمها على نحو يكون فيه صلاحها. إن نتيجة أي مشروع مهم بد صغيراً في مظهره، لا يمكن حجبها حتى تظهر حلبة للبيان لقد بدأ صندوق استكشاف فلسطين عمده، وهدفه الوحيد إلقاء ضوء أحد وأدق على التوراة، ومع ذلك فقد أصبح أداة رئيسة للمساعدة =

وعلى صعيد آخر فقد حاول هرتزل استغلال تأييد الإمبراطور للاستعمار العريش كخطوة لاستعمار فلسطين، فأخذ موافقة (جورج تشمبرلين) وزير المستعمرات البريطاني، وحصل على موافقة اللورد كرومر مندوب بريطانيا السامي في مصر، الذي قرر بدوره إيجاد بعثة من الخبراء لدراسة هذا المشروع، وقد تعرقل هذا المشروع بسبب صعوبة رأي الصحراء من مياه النيل.

وبعد فشل هذا المشروع اقترحت إنجلترا مشروع سيطر اليهود (أو عدا) في أفريقيا وبعض أجزاء من (الكونغو)، لكن رُفِص هذا المشروع من قبل (هرتزل) لأن آماله كانت معلقة على فلسطين

تطور علاقة بريطانيا باليهود من أجل تمكينهم من استعمار فلسطين بعد القضاء على الخلافة العثمانية: خلال الفترة (١٩٠٧ - ١٩٤٨ م):

سعت بريطانيا منذ عام ١٩٠٧ء لنفصاء على عرونة فلسطين، لتقيم عليها دولة إسرائيل، فكانت تقوم بالتنسيق مع الصهيونية من أجل تحقيق هذا الغرض، وساعدت الصهيونية في نفصاء على الخلافة الإسلامية في الدولة العثمانية، وذلك بهدف تقسيم أملاكها، وتحقيق أهدافها الاستعمارية، وفي سبيل تنفيذ هذه الأهداف عقدت لاتفاقيات مع غيرها من الدول الأوروبية لتمزيق الدولة العثمانية وتقسيمها.

١- اتفاقية (سايكس بيكو) واثرها على اليهود في تركيا:

في عامي (١٩١٥م - ١٩١٦م) حدثت محادثات سرية بين بريطانيا وفرنسا وروسيا أدت إلى توقيع اتفاقية بين ممثل بريطانيا سايكس وممثل فرنسا سكوت، وكان ذلك عام ١٩١٦م ذلك الاتفاق الذي قام على نصبة لدولة عثمانية، وتقسيم البلاد العثمانية بين بريطانيا وفرنسا، والذي عُرف باسم (معاهدة سايكس

= أولئك الذين سيكسبون مكان بلاد في المستقبل في الحصول على الحفائظ لثمة عن صفات وإمكانات بلاد وهكذا قدم خدمة حيلة للعمل السلمي محلص تحقيق الازدهار وإزالة فقر من البلاد (انصر أمين عبد الله، مرجع سبق، ص ٣٩ - ٤٠)

بيكو^(١) وقضت هذه الاتفاقية بالآتي :

١ - أن تستولي فرنسا على غربي سوريا ولبنان

٢ - تستولي بريطانيا على حبوب ووسط العراق والمناطق الفلسطينية .

٣ - جعل القسم الشرقي من سوريا وولاية الموصل العراقية منطقة نفوذ لفرنسا .

٤ - أن تصبح منطقة شرقي الأردن والقسم الشمالي من ولاية بغداد منطقة نفوذ بريطانيا^(٢) وقد ساهمت هذه الاتفاقية شراء الشركات التركية في كل مكان ، وكانت (اتفاقية سايكس بيكو) هي إحدى الاتفاقيات التي كان لها تأثيرها على اليهود في الدولة حيث قامت الأوساط الصهيونية بتنشيط الهجرة اليهودية إلى فلسطين^(٣) .

إلا أن هذه المعاهدة لم تطبق بسبب تناقض بين أدوار الاستعمارية على ممتلكات الدولة العثمانية ، وبعد عدد من المفاوضات بين إنجلترا وفرنسا ، تنازلت فرنسا عن الموصل ، ووافقت على تصريح بلفور والانتداب البريطاني على فلسطين ، وفي المقابل وفقت بريطانيا على سيطرة فرنسا على سوريا بأكملها ، مع منحها ربع نطع الموصل ، ونتيجة لتلك الاتفاقيات ، وصفت خطوط معاهدة (سيفر) ، وتم انتداب بريطانيا على فلسطين (بموجب تصريح بلفور) والعراق ، وانتداب فرنسا على سوريا ولبنان^(٤) .

٢ - وعد بلفور وأثره على اليهود في تركيا :

في عام ١٩١٧م صدر وعد بلفور ، وهو كُتبت موحه من (أرثر بلفور) وزير

(١) محمد سرحان ، النظام العثماني ، ص ١٢٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٣) المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٤) فلسطين تاريخها وقضيتها ، مؤسسة دراسات الفلسطينية ، ص ١ ، ١٩٨٣م - قبرص -

خارجية بريطانية نيابة عن حكومتها^(١)، إلى (لورد روتشيلد) وقد جاء فيه

عزيزي لورد روتشيلد:

«إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين الانعطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستدرك جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يفهم حلياً إنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يعجز الحقوق المدنية ولدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية حقيقة الأمر في فلسطين، ولا الحقوق أو موضع السببي الذي يستمتع به اليهود في البلدان الأخرى»^(٢)

قد كان إصدار وعد بلفور بتوجيه الجهود قادة الحركة الصهيونية في لندن بمبادرة (حاييم وايرمان) وكان التمهيد بوعد بلفور بدأ من شهر نوفمبر سنة ١٩١٤م في رسالة CP ١١١١، إلى (لويد جورج) التي ربطت بين مصالحة الصهيونية والمصالح البريطانية ممثلة في حماية قناة السويس، ولكن الشاهد الحقيقي لقادة الصهيونية في سبيل الحصول على وعد رسمي بدأ منذ مطلع عام ١٩١٦م عندما كُتبت أول نسخة رسمية في يناير في ذلك العام من (وايرمان) و(سوكولوف) و(جوريف كوين) و(دكتور حاستر) و(هربرت بيتوتش) بالتعاون الوثيق مع أسرة (روتشيلد) اليهودية و(هربرت صمويل) و(آحاد هدام) وثلاً ذلك نشاط صهيوني على كافة المستويات، امتد إلى بداية سنة ١٩١٧م، وكان من نتائجه مذكرة اللجنة الصهيونية التي قدمها ويرمان إلى السير (مارك سيكس) للحصول على اعتراف رسمي من الحكومة البريطانية بالجانب اليهودية في فلسطين، مع إيضاح أن

(١) صدر بيان مشر بشأن هذا الوعد حيث كشفت جريدة لأهرام المصرية أن بني وضع صيغة هذا الوعد لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين هو من أصل يهودي، لكنه أحصى هذه الحقيقة طوال حياته، وقد كتب في مذكراته التي نشرت عام ١٩٥٥م أن أسرته هاجرت إلى بريطانيا من دولة عربية، ويدعى هذا اليهودي (سوليد إيمري) حيث إنه كان يشغل منصب مساعد وزير بحرب بريطاني عام ١٩١٧م وفي ذلك الوقت كتب الوعد، وقدمه إلى لورد بلفور وزير الخارجية البريطاني، والذي عرف الوعد باسمه، وقد كشف عن هذه الحقيقة مؤرخ بريطاني معروف (جريدة الأهرام المصرية، ١١ ١ ١٩٩٩م)

(٢) فلسطين تاريخها وقصبتها، مرجع سابق، ص ١٣٧ وعمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي، ١٥٦٦-١٩٢٢م، دار النهضة العربية - القاهرة، ١٩٩٥م، ص ٥٠٤

المقصود بالجالية هم السكان اليهود المقيمون في ذلك الوقت، والمهاجرون الذين يدعون بهم في المستقبل.

ثم توالى الاتصالات مع المسؤولين البريطانيين وحكومات أوروبا ولولايات المتحدة الأمريكية لإصدار وعد بلفور. وهكذا وجدت الأمة العربية نفسها بين شقي الرحى في عام ١٩١٩م، بين رحف فرنسي مسلح بوشك أن يبدؤا احتلال سوريا تبعداً لاتفاق (سايكس - بيكو) ورحف صهيوي محسوب الحظى باحتلال فلسطين في المدى البعيد، تبعداً لوعده بلفور^(١)

وينبغي هنا الإشارة إلى أن نص هذا الوعد قد عُرض على الرئيس الأمريكي ولسن، ووافق عليه قبل أن يشر، ووافقت على هذا النص رسمياً كل من فرنسا وإيطاليا عام ١٩١٨م، ثم وافق عليه الرئيس الأمريكي ولسن رسمياً عام ١٩١٩م وفي عام ١٩٢٠م وافق عليه (مؤتمر سان ريمو) الذي عقدته الحلفاء لوضع خريطة جديدة للعالم بعد الحرب.

وفي نفس هذا العام ١٩٢٠م دخل هذا النص ضمن معاهدة (سيفر) حيث تضمنته مادة رقم (٩٥) من هذه المعاهدة^(٢).

وقد عرأ بعض صدور هذا التصريح إلى رغبة بريطانيا في دفع لولايات المتحدة، الأمريكية إلى دخول الحرب إلى جانبها، وذلك لأن اليهود يسيطرون على الرأي لعدم الأمريكي، وكان هناك نوع من التنافس على كسب ود اليهودية العالمية، وفي الوقت نفسه تحسب عدوتها^(٣)

أما شعب فلسطين فقد أصاب عليه في التصريح اسم (الطوائف غير اليهودية) التي لن تصدر حقوقها المدنية، الدينية، وهذا يعني أنه لا مجال لتحديث عن الحقوق السياسية للشعب العربي في فلسطين، وهو صاحب الكثرة العددية الساحقة آنذاك، وصاحب الأرض التي يُراد اترعها لتنتقل ملكيتها إلى الأقلية

(١) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) فلسطين تاريخها وفصلتها، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٣) عمر عبد العزيز عمر، مرجع سابق، ص ٥٠٤-٥٠٥.

الوافدة من اليهود^(١) في ذلك الوقت تم إطلاق يد بريطانيا في فلسطين^(٢)

وقد بلغت نسبة المهاجرين اليهود إلى فلسطين بين سنتي ١٩٠٤ و ١٩١٣ م من ثلاثين إلى أربعين ألف، معظمهم من اليهود الروس، ووصل عدد المستعمرات إلى (٣٩) مستعمرة يسكنها (١٢) ألف مستوطن^(٣)

وفي عام ١٩١٨ م تأسست في فلسطين لجنة صهيوية قامت ب عقد مؤتمر سري في باف، تم فيه المطالبة بتغيير اسم فلسطين إلى إسرائيل، واستند لعدم اليهودي بالعلم الفلسطيني^(٤).

وفي عام ١٩١٩ م قدم المسؤولون في لندن تقريراً جاء فيه، إن شعب فلسطين يرفض الاستبداد البريطاني إذا كانت بريطانيا ترى أنه لا مباح من اقتراح البرنامج الصهيوني - لانداب، لأن الفلسطينيين يريدون بلادهم لأنفسهم، وأنهم سيقاومون الهجرة اليهودية إلى فلسطين بكل ما يملكون من وسائل بما في ذلك المقاومة المسلحة.

في تلك الفترة قامت الخارجية البريطانية بطلب إلى هربرت صمويل توحيد من بلغور طست منه إبداء رأيه فيما يمكن أن يتخذ من تدبير لتخفيف روح لعداء التي توأمتها الصهيونية في فلسطين، وذلك بوصفه - أي صمويل - رئيساً للجنة الإنماء الاقتصادي لفلسطين، وقام صمويل بدوره باستشارة (وايبرمان) و(سوكولوف) وهم في باريس، ثم رد على وزارة الخارجية في ٥ ٦ ١٩١٩ م رداً يبدو أن إعدادته تم برصاء وموافقة الوفد الصهيوني في باريس، وقد نصح صمويل وزارة الخارجية أن تؤكد لسلطات الإدارة في فلسطين أن وعد بلغور أصبح جزءاً من السياسة البريطانية المتررة، وأن سياسة بريطانيا تتجه نحو وضع

(١) محمد نجيب عبد الحادر، مرجع سابق، ص ١٢٣ - ١٢٥، وفلسطين وتاريخها وقصبتها،

مؤسسة الدراسات الفلسطينية - قبرص، ١٩٨٣ م، ص ٣٨

(٢) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ١٢٧.

(٣) مجلة الشرق، عدد (٢٨٦) تاريخ ١٤/٩/١٩٨٧ م، ص ٥٦ نقلاً عن جهاد صبح

الطورية التركية بين الأصولية والعشيرة، دار الصدقة - بيروت

(٤) محمد سرحان، العهد العثماني، مرجع سابق، ص ٩٢

فلسطين تحت الانتداب البريطاني، وأن شروط الانتداب سوف تشمل إعلان
١٩١٧/١١/٢ - أي وعد بلفور - وأن العرب لن يحددوا من أراضيهم أو يطلب
منهم مغادرة البلاد، وأنه لن يكون هناك مجال في فلسطين لإخضاع الأكثرية من
السكان لحكم القلة، وأن البرنامج الصهيوني لا يحتوي على مثل هذه الأفكار

كذلك نصح صمويل لندن أن تصدر توجيهاتها إلى المسؤولين لتحذير
العرب من إثارة لاضطرابات، لأنها ليست في مصلحتهم، ولن تحقق لهم عرصاً،
وأن أموالاً طائلة سوف تتدفق إلى فلسطين تحت إدارة الجديدة لتنميتها وستحوي
كافة الطبقات والأحناص ثمرة إنفاق تلك الثروة^(١)

ويرى (آحاد هاعام)^(٢) أشهر دعاة الفكرة الصهيونية أن نصبة التي ظهر بها
الوعد محيية للأمال، لأنها اكتتمت بذكر إنشاء (وطن قومي لليهود في فلسطين)
بدلاً من النص الذي اقترحتة منظمة الصهيونية بإعادة بناء 'الوطن' القومي القديم
لليهود، والنص الأول في رأي (آحاد هاعام) غير مقبول لأنه يحسن من فلسطين

(١) محمد الحير عبد القادر، مرجع سابق، ص ١٩٢ - ١٩٣

(٢) (آحاد هاعام) وسمه الحقيقي (أشر حيرج) من أشهر دعاة الفكرة الصهيونية في جيله
ولد في روسيا عام ١٨٥٦م، وشأ في عائلة حسيمة. تلقى تعليمه يهودياً، وعلم كثير
من اللغات الأوروبية، ومات في تل أبيب سنة ١٩٢٦م. تميّز بين أقرانه بالتحقق في
دراسة اليهودية، ووضوح الفكر، انضمامه إلى جمعية أحباء صهيون، ثم أصبح قائداً
لحركة الصهيونية، وحصل مع زوجه في أحد فروعهم وكان له رأي خاص في
حركة استيطان فلسطين على عهد البرون (أدموند روتشيلد) في نهاية القرن التاسع
عشر. كان يرى أن أسلوب العمل لا يحسم أهداف الصهيونية، وكان يوجه
اهتمامه الأكبر إلى نعتة اليهود مدنية والعقلية والثرية، وروحية بين يهود، وهذا في
رأيه يتطلب جهداً وصبراً وأناة، وتحقق عن طريق تنمية صهيونية ثقافية مسببة على أسس
أخلاقية. أسس (آحاد هاعام) جماعة (سي موسى) لنشر لمثل 'قومية اليهودية'، وفي
عام ١٩١٦م أصدر مجلة عن الأدب العبري حديثاً. استقر في سدر عام ١٩٠٨م وكان
له دور هام في تحقيق وعد بلفور، لكنه أدخل على برنامج مجده لأحد بالحقوق القومية للعرب
فلسطين في عام ١٩٢٢م ذهب إلى تل أبيب، وبقي هناك حتى وفاته (عبد الوهاب
بسميري. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، مرجع سابق، ص ٥٨ - ٥٩)،
ومحمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ١٧٧.

وطناً لليهود والعرب على السواء!! ومع ذلك فإنه رُحِبَ تأكيد مؤتمر الصلح في باريس ١٩١٩م لوعدهم فوراً، واعتبر هذا التأكيد بمثابة الترام دولي

وجدير بالذكر أن فلسطين وقت صدور هذا الوعد كانت لا تزال تحت سيادة العثمانية، ولم تكن لإحتلال أية سلطة عليها، سواء كانت قانونية أو تاريخية حتى تتصرف في مصير هذا الإقليم، كما أن عدد عرب فلسطين الذين كانوا يعيشون فيها وقت صدور هذا الوعد يصل إلى (٩١ /) من مجموع السكان أما نسبة اليهود في ذلك الوقت فكانت (٩ /)، وعلى الرغم من هذا فقد وصف الوعد العرب المقيمين في فلسطين بأنهم (طوائف عِزْ يهودية) وكأن لأصل هي سكان فلسطين هم اليهود.

وهذه نقطة أخرى وهي أن هذا التصريح ظهر في الوقت الذي رُتِطت فيه بريطانيا مع الشريف حسين في اتفاقية تضمنت على مساعدة الشريف حسين في إقامة دولة عربية مستقلة تضم فلسطين، وعلى ضوء هذا تأثر العرب على الدولة العثمانية من أجل نصرة دول الحلفاء عليها، في الوقت الذي أحضرت فيه بريطانيا هذا التصريح عن العرب^(١).

وطبقاً لردود الفعل العربية، نُصِّبَتْ ضده هذا التصريح وماتت القيادة العسكرية البريطانية بتوزيع بيان في تشرين الثاني من نوفمبر ١٩١٨م جاء فيه

«إن هدف بريطانيا قريب من الحرب في الشرق الأدنى هو تحرير الشعوب من يدي الأتراك، وحق السكان في إقامة حكومات وطنية»^(٢)

من ناحية أخرى كانت بريطانيا تريد أن تثبته حجةً أخرى بين اليهود والفرنسيين لحماية قبة السويس من خطر اقتراب أي قوة كبيرة منها نتيجة لما حدث في الحرب العالمية الأولى من نجاح القوات التركية في اختراق صحراء سيناء إلى قناة السويس.

(١) عمر عبد العزيز عمر، تاريخ الشرق العربي، مرجع سابق، ص ٥٠٩ - ٥١١

(٢) فلسطين تاريخها وقضيتها، مرجع سابق، ص ٣٩.

وهذا مصدر تقول: إن الخطر الحقيقي على قناة السويس لا يحيى من الغرب، بل من الشرق، فيحيى الخطر من ناحية فلسطين، ومن وراء فلسطين سوريا، ومن وراء سوريا الأتراك، ومن وراء الأتراك أية دولة قد تكون معادية لبريطانيا، فكانت أطماع في المصايف، أو روسيا في المستقبل^(١)

٣- معاهدة سيفر وأثرها على اليهود لاستيطان فلسطين:

وفي عام ١٩١٩م تمت بريتانيا بتوقيع معاهدة (سيفر) بينها وبين تركيا وقد نصت هذه المعاهدة على تنفيذ وعد بنشور وقد نصت هذه المعاهدة اليهود التالية:

أولاً- العمل على تشكيل مجلس يهودي دائم في فلسطين وفروع له في (إستانبول) والبلدان الاستعمارية الأخرى.

ثانياً- تسهيل الهجرة للاستيطان في فلسطين بعد أن رفض المسكان عند الحميد الهجرة إلا بشروط كانت في الأساس لصالح الحركة الصهيونية وخدمة لها.

ثالثاً- جعل اللغة العبرية اللغة الرسمية في البلاد، وفتح الجامعة العبرية

رابعاً- تناول المسكان النهائي عن أراضي العربية للحركة الصهيونية وبريطانية وفرنسا.

خامساً- صالت الولايات المتحدة عمياً أن توضع بعض مناطق آسيا الوسطى (باكو) تحت الاليد البريطاني (والخليج العربي)^(٢) وقد عارضت

(١) عمر عبد العزيز، ص ٥٠٧، نقلاً عن محمد عوض محمد: الاستعمار والهدم الاستعمارية، دار المعارف - القاهرة، ١٩٥٧م، ص ٦٢ حربة قاسمة، مرجع سابق ص ٢٩١-٢٩٢.

(٢) مصطفى تريس، دلت الأساس، رياض الريس للكتاب والنشر - لندن - قريش، ١٩٩١م، ص ١٥٩ انظر معاهدة (سيفر) في محمد عروة درورة، تركيب الحديث، مطبعة كشاف، بيروت، ١٩٤٦، ص ٤٠ ومحمد سرحان، لواء العثماني، مرجع سابق، ص ٩١.

وحوّل شكره لتي عنقتها لصهيونية، وعملوا من أجلها في سبيل استعمار فلسطين، فقد اعترض عليها (بولد تويبي) حيث أكد أن هذه شكره لا تتفق مع فكرة العودة إلى حل صهيون وفقاً لعقيدتهم الدينية، الأمر الذي أثر وبرز حار حجة إسرائيل (أرييل) فرد عليه بمقالة تحمل عنوان (مطرفة تويبي) فيقول إن فكرة (العودة) تعتبر في المصادر الإسرائيلية إرادة إلهية وواضحاً شريعاً، إن تويبي سمى ينف أن لليهود حقاً في العودة إلى فلسطين لأداء شعائرتهم الدينية - وهذا حق طبعاً يمارسونه طوال حياتهم دون أن يعتبر من طريقتهم أحد - ولكنه أنكر على الصهيونية احتلالها فلسطين بقوة السلاح وراح يحذر أهلها منها بعيد حق، ويهت بممتلكاتهم على نحو ما حدث في واقع الأمر وذلك تحت ستار (العودة)

وفي عام ١٩٢٢م أصدرت حكومة بريطانيا بياناً (نشر في) أكد فيه عدم الحكومة البريطانية على تسير في سياستها في فلسطين معاداً في بيانه "أن تنوتر" الذي ساد فلسطين من حين إلى آخر يُعزى معظمه إلى محاولات أحدث تساور بعض طوائف السكان العرب واليهود أما محذوف العرب فعصها مسي على تفسير مبالغ فيها بمعنى التصريح الذي يحدد إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين بالإضافة إلى هذا فقد نشرت بيانات غير رسمية بأن معاداة المشوذة هي جعل فلسطين يهودية بمرمتها وستعملت عبارات قيل فيها "إن فلسطين مستصحب يهودية كما أن إحتلالاً بحيرية، وهذه الأمور غير قابلة لتحقيق، والحكومة تعين بأنها لا ترمي إلى مثل هذه المعاداة ثم بمضي السيل مؤكداً أن ترمي الحكومة البريطانية بوعدهم ببقور، وزيادة عدد طائفة اليهودية في فلسطين بالهجرة إليها"^٢

وفي عام ١٩٢٩م تشكلت في دمشق جماعة من الصهيونية بهدف تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، وكان من أبرز أعضاء هذه الجماعة (مناحيم سوري) الذي استطاع مساعدة يهود سوريا في هجرتهم إلى فلسطين سرّاً^٣

(١) محمد الحبر عبد الحذر، مرجع سابق، ص ١٣٤، ١٧٧، ١٧٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٩.

(٣) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢٣١.

يحدث بنا الآن أن نستخلص مما سبق أنه خلال سنوات ١٩١٨م - ١٩٣٠م كنت أهم أهداف السياسة الصهيونية في فلسطين هو شراء أكبر قدر ممكن من الأراضي في فلسطين، إلى جانب الاهتمام بالمشروعات الاقتصادية، وكانت المساعدات المالية اليهودية تأتي إليهم من كافة أنحاء العالم^(١).

ومن ناحية أخرى توجه (هربرت أسكويث) رئيس وزارة بريطانيا سيان بعد زيارة له في فلسطين عام ١٩٢٤م وكان قد أعنى على سبب تشرشل مسابق، جاء فيه: "إن العرب يمثلون ثلاثة أرباع سكان فلسطين، ويبلغ عدد اليهود نحو عُشر السكان، وأعرب في بيانه أن مسألة تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود لا يعدو أن يكون خيالاً جامحاً كما كان دائماً".

ويمكس لقول في وصف الفترة من ١٩١٩م - ١٩٢٥م بأنها كانت فترة حاسمة في تاريخ القضية العربية، لأنها شهدت تقسيم لاحتلال البريطاني في العراق، والاحتلال الفرنسي في سوريا ولبنان رسم لانتداب تارة، ورسوم الحماية والوصاية ومعاهدات التحالف تارة أخرى، من كانت هذه الفترة - بحق - فترة التمكين للصهيونية في فلسطين وبخاصتها بصمات وصفت بأنها دولية تمثلت في الاعتراف بوعده المقرر على نطاق عالمي، وبدرجته في وثيقة الانتداب على فلسطين، وقد حُذدت تسويات المخلصاء خلال الفترة بين عامي ١٩١٩ - ١٩٢٠م معاملة المعركة بين الأمة العربية والعرب من ناحية وبين الصهيونية العالمية من ناحية أخرى طوال النصف الأول من القرن العشرين، وكسبت الأمة المعركة ضد الاحتلال البريطاني والفرنسي، ولكن معركتها مع الصهيونية ما زالت قائمة، وقد تمتد أحياناً بل قرونًا، لأن ضيعة المعركة اليوم تختلف عما بالأمس فقد كانت الأمة العربية بالأمس توجه احتلالاً بريطانياً وفرنسيًا موقوناً مهما طال مداه، لكنها اليوم توجه قوة فُرِصت عليها حشد السلاح، لنهيئ وطناً في قلب لعالم العربي لملايين اليهود الذين طُنوا هائمين على وجوههم زهاء ألفي عام، يعلنون لنشرد والاصطهاد وعداء سامية في العرب والشرق الأوروبي.

(١) مذكرات عبوت ناش، حادي مع العرب، تعريب لجنة من الجامعيين، دار الشرق للجامعيين، ط ٢، ١٩٦٣م، ص ٣٨.

ومسذا أن حرر (صلاح ندين 'الأيوسي) بيت المقدس وقصى على آخر
الدويلات الصيبية فيما يسمى (لعمور الوسطى) لبعيداً إلى هذه المنطقة وحدنها
العربية الإسلامية. ومما يريد الأمر حظورة، أنه عدم تغيرت موارد القوى في
لصف الأول من القرن العشرين عقب حربين عالميتين طاحتين، وتحدثت
الصهيونية طريقها إلى مواقع اليهود في العالم لأوروبي شرقية وعربية، لم يجد
هذا العالم ما يكفّر به عن المظالم التي ارتكبتها في حق اليهود عبر القرون إلا على
حساب الأمة العربية التي كان تسامحها مع اليهود مضرب الأمثال شهيدة مؤرخي
اليهود أنفسهم^(١).

وعلى الرغم من ذلك فإن الصهيونية أثبتت قدرتها على ربط مصحتها في
فلسطين بمصالح الأمر طورية لبريطانية، واستغلال ظروف الحرب العالمية
الأولى وصعف مركز الحلفاء في عامي ١٩١٦ - ١٩١٧م لتحقيق مآربها حتى
استطاعت في أقل من ست سنوات ١٩١٤ - ١٩٢٠م أن تسترد أبناسها وتدعم
موافعها في وجه معارضة يهودية عاتية. فحصلت على وعد سمور، وأمنت شروطاً
الاستداب على فلسطين، وأمنت ظهورها بوصف (هريبرت صمويل) على رأس
حكومة الاستداب، وأحدثت حقوق الشرعية والالتزام الدولي بؤدر جهما في ميثاق
عصبة الأمم، ومعاودة (سينر) التي تم التوقيع عنها في ٨/١٠ ١٩٢٠م^(٢).

وقد أدرك العرب الحذاء الذي كانت تمارسه بريطانيا معهم، بهذه المناسبة
تحدث الشريف حسين بقوله "لقد تجاهلت القذ الذي تلقينته من مسلمي تركيا
شأن علاقاتي مع بريطانيا، وقد وجدت في الاستجابة لدعوة بريطانيا لي لإعلان
الثورة تجديداً لمجد العرب، وإرضاء لمشاعر المسلمين، وكانت نتيجة ذلك
نهاية العرب ونهاية تركيا على السواء"^(٣).

وبعد أن تم وضع العراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الاستداب البريطاني

(١) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ٢١٤-٢١٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠١.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٣.

مع الالتزام بإشياء الوطن القومي لليهود في فلسطين، في هذه الأثناء تم تعيين (هربرت صمويل) حاكماً عاماً على فلسطين، حيث إنه كان ملتزماً بتحقيق الأهداف الصهيونية.

بهذه المناسبة نقل (النبي) رأي الشعب العربي في (هربرت صمويل) إلى الجهات المسؤولة في لندن، حيث إن تعيين أحد اليهود ليكون أول حاكم عام على فلسطين أمرٌ بالغ الحساسية في نظر سكان هذه البلاد وقد عارض السكان المسلمون وعد بنفور، وأنه سوف يدرج في معاهدة صلح، وأن المسلمين يعتبرون تعيين أول حاكم عام لفلسطين من اليهود - حتى لو كان بريطاني الجنسية - بمثابة تسليم البلاد فوراً لإدارة صهيونية دائمة^(١)

وقبل بدء تنفيذ الانتداب كان (هربرت صمويل) يمارس سلطاته بعد تعيينه مندوباً سامياً على فلسطين، وقد تسلم إدارة البلاد رسمياً في ١٧/٧/١٩٢٠م ليواجه شعب فلسطين الثائر بعد أن امتنع كافة المؤسسات الرسمية لاسترداد حقه المشروع، وأحدث الثورات تتفجر الواحدة تلو الأخرى، وشرع ضاع وعد بنفور في حصاد ما عرست أيديهم، وكما اندلعت ثورة عربية في فلسطين هبت الحكومة البريطانية لتقصي الحقائق، وتشكيل لجان لتحقيق فيما كانت تسميه الاضطرابات وحوادث الشعب^(٢).

نتيجة لتلك الأعمال قامت لمقاومة الفلسطينية بموجهتها، وعلى رأس هذه المعارضة كان (المؤتمر الفلسطيني العربي) الذي عقد عام ١٩٢٠م لتصعيد المعارضة العربية والإسلامية ضد الاستيطان اليهودي، ورداً على هذه المعارضة قامت بريطانيا بمساعدة صهيونية، فقامت بتسليح يهود وتدريبهم عسكرياً^(٣)

وبعد الحرب العالمية الأولى فرصت بريطانيا سيطرتها على فلسطين، فكانت خير حليف لليهود، حيث تمكنت الصهيونية بمساعدة الصديق القومي

(١) محمد الحير عبد القادر، مرجع سابق، ص ١٥٩ - ١٦٠

(٢) مرجع سابق، ص ٣٦ - ٣٧؛ وفلسطين تاريخها وقصبتها، مرجع سابق، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٣) محمد سرخان، الطامعثاني، مرجع سابق، ص ١٠١ - ١٠٢

يهودي من ساء منطقة سكنية جديدة لها في فلسطين عام ١٩٠٩م بحيث أصبحت نواة لها في تل أبيب، وتمكنوا أيضاً من شراء الأراضي وإنشاء المدارس المهنية، وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى تم عقد المؤتمر الصهيوني في لندن عام ١٩١٩م والذي تضمن قيام أول تنظيم للحركة الصهيونية دخل فلسطين، والذي تحول إلى الوكالة اليهودية بدوافعها السياسية والتنظيمية، وبعد ذلك تأسس الصندوق القومي للحديد والإسكان والاستعمار، وذلك تنفيذاً لمقررات مؤتمر لندن عام ١٩٢٠م وبعد ذلك نوقت أصبح الباب مفتوحاً أمام الصهيونية لتتبدل استثمارها لفلسطين، وارتفع عدد اليهود في فلسطين من (٤٠) ألف قبل الحرب العالمية إلى (٥٥٠) ألف عام ١٩٤٨م حيث تم في هذا العام قيام دولة إسرائيل في فلسطين^١

علاقة يهود روسيا بالدولة العثمانية ورغبتهم في استيطان فلسطين في الفترة (١٨٨١ - ١٨٨٧م):

في الفترة ١٨٨١ - ١٨٨٢م كان يهود روسيا أكثر يهود العالم ميلاً إلى الهجرة إلى فلسطين حتى ينحسروا من الاضطهادات التي كانوا يواجهونها هناك، وخاصة بعد تهمةهم باعتناق قبصر روسيا (إسكندر الثاني)، وقامت بعض الشخصيات اليهودية وأعضاء حركة أحباء صهيون^٢ بتقديم طلب إلى القنصل

(١) أحمد موسة، مرجع سابق، ص ٧٤٣.

(٢) واحد صهيون تأسس عام ١٨٨٧م تكوّن من خمسة وعشرين عضواً من روسيا عرفت باسم (بيرو) وأصدرت هذه الحركة منشورات تؤكد على الهجرة إلى فلسطين، وقد ترعّم هذه الحركة (بوريسكر) صاحب كتاب (الحرر الذاتي) الذي دعا بتجميع اليهود في دولة خاصة بهم، وقد أكد في هذا الكتاب أن اليهود ليسوا جماعة دسيسة، بل هم أمة مستعنة مدتها، وحلاصتهم من الاضطهاد لا يكون إلا بتحرير أنفسهم بأنفسهم باستقلالهم في أرض يمشون فيها بحرية تامة حرة، ولم تكن هذه الأرض بالضرورة فلسطين، بشرط أن يكتب لألمانية عام ١٨٨٢م ثم بالفرنسية والروسية، وقد وقعت الدولة العثمانية ضد هذه الحركة، (نظر بوريسكسكي، لليهود ودولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٧٢-٧٧).

وهي هيئة تكوّن في (أودسا) باسم Chibbath Zion، أي محبي صهيون ومن (أودسا).

العثماني يمنع اليهود تصريحاً بدخول فلسطين^(١). وتمت هجرة اليهود من روسيا القيصريّة إلى الدولة العثمانية، في ذلك الوقت سمحت الدولة العثمانية لليهود بالهجرة إلى أي جزء من الدولة العثمانية ما عدا فلسطين شرط أن يستبدل المهاجرون اليهود جنسيتهم إلى العثمانية^(٢).

وفي عام ١٨٨٢م نشأت حركة (عشاق صهيون) في روسيا، التي دعت إلى

استثرت مروج لها في معظم المدن الروسية وفي دول شرقي أوروبا مثل رومانيا وبلغاريا ثم في عربي وشعبي أوروبا مثل فرنسا وإنجلترا ونرويج. واستهدفت هذه الهيئة تشجيع الهجرة إلى فلسطين، وإشياء مستعمرات زراعية فيها تكون في الوقت ذاته مراكز للإشعاع الثقافي اليهودي عن طريق تعلم اللغة العبرية، وجمعها لغة حية، وبشر التدريب اليهودي والأدب اليهودي، وكان أعضاء هذه الهيئة يحتملون بؤسة شخصيات متحمسة قوية من بين رجال العلم والوعاء الاشتراكيين والرحمات وكان من بين هذه الشخصيات (لون سكر) (Lon Pinski) و(آحاد هاعام) (Achad Ha'am). وقد نحت جماعة محبي صهيون في إنشاء المستعمرات الصهيونية الأولى في فلسطين ومهدت الطريق أمام الحركة الصهيونية لتواصل السير في نفس الاتجاه، وإذا كانت حركة محبي صهيون قد أسست الطريق للحركة الصهيونية بعد مؤتمر بال الأول، فلم يكن هناك تعارض بين الحركتين، لأن أهداف حركة محبي صهيون كانت أهدافاً إقليمية تنمق بالوطن عبر الرسمي في فلسطين، وأهدافاً ثقافية يحمل فلسطين مركزاً ثقافياً لليهود، وأهدافاً اقتصادية بإنشاء مستعمرات زراعية في فلسطين وهذه الأهداف تقرب إلى حد كبير من الأهداف الصهيونية وتعتبر مقدمة لها.

نصر محمد حافض عدم المشكلة الفلسطينية على ضوء أحكام القانون الدولي - القاهرة، ١٩٦٥م، من مطبوعات معهد الدراسات العربية العالية، ص ٢٠ - ٢٢، وعند العزيز الشناوي، مرجع سبق ٩٧٤/٢ - ٩٧٥، وانقسمت هذه الحركة في البداية قسمين، واحد عملي وآخر ثقافي، ترعاه الأول (ليبيلوم)، والثاني ترعاه (آحاد هاعام) وقد ظهر خلاف في صفوف الحركة بين الدينيين واللاذبيين، وقد عارض هرترل هذه الجمعيات، لأنها تتجاهل العلاقات الدولية والسكان العثماني، ولم تحج هذه الجمعية إلا في تهجير مصنع مئات من اليهود بمعونات ضخمة من المليوير اليهودي روتشيلد وغيره. (عند الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، مرجع سابق، ص ٥٩ - ٦٠).

(١) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق: ٩٧٤/٢.

(٢) ميم كامل، مرجع سابق، ص ١٧.

إحياء اللغة العربية واستيطان فلسطين^(١) وفي نفس هذا العام تم إنشاء أول مستعمرة يهودية في فلسطين تدعى (ريشون لوريون) وقد أسسها يهود روسيا^(٢)

وفي عام ١٨٨٢م أيضاً بدأ تدفق يهود أوروبا إلى فلسطين على شكل جماعات للعمل في الزراعة، وقد قدر عدد السكان في فلسطين في ذلك الوقت بـ (٣٠٠٠٠٠) نسمة منهم (٣٥٠٠٠) يهودي^(٣)

وكان من أشهر الممولين اليهود البارون (أدموند روتشيلد) وقد بلغ عدد المستعمرات التي مولها أربعة أضعاف ما أسسه اليهود الآخرون بجهودهم الخاصة، واستطاع اليهود خلال أعوام ١٨٨٢ - ١٨٨٤م تأسيس تسع مستوطنات بين القدس ويافا في فلسطين^(٤).

في عام ١٨٨٣م أصدر مجلس الوزراء العثماني قراراً سمح استيطان اليهود الروس في فلسطين، إلا أنه أمام ضغط الدول الأوروبية تراجع الباب العالي عن قراره، وأرسل تعليمات جديدة عام ١٨٨٤م تفيد بالسماح لليهود دخول فلسطين من أجل زيارة الأماكن المقدسة سواء كانوا حجاجاً أو سياحاً، بشرط ألا تزيد فترة إقامتهم عن ثلاثين يوماً، لكن الدول الأوروبية طلبت مرة أخرى زيادة فترة إقامة اليهود في فلسطين إلى ثلاثة شهور بدلاً من ثلاثين يوماً، ووافقت الحكومة العثمانية على هذا الطلب عام ١٨٨٧م^(٥)

وفي ذلك العام أيضاً ١٨٨٣م وضع (هوليوسسك) كتاب (اتحرر لذاني) ذكر فيه أن تحرر اليهود لا يتم إلا بالاعتماد على أنفسهم، وطالب فيه بحل القومي للمشكلة اليهودية عن طريق خروج اليهود من البلاد التي يعيشون فيها مضطهدين إلى أي بلد دون أن يحدد فلسطين بالذات، على أن يكون بلداً يهودياً

(١) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٢) نظرية التحرير الشناوي، مرجع سابق ٩٨٠/٢

(٣) انظر خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ١٠.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨.

(٥) أحمد نوري العبيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٦٤ - ٦٥ وعد

المعز الشناوي، مرجع سابق: ٩٧٦/٢ - ٩٧٧.

مستقلاً، يعيش فيه اليهود بعينين عن الاضطهاد، وأن يكونوا أمة واحدة، تجمع بينهم لغة وعادات مشتركة).

ودكر «بأن لليهود أيما وحدوا ينظر إليهم على أنهم عرباء، ومن أجل ذلك كانوا يُحتقرون. وأن لتحرير الحقيقي هو في خلق قومية يهودية للشعب اليهودي ليعيش هذا الشعب على أرض موحدة ومحددة».

وأضاف قائلاً «ويحب أن يكون لهم مأوى وإن لم يكن لهم بلد خاص بهم...» على غرار شعوب العرب والرومان.

ودكر أيضاً «أن ما يقص اليهود ليس العنصرية بل احترام لنفس، وإحساس بالكرامة الإنسانية التي يستمونها إليها»

ووضع (بنسكرا) آراءه على الصعيد العملي، وطالب بعقد مؤتمر يهودي. هدفه شراء أرض تستوعب عدة ملايين من اليهود^(١)

وخلاصة القول إننا نستطيع أن نستخلص تطور الهجرة اليهودية إلى فلسطين وإسرائيل كالتالي:

• سقت قيام دولة إسرائيل حملت موحات أساسية من هجرة اليهودية إلى فلسطين خلال الفترة من ١٨٨١م وحتى ١٩٤٨م فقد زاد عدد اليهود المهاجرين هذه الفترة من (٢٤٠٠٠) عام ١٨٨١م إلى (٦٥٠٠٠٠) عام ١٩٤٨م

الهجرة	الفترة	عدد المهاجرين
الهجرة الأولى	١٨٨١-١٤٠٩	٢٠٠٠٠-٣٠٠٠٠
الهجرة الثانية	١٩٠٤-١٩١٤	٣٥٠٠٠-٤٠٠٠٠
الهجرة الثالثة	١٩١٤-١٩٢٣	٢٩٠٠٠
الهجرة الرابعة	١٩٢٤-١٩٢٨	٦٢٠٠٠
الهجرة الخامسة	١٩٢٩-١٩٣٩	٢٥٠٠٠٠
الهجرة غير الشرعية	١٩٣٣-١٩٤٨	٧٦٠٠٠

(١) حسن حلاق، مرجع سابق، ص ٣٧-٣٨، نقلاً عن P. Sack op. p. ١٥

● اشتعل أفر د'الهجرة الأولى نأمن معيشتهم عن طريق القيام بمشروعات فردية خاصة في المجال الررعي دون دحولهم أية تنظيمات سياسية.

● أم أفراد الهجرة الثانية فقد تأثروا بالحركات الاشتراكية المتقدمة في روسيا وأوروبا الشرقية فقدمو بعمل تنظيمات سياسية تجمع بين فكرهم الاشتراكي ومبادئهم الصهيونية.

في تلك الفترة تأسس ما يعرف بـ (الكيبوتس) وهو عبارة عن مجموعات صغيرة تشرك في العمل اليهودي في المجال الررعي، ثم توسعت هذه المجموعات، وظهر بنظيرها في المجال الررعي والصناعي والسياحي، وأصبحت تعيش في مستوطنات تعاونية.

أما (الهستدروت) فقد تأسست عام ١٩٢٠م بمرص الدع عن حقوق العمال اليهود في فلسطين، ونشجيع الهجرة، والاستيطان اليهودي.

وقد لعب الهستدروت دور كبيراً في تطوير الاقتصاد اليهودي في فلسطين، وقد ضم (٩٠ /) من مجموع العمال إلى جانب سيطرته على بنك العمال وعلى صندوق التأمين لصحي، وقد ساهم الهستدروت في جميع مراحل عممية سنطيان المهاجرين، إلى جانب تشجيع اليهود على العمل المنح، وتشغيل الأيدي العاملة اليهودية^(١).

وقد عبر (بن غوريون) عن الهستدروت بقوله: «ليس الهستدروت نقدة عملية، ولا هو حزب سياسي. ولا هو نعدوية أو جمعية، به أكثر من ذلك. الهستدروت هو اتحاد شعب يقوم ببناء موطن حديد، ودولة حديدة، وشعب حديد، ومشاريع ومستوطنات حديدة، وحصارة حديدة، إنه اتحاد للمصلحين الاجتماعيين» (هستدروت) هو المؤسسة التي تشرف على معظم النشاطات.

(١) إيمان حمدي، الاحزاب السياسية الإسرائيلية واستيعاب المهاجرين، مدوة لأحزاب ولتنمية في نوص العربي، مركز دراسات وبحوث الدول النامية، ديسمبر ١٩٩٦م، ص ٩٣-٩٠.

وتتحرك دحليها كل الأحزاب، ويمكن القول أيضاً: إن (الهستدروت) هو تنظيم
اقتصادي يأخذ شكلاً جماعياً لمساعدة التجمع الاستيطاني^(١)

ومن خلال ما جاء بجريدة (أوتا دوغو) التركية لدى شعور اليهود تجاه تركيا
فتذكر أنه «من سمات الشعب الإسرائيلي أنه يحب تركيا والأتراك. فالذين
هاجروا منهم والذين لم يهاجروا يعرفون قيمة تركيا حق المعرفة، فإثناء التجول
في إسرائيل يعرفون أنك تركي، ويقابلونك بترحيب لن تجده في أي دولة أجنبية،
فإسرائيل تعلم أن تركيا دولة مهمة جداً في الشرق الأوسط، وأنها لا بد أن تقيم
معها أواصر الصداقة، ويفهمون أن مياه تركيا أهم من البترول وتقول الجريدة
أيضاً في معرض حديثها عن القدس:

«إن القدس هي جرح المطفنة، ومدينة مصطرة، وبرعم أنها مركز
للعادات، وتوحد بها كل الأديان السماوية، فهي مطفنة إرهاب - للأسف - حيث
يتم الدخول من حائط المكي إلى المسجد الأقصى بالعبور من الأبواب الإلكترونية
التي يتحكم فيها (البوليس الإسرائيلي).

وإذا دخلت سيدة مرتدية عطاء الرأس (الحجاب) وعرف البوليس الإسرائيلي
أنها مسلمة، فيجب أن تدفع نقوداً للرحال. وتقول كلمة الشهادة حتى يُسمح لها
بدخول المسجد.

وفي المطفنة التي تحصل إسرائيل على (٤٠٠) ألف إسرائيلي و (١٠) آلاف
عربي ونصارى لا أثر لتركيا هي أيضاً مثلما تصدق في كل مكان في إسرائيل،
فالحرم مع والأسواق والمزارع من صنع العثمانيين، بخلاف هذا يوحد بها المعبد
اليهودية والكنائس مدمرات بسبب دليل على عظمة الترك

نعم إن إسرائيل معضها عربي ومعضها أوروبي ومعضها في البحر الأبيض
والقدس في عهد العرب كانت وحدة واحدة مع المسيحيين، فلو لم يخون

(١) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المصاهير والمصطلحات اليهودية، مرجع سابق،
ص ٤١٩-٤٢١.

العرب العثمانيين، وتمسكوا بأراضيهم التي في أيديهم، ولم يبيعوها لليهود الذين جاؤوا إلى هناك كانوا مسيحيون من تدابير الإرهاب في كل العالم، وبصارو أصحاب نوطن اندي يسكنونه وتمسكوا به، ولما أجبر المسلمون يوم على الدخول إلى مسجد سيدن عمر تحت رقعة الوليس لإسرائيل^(١)



Oytun H. Sahin Mithogoruskara « Orta Dogu. Ev a 1998 (١)

الباب الثالث

العلاقات اليهودية العثمانية

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
وأوائل القرن العشرين

الفصل الأول: دور اليهود في قيام وانتشار الفكرين
الماسوني والقومي في تركيا.

الفصل الثاني: دور اليهود المحلي العثماني
والدولي العالمي في فلسطين.

الفصل الثالث: اليهود والسلطان العثماني
عبد الحميد الثاني.

تمهيد

كان ضعف الدولة العثمانية سبباً لانحائها نحو أوروبا لأخذ لأسباب لاستعادة قوتها مرة أخرى، حيث قامت بإرسال السفراء العثمانيين إلى العواصم الأوروبية المختلفة مثل باريس وفيينا ولسون، كما أرسلت الدونة شبابها لتعلم العلوم العممية الغربية، إلا أن الشباب العثماني في أثناء بحثه عن استكمال نقاط الضعف في دولتهم إذا بهم يتقنون الثقافات والأفكار العربية التي كانت تعجُّ بها أوروبا إثر قيام الثورة الفرنسية (١٧٩٨م) تديمقراطية، واشتاق الفكر القومي، وبالتالي كان لهذا الانحياز تأثيره في مفهوم الدولة الحديثة التي كانت سائدة في ما قبل قيام الثورة الفرنسية.

ولقد لعب الفكر الماسوني، المنتشر على أشده في أوروبا في ذلك الوقت دوراً كبيراً عن طريق محافله القوية في السياسة العثمانية من خلال تسريبه إلى الدولة العثمانية وتمحيده لكتاب الموحدين في الدونة على مستوى، تصدر العظم والوراء، بل واستطاعت الماسونية أن تجند أحد أفراد البيت الحاكم العثماني، وهو الأمير (مراد) الذي أصبح سلطاناً فيما بعد، ومهذت الماسونية لأفكارها بين المثقفين الأتراك والعثمانيين وبين صفاط الجيش

كما لعبت اليهودية دوراً كبيراً في نشر الفكر القومي التركي لمتعصب، الذي أدى انتشاره إلى إفساد العلاقات بين الترك والعرب، مما حدا بالعرب إلى البحث عن داتهم بانقومية، ولم يفعل العرب فقط هذا بل كذلك العاصم الأخرى في الدولة التي حكمت بالإسلام من قبل مثل الأكراد والألمان والأرمن الذين أعلنوا من شأن قومياتهم.

وفي هذا الباب تفصيل لهذا التعلل الماسوني والتسيطرة اليهودية على المجتمع العثماني ودراسة تظورات وتناحه

الفصل الأول

دور اليهود في قيام وانتشار الفكرين الماسوني والقومي في تركيا

الماسونية هي جمهورٌ كبير من مذاهب مختلفة، يعملون لعدة وحدة، هي إعادة الهيكل الذي هو رمزُ دولة إسرائيل، و«ماسونية نصية الممك» والحكام والقضاة والزعماء والقادة والمثقفين^(١).

وفي تعريفٍ آخر للماسونية على لسان (عبد الحليم إيباس لُهوري) القطب الماسوني «إنَّ للماسونية المملوكية، مبادئها وتعاليمها ودرجاتها وغاياتها، ترمي إلى تقديس ما ورد في التوراة، وإعادة هيكل سليمان، ويفسرون الرموز بما يروق لهم»^(٢).

احتشد اليهود في إقامة محافل بهم على مستوى عواصم الدول الكبرى، وذلك من أجل تحقيق هدفهم في السيطرة على العالم، وذلك تبعاً للمعاداة التي عايشوها على امتداد تاريخهم من اضطهاد وتشريد في مختلف بلدان العالم.

العلاقة بين الماسونية والصهيونية.

ترتبط الماسونية بالصهيونية ارتباطاً وثيقاً، وتؤكد هذه المقولة الوثائق الصهيونية التي خرجت من مؤتمر سان لأول عام ١٩٠٦م، فتذكر أن الحركة الصهيونية عمدت إلى ابتداء حركة الماسونية الحديثة مد فترة مكررة، من أجل أن تتحلى الإنسان عن كل ما يؤمن به لتصبح كما يسمونها (كورمو بوليتيكي)

(١) محمد علي راعي، ماسونية في «عبر»، دار حبيب، بيروت، ص ١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٥.

cosmo politano ، ومن أجل أن تكون محايداً وسيئةً للصهيونية في تحقيق أهدافها، والتعامل في الأوساط الحاكمة، وكسب الصفة عديم من الحكام والوراء، وأصحاب النفوذ في أي مجتمع، لاستغلالهم في خدمة الأهداف الصهيونية، وتلك فيما نرى أن نشاط هذه الحركة يكادُ يحصرُ في الأوساط الحاكمة وليس في الأوساط الجماهيرية^(١).

والماسونية هي "جمعية سياسية نشأت في أوروبا لإرادة سلطة رؤساء الدين ولديها كليات و"المثولة" ولذلك كانت سرية، وكان أهلها على خطر من سلطة الأقوياء الذين تعمل الجمعية لسلب السلطة منهم، وجعلها في يد شعب، والاستغناء عن الشرع بالقوانين"^(٢).

وتعني الماسونية - إرادة الاستئثار وإرادة سلطة يديها من حكومات الأرض^(٣) وقد كان رؤوس الثوريين والعثمانيين أعضاء في المحافل الماسونية، وهم الذين نادوا بعزل السلطان العثماني، ونقصاء على خلافة، ونقصاء على الدولة العثمانية.

وكان لهذه الجمعية الأثر العظيم في الانقلابات السياسية التي حصلت في أوروبا، وقد أسس هؤلاء الماسون محفلاً شرقياً عثمانياً أسأده الأعظم (طلعت بيث) ناظر الداخلية وأركان رعماء (جمعية الاتحاد والترقي)^(٤).

وتؤكد وثائق أن الماسونية من إفرازات حركة نصهونية، وهذا ما تلتته دائرة المعارف الأمريكية عام ١٩٠٦م ودائرة معارف يهودية، وبعض الصحف اليهودية لصادرة في فترات وسنوات متقاربة والتي تؤكد هذا الارتباط الوثيق

أم النصهونية فقد استمدت اسمها من قلعة في مدينة القدس القديمة كانت تعرف باسم (حبص صهيون) وهو من المعالم الشهيرة في تاريخ يهودية حيث ارتبط في أذهان يهود تاريخ عقيدتهم، وتحقيق أحلامهم في العودة إلى أرضهم

(١) جسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٩١.

(٢) رشيد رضا، المنار، م ١٥: ٣٢/١.

(٣) انظر رشيد رضا، المنار، وفائع الدولة، عثمانية، م ١٤: ١٠٨٠.

(٤) المرجع السابق، ج ٣، م ١٤.

الموعودة عن طريق العمل النسبسي والاقتصادي والعرو "الحربي"، ويرجع منشأ الصهيونية إلى أقطاب ثلاثة هم:

(موسى هس) (١٨١٢ - ١٨٧٥م) وهو أول من حدد معالم طريق للصهيونية، وكان يتصور إمكانية إقامة مستعمرات لليهود تمتد من السويس إلى القدس ومن صغاف الأردن إلى ساحل البحر المتوسط^(١)

وثانيهم (هوليو بنسكر) (١٨٢١ - ١٨٩١م) الذي أدى في كتبه (تحرير الذاتي) بحل قسيمي للمسألة اليهودية ورفضهم في رحاب دولة واحدة، كما حث اليهود على القومية اليهودية وند الفكرة "الحبابية" التي تجعلهم يفتلون الاستكدة في دول الشتات، واعتباره قدرهم.

أما ثالث هؤلاء الذين تولدت الفكرة الصهيونية منهم هو (تيودور هرتزل) (١٨٦٠ - ١٩٠٤) الذي أصدر كتاب (الدولة اليهودية) ومن خلال هذا الكتاب تبلورت لدى اليهود فكرة تحقيق إقامة دولة لهم عن طريق العمل "نسبسي" و بشاط الديبلوماسية^(٢) فدعى لعقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل في ٨، ٢٩، ١٨٩٧م والذي كان يهدف إلى إنشاء وطن لليهود في فلسطين تحت حماية القانون العام^(٣).

وقد كان هذا المشروع ضد الدولة العثمانية، وضد نظريات عثمانية الإصلاحية وللألماني ليهودية عربية ووجه في إسقاط الدولة، وتشريع حقها، وتفطيع أوصالها، والتوقف ضد لتوحيد القومي العربي، ومشاريع لتوحدة العربية.

(١) انظر محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ١٧١.

(٢) قام يهود، وسة في سلاسل عمل أساس من أجل تحقيق عودتهم إلى فلسطين، وفي سسل هذا قدم (دود فورشيل) رئيس تحرير جريدة مستقبل في سلاسل بوردو فلسطين، ونقل لإخوانه يهود دساح "الحركة الصهيونية" في إقامة مستعمرات بزرعة هس، كما قدم بدور علامي كسر في هذا المحور (صالح زهر الدين)، شوف، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٣) انظر محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ١٧٤ - ١١٥.

ومن أبرز دعاة الصهيونية بعد ذلك كاسو (حايم وايزمن)، و(ناحوم سوكلوف) و(آحاد هاعدم)، و(لدي براندائس)^(١).

كان الفكر الماسوني (وهو فكر ثوري، بمعنى ثورة على أوضاع الدولة العثمانية المستقرة) أسبق من الفكر القومي في الدولة، إذ يؤرخ للماسونية في البلدان التركية بالأسير (يكرمي سكر محمد جني) في عهد لسلطان أحمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠م) لذلك ستناول الفكر الماسوني على اعتدال ارتباطه الوثيق باليهود ونيهودية، ثم تتبع ذلك بدراسة الفكر القومي شرقي ويطوّراته من خلال وضع اليهود في الدولة.

والماسونية حركة تنظيمية خفية، قام بها على الأرجح حاضرات التلمود من أجل إقامة تنظيم يهودي سري يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية، وهي

(١) ذكرت المحنة اليهودية (لافرية إسرائيل) عام ١٨٦١م أن روح الماسونية الأوروبية هي روح ليهودية، وذكر الحاحام، صحاف وإير، ١١٩١-١٩٠٠ في ٨٣ ١٨٦٦م في مجلة (إسرائيلي أمريكي) *Journal of American Israelite* أن الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها، ودورها، وعائنها، وكلمات من فها، وتوصفها بها يهودية من البداية حتى النهاية.

وتوضع مجلة (حاشا) الأساطير الخمسة من الماسونية، وصهيونية فتقول: «إنه لو أردنا أن نرى بريقه حقيقي من الماسونية، يهودية فهو هذه الملحوظات قال أحد كمة العصر (من المسمو (دي لايمو) *Leperon* في مجلة (المحاث التاريخية) في بيان ١٨٨٢م «إن علاقتهم من علاقة الماسونية واليهودية، فإن ذوي نظر لدى مشاهدتها لا تتماثل على هذا الحكم، وأن الماسونية تحولت إلى يهودية أو بالأحرى فإن يهود «مسيو» لإدراكهم لحقيقة» وكان مشترك يهود الأثر في المحافل الماسونية مثل مظاهر مثقفة، فهم يهود في أعماقهم، مسلمون في طاهرهم، ماسون في محافل» (انظر حمدان علي حلق، مرجع سابق، ص ٢٩٢) ويؤكد (يوسف حجاج) - الحائر على أنه لأسدية بعض في ماسونية - المادى الماسونية ومعقداتها يقول: «إن مد هذه لفرفة ومعتمدها ودرجاتها واعتها ترمي كلها إلى تقديس ما ورد في السورة، واحترام الدين اليهودي، والعمل على تحديد المملكة اليهودية في فلسطين باسم (الوصف القومي يهودي)» (مرجع سابق نفسه)

عند مؤسسيها حركة ذات هدف يهودي بحت، وذات طابع عالمي^(١)، ودستور الماسونية هو (الحرية، والمساواة، والإخاء) وهدفها هو تكوين جمهورية لا دينية عالمية، ويتلور هذا في محاربتها للأديان، وصيانتها لدول العدمية^(٢).

سياسة التقريب في الدولة العثمانية ودور الماسونية فيها:

مع بداية عهد التنظيمات في الدولة العثمانية والذي بدأه السلطان (محمود) وأعطاه صفة الشرعية ابنه السلطان (عبد المجيد) صدر فرمان التنظيمات عامي ١٨٥٤ و ١٨٥٦ م. حيث نتج عنهما استبعاد العمل بالشريعة الإسلامية، وستلهاام روح الغرب في الدولة، وكان الماسون وراء إصدار هذه الممرانات

وقد وجد (رشيد باشا) الصدر الأعظم في عهد السلطان عبد المجيد في الماسونية مثله وفلسفته وروحه، وهو الذي أعاد الجبل النالي له من الوزراء ورجال الدولة للقيام بدفع عملية التقريب في الدولة العثمانية إلى الأمام^(٣)

بعد ذلك أصبح بعض الولاة العثمانيون يشجعون حركات الانفصال عن الدولة، ومنهم (مدحت باشا) ففي فترة ولايته على (الطونة) أمر بإصافة الصليب على العلم العثماني ذي الهلال والنجمة، وأنشأ المحافل الماسونية، وعمل على تصحيح المشاكل في سوريا حتى تقوى الروح الانفصالية لدى الشعب ضد الدولة.

وكان رجال الماسون يعدون (مدحت باشا) مثلهم الأعلى، الذي يعاود معهم في إراحة السلطان (عبد العزيز) عن العرش عام ١٨٧٦ م، وانتهى الأمر باعتياله، وأتهم (مدحت باشا) في أمر الاعتيل، وحتمى بالعصية الإبحائية والفرنسية.

وهكذا أعلن لأحد أركان الماسون عن دورهم الفاضح في الدولة في سوفت

(١) صابر طعمه، الماسونية ذلك العدو المجهول، دار بحر، بيروت، ١٩٦٥ م، ص ١٥

(٢) حواد رفعت انتحار، أسرار الماسونية، ترجمه نور الدين رجب، وسليمان محمد أمين القابلي، المختار الإسلامي، القاهرة ص ١٧ - ٢٧.

(٣) نظر محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد، المقدمة، مرجع سابق، ص ٣

الذي تقاضى فيه (حسين عوني) شريك (مدحت) في المؤامرة منعاً من المال من قبل الإنجليز، ويقول لسلطان العثماني في هذه المناسبة "لم يهزني شيء في حياتي قدر شخص يرتفع إلى مقام قيادة الجيش، أو إلى مقام الصدرة العظمى، ويقبل نقوداً من دولة أجنبية هذا شيء أكثر من حتمالي"^(١)

وعندما اعتلى السلطان عبد الحميد عرش الدولة، كانت لائحة المثقفين والمسيطرة على الإدارة والإعلام أعضاء في لمخافل الماسونية، وعلى الأخص محفل (سر) الذي أسسه الأرمس في إسطنبول عام ١٨٦١م من هؤلاء (مدحت باشا) و(أحمد وفيق باشا) و(حبر الدين باشا النوسي) وأبرز الإعلاميين في ذلك الوقت أمثال: (دمق كمال) و(صياء باشا) و(إبراهيم شمسى)^(٢)

معادة الماسونية لآل عثمان:

كان الماسونيون يعدون آل عثمان، كما كانوا يرمون في تأسيس نظم أوروبية محل محل لحلافة العثمانية، وقد لعبوا دوراً بارزاً في الإطاحة بحكم (السلطان عبد العزيز) ثم (السلطان عبد الحميد) ونتيجة لتعدون لصهيوي - الماسوني قرر محفل (الشرق الأعظم) الفرنسي عام ١٩٠٠م إراحة (السلطان عبد الحميد)، وبدأ العمل لهذا الغرض عن طريق حركة (تركيا الفتاة) من يدية تكوينها، والواقع أن المبدئي اليهودية والماسونية أثرت كثيراً على منسبي جمعية الاتحاد والترقي، الذين حاولوا على تلك المبدئي وبتقليد حتى بعد الثورة وهناك مسألة حديرة باسديق وتشمل وهي أن اليهود المنسبين لفرقة لانحاد والترقي، أصبحوا أصحاب الكلمة العليا والنفوذ في هذه جمعية^(٣)

وعن طريق محفلي (ريوروت) و(فريتس) الماسونيين كان رؤوس الماسون أعضاء لانحاد والترقي أمثال (طنعت باشا) و(مدحت شكري) و(كاظم باشا) و(مهندس راده) و(عمادويل قره صو) و(جمال باشا) و(سماعيل حانولاد) أعضاء

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، مرجع سابق، ص ٤١

(٢) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٨٥

(٣) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣٠٠.

في محفل (فريتاس) الماسوني^(١)

وكان هؤلاء يتمتعون بامتيازات من الحكومة عن طريقها يستطيعون حماية أعضاء الجمعية في نقل مطوعاتهم ومشوراتهم من مكان إلى مكان، ومساعدتهم في إحصائهم، وفتح مآربهم لاجتماعاتهم^(٢).

المحافل الماسونية في الدولة العثمانية:

أقيم أول محفل ماسوني لليهود في إسطنبول عام ١٧١٧م^(٣) ثم تلاه محفل باريس الذي أقيم عام ١٧٢٥م ثم محفل مدريد عام ١٧٢٨م ثم تبعه محفل لاهاي الذي أقيم عام ١٧٣٣م بعد ذلك تعددت محافلهم على مختلف البلاد

بعد ذلك استمر تأسيس هذه الجمعيات الماسونية وتبعتها جمعيات الفرنسية والإيطالية والسلوبية وكان مؤسسو هذه الجمعيات أحبا

وقد أقيم أول محفل ماسوني بالدولة العثمانية في ولاية سلانيك، وكان ذلك عام ١٦٨٣م، وبهذا يكون محفل تركيا قد سبق محفل إسطنبول بحوالي أربعة وثلاثين عاماً، وبعده انتشرت المحافل في أرجاء الدولة العثمانية^(٤)

وحديثه نذكر فإن أول جمعية ماسونية تم افتتاحها في تركيا كانت في عهد السلطان (أحمد الثالث) (١٧٠٣ - ١٧٣٠م) في هذه الأيام كان المجتمع التركي يواجه مشاكل عديدة وكانت هذه الجمعية تنبع ماسون فرنسا، وتوحد هذه

(١) أحمد نوري نعيم، يهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٧٧ - ١٧٨ ومذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار الفقه، مرجع سابق، ص ١١٦ - ١١٧، يقول السلطان عبد الحميد إن الماسونية لدولة كانت في مصر، مدان واحدها لسلطان، وهي من البلاد رئيس ورر الله مدحت باشا

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، مرجع سابق، ص ٣٠

(٣) سفي فرج الجمعية الماسونية محفلاً، وكل محفل يضم (٣٠) عضواً وسُمي (أحد) وقد بلغ عدد محافل في تركيا عام ١٩٩٤م حوالي ائمة، أما عدد ماسونيين الأتراك فقد بلغ ائمة آلاف رجل، ولا يسمح بساء - لا بضماء - بهم، وفي ذلك الوقت خرجت الماسونية عن كونها سرية إلى العلنة

(٤) محمد عرو، دور يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٢٣

الجمعية في (عَنْطَة) في إستانبول، وكان أول أعصائها (إبراهيم متفرقة) و(سعيد جليبي بن يكرمى ساكيز محمد جليبي).

وفي مدينة إزمير تأسس محفلٌ ماسوني في عام ١٧٣٣م، كما تأسس محفلٌ آخر في منطقة (عَنْطَة) بإستانبول، وكان ذلك عام ١٧٣٨م.

كما أسس (عزير حسن باشا) في مصر أيضاً عام ١٩٠٩م محفلاً كبيراً سُمي (مشرقي أعظمي عثماني)^(١).

وكان لليهود الدومة النصيب الأكبر في الانتماع في حياة لدولة لعثمانية عن صريق هذه المحافل، فكان لهم المراكز القوية في لدولة، وكان منهم اسرراء والنواب وقادة الجيش وكبار الموظفين والمسؤولين في الدولة

وكان احتيارُ ولاية سلايك كمحفل أول لليهود باعتباره نعرَ تحارياً هاماً في تركيب، وكان اليهود هناك يمثلون أكثرية سكان هذه لولاية، حيث بلغت هذه لنسبة (٧٠٠٠٠) يهودي من مجموع (١٠٠٠٠٠) من سكانها، ومن ناحية أخرى فكانت سلايك هي المنطقة التي سمح فيها السلطان عبد الحميد ببقاء الدومة المرتدين فيها لكي يتحشَّ تحركاتهم خارجها^٢

(١) محمد نور الدين، شؤون تركيا، مركز الدراسات الاستراتيجية والبحوث والتوثيق، بيروت، عدد (١١)، ربيع ١٩٩٤م، ص ٢٩. كتاب محمد علي الرعي (الماسونية، مشقة عند إسرائيل) المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ص ١٠١، وصالح زهر الدين (اليهود في تركيا)، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) نوري نعيمى، اليهود ودولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٨٩، ويتحدث رشيد رضا في مجلة المسار عن سلطان عبد الحميد وسنات أمام الماسونية ورؤيته في هذ الخصوص فكان السلطان عبد الحميد عدواً للجمعية الماسونية، لا اعتقاده أنها جمعية سرية، وهو يحاف من كل اجتماع، وكل سر، وأن عرصها إزاله لاستبداد، وإزالة لسلطة لدلية من حكومات الأرض كلها، وهو يصحح بالخلافة الإسلامية، ويحرص عليها، وقد نفس رعماء لماسون بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه أصابع معروفة تصعد، فأشوا محفلاً شرقياً عثمانياً أسنده الأعظم (طلعت) ناصر الداخلية وأركبه رعماء (جمعية الاتحاد والترقي) وأبصارها من اليهود وغيرهم، وأحل هذا سرى (طلعت) لا ينال بسخط الأمة، ولا يرضى في داره التي استعانت بها بمملكة بألسة ولاياتها كلها إلا ولاية=

ويذكر في هذه المناسة القائد التركي (جواد رفعت أنحن) الارتباط الوثيق بين الصهيونية والماسونية واليهودية والدوسمة، فهم لديهم قامو بحوادث ١٩٠٨م، وأصبحت سلاييك وكرا يهودياً دونمياً، لها دور فعّال في الحوادث بني أدت للقضاء على السلطنة العثمانية^(١).

أم أول جمعية ماسونية في مصر فقد تأسست عام ١٨١٦م وقد تأسسها (حليم باشا) حاكم مصر باسم (شورى عالي عثمانى) واستمرت حتى عام ١٩٠٩م. بالإضافة إلى (مشرقي أعظم عثمانى) الذي أسسه الأمير (عزير حسن باشا)^(٢).

ومع هذا لمحتفل تأسس في الدولة العثمانية حوالي (٦٥) محملاً ماسونياً، وبعد الحرب العالمية الأولى تناقص عدد الجمعيات ماسونية في تركيا، وتغير اسم (مشرقي أعظم عثمانى) إلى (الجمعية تركية "العبد")^(٣)

وعن طريق أثرياء اليهود استطاعوا تمويل الحركات المعادية لسلطان

= سلاييك، وكذا أدرة فيما يخص. وأتت معوثيها حتى بعض الاتحاديين وسلاييك هي الآن - في وقت كتابة هذا المقال - مركز السلطة الحقيقية في سياسه، ولا تمتد مركز التنفيذ.

كان حظ عبد الحميد أن يكون، بسطة الحقيقة حيث يكون ما دم حياً، وإن لم يكن في يده الخاصة، وإما بمعنى ألا يكون تصرف طلعت في ماسونية كنصيريه في نظره الدخيلة. فبني والله لم أسمع من أحد في لامتائه، ولا في غيرها، شهادة له بحسن التصرف، ولا أحصي عدد الشهادات التي سمعتها عن سوء تصرفه، الذي أثره في صطرب أكثر ولايات المملكة، سوء تصرفه في مسألة الأرمن وقد عرف لاء، وإن لم تظهر عواقبه السيئة كلها. وأما سوء تصرفه في مسألة نيمس فقد ظهرت بوادره، ويعود بالله من أو حرة. ينبغي أن يكون تصرفه في الماسونية أحسن، حتى لا يحدد عليها ولا على عمله ولدولة، فإن العرق ييسا ويس فرسا والبرعد بعد حياً، وإن كان يراه هو والدكتور باسم وبعض الرعاء قريباً قليلاً، ولا يعتبروا بقوة الجمعية ولا غيرها.

صالح زهر الدين، اليهود في تركيا، مرجع سابق، ص ٢٣

(١) صالح زهر الدين، اليهود في تركيا، مرجع سابق، ص ٢٣ - ٢٤

(٢) المرجع السابق، ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) شؤون تركيا، مرجع سابق، عدد (١١)، ربيع ١٩٩٤م، ص ١٩

عبد الحميد، ومحاولات قلب حكمه، وقد سبق لك القول إنَّ يهود سلايك كانوا عقبةً أمام السلطان عبد الحميد.

وقد ارتبط يهود سلايك بالصهيوية العالمية، وذلك لخدمة أغراضهم حتى إنَّ سلايك أصبحت في أواخر القرن الثامن عشر مركزاً كبيراً لنشاط يهود الدوسمة السياسي والعسكري، واستطاع يهود الدوسمة في ذلك الوقت الاتصال بعناصرهم في العواصم الأوروبية المختلفة، وخاصةً (جماعة الاتحاد والترقي) التي برزت كقوة مؤثرة على النظام الأساس للدولة، وقامت المحافل الأوروبية بتقديم عونها المائي والسياسي والإعلامي في العمل على هدم حكم السلطان عبد الحميد.

وقام يهود الدوسمة من جانبهم بنشر الحاسوسية، واستغلال أشخاص لتحقيق أغراضهم، فكان اليهود يحملون حسيباً مختلفة، بحيث يفدون إلى الدولة العثمانية في شكل ممثلين دبلوماسيين، أو مفوضين، أو فنيين، أو مستشارين، ويتختمون بالسفارات الأجنبية التي يتمون إليها، فيعمدون على كشف أسرار الدولة، وبصرام العداوة والثقة بين الطوائف المختلفة، وذلك بهدف العمل على القضاء على الخلافة العثمانية، وعبر السلطان عبد الحميد بحيث يتولَّى الاتحاديون حكم البلاد^(١)

ومن ناحية أخرى اتصل الماسونيون عن طريق حزب تركيا الفتاة ببعض الموظفين الكبار، وبصايط، وبعض مشايخ الطرق، ونعماء، ولسفراء، ووزراء، وكتاب، ومحميين، كما اتصلوا بالشوار الأرمازوط، وعصابات لبيدر، وفكروا في تمجير (حجر عنتة) أثناء مرور السلطان عبد الحميد عليه، وهو في طريقه إلى زيارة لآذر السوية الشريفة في قصر (طوب قابو)، كما فكروا في نسب (قصر يلدز) وقاموا بتوزيع منشورات حزبية على تني دستور (مدحت باشا) بقصد زرع الاضطرابات^(٢).

وفي مذكرات السلطان عبد الحميد تحدث السلطان عن الكوارث التي

(١) محمد زغروت، مرجع سابق، ص ٢٩-٣٠.

(٢) علي حسون، مرجع سابق، ص ١٩٣.

حلت بدولة بخلافه عن طريق المكاييد التي كانت تدبرها الدول الأوروبية بالتعاون مع يهود الدونمة^(١).

يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: "إن لعمل لوحيده الذي استطاع الماسونيون لقيام به في الدولة العثمانية، هو نشر الشقاق والتمرد في السدوس صفوف الجيش، دون أن يعلمو أنهم يعملون لحساب إنجلترا التي تدعي نشر الأفكار المتحررة في أمر طوريته. وأشد ما يؤلمني أن يتعدون هؤلاء الصائلون الأتراك مع اليونانيين والسعاريين في سبيل إزاحة المنبد عن الحكم"

وبالإضافة إلى هذا تأسست محافل ماسونية عديدة في إسطنبول وإزمير، بعضها تبع لشرق الإنجليز وبعضها للفرنسي أو الإيطالي، حتى أصبح عدد الماسون الأتراك المسميين عام ١٨٨٢م نحو عشرة آلاف شخص، من بينهم الوزراء والنواب وقادة الجيش وكبار المسؤولين

إلا أن السلطان عبد الحميد استطاع في عام ١٨٩٤م إغلاق جميع محافل الماسونية ما عدا محافل سلاييك لأرتباطاتها الدولية مع دول ومحافل أوروبا مثل: إنجلترا، وفرنسا وإيطاليا وألمانيا والنمسا^(٢) وكان محفل سلاييك تحت إدارة: (مشرق الأعظم لإيطالي) وكان انتماء أعضائه إلى لحسية إيطالية يعطيهم الحماية من التفتيش أو المحاكمة بحكم المعاهدات، وكانوا يعقدون

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حبيب، مرجع سابق، ص ٤٣ - ٤٤ وفي هذا المجال يذكر سلطان عبد الحميد في مذكراته أيضاً أن إنجلترا كانت دائمة على تسيير نفس عن طريق الماسونية، وكان (مدحت باشا) لم يكتب رسالة ما تارة من مشاكل، فهو من ناحية يريد حلو أزمة في السري، ومن ناحية أخرى يريد طرح سلاسل في أنوار الحرب أعماق كهدء يمكن أن يؤذي - معاذ الله - إلى تقويض لدولة من أسسها كان لثلاث لثمانية يهتز من أسسه بناء على هذا كله كنت أرى أن يصدر الأعظم يؤيد الإنجليز ويتعاون معهم، سواء مدافع من ماسونية، أو مدافع من أسباب أخرى خاصة حدته، ولم أعد أحمل، وسندت إلى صلاحية في الفتوى لأمسي وعرفته - أي مدحت باشا - من إصداره لعظمى، وأعدته خارج الحدود نظر المرجع دنة

(٢) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

(٣) المرجع السابق نفسه.

ونظراً لسيطرة الماسويين على مجلس إدارة سلايك، الأمر الذي سبّب خطراً على الحكم لعثماني، أصدر السلطان عبد الحميد أوامره عام ١٨٩٥م بضرورة تعيين أعضاء لمجلس إدارة ولاية سلايك زيادة عن لموحدون^(٢) الذي انتخب رئيساً لمحفّل المشرق الأعظم العثماني^(٣).

(١) صاحب زهر الدين، ليهود في تركيا، مرجع سابق، ص ٢٥، حسام علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

(٢) حسام علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٩٠.

(٣) يقول الأديب والمؤرخ الفرنسي (جان برون) في مقدمته في صحيفة (المحراب) نشرت عام ١٩٢٤م مشيراً إلى طائفة الدوسمة جاء فيها: «أصحاب المصدة هم أدنى الأقسام والأحيال التي تعيش في سلايك، انتسب معظمهم إلى (جمعية الاتحاد والترقي)» وعلى صعيد آخر يذكر بأن معرض تفصيلياً عما جاء في وثائق رسمية نشرت في مجلة، مجتمع الكوبنتية عدد (٤٢٥) تاريخ ٢٥ ١٢ ١٩٧٨م عن الدور الذي لعبه اليهود في تدمير الخلافة العثمانية، وقد جاء في وثائق هامة عنها لسير البريطاني السير (ج. لاوتر) في وزير خارجية بلاده (سيرش هارويج) عام ١٩١٠م يقول فيها: إن حركة تركيا الفتاة في مارس كانت مستقلة عن حركة تركيا الفتاة في سلايك، وبها كانت تجهل تصميماتها وإجراءاتها الداخلية، حيث إنها كانت حركة سرية وسياسية إلى حد كبير فهي سلايك كان يسكن حوالي مئة وأربعين ألف نسمة، منهم ثمانون ألف يهودي من أصل إسباني، وعشرون ألف من سبط لاوي، أو يهود لمظاهرين بالإسلام، وإن معظم اليهود (مسلم) حصلوا في الماضي على الجنسية الإيطالية فاليهودي (عمانويل قره صو) هو يهودي من (يهود الدوسمة) ماسوي، وهو الذي كوّن محفلاً في سلايك سمي محفّل (ماكلونيا رزورتا).

ثم (قره صو) هد برفع رجال تركيا الفتاة صاعاً وصديس بالانتماء إلى الماسوية، وكان هدفه هو عرض اسود اليهودي على الأوضاع الجديدة في تركيا وكان ينطاهر بأنه يريد مساعدة رجال تركيا الفتاة في تفصيل حوسيس السلطان عبد الحميد، ومنحهم الأمر في محفله الماسوي، لأن هذا المحفل يتمتع بحصانة مسموحة للأحزاب في الدولة العثمانية ضد الملاحقة والتنقيش، وقد استطاع (قره صو) السيطرة على فرع (جمعية الاتحاد والترقي) في القلقا وقد عشر أحد الأتراك أن كل يهودي أصبح جاسوساً للجمعية بالقوة (حكماً) وبدأ الناس يقولون إن بحركة بما هي حركة يهودية أكثر مما هي ثورة تركيا ويقول وزير الخارجية البريطانية في وثيقته نقد استطاع العقيد رمري بك اليهودي لدوسمي أن يصنع رئيساً لأركان حرب (السلطان محمد الخامس) =

ومن أهم الشخصيات ليهودية ماسونية كان (حاوید بك) نائب سلايك
قد عين وزيراً للمالية، وهو يهودي من الدومة وماسوني^(١)

= بدلاً من أن يحكم أمام المحكمة العسكرية حسب تصرف العساك الذين كانوا تحت
يمينه، وبعد حلع (السلطان عبد الحميد) نقل إلى سلايك، وعين وزيراً للمالية
مشرفاً على السلطان.

ويقول أيضاً بعد أن تم (حلع السلطان عبد الحميد) أخذت الصحف يهودية في
سلايك ترفاً انشئت لاحتلال من (مصطفى إسرائيل) الذي رفض مريضاً يستجيب
لطلب لرعيه الصهيوني (هزترن) والذي وضع حوار اسم لأحمر يدي يقابل عدواً
(في بريطانيا) قانون الأحكام ضد المهاجرين البولوس اليهود، وسير ذلك من الأعداء
التي حدثت دون تحقيق لعدم تصهيب في فلسطين

(١) حاوید بك يهودي من يهود الدومة، وماسوني بدرجة (٣٣)، اقتصادي لعب دوراً كبيراً
في الثورة على (السلطان عبد الحميد) التحب دائماً عن مدة سلايك (مذكرات السلطان
عبد الحميد، محمد حرب، دار نفهم، مرجع سابق، ص ٢٦٣)، شغل وزارة المالية
أكثر من ثلاث مرات حتى عام ١٩١٨ م. وقد كتب عدة كتب أهمها كتابه (عدم الاقتصاد)
في أربعة مجلدات وقد أعده في عام ١٩٢٦ م مشهراً من على كتاب نابورك

وقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية ما يلي: «إن طمعت بك، وزير الداخلية الذي
هو من أصلي عجري من مقاطعة أدرنة، و(حاوید بك) وزير المالية الذي هو يهودي
عاطفي، هما التوجيه الرسمي للقوة المحيية للجمعية، وهما فقد الوزير المدان بحسب
لهم حساسات حقيقية، وهما أيضاً يمثلان قمة الماسونية في تركيا (صمت بك)
(حاوید بك)، الوزير المدان بسقطرة على أقدار الأمر صوريه بصورة عامة من الطبيعي
أن يستاء من الرفض الإنجليزي».

ويعلق رشيد رضا على (حاوید بك) قائلاً: «ولو أرادوا ذلك لكانوا أقدر الناس
عليه بمساعدة أستاذتهم وإخوانهم من اليهود الأصبيين والدومة (بدين منهم) حاوید
بك) الذي جمعوه وطراً للمالية، وفوضوا إليه عقد القروض) ولكنهم عثموا فرصة
من ستمود (حركة الارنحاع) فعزلوا السلطان عبد الحميد شبي، وبهوا من أمونه وخواهره
ونحده» راجع رشيد رضا، محذرات سياسة من مجلة بشار، دار الطليعة،
بيروت، ١٩٨٠ م، ص ٢٢٤.

أم (برارد بريس) وهو كاتب يهودي فيقول عن (حاوید بك) «هذا شخص
في سلايك أكثر قوة من (قره صو) أذى دوراً في ثورة عام ١٩٠٨ م، وحده مرات عديدة
وزيراً للمالية في حكومات تركية الفتاة، لم يكن يهودياً، بل كان من يهود الدومة»
ومن حديث آخر يذكر (برارد بريس) «إن اليهود لم يكن لهم دور يذكر، وإن

(طلعت بك) أيضاً يهودي ماسوني، وكان وزيراً لندخية، وقد أن أصبح وزيراً لندخية قام بشتر شبكة الماسونية التابعة للجمعية في جميع مناطق الدولة،

(اقرأ ص ٧٨-٧٩). كان دوره ثورياً، في حين أن (حاويد بك) الذي دوراً كسراً، به كان العصور الوحيد من (طائفة الدولة) الذي وصل إلى المرحلة المتقدمة. يولي العيني، يهود الدولة، مرجع سابق، ص ٧٨-٧٩.

ونذكر بمصدر أن سب يهود حركة تركية، هو عدم اعتدال الأثر، سواء كانوا مسلمين أم يهوداً، حرراً، فهم يحاولون أن يحصلوا على يهود كبير من غير أن يفكروا بأن سبهم هذا يثير عيرة، الأثر، وحسدهم، وأعظم عصبه تركوها أنهم رخصوا بأن يكون (اقرأ ص ٧٨-٧٩) الماسوني اليهودي من "لوف اندي حمل" الذي يولي عبد الحميد بحمله وقد ارتكبو بعدها عدة أخطاء، والأثر صارت لأخطاءه سدو وتظهر

راجع يولي العيني، يهود الدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٩٨. وأصابت بحريته. انحللت الجمعية، الاتحاد، سرفي) بعد جمع عبد الحميد بأحلاق الماسونية واليهودية، وسبب ثوبهم. ولما قامت ثورة يسيان - إبريل ١٩٠٩م كانت العناصر اليهودية أهمية أكبر (حاويد بك) وزير مالية و(خلعت بك) وزير لدخية السابق ورئيس الجمعية و(حده بك) محرر طرس ومستشر حاويد بك المحسوس في كلهم ماسون، وأولهم من سلالة يهودية، قامت صمد الحيش والأثر، كثيراً لتفوق بعض الأفراد الذين يسو "ترك" حقيقيين، والذي تحسب عنهم مع يهوداً وبأسهنة بشتر الجامعة للصهيونية، ويعتقد الأثر أن تعرض من الجامعة الصهيونية هو تأليف مملكة يهودية في آسيا الصغرى، وبخس من المستعمرات اليهودية المنشأة في سوريا، وبخافون أن يكون مراكز يهود لأحزاب، ولا سيما الأحرار منهم ذلك لأن الأثر لا حظوا منذ مدة طويل أن اليهود لا يميلوا للإشكاريين منهم أي يهود ليوبيون والروس والألمان إنما هم من محبي الدولة الألمانية

وقد قام حاويد بك مع الحكومة الصهيونية والسووك من أجل تحقيق مصالح اليهود في فلسطين، إذ استطاع عقد صفقة تجارية مع بيوتانية مدية قلّرت قيمتها ستة ملايين ليرة عثمانية في باريس، وهذه السونات هي (كريدي موبس) و(بردر) و(دريوس) و(حاريسلويكي) والأكثر من هذا، أراد حاويد بك الاتفاق مع الاتحاديين على بيع ثلاثة ملايين دويم من الأراضي في فلسطين وسورر بجمعيات الاستعمار الصهيونية، وقامت صحة حول هذا المشروع في الصحف، ونتيجة لذلك فقد أحرق هذا المشروع وحديثاً بالإشارة أن حاويد بك مع طلعت بك، كان نصورة حبه لمنظمة الحقيقة، الحفية في لدولة العثمانية (راجع حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٣٠)

وذلك أنه أخذ يُشيدُ الوظائف الكبرى في الأقاليم إلى ولاية ومتصرفين . . . إنخ من
الماسونيين، أو إلى رجال تثق بهم جمعية الاتحاد والترقي، أو من كلا هذين
الصفين من الرجال^(١).

وكان هدف هذين الترحلين من ذلك أنه في حالة قيام الأكثرية في البرلمان
صدفة، أو بالرغم من الإزهاط المستمر بسبب حالة التطوارئ، بالمعارضة إلى حدٍّ
يهدد وزرتي (طلعت) و(حاويد) فإن هذين الأخيرين سيرذلان بقلب معاكس،

(١) يحمر (طلعت بك) من أصل عثماني، ومن عائلة فقيرة من أدنة في قبرحبي حيث ولد في
عام ١٨٧٤م، وقد تعلم الفرنسية في (مدرسة الاتحاد اليهودي) وأصبح نسياً للكتابات
في ولاية سلايك. كما أصبح مأموراً بتبريد، حيث كان يقضي ثلاث لترات في الشهر،
كما أصبح عضواً في جبهة العامة. وأصبح أيضاً وزيراً للدخلة، وقد عمل جاهداً إلى
أن وصل إلى منصب نقيب الأعظم وقد سمى (طلعت بك) إلى (محفل الشرق الأعظم
الماسوني) بد آخر محفل الماسوني في سلايك بأن طلعت سيكون له مستقبل في
بدولة العثمانية، وتصلوا به، وسجنوه في عداد الماسونيين، ورفي طلعت إلى عدة
درجات في المحفل الماسوني. وأصبح يتقاضى منه راتب شهرياً مقداره عشر ليرات
إنجليزية.

وعمل طلعت دوراً مدناً كان مورغانسريد وشرق في أدنة
ثم قدم (طلعت) و(قره صو) إلى إسطنبول لتوثيق علاقة مع تنظيم يستأول بحرب
الاتحاد والترقي، وألقي القبض عليهما، واستحوذ أحد لحي خاصة شكلت بقصر يدر
بصورة مستعجلة و استطاع (قره صو) بذهابه أن يبعد نفسه. وبفقد (الاتحاد و سرفي)
ينقل الرسائل السرية من وإلى سلايك ومناشير.

عمل طلعت بك جاهداً مدناً أن كان وزيراً للدخلة على بشر المحفل الماسونية،
وقد بساد الوظائف الرئيسة في الدولة إلى ولاية ومتصرفين من ماسونيين وقد فر
(طلعت) هرباً إلى برلين أثناء الحرب العالمية الأولى، وكان عقب فراره حدثت ثورة
بين البصة لأثر في برلين. وأتمس هؤلاء من الألمان تسليمه إلى الدولة العثمانية،
واحتفى (طلعت) عن أنظر مدة من الزمن، حيث ذهب إلى هوسدا، وقد رفق في هذه
الزيارة (سليم ماريانج) وهو من لاتحاديين يهود الذي كان معوثاً عن إرمير

وتحذر لإثراء إلى أن (طلعت) مال في مذبة لأمر إلى استولشت الروس ضد سياسة
الحلفاء وفي نهاية حياته، احتفى (طلعت) مع الماسونيين، الأمر الذي أدى إلى اعتقاله
من قبل المحفل ماسونية، حيث عثائه رجل أرمني في برلين في ١٥ ٣ ١٩٢١م
(مذكرات لسلفر عبد الحميد، محمد حرب، دار القلم، مرجع سابق، ص ٢٧٦)

وذلك بأن يحل محل مجلس النواب، ويجري انتخاب جديدة، توجهها نوادي (جمعية الاتحاد والترقي) والمحافل الماسونية في الأقاليم، وتأتي سواب أكثر طاعة للحكومة، وأشد مسابرة لرغباتها. ونستطيع القول ماسونية أصبحت الحكومة الحقيقية في تركيا.

يتش من هذا أن الحكومة الحقة لتركيا، بما هي (محض الشرق الأعظم الماسوني) وعلى رأسه (طلعت بك)^(١).

كما عتب رجل يهودي وماسوني من سلايك مديراً للمصوغات، وكانت له سلطات واسعة بحيث أنه كان يستطيع إيقاف أية صحيفة عن الصدور، وحُثت بلطام الجديد أي انتقاد، فكان صاحب الجريدة يقدّم إلى المحاكم العسكرية، ويتهّم بالرجعية، أم الفرع لرئيس لجمعية الاتحاد والترقي في إستانبول فكان يرأسه رجل يهودي لأصل من سلايك^(٢)

كما سيطر على الأمن العام بالدولة رجل يهودي من سلايك أيضاً، وكان

(١) يقول (ريفك بك) وهو أحد الشخصيات الهامة في (جمعية الاتحاد والترقي) عن دور هذه المحافل "حقاً، بما وجدنا سداً معيوباً من الماسونية، وخاصة ماسونية الإيهادية والمحملا (بصاليون macedoniarisler) و laborerlux قدم لنا خدمة حقيقية، وقرأ لنا الملاحق فكانت مجتمع فيها ماسونيين، لأن كثيراً ما كانوا ماسونيين فعلاً، صانع زهر اسدين، مرجع مساب، ص ٢٦ (نقلًا عن حواد رفعت أنجاد، الحظير المحيط بالإسلام، ص ١٥٠ - ١٥١) ويفدّر عدد ماسونيين الأتراك شمالية الاف رجل، ويكشف أحد ماسون لترك علاقة ماسونيين الأتراك بيسرائيل، وهو (قاطر حي أوغلو) بقوله إن ماسون الأتراك ينقسمون بين لولاء لإسرائيل

(قاطر حي أوغلو) ندي تم عدمه العشرين في الماسونية، ودرجته هي لرابعة عشرة، يقول إن بعض ماسونيين الأتراك هم في نفس الوقت أعضاء في محافل إسرائيل الماسونية ويعتقد (قاطر حي أوغلو)، مستند إلى إحدى تصورات (حك كمي) رعيم يهود تركيا (الشيخ عددهم حوالي ٢٦ ألفاً) وندي تعرّض في كانون الثاني ١٩٩٣م، إلى محاولة اغتيال في إستانبول، هو في نفس الوقت رئيس لمحفل (بور) في تل أبيب، وهو، بهذه الصفة، ينقسم بين الولاء للدولة الإسرائيلية، وفي ذلك محاولة لقانون الجمعيات التركية شؤون تركيا، عدد (١١)، ١٩٩٤م، ص ٣٠ - ٣١

(٢) وثائق في ماسونية، مخطوط غير منشور، مركز بحوث العائلة اتركيا.

لجمعية لاتحاد و لتتقي الحق في حل جميع الجمعيات المماثلة بها في أي دولة أخرى^(١).

كما أنه إنشاء وكالة أحرار تلعب فيه لتقدم رأي جمعية الاتحاد و لتتقي في الأحداث الداخلية والخارجية.

أما الموصوفون دور المناصب الهامة في الدولة، فكانت ترقياهم تتوقف على دخولهم لمجال الماسونية، وأحرار بعضهم أنهم إذا ما أصبحوا مسؤولين فإن قضية مصر وكريت وغيرها من القضايا التي تؤثر في عظمة البلاد تقومية ستحل لصالح تركيا، وأنهم سيصبحون إخوان ملك إنجلترا، وبإمكانهم أن يصفحوه، ويتبادلوا معه الرموز عندما يزور استبول، وكل هدفهم في هذا استشارة الثقة التي تقترن باسم إنجلترا في نفوس صفات عثمانيين كفة^(٢).

الصدور العظام الماسونيون:

سيطر عدد من الماسون في الدولة العثمانية على أهم المناصب، وعلى رأسها منصب المصدر الأعظم (رئيس الوزراء)، وكان هذا المنصب من أهم المناصب في الدولة والمصدر الأعظم هو المستشار الأول للسلطان^(٣).

وقد تحدثنا من قبل عن كيفية تعميل الماسونية داخل الدولة العثمانية، ومحاولتهم الهيمنة على نظام الدولة الأساسي، حتى يستطيعوا خدمة أغراضهم، ومن أهم هؤلاء الصدور: المصدر الأعظم (سعيد حلي) والمصدر الأعظم (مصطفى رشيد باشا) و (محمد أمين علي باشا) وعبرهم^(٤) ونتيجة للمساوي الماسونية

(١) يقول (جاويدان عريبي) في كتابه (نهاية الإمبراطورية العثمانية) كان يهود سلايك المتحول إلى مذهب الماسونية باستطاعتهم أن يحددوا بمرم المصادر لحكومة التي تتولى الحكم في المستقبل، وأنهم ينادون لأساسة الموحدة للاتحاديين بها ظهرت تحت تأثير الحركة الصهيونية المتخفية.

(٢) وثائق الماسونية: مرجع سابق.

(٣) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق: ٣٥٨/١.

(٤) انظر لصدور العظام الماسون الذين سيطروا على نظام الحكم في الدولة العثمانية مع حق رقم (٤)، القسم الثاني، ص ٤٢٦.

التي قاموا بها في الدولة، فقد استطاعت أن تقود الجيش إلى اليأس، وبعد ذلك سلمت طرابلس للمحتلين، حيث تمكن الإيطاليون من احتلال طرابلس الغرب^(١) وكنت إنحلترا دائبة على تسيير الفتن عن طريق كبار رجاء الماسونية، ومنهم (فؤاد شا) و(مدحت باشا) و(أحمد وبيق باشا) و(خير الدين التونسي باشا) و(إبراهيم حفي باشا) و(نابق كمال باشا) و(صبيح باشا) وكانت أيضاً تتعاون مع (مدحت باشا) حيث إهم كانوا يأمنون من وراءه فوند عزيمة، وكان لإحتلرا تأثير كبير على الدولة.

وقد أسس لسفير الإنجليزى الموردة (ريدج) محفلاً ماسونياً بحوار محفل (غاطة) وكان (رشيد باشا) عضواً فيه، وقام نرسيون بتأسيس محفل في (بي أوغلو) beyoglu، في ستسون، وصفتو إليهم فؤاد باشا، كما فتح السير (هري بنفور) محفلاً في (بيوك دره)، كما فتح الألمان محفلاً آخر إهم، وكانت هذه المحافل بمثابة مراكز للمخبة والنجس على الدولة وكان من ثمر هذه المحافل محفل (سر) ser، لذي أسمه الأرمس، وكان له دور سياسي في تركيا، بالإضافة إلى هذا، فقد انضم إلى سدك الماسونية ولي العهد (مرد أمدي) وأعطيت له الدرجة الثامنة عشرة^(٢).

ومن هنا يجب أن نقرر حقيقة هامة، وهي أن بعض العرب المقيمين في باريس، أو في المناطق العثمانية، إنما استعملوا من قبل الصهيونية والمتمولين

(١) انظر علي حصون، مرجع سابق، ص ١٩٢ في عام ١٩٣٥م كانت توجد في تركيا (٣٥) جمعية ماسونية، في ذلك وقت قام أتاتورك بالاتفاق مع هذه الجمعيات بوقفها، لا أن يشاط هذه الجمعيات عدم مرة أخرى بعد (١٣) عاماً بفصل جهود (مسم كمان أوكه) نفس الدرجة التي كانت تعمل بها قبل عام ١٩٣٥م. وفي عام ١٩٥١م تأسس للمحفل لأكثر تركية، وكان هذا المحفل بضم مصباح ماسونية على مصباح تركيا، وكان ماسونيون الأتراك يقسمون بين الولاء لإمبريال (شؤون تركية، عدد ١١) كان (جان أرماتش) رئيس المحفل الماسوني الكبير في تركيا قد تدخّل في مران ماسونية منذ عام ١٩٥٩م حتى وصل إلى المرتبة لعليا فيها. وقد نُقِيت في ١٨، ٤، ١٩٩٢م بلقب أستاذ أكبر للمحفل الماسوني الكبير، (شؤون تركية، عدد ١١)، ص ٢٨

(٢) İzzet Nurigün Yaşam Ce ikler, Masonluk ve Masonlar İstanbul 1968 s 17-21

اليهود، دون أن يدروا غاياتهم وأهدافهم الأساسية المتمثلة في سيطرة على فلسطين. ولقد تعاون العرب مع المماليك بحجج اسلطان، بما كانوا يهدفون وراء ذلك الوصول إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والاقتصادي لبلاد العربية، بينما لم يكن يهود وصهيونية يطمحون بمطالب إصلاحية معينة، بل كان مطمحهم الأساسي إنشاء مملكة إسرائيل^(١).

والناسوية فكرٌ عثماني النوحه، محالف لتكوين دولة الإسلامنة والفكر الإسلامي، وتنبيل على ذلك هو قول حلة من الأروم البصري في المدرسة الحربية التي هي عماد الجيش العثماني، وهو جيشٌ اقتصر على المسلمين منذ نشأته^(٢) وكان السرى عسكر (أي وزير الحربية) (عيسى باشا) يأخذ أموالاً من الإبحلير، وكان ماسياً، وتنف في حلق السبصار (عد العير)، وروى مكانه السلطان مراد.

أما (مدحت باشا) ندي كان صدر "عظم"، فقد كان ماسياً نصاً، وكانت بإحتلنا تحركه ضد ندوة، وأنت بعض المراجع أن (مدحت باشا) كان يهدف إلى أمرين:

الأول: حق مشكل دحلية في بلاد وفي السرى داتها

والأمر الثاني: الترخ لبلاد في ثول الحرب^(٣)

وقد لعب الماسون دوراً في إشعال فتنة الأرم من ضد ندوة، وكان الأمير مراد الذي أصبح سلطان بعد سلطان عبد العير رئيساً للماسونيين

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣٠٠-٣٠٢.

(٢) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ١٨٦ نقلاً عن بهمي صوي صال ماسونية، ماسونون في ماسونية، في تركيا، ص ٢٠٩ و ٦٩ و ٤٤.

(٣) بهمي شادون، مرجع سابق ١- ٦١- ٧٢، يقول السلطان عبد الحميد، إن لصحف التي صدرت في أوروبا ومصر لم تحو، لبلاد كاتحاداً واحداً، لكن محو ماسونية جعلت من هؤلاء منتكعين أعلاماً، عدم حركو انصار من أعضاء الاتحاد وترقي. وقد ثبت انتماء هؤلاء لندوة مؤسسي (جمعية الاتحاد والسرقي) جميعهم إلى ماسونية (مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، ص ١٣٤).

الأتراك^(١) ومما يذكر أنَّ عدَّة الماسون الأتراك المسمَّين عام ١٨٨٢م كان يقدَّر بنحو عشرة آلاف شخص، من بينهم وررء ونواب وقادة جيش. وكانت أكثر المحافل الماسونية منتشرة في الآستانة وإرمير^(٢).

دور هرترزل في نشر الماسونية في تركيا:

قام هرترزل بمقدِّم مؤتمر عام ١٩٠٣م صمَّ كبار الماسونيين معلماً فيه حملته على الأديان الأخرى، التي تقودها ماسونية بحدارة، وهي ترفع شعار: «إنَّ يهود أخذوا على عاتقهم إشراخ أديان الناس، وخاصةً لإسلام وللمسيحية، حتى لا يبقى غير اليهودية، فاليهود يقيمون دولتهم على يدٍ من حيث إهم وكلاء أمراء عن المسيح. ويهدمون ما سواه. وحاشا ليهود هذا المؤتمر كما يلي

١- إيادة البشرية والأجناس والأديان.

٢- لإكثار من الجمعيات، التي تتفق مع ماسونية بالهدف، وإن اختلفت الأسماء.

٣- حصر الأديان بالمعابد، تمهيداً لإزالتها حتى من المعابد.

٤- يجب سحق عدو لأرلي- الدين- مع، وإله رحمة

٥- لا بأس أن يدخل ماسون بين المتديبين، ويؤسسوا الجمعيات الدينية.

٦- سوف نقضي على العقائد الباطلة^(٣).

(١) يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: «لم أستطيع أن أفهم كيف مدت رعة إسقاطي من فوق عرشي ونصب أحبي مرة أخرى. هل لأنَّ أحبي السلطان مر دك مثله ماسونياً؟ أم لأنَّ التفكير أفضله إلى أنه من سهل عليه أن يصعظ على أحبي مراد ويحمله نة يفد كل شيء؟» حتى الآن لا أستطيع تقدير هذا (مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار القلم، مرجع سابق، ص ١١٥).

(٢) حسن علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٨٤ ومحمد علي إرعي، مرجع سابق، ص ١٧٤

(٣) محمد علي إرعي، الماسونية في العراق، مرجع سابق، ص ٦٤-٧٥

وقد وقع على قرارات هذا المؤتمر مندوبون من جميع المحافل الماسونية اليهودية، وممثلو المحافل الماسونية الرمرية الحاصلون على درجة (٣٣) وحديثاً بالذكر أن وثائق هذا المؤتمر قد سُرقَت من المكتب لصهيوني الأعظم من السرايب السرية التي كانت مخبئة بها تحت الأرض، وقد أعرب هرتزل عن دهشته لهذا الحدث بقوله: «به بالرغم من التوجيه فقد انكشفت سوء الحظ بعض التعليم السرية بسبب تعرض هذه الوثائق للسرقة التي وصفها بأنها «قدس أقدس آمال إسرائيل وسر زعمائه».

وقد بشرت (محنة فرنسا القديمة) حاسماً من هذه الجلسات السرية لهذا المؤتمر، وبعض ما جاء من الوثائق المسروقة منها قول هرتزل

«به عندما تحمد بيران الثورة التي يقوم بها جميعاً في سائر البلدان، ويتبع عنها حتماً سقوط الحكومات القائمة تحلُّ سلطتنا محلها، عندئذٍ بأمرٍ محلِّ الجمعيات سرية القائمة حياً، وهي كما تعلمون تصبُّ إلى حسب ما تصفه من جهالة لماسونية رجلاً من الخوارج (يعني غير اليهود) ونصح السلطة في قصة أيدينا، وعندئذٍ بأمرٍ بأن سرغ من شعارات الماسوني عبارة (الحرية والمساواة والإخاء) بعد أن بلغنا المرام، فلا نعود لنا حاجة إلى مثل هذا لشعار، فقد أدَّى واجبه على ما يرام»^(١).

وقد وصف أحد الأتراك عملية انتشار الماسونية في الدولة بأنها تحديدٌ للشعوب بالحشيش اليهودي^(٢).

وبهذه المناسبة يتحدث السلطان عبد الحميد عن حقيقة الدور الذي قدمت به حركة تركيبتا الفتاة الماسونية بقوله لا بد لتاريخ يوماً أن يفصح عن ماهية الدين سموا أنفسهم (لأتراك الشبان) أو (تركي الفتاة) وعن ماسونيتهم استطعت أن أسرف من تحقيقني أن كلهم تقريباً من ماسون، وأهم منسوب إلى (المحفل الماسوني) (بالحليري) وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل،

(١) جواد رفعت أتلخان، مرجع سابق، ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٤٤.

ولابد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات، وهل كانت معونات إنسانية أم سياسية^(١).

علاقة الماسونية بجمعية الاتحاد والترقي:

تقول المصادر: إن ثورة الاتحاديين كانت ثورة ماسونية يهودية أكثر منها تركية، فكانت في الشكل ثورة تركيا نجاهد من أجل الحصول على الحرية واعدلة والمساواة في ظل الدستور، وفي جوهرها ثورة يهودية ناصت من أجل تغيير نظام الدولة، وإثارة انقلاقل من أجل تحقيق أغراضها الصهيونية، وإقامة دولتها المزعومة في فلسطين.

وقد أظهر النائب اليهودي الماسوني (قره صو) حماساً شاملاً في تأييد تقدم ثوريين من رجال جيش الحركة نحو العاصمة لخلع سلطان، وكانت الفرق الأربع متجهة إلى العاصمة من سلايخ يقودها أحد الدومة الماسونيين من سلايخ وهو (رمري بك) الذي عُيِّن - سابقاً - رئيساً لمعدوبي (السلطان محمد الخامس) وقد شعر الأتراك بدور اليهود الفاعل في هذه الثورة^(٢).

(١) مذكرات، سلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار القلم، مرجع سابق، ص ١١٥ ربيع شكر، مرجع سابق، ص ١٣٥ - ١٣٦ وفي معرض حديث السلطان عبد الحميد عن هؤلاء الأتراك الذين يقولون إن السب في ترويض الأمور ليس بيد يدي بل في يومنا هذا، هو مبلغ الطيش الذي يبعثه الأتراك الشباب في عهد أخي 'عمر بك'، سلطان عبد الحميد، مذكراتي لسياسة، ص ٢٦، إن الصحف التي صدرت في أوروبا ومصر بمحتلف سماتها، ورجال جمعته من سترهون في هذه البلاد، لا يجوزوا سداد كائناتاً حدثاً واحداً، ولكن محاولاً الحيلولة - رغم كل تعقباتهم - جعلت من هؤلاء المشككين أعلاماً. عندما حركوا لصد من أعضاء (الاتحاد والترقي)، هدي دي قصة (تركية الفتاة) و(جمعية الاتحاد والترقي).

(٢) يقول شبيب مصطفى صري في كتابه (موقف البعض وحناءة) كان من المصادفات التي لها معنى أن يُلغِ سلطان قرر البرلمان على جلعه (قره صو) نائب سلايخ، والذي سبق له مقابلة لسلطان مسدوداً عن اليهود انصهيبيين. ويقول (لوتر) حول هذا الموضوع: 'إنه أصبح ملاحظاً أن اليهود من كل الأنواع مواصبين وأجانب كانوا مؤيدين ومتحمسين للحكم الجديد، وقد عثر عن ذلك أحد الأتراك بقوله: 'إن كل يهودي يبدو جاسوساً ممكن لجمعية سرية، وبدأ الناس يعتقدون بقولهم: إن الحركة كانت ثورة يهودية أكثر =

وقد تحدثنا من قبل عن دور يهود الدولة في تأليب الرأي العام ضد الدولة عن طريق الاتصال بالمحافل الماسونية داخل تركيا وحزبها، وإعصاها على إحياء العرات المظنفة داخل الدولة، وإثارة الحنيت المحتفة، ودورها أو دورها بشر الماسونية في الدولة، واستغلال ذوي النفوس لصعينة لهدم الدولة^(١)

وإلى حزب هذا تدون يهود العالم مع المحافل الماسونية، وطسوا، مساعدتهم في إسكانهم فلسطين، وعرضوا على السلطان العثماني أمولا، ولكنه لم يقبلها، ورفض ذلك المشروع.

كما أن (هرترل) لم يستطع إقناع السلطان بفكره حول إنشاء مزرع ليهود في ذلك الوقت وصف السلطان هرترل بأنه يريد برصاء شعبه، ولكنه نسي أن الذكاء وحده ليس كافيا^(٢).

من ناحية أخرى قام (جمال باشا) الماسوني بدي كز في بلاد الشام قائداً عثمانياً بالاتفاق مع الحلفاء، على سلع فطر الشام من لدولة العثمانية بعرص الاستيلاء على فلسطين^(٣).

= منها ثورة تركيا (انظر حمدان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٠) وفي هذه المناسبة يعلق الكاتب التركي بحسب فصل بقوله أكد القضاة الانحاديون في جيش الثالث تحت إمرة الدولة يا ترى، أم تحت إمرة وحدة اليهودية^{١٩} (أورحان محمد علي، سلطان عبد الحميد الثاني، دار الوثائق، الكويت، ١٩٨٦م، ص ٢٨٧)

(١) انظر هدي فرويش، مرجع سابق، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) جاء في تقرير سري لهرترل عن رأيه في موقف السلطان صدهم بقوله: أقرر على ضوء حديثي - في مقاربات السلطان - مع السلطان عبد الحميد الثاني - أنه لا يمكن لاستفادة من تركيا، إلا إذا تغيرت حالتها السياسية، إما عن طريق فتحها في حروب نهزم فيها، أو عن طريق فتحها في مشكلات دولية، أو بالصفين معا في باب وحده (انظر بيلي عبد اسطف أحمد، موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود في فلسطين، دار الكتب الجامعي، ١٩٨٧م، ص ٤٢).

(٣) محمد علي الزعبي، مرجع سابق، ص ١٠٢.

وقد تحدثت (جريدة عقد) التركية عن هؤلاء الماسون وتأثيراتهم في تركيا بقولها:

«بديل نصهدينه والماسون جهداً كبيراً حتى يريدوا من قوة تأثيرهم في تركيا، وذلك عن طريق فعاليات النوبي اليهودي ومشورته واستثمارته من ناحية، وعن طريق الكتاب والنشريات وتوجيه الرأي العام من ناحية أخرى» وتضيف الجريدة أيضاً قولها:

«في تركيا عشرات الألوف من الماسون، وأربع تشكيلات ماسونية، فماذا يريد الإخوان الماسونون إلى هذه التشكيلات؟^(١) يريدون أن تخدم الماسونية النظام الجمهوري في تركيا، وأن يتحكموا في الأمة ودولة وهم يعملون لتحقيق هذا، وعلى الرغم من قوة عددهم فإنهم أصحاب قوة وبحسب كبيرين^(٢) وكانوا جميعاً يحكمهم مبدأ واحد، وهو إحداث فجوة بين العرب والترك تنفيذاً لمسح هرتول الذي يقول: (كل شعبين يقسمان بصحاح في حورتنا) وينتهي غرضهم عند سلخ الترك والعرب جميعاً عن الإسلام»^(٣)

وقد أعلن الماسون انتهاجهم بحسب أفكار الماسوني متمثلاً في جيش الانحاديين، وسيطرتهم على السلطة، وسدروا في مظاهرات انتحاراً لحلع السلطان، وقدموا طبع صورة هذه المظاهرات في بطاقات بريدية لشاع في الأسواق العثمانية^(٤).

(١) Abdalme itotegen Gündem vonlerdimevecalis, v. 18, Akit 18 Aralık 1998

(٢) محمد علي الزعبي، مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٣) أحمد نوري أغمي، «يهود والدولة العثمانية»، ص ٢٢١، يقول رشيد رضا: «إن مجده (دين ومعيشة) الروسية ترحم دول عن (طلعت بث) وتصرفه، فرددت عليه بسوء بيو وسوء فهم فقالت: إن أركان الدولة والعلمانيين بأعمدها جميعاً من العمير إلى السلطان ماسونيون، وإن الماسونية هدمت الدولة الإسلامية، وبها سوف تؤسس دولة ماسونية ويقول (رشيد رضا) رد على ما ورد في هذه المحلة^(١) إن هذه المحلة تهدف إلى تعويق جوانب مسلمي الشرق العربي والديني، كما أن هذه المحلة هي لسان حال أهل تنقيريه من مسلمي روسيا، وهي تدعو إلى اعتبار حير الأمور الوسط وقد كان من سوء أنية أن تكتب عن ما قيل، وقد كان يعني في مقدسنا نسبة على بعض منهم أمثال

وبعد إسقاط السلطان العثماني عبد الحميد بدأ عهد اليهود الذهبي، وأرادت
الماسونية أن تستغ من إطلاق الحريات، فقام لدكتور اليهودي (حاك سهامي)
بافتتاح مبادئ الشرق الأعظم الفرنسي ومبادئ لمحفل لأكثر التحير وكتب
أسس الماسونية باللغة التركية، وأعقبها بكتابات كثيرة عن الماسونية^(١)

وفي سبيل تطبيق أحكام الماسونية على المجتمع التركي قام كل من (رحمي)
(طلعت) بافتتاح العديد من المحافل الماسونية في استانبول وعلى أثر هذا قام
كثير من الأتراك بتسجيل أنفسهم في هذه المحافل، وكان من هؤلاء عدد كبير من
يهود لدونمة وأصبح معنى (جمعية الاتحاد والترقي) مساوياً لمعنى (المحفل
الماسوني) واستخدم (الناديون) (المحافل الماسونية) لتقوية قبضتهم على
شؤون الدولة.

احتفت الآراء حول (جمعية الاتحاد والترقي) وكونها موضع شبهات
بانتمائها إليها (جمعية ماسونية) وأن أعضاءها ليسوا أتراكاً ولا مسلمين، فقد دافع
لكتاب اليهود عن هذا لانتماء مؤكدين أن كل ما كتب باللغة التركية عن بشرة

= (طلعت بك) و(رحمي بك) و(ناصم بك) و(جاهد بك) و(حادي بك)

ويرد (رشيد رضا) على هذه المحلة بقوله ألا يعلم أصحاب مجلة (دين ومجتمع) أن
صاحب المراسلة قد رثى نفسه على التصديق (رشيد رضا، المراسلة، ١٤٤ ٤ ٣١٨ -
٣١٩)، ذكر طلعت بك في مذكراته أن (الاتحاد والترقي) أمل يهود، وأن اليهود يدوروا
في عهد تونس ودره مدحبة للمرة الأولى يتجمعون في فلسطين. خاصة هؤلاء اليهود
الذين أحرقوا على أنقرة من روسيا، كما أحرق اليهود المهاجرين يشرور الأراضي في
فلسطين بواسطة يهود من اسعة عثمانية (مذكرات سلطان عبد الحميد، دار القلم،
ص ١٤٣).

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار القلم، ص ١١٩. بدلاً عن الكتاب
اليهودي (المراسلة) في كتابه (الأبناك واليهود) يقول السلطان في مذكراته عن مسألة
عمره - لم يستطع أن أفهم كيف ساد رغبة استعاطي من فوق عرشه، وتصبب أحبي مراد
مرة أخرى هل لأن أحبي السلطان مراد كان مثبهم ماسونياً؟ أم لأن تفكير أقصى به إلى
أنه من سهل عبه أن يصعظ على أحبي مراد، ويجعله نة سفة كل شيء؟ حتى لا
لا أستطيع تقدير هذا.

الأترك - بأنَّ اليهود لعبوا دوراً له أهمية في محاسن الاتحاديين قبل الثورة أو بعدها، وأنَّ دور العاسوية تقتصر على كونها أماكن استخدمتها انضباط الاتحاديون من وقت لآخر لعقد اجتماعاتهم السرية^(١) وقد عتروا أنَّ هذه الثورة ثورة وطنية قام بها أتراك مسلمون من أجل إيقاد الإمبراطورية العثمانية^(٢)

(١) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ٨٥.

(٢) من بين هؤلاء كتاب الدين هُوَ المدافع عن نساء حسبه، وعن وجودهم في الجمعية، وانها مهم بتقديم بكر أعمالها العالم اليهودي (برنارد لويس)، من ناحية أخرى فقد حذر بعض الكتاب من حصر يهود على الدولة العثمانية. ومن أبرز هؤلاء (رشيد رضا) حيث جاء تحديده للدولة العثمانية من الخطر القادم على الدولة من اليهود فيقول: «إنَّ اليهود يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله، يقيموا فيه مثلث إسرائيل، وكنت الحكومة العثمانية تعارضهم في امتلاك الأرض هناك، فلا يملكون شيئاً منها إلا بالحيلة والرشوة، ولهم مطامع أخرى مالية في هذه البلاد، فهم الآن يظهرون مساعدته للحكومة العثمانية الجديدة، يساعدونهم على ما يستطيعون، فإدراكاً من تلك الأمة العثمانية لكيدهم، وتوقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم، فإنَّ الخطر من يعودهم عظيم وقريب، فبهم قومٌ عتادوا انزاعاً عاحشاً، فلا يدرون درهماً من حساب عدة إلا ليدنوا مثلاً أو قنطرة من البحر، يدكروا بكيدهم وأموالهم قد جعلوا الدولة العثمانية ككرة للالعاب في أيديهم، فأرأوا منها منطقة الكسبه، وكانت تدعى بيت بكبيسه اسكر، وحملوها على انقلبه في الحرائر، وهي التي تصحر الأمة والديار بالعدو والمساودة، وهي في يدوة العنيد من نعمه وحديه وسياسة والثروة، بقوة، أفلا يدرون على أكثر من ذلك في الحكومة العثمانية، وهي على ما بعد من التحلل والضعف والحادثة إلى المال، وطمعهم فيها أشد، وحصرهم أعظم^(١) فإنَّ بيت المقدس له شأن عظيم عند المسلمين والصغار كافة، فإدراكاً من اليهود فيه يسمو فيه بيت إسرائيل، ويجمعوا مسجداً لأقصى (هيكل سليمان) - وهو قمتهم - معبداً خاضعاً لهم، يوشك أن تشتعل نار الفتن، ويقع ما يتوقع من حقد، وفي الأحاديث مسندة عن فتن آخر الزمان ما هو صريح في ذلك، فيجب أن تحشد الأمة العثمانية في درء ذلك، ومدفعة سيله بقدر الاستطاعة، لتلايق في إرباب ضعفها، فيكون قاصياً على سقطتها. وسأل الله السلامة

(نظر رشيد رضا، وفتح وأحرار الدولة العثمانية، مجلة المنار، ص ١٢٥-١٢٦)

ويعرض (رشيد رضا) على صفحات (المنار) في بعض علماء الشرق في سب حدلان تروا، ويصيرتهم عند حميد بقوة. رأي في مجلة (دين ومعيشة) في تصدر بلدة أو سوغ في روس. ويتلى تحريرها بعض علماء نشر حمدين على استبعاد المأخوذة =

رأياً عربياً بشر فيه بأمصاء (رزي) تحت عنوان «لماذا اهرم الأتراك؟» فأحس بشره
لما فيه من لعنة بافار اسس بملوك، وتأيدهم بصوص الدين، وإن كانوا ظالمين،
وهذه ترحمته اهرم العثمانيون لأنهم استوجوا عصب الله تعالى، فلم يصبرهم، وذلك
أنهم حلموا سلطانهم لدى خدمهم (٣٣) ستة حذمة حليلة، وحققهم من ذلك بحدلان
بحكمه فيهم حكماً مطابقاً لرصاء الله تعالى وإيهم لم يعرفوا قدره، بل عرلوه عن
مصيبة، وأسقطوه من عرشه، ورفقوه من ناحه، فإن الله تعالى حرمهم من الأرضي
الأوروبية كلها، وتركهم أدلاء في العالم تصديقاً لما قاله سبه لمحبوب سبه لأمته وتنهيباً
لعصيان الأتراك إيها، روى الإمام سريدي في (باب ما جاء في جنة) يحدث لاني
«من كان سلطاناً به في الأرض أهله الله» وهذا يحدث سس محضاً بالسلطان
التركي، بل يشمل كل سلطان إذا حقر الله أي سلطاناً كان، فلا بد أن نهى أنفسهم
ويجازوا عليه.

لشان العثمانيون أهانوا السلطان عبد الحميد، فأنه تعالى جازهم عنى ذلك، وأهدى
أنفسهم، وتركهم في ذلة وشقاء.

نعم إن الأتراك شابههم وشيوخهم سوء في إهانة سلطانهم عبد الحميد، بل لم يحل
عن هذه الإهانة، نعتهم (إسلامي كنه) ولكن السب فيها هم الدين تركو دين الله ورء
ظهورهم، وأبو الشريعة الإسلامية، ولم يخافوا الله تعالى إن الدين أهانوا السلطان
عبد الحميد طهرو، أولاً في سلايك، فأنه تعالى أحد من أيديهم سلايك أولاً وأعطاه
للأخريين (عندما كان كثيرة سكك سلايك من نيهود)

كان في مقدمة هؤلاء اسس دين بعوا عنى سلطان عبد محمد أور بك، وساري
بك، اسس في قدمهم شؤم فإن أحدهما جاء إلى بلاد الأرناؤود بخدمه سحسة،
فذهبت تلك بلاد من أيديهم، ونسبهما قدم طرائس العرب، فذهبت إلى بطرس
شؤمه هذا سرحل لمشؤوم بعدما رجع من طرائس العرب، فذهبت سلايك أولاً وسنة
عثمانية فذهبت تلك شؤم إلى جنة سقيين حفظ الله من قدوم هؤلاء اسس
لمشؤوم من بلاد الأرناؤود، وقد وصفتها فلا شئت حينئذ في دهب الأرناؤود أيضاً

إن العثمانيين مع ظهور حراء به تعالى فيهم لا يتكفرون في شؤوبهم، ولا يبعثون عن
إصلاح أحوالهم، بل يمشون عنى أعقاب هؤلاء اسس، ويحملونهم رؤساء، فيعرضون
أنفسهم بعصب الله تعالى وقهره إدا هم سم يبقوا من عقابهم، وبه شؤوب من قد نهىهم،
وبه يظنوا عمو اسس عبد الحميد، مقلبين بديه ورحمة، فليس بعداً أب بأحد الله
تعالى منهم اخلافة والسطة، بل هذا قريب جداً فكفروا أي أمة من الأمم إدا مشمت
الشريعة التي بها قوامها، وسخرت من طالبي هذه الشريعة ولقتهم ب (شريعة أستور)

وتقول المصادر: إنَّ كلَّ أعصاء (الاتحاد والترقي) في كلِّ من القاهرة وجنيف وبازيس من الماسويس. لكنَّ الاهتمام للرئيس العثماني الذي أولته لماسونية الدولية، انصبَّ على كادر الماسويس في مقدونيا. ذلك لأنَّ حركة (الاتحاد والترقي) في سلايك وهي مركزها، كانت الحركة العسكرية لهذه الجمعية، وكان كلُّ صراط لحيش هناك باستثناء اثنين فقط، مسون والأربعة الكدر في (الاتحاد والترقي) في منطقة مقدونيا مسون وهم محمد طلمت بك

معنى (نريد الشريعة) وكرهت الشريعة كما يكره الارتداد، بل طمعت فوق ذلك أهل الدين منهم. ولم تقف عند هذا الحد خوفاً من الله تعالى. بل خوفاً من أوروبا فقط، فمادا بفعل لله تعالى بهذه الأمة؟ أليس قبلاً لو حاربهم بأيِّ حربة "لكن سبي لشبان العثمانيون ما فعلوا بعلماء الدين من الإهانة عند الانقلاب وبعده، فإنَّ الله تعالى لا يسبه، فإنه يعلم أنَّ قطرة من دماء هؤلاء القذائيين في سبيل الدين لا تقابلها دماء ألوف من الناس المشؤمين. وردَّ على ذلك دم باظم ناش عاري في سبيل الله في انقلاب الأخير اسمعهم أيضاً عن تنقذه إلى مدة طويلة. ودموع السلطان عبد الحميد وآخرته في حسبه يكفيه لإطفاء نورهم. وفي الله لأمة الإسلام من شيوخهم هذه (البروفات وأخبار الدولة العثمانية، مجلة لندرا، ١٦٦ ٤ ٤٧٦-٤٧٨) إنَّ هذا رأيي بدي حاد على صفحات مجلة لندرا على لسان بعض علماء التتريين. منحصراً واثقاً وشاملاً لما حدث لدولة الخلافة وكان حراء تعريضها في دينها وشريعته هو بحريتها وسقوطها (المؤلف) وبري رشيد رضا في شأن اليهود في الدولة العثمانية واليهود الذين يحب أن تتحدثها الدولة فيقول "الدولة كائن حي، يحفظ بها حياة سائر الأحياء، وهي سلامة مراحها في نفسها، ووقيتها مما يهددو عيشه من أحوار. فإنَّ سلامة مراح دول عثمانية في نفسه وإنما يكون بآفة لشرع العاد في القضية، والمساواة في الحقوق من أربعة، وباء إدارة المصلحة على أساس المساواة، وجعل السلطة فيها شعوباً وانتزاع بحيث يكونان منها كالعصيرين الذين يسكن منهما الماء واليهود. وأما وقيتها مما يهددو عليها من أحوار فهو الآن متوسط بين أوروبا الكبرى، فهذه أصحاب المطاعم فيها، ومطامعهم متعاصرة. وما دامت كذلك كانت بدولة مئة على نفسها من اقتسامهم يابها بدولة. فيجب أن تتبني سبلها من على السلافة السلافة والسياسة، أي تمنح نسلي، وأن تنموي مراح لأمة العالم والعلم، وإعدها بدويع عن نفسها. فبده هي فوطت في مرافقها وأملاتها فاعلمها للأوروبيين، وقيمت على تديرها. وتوهمها أنها تستطيع أن تحمي نفسها منهن بقوتها لدولة البرية والبحرية التوسعة. وبه جعل كلَّ عثماده على الأمة، فاحصر عليها من المنح نسلي، أفترت وأقوت من حصر المنح لحربي" (بط وفتح وأخبار بدولة العثمانية، مجلة لندرا، ص ٣٠٦)

(باشا)، ومانيا سي زاده رفيق بك، ومدحت شكري، وإسماعيل جانبولاد
وكان الجميع في أول مركز عمومي للاتحاد والترقي - باستثناء واحد فقط - من
الماسويين وفي المؤتمر الأول لحزب الاتحاد والترقي - (١٥٦) عضواً - كانت
أهم شخصياته من الماسويين، وكان عددهم (٧٣) شخصاً

وفي اجتماع مجلس الشورى لأعنى للماسويين في الدولة العثمانية،
وربدي عقد في ١٩٠٩/٦/٣ م في فندق (طوفاطين) في حي (بك أوغلو) في
إستانبول حضر أعضاؤه وهم (١٢) ماسوياً، كل منهم يحمل درجة (٣٣) في
الماسونية وهم:

محمد طلعت ساعي، مدحت شكري بلدا، محمد جاويد، الدكتور رضا
توفيق، محمد عارف، نسيم مارلياج، محمد عالي، مشيل بور، دوق حيان،
داويد حي كوهين، عثمان عادل، فؤاد خلوصي، عاصم كدر
أما الآتية أسماءهم فقد كانوا يحملون درجة أستاذ أعظم في الماسونية في
عهد (الاتحاد والترقي) وهم:

طلعت باشا، الأمير لاي الدكتور محمد علي باشا، فتق سيمان باشا،
جاويد بك وزير المالية^(٢).

وفي مذكرات (إبراهيم نيمو) مؤسس (الاتحاد والترقي) والعصور رقم (١)
حاء فيها «إليه ثبت إنشاء جميع نقادة والمؤسسين لجمعية الاتحاد والترقي إلى
الماسونية»^(٣).

بعد ذلك ردادت المحافل الماسونية في الدولة، فأشؤو، محفل (سأحي
عثماني) ومحفل (أصدقاء الحرية) وحلال سبي ١٩٠٩ م و ١٩١٠ م ثم إنشاء

(١) مذكرات لسلطان عبد الحميد، محمد حرب، مرجع سابق، ص ١٦ - ١١٧
(٢) المرجع نفسه، ص ١٢٤ م جمال فوريدي في تعليقه على مذكرات طلعت باشا ٣ - ١٤٢٤ -
١٤٢٥.

(٣) مذكرات سلطان عبد الحميد، محمد حرب، مرجع سابق، ص ١٣٤ - ١٣٥، وهذه
المذكرات طبع في روما عام ١٩٣٩ م وطبع في بيروت عام ١٩١١ م

العديد من المحافل الأخرى مثل (الوفاء لشرقي) و(الأصدقاء لجمعية الاتحاد والترقي) و(نهضة بيرطة) و(الحقيقة) و(الوطن) و(النهضة) وممثل (الفجر) وكان بعض أعضاء هذه المحافل من المصريين الذين كانوا يعارضون حكم الخديوي، فنبضوا إلى هذه الجمعية (الاتحاد والترقي) وقاموا بتقديم الكثير من المساعدات بها^(١) وكان هدف اليهود المباشر الذي يسعون لتحقيقه هو السيطرة الاقتصادية على تركيا، وإقامة المشاريع فيها.

وفي عام ١٩٠٨م تقدم حظر جمعية (الاتحاد والترقي) التي كان اليهود يسيطرون عليها، واستنصحت هذه الجمعية سنغلاز العرب والقوميات في الدولة العثمانية ضد الحكم النمساوي في البلاد، وكانوا يرفعون شعارات المساوية.

وعند إعلان المشروعية (الدستور) في ٢٤/٧/١٩٠٨م دخل كثير من الدولة إلى استانبول، وبدؤوا يمارسون صغفأ سياسياً واقتصادياً على الأتراك، حيث حشوا الناس على الاحتجاج والإضراب أثناء التحقق لئوسنة وابهرسك بالنمسا، وهم الذين استغفوا الأتراك مالياً مستفيدين من تلك الظروف وقد حرت أحدث مشبهة قامت بها جمعية (الاتحاد والترقي) أثناء محوم الجيش البلغاري على لدولة العثمانية، وذلك لإثارة الفوضى، وتعميق السفمة على لسلطان الذي حاول أن يعقد هدنة مع بلغاريه فبما عده صمد جماعة (الاتحاد والترقي) وعلى رأسهم (أوربك) بطل لا انقلاب في عام ١٩٠٨م ووزير الحربية وأحد القادة البارزين في انقلاب الدولة والنمسا، دفعوا صلاب بجمعة وسائر المدارس لتقبيل مظاهرات صاحة هاجمت سبب لعلي - مفر الصدر الأعظم ووزير الحربية - وهم ينادون بحرب إستراتيجية بريد بحرب^(٢)

وقد قام جيش يسمى جيش الحركة في سلاسله بالتحرك نحو استانبول وكان قائد هذا الجيش هو (حسن باشا) واستنصح لاتحاديون بدين تحمقوا في سلاسله أن يميلوا إليهم بعض الفرق العسكرية، اشترك مع هؤلاء في حركتهم هذه

(١) نظر أورخان محمد علي، مرجع سابق، ص ٢٩٩-٢٩٩

(٢) انظر حسن علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٤ قبل أعين (حدث العظم) أحد المعاصرين لثلاث الأحداث

ثوري بلعاري يدعى (سانداسكي) مع فرقة عسكرية من المتطوعين، كما أن قسماً هاماً منهم أيضاً كان من يهود لدوسمة. كما جاء كل من (كناصه قره بكير) (من أكبر معاوني أتاتورك فيما بعد) و(عصمت إينونو) (الذي حلف أتاتورك في رئاسة جمهورية تركيا فيما بعد) على رأس بعض الفرق، و نصف لهؤلاء في الطريق ووصل هذا الجيش إلى إيستفانوس (وهو حي في أطراف إسطنبول) وهناك أصبح (محمود شوكت باشا) قائداً لهذا الجيش. وكان عدد جيش الحركة هــ في ذلك الوقت يقدر بحوالي عشرة آلاف جندي وضابط، كان نصفهم بظمية، ونصف الآخر غير ذلك. وأرسل لهم مجلس المسعودون ووداً لمقابلتهم^(١)

وفي كانون الأول - ديسمبر - عام ١٩٠٨م درست جمعية (الاتحاد والترقي) ضغطاً مكثفاً على السلطان لإجباره على إقصاء الدين المشهور من نظام تقديم من مجلس المسعودون، كما أن (عماديين قره صو) المحامي الماسوي اليهودي من سلاييك، كان قد أسس محفلاً فيها، له صلة بالمسوية الإيطالية، وقامت جماعة (تركيا الفتاة) من الصباط والمدرسين بتسلي للمسوية على أمل مدرسة نموذج يهودي غير محسوس على لحكم الحديد في تركيا، رغم أنه ادعى ظاهرياً أنه يهدف إلى حديعة حوسيس عبد الحميد فقط، فقدّم لهم محفلة معاً، وبالتفانيهم في بيت أجبي تمتعوا بالحصانة المتدفقة ضد أساليب التحقيق، وهكذا اتاحت سرية المحافظ لجماعة (تركيا الفتاة) إمكانية تشكيل تنظيمهم بإقصاء على نظام حكم السلطان عبد الحميد^(٢).

لقد كان وحي الحركة في سلاييك يهودياً بصيغة رئيسية، وكانت كانت (حرية - عدالة - مساواة) - شعار لأتريك الاتحاديين - هي من اشكر المسون الإيطاليين وهذه اشعارات هي دنها شعارات محفل (ماكديوب ريرورتا) (Macedonia risort) وشعارات جمعية اليهودية (سي برث) (Heri birth) وهي إحدى فروع المسوية المتعددة مع (الإبيس لإسرائيني معلمي) وقد ظهرت مجموعة من شهادت مسوية وشعارات جمعية الاتحاد والترقي تحت أن

(١) من مذكرات رضا نور، مجلة مجتمع الكونية، ١٩٨١، مرجع سابق، ص ٢٢

(٢) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٥.

شعراتهما وتعليقهما واحدة، كما أنَّ مجموعةً من النقود التركية الاتحادية تثبت هذه الحقيقة^(١).

ويجدر بنا القول: «إنَّ ثورة الاتحاديين كانت ثورةً يهودية أكثر منها تركية، كما أنَّ الدَّنب اليهودي الماسوني (قره صو) قد أظهر حماسةً بالغةً في تأييد انتقام نحو العاصمة لخلق السلطان».

في ذلك الوقت شعر الأتراك بدور اليهود فعرف في هذه الثورة، وأصبح ملاحظاً أنَّ اليهود من كلِّ الألوان مواطنين وأحبب كسوة مؤيدين ومتحمسين للحكم الجديد، وقد عثر عن ذلك أحد الأتراك بقوله: «إنَّ كلَّ يهودي يبدو حسوساً ممكناً لنجمعية السرية، وبدأ الناس يعلقون بقولهم: إنَّ الحركة كانت ثورةً يهودية أكثر منها ثورةً تركية»^(٢).

وحينما تمَّ قرار عزل السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩م كان من بين الذين أبلغوا لسلطان العزل واحد من يهود الدوامة وهو (عمدوييل قره صو) وقد ترك شتراك (قره صو) في الوفد الذي أبلغ السلطان قرار عزله أسوأ لأثر في نفس السلطان.

وفي هذا يقول السلطان عبد الحميد: «إنَّ الحجة السوفية التي ضُمَّت يوناينس وزمن ويهود وكُنَّت تسليح الحليفة حكم القدر الإلهي بطريقة يسعدهم منها لأدب لسلطان وحليفه لم يسبق إليهم، بل وتحمل مسروق صدرت منهم، فيقولون: «عرلنك، أمة» ألا فيحمل كثير أعار من المعروف»^(٣).

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٤-٣١٥، ملاح عن ماريغ ويوتر في رسالتهم إلى غراي في ٢٧/١٢/١٩٠٩م.

(٢) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٦.

(٣) مذكرات لسلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار العلم، مرجع سابق، ص ٢٠١ وفي هذه المسألة يقول سلطان: «بعد تأثرت جداً بنظرية نتي أنعموي فيها قرر حللي أكثر من الخلع معه، وجاء الوفد بصحة وصحيح حتى وصلوا إلى عرقتي، وجهي واحد منهم يتصرف قبح غير مهذب، وهو تيرسي أسعد باشا، وداني «عرلنك الأمة» لقد كانوا في عبة سفاته عندما وجهوي بكلمة «عرب» في الوقت الذي كان لا بد أن

وقد كان ليهود سلافيك دوراً هاماً في تنفيذ خطط مؤتمر (كاتوفيج) إذ تمكنوا من ضرب العلاقات العثمانية مع الطوائف المسيحية بما في ذلك صرب يهود الأرمن^(١)

دور الماسونية في ثورة ٢٧/٥/١٩٦٠م ومحاولة هدم الإسلام في تركيا:

لقد كانت المضغوط الدينية التي حدثت في تركيا في عهد الحرب بوحدة، وتحريم التوجه للمدين، كل هذه الموانع تم إنعاشها مع حرب ديمقراطية، وكان من أبرز رجائه (عبدان مدرس) الذي أصبح رئيساً للوزراء في عام ١٩٥٠م وكان أول الإجراءات التي قامت بها حكومة مدرس في شهرها الأول هو إعادة الأذان باللغة العربية بعد مئة (١٧) عام، وفي الشهر الثاني لسلطتها أعادت

= بصمو، بدلاً منها كنيسة الحلق، مسكية هذه لامة! أه لو كانت نعم استنحة امرة لتي تنظرها (مذكرات نسلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار ثقته، مرجع سابق، ص ٢٠١).

(١) محمد سرحدان، مرجع سابق، ص ١٩، وعن أسلوب الذي يتبعه اليهود، ولدي استنحه يهود لدومة كنت محنة لحوث يهودية الفرنسية عام ١٨٨٠م مثلاً على شكل رسالة، كتبها حاحم يهودي إلى المجمع ليهودي في ستاسول (وادي كن بعد مركزاً استشارياً لليهود أوروبا، فقد كتب (شامور) حاحام مدسة (أرل) من أعمر مقاطعة مروفاس إلى المجمع اليهودي في ستاسول يستنبره قائلاً: "يا الفرنسيين في (إكس) (أرل) و(مرسيل) يهذور معادينا، فمادامعل" فأشار للمجمع عليهم أن يعشقوا لدين لمسيحي طامح أن منك فرنسا يحرقهم على ذلك مع احتماطهم بشريعة موسى، وأن يحملوا أولادهم تجراً وأطباء وصيادلة. وذلك لبحر دوحهم من أملاكهم، ويبيعهم، لمسيحيين حبانهم، كما أنه طلب منهم أن يجعلوا أولادهم وكلاء دعوى، وكنه عدل، ليتدخلوا دائماً في مسائل الحكومة، وفي نهاية الرسالة يقول لهم سيرو بموجب أمر هذ، فتعلموا ولاحتار أنكم يهد الدل وهذه الصفة التي أنتم فيها ستصلون إلى دروة انقوة والسلطة ولحقبة" توقيع أمير يهود القسطنطينية (نظر محمد زعروت، مرجع سابق، ص ٢٤) تلك هي الطريقة التي نسلل بها يهود لدومة وأصبحوا مسلمين في الظاهر، مبطنين يهوديتهم.

البرامج الدينية في الإذاعة، وتمّ العمل بقراءة القرآن في الإذاعة يومين في الأسبوع، كما أزيلت الحكومة الموانع التي امتدّت إلى دروس القرآن، إلى جانب عدم الهجوم على حجاب المرأة، قامت الحكومة أيضاً بوضع الدروس الدينية في المناهج المدرسية، كما تمّ إنشاء خمسة عشر ألف جامع في السبع سنين الأولى لحكومة مندريس، وزادت قيمة الميراثية المخصصة للجوامع، وقُدّمت مساعدات لتعمير الجوامع والمساجد، وارتفع عدد مدارس الأئمة والخطباء إلى تسعة عشر مدرسة، وافتتح لأول مرة في تاريخ الجمهورية المعهد الإسلامي العالي، وتمّ إعلان حرية المنشورات الدينية، لقد كانت هذه القرارات نقطة تحوّل في حياة الأمة التركية المسلمة.

كان سلوك عدنان مندريس نحاه الدين وامتدّ بين سوكاً تشجيعياً، ففي عام ١٩٥١م وعد الأمة أنّ الحرب الديمقراطية سيبرعي حرية الدين وأنّ الأمة التركية مسلمة، وستظلّ أمة مسلمة، وأنّ تعليمها وتعليم الأجيال التالية الأسس والقواعد الدينية شرط لا يقلل النقاش فيه، حتى تبقى مسلمة إلى الأبد^(١)

وفي ٢٧/٥/١٩٦٠م قامت لجنة الاتحاد القومي بتفصيل ثورة عسكرية، وأعلنت قيام حكومة (جمال كورسل) الأولى في ٣٠/٥/١٩٦٠م، وبدأت المحاكمات في (ياضي أصه) في ١٤/١٠/١٩٦٠م. وتمّ إيقاف عمل الحكومة في نهاية شهر أيار - مايو، وتمّ تعديلهم في شهري حزيران - يونيو، وتمور - يوليو، وجعلو مندريس في حالة لا يستطيع الدفاع فيها عن أعماله

وقد أعلن (عدنان مندريس) «أنّ الماسونية والصهيونية ورأسمالية تظهروا نشاطها كمظومة ثلاثية لأمر» لا أعرف أنّ حلال سر ماسوبيّ أم لا» ولكن أستطيع أن أحذف في كلّ وقتٍ أبي لست ماسوبياً بعد ذلك سيق مندريس يبي السحر، وفي النهاية أعدم، وأعلن هذا لقرار على شعب، والنقطة التي كان اليهود يتحركون فيها في إدّعتهم تسع من انقراضه الموجوده في تنوارة المحرقة «س ينفع أيّ سلاح يكون صدك، وستجعلني لساني يحرق في الحكم صدك مدساً»^(٢).

(١) Hattı Yahya Yahya - İske Masonluk, İstanbul, tarih:sis 317-319

(٢) التوراة، أشعيا باب (٥٥) الفقرة (١٧).

وفي عام ١٩٦٣م صدر جمال كورسل رئيساً للجمهورية، وقام بتأسيس نوادي الميوز التي تُعدُّ إحدى المنظمات الماسونية في تركيا. ووقع لقرار كرئيس جمهورية.

ويمكن القول هنا إن حكومة مندريس التي كانت ضدَّ ماسونية، والتي كانت تتحكم في بعض الماسون انتهت بهيئة حربية، وهذا سبب عدم احتياط مندريس، وعدم أحد حذره من سيطرة ماسون على الدولة.

وفي تركيا حياً بعد جمعيات ماسونية تقوم بعملها بشكل مؤثر وفاعل داخل المجتمع من أسرارها أربع جمعيات ذكرها (مراد ششحي أوغلو) وزير الداخلية التركي، وهي (المحفل الماسوني الكبير) و(الجمعية الماسونية) و(الأحرار) أما أقدم هذه المحافل فهو (الجمعية الماسونية) التي تأسست عام ١٩٤٨م. وقد ذكر (ششحي) أنه توحد فروع هذه الجمعيات في المدن الكبيرة مثل أضنة، وإزمير، وأنطاليا، وبورصة، وأنقرة، وأسكي شهر^(١).

تحكم الماسونية في الاقتصاد التركي:

تركز تأثير النشاط الماسوني في تركيا على ميدان الاقتصادي فيها، فأصبح الماسون يتحكمون في رأسمال شركات لاقتصادية في تركيا، والتي يتم تمويلها عن طريق يهود، حيث يدير هذه الشركات يهود ماسون^(٢).

وبإضافة إلى هذه الشركات فقد هيمنوا على صناعات مهمة في تركيا^(٣).

(١) Türkiye'de Dört Tane Masonik Teyit Akiti 16 Şubat 1978

انظر الملاحق الخاصة بماسون الذين هيمنوا على بورصة المدونة رقم (١٤)، القسم الثاني، ص ٤٢٦.

(٢) Harun Yahya, a.g.e.s.214

نظر قوله الله كتب يهوده الملاحق في تركيا، والتي قامت باستثمارات في تركيا، ويؤسس إدارتها ماسون يهود في جنوب غرب تركيا رقم (٢٢)، القسم الثاني، ص ٤٧٧.

(٣) انظر قائمة شركات التي هيمن على صناعات بوصية في تركيا في الملاحق، القسم الثاني، ص ٤٧٧.

وإلى جانب هذه الشركات فقد شملت شخصيات تركية ماسونية أهمّ المناصب في الدولة وعلى رأسهم رئيس جمهورية تركيا الحالي (سليمان ديميريل)^(١).

ظهور وانتشار القومية التركية:

كانت لدولة العثمانية حتى أوائل لـ نصف الثاني من القرن التاسع عشر تعتمد على تراثها الإسلامي وقيمها الإسلامية في إدارة شؤون الدولة، إلا أن تحالف الأوروبي الروسي ضد الدولة العثمانية نتج عنه اتحاد الغرب نحو محاربة لدولة من خلال بث الأفكار العربية لديها، فتحوّلت الدولة في ذلك الوقت (١٨٣٩م - ١٨٦١م) إلى ما يُعرف بـ (حركة التنظيمات) التي قادها وزراء ماسون مثل رشيد باشا^(٢).

دور اليهود في انبعاث القومية التركية:

عندما تولى السلطان عبد المجيد حكم الدولة العثمانية (١٨٣٩ - ١٨٦١م) وخه وريثه رشيد باشا (وكان أكبر شخصية ماسونية في وقته) إلى أحمر الدولة إلى البعد عن التراث الإسلامي، والتوجه نحو أوروبا، وفي حماية رشيد باشا تصوّرت معارضة لفكرة الإسلامية، وتم استحداث دستور على النمط الغربي سُمي (التنظيمات) ولمقصود بها إعادة تكوين لدولة عثمانية إسلامية على أسس غربية، وبُعثت مواد هذا الدستور على تحييد ليهود و نصدرى في جيش الدولة.

وبعد موت عبد المجيد قام حلقه عبد العزيز دستور (مدحت باشا) أحد أعمدة الفكر الماسوني في الدولة العثمانية، ونادى (مدحت باشا) بديمقراطية

(١) نظر أهم شخصيات ماسونية في تركيا خلال فترة استيعاب في تركيا في الملحق رقم (٤)، القسم الثاني، ص ٤٢٦.

(٢) محمد حرب، محمد علي إسماعيل شاهرة المرد في المجتمع التركي المعاصر، المجتمع، عدد (٥٣٤).

وفي عهد لسلطان عبد الحميد أصبح هناك تناقض بين طبقة المثقفين أصحاب اسقوذ، وبين باقي أفراد الشعب، وبدأت الثقافة لأوروبية تتعزل داخل الدولة. وبدأت المؤلفات الأجنبية تنتشر، وأخذ أساء الطبقة الراقية يتحجّون بتعلّم اللغات الأوروبية، ثم ظهر التحدّث عن ضرورة الديمقراطية بمفهومها العربي، وظهر تيار القومية تتمثل في دعائيتين:

- التيار السياسي المتمثل في جماعة العثمانيين الجدد، وتركب الفئدة، ثم الاتحاد والترقي.

- لمحافل الماسونية التي كانت تحمّيها السفارات الأجنبية^(٢)

وقد شهدت الفترة التي قصدها السلطان عبد الحميد الثاني في لحكم (١٨٧٦ - ١٩٠٩) طهرة فرصت وجودها على الصعيد الدولي، وهي (بعث القوميات) في أوروبا، والتي بدأت تتسلّل إلى المحيط الإسلامي (العربي والتركي) بذلك، وقد وجدت بعض العوامل التي ساعدت على بروز تلك الطهرة في الدولة العثمانية - في الوقت الذي طُلّت فيه الشعوب العربية تنظر إلى الخلافة العثمانية على أنها امتداد لتاريخ الإسلامي، وكانت جميع الأنشطة السياسية للعرب الحاصرين للخلافة العثمانية مدمجة في الحركات العامة لتلك الخلافة في صراعها العربي والسري الذي شعل عصر السلطان عبد الحميد وكانت نظرة العرب للعثمانيين أنهم إخوان في العقيدة، وحماة لدين الإسلام، وكانت حروب الدولة العثمانية في نظر المسلمين - عرب أم ترك - جهاداً في سبيل الله، وقد كان هذا هو الشعور السائد إلى نهاية القرن التاسع عشر، وحتى بداية القرن العشرين لم يكن العرب يقولون - لا إلى أن الدولة العثمانية تركية بقدر ما كان يهتمهم أنها دولة إسلامية^(٣).

(١) مرجع سابق: ٦٣/٢.

Yilmaz Oztuna, Büyük Türkiye Tarihi, c.7, s. 209.

(٢) محمد حرب، حرب السلامة لوطي، المجتمع الكويتي، العدد (٣١٠)، يونيو ١٩٧٦م

(٣) محمد حرب، حرب السلامة لوطي، المجتمع الكويتي، العدد (٣١٠)، يونيو ١٩٧٦م

انتشار الفكر الطوراني في تركيا والدور اليهودي.

بدأ الفكر القومي التركي ينشأ في تركيب مع ظهور لفكرة القومية الصورية وكان من أبرز من انتدع الفكر الطوراني في تركيب هو (الامي ديفدز) و(ليون كاهون) و(دميري) وكان هؤلاء فصل تأييد (جمعية الاتحاد والترقي) وكان من أبرز المفكرين اليهود خارج البلاد (إميل دوركيم) اليهودي الفرنسي

أما المفكرون داخل الدولة فكان من تردهم (مونيير كوهين) اصحفي مشهور، اندي كانت له إسهاماته في لتخطيط لمسياسة العصرية الطورانية، والتي سارت عليها حكومة الاتحاد والترقي بعد حنح سلطان عبد الحميد^(١)

وتتضمن هذه الفكرة ضرورة قيام دولة تركية طورانية تجمع أترك العالم في دولة واحدة، والعمل على تترك جميع البلدان التابعة للدولة العثمانية، وكانت هذه الفكرة من الأسباب الرئيسة لنفور العرب من الأترك. فإن منكري الصورية ليسوا أتراكاً، بل كانوا صهابية، ينحدر معظمهم من أصل يهودي، فلا عجب إذا تلاقت الصورية مع الصهيونية، وتحالفت تركيا وإسرائيل ضد العرب والمسلمين^(٢)

والطورانية هي الفكر القومي التركي، وهي حركة تركية تهدف إلى تترك الدولة العثمانية بما فيها من عناصر غير تركية، وشئت كلمة صورية من طوران موطن لقبايل التركية ادين كانوا يعيشون في منطقة حوبي شرقي إيران، وقد تأسست في تركيب العديد من الجمعيات من أجل نشر فكرة صورية، ودعوة لتخليص اللغة التركية من مبرداتها العربية، وقد قامت هذه الحركة بهدف ساء مجتمع جديد، وتؤكد مصادر أن هذه الحركة حركة أحسية، وليست تركية، فتقول (دائرة المعارف البريطانية). «إن نشأة صورية موحاة من الأوروبيين، أدحمها الصهابية على الإمبراطورية العثمانية، وكان معظم قادة الاتحاد والترقي من الماسونيين الطورانيين. وكانوا يهدفون إلى قيام وحدة قومية تركية مبدية عن الوحدة الإسلامية».

(١) محمد حرب. سلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) عابدة علي سري لدين، دول المثلث بين فكي، تكماشة، مرجع سابق، ص ٣٢١

وكان من أبرز دعاة النظرية (تكسر الب) ويُسمى (البروت كوهين) سدي وضع نظرية تهدف إلى تحويل الاقتصاد العثماني بعد الحرب لعلمية الأولى إلى اعتماد على الأموال اليهودية. إلى جانب الاعتماد على الشخصيات اليهودية لإدارة الاقتصاد العثماني^(١) ومن يهود الداخل أيضاً المنكر والكاتب اليهودي (أورم غالاتي) والكاتب (مونير كوهين) الذين كما يقومون بالدعاية لجمعية الاتحاد والترقي في الصحف الأوروبية، ولعمد سوي الشهير (عمدويل قره صو)^(٢)

وفي القرن العشرين خلال الفترة بين ١٩٠٨م - ١٩١٨م كان العرب يعدون بالإصلاح، وكان هدفهم الاستقلال الذاتي للولايات عربية، لكن في إطار لإمبراطورية العثمانية في ذلك الوقت كانت (جمعية تركية لثقة) تنادي بالمساواة بين جميع الرعايا العثمانيين، دون تمييز في الدين أو العرق

وبعد إعلان الدستور عام ١٩٠٨م وحدث (لاتحاد والترقي) أن سياسة تزييت الدولة هي الوسيلة الوحيدة للوصول إلى أهدافها المضمونة^(٣)

وكانت الدول الاستعمارية تقيم علاقات فكرية وثقافية قوية مع هؤلاء الشخصيات القومية النيرة، كما كانت تحاول استغلال الحركات القومية من أجل تحقيق هدم الدولة العثمانية من الداخل، فبدأ حين في بعض الكليات العصرية في تركيا يستهين بقيمة الدين.

من ناحية أخرى قامت جمعية الاتحاد والترقي بتشكيلها لدخول بدور أساسي في الثورة القومية في تركيا، فكان اليهود بمذووب بالمال، وكانت أوروبا تمثها بالصور الإعلامية القوي في الفهم تشجيع الحركات القومية تركية، واستطاعت جمعية الاتحاد والترقي أن تنظم في سلايك عدد من صراط جيش،

(١) بطر صالح زهر الدين، مرجع سابق، ص ٣٩ - ٥٥، ملاحظ عن موسوعة الفلسفة العربية

م ٢، ق ٢ ٨٢٩ - ٨٣٠ وكذلك (الموسوعة الأساسية) المؤسسة العربية للدراسات

واشر، بيروت ١٩٧٤م. ص ٣٦٣ وأيضاً تاريخ العرب لمصليب حتى، ص ٥٣٩

(٢) بطر محمد حرب، سلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣١ - ٢٣٣

(٣) انظر زين نور الدين، مرجع سابق، ص ٨١ - ٨٣.

يدعمهم تنظيم سياسي من الشبان الأتراك من أجل لقيام بثورة عسكرية ضد لسلطان، وكانت هذه الثورة هي حركة قومية إصلاحية عربية تركية تبدو في شكلها خارجي أنها دعوة لإطلاق الحريات، وإعلان الدستور، وإجراء لانتخابات، وانخدعهم حق إصدار الصحف، أما اليهود فقد انتهبوا هذه الثورة في محاولاتهم القضاء على الدولة^(١).

وقد رأت (جمعية الاتحاد والترقي) ضرورة سحق العناصر غير التركية بمطرفة تركية. وفي عام ١٩١١م رأت الجمعية ضرورة عقد مؤتمر سوي في إستنبول، يضم وفوداً تمثل البلاد الإسلامية لمحت الشؤون التي تهم العالم الإسلامي، لكن قادة العالم الإسلامي أظهروا شكاً في إحلاص الجمعية، وذلك بسبب أن قادتهم من الشائين الأحرار (الماسون) - لإضافة إلى أن يهود سلايك كانوا حرة لا يتجزأ من جمعية الاتحاد والترقي وعلى هذا فقد ظهر تبني الجمعية لفكرتي لانحداد الإسلامي والاتحاد الطوراني، واستغلالهم لمصالحها^(٢) وكانت جمعية الاتحاد والترقي ترى ضرورة فرص اللغة التركية على جميع الرعايا في الدولة، كما كانت محاولة عن عمد لجعل اللغة التركية محلّ محلّ العربية في البلدان العربية ومن جانب آخر كان الأتراك يحترمون للغة العربية لغة القرآن^(٣)

وكان للدول الأوروبية دروه المؤثر في لإطاحة بالسلطان العثماني، والقضاء عليه، فأتحدث سياسة (الهدم من الداخل)^(٤).

(١) رفيق شاكور، مرجع سابق، ص ١٢٤-١٢٦.

(٢) زين نور الدين، مرجع سابق، ص ٨٦-٨٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٥-٩٦.

(٤) استبان عبد الحميد، مذكرتي السياسية، مرجع سابق، ص ٤٦، يقول لسلطان عبد الحميد في مذكراته عن دور لدور الكبرى في لمؤامرات التي أحاطت بالدولة وادت إلى لإطاحة بحكمه "إن الشيء الذي يقود إلى نهاية أكثر من غيره، هو لمؤامرات الدور الكبرى. لقد صرف الملايين لقضاء على هذه لمؤامرات، كان الأحذر بها، أن تصرف على مشاريع حيوية يستفيد منها ويقول لقد عمدت أن الأتراك لشباب في حلف عقدو مؤتمر كثر معنى الكلمة، وبالرغم من أن اجتماعاتهم كانت سرية فإن مستحركاتي حصلت على أسماء سبعة عشر رجلاً منهم ومن دواعي الأسف أن هؤلاء =

وقد عبّر السلطان عبد الحميد عن موقف الدول الأوروبية هذا بقوله: «لقد استطاع الإنجليز بدعايتهم المخططة أن يثبوا بذور القومية والعصبية في بلادنا، وقد تحرك القوميون في الجزيرة العربية وفي ألبانيا، وظهرت في سوريا بوادر تحريك مماثل وفي وقت قليل استطاعوا أن يجمعوا في أيديهم وسائل القوة في المكان الذي يستقرون فيه، وفي هذه الحالة يكون قد وقعنا قراراً بالموت على إخواننا في الدين» وكانت وسيلة الدول الأوروبية في إسقاط الدولة هي إيجاد العداء بين العناصر المسلمة في الدولة، واستنهاض الروح القومية، وذلك عن طريق المدارس الأجنبية والبعثات التنصيرية، التي حاولت قلب العرب ضد الدولة، بإيقاظ الشعور القومي لديهم، وكان للمدارس البريطانية في ذلك الوقت دورها الفعال في هذا الأمر، حتى تغلّست على المدارس الفرنسية التي سبقتها في القيام بهذا الدور، وقد حاول السلطان مقاومة هذا التيار بتكثيف الدعاية إلى اتحاد المسلمين ودعوتهم إلى الجامعة الإسلامية^(١).

= الشهاب مقدون لما يدره بعض المتأخرين من لرحال المعروفين بهم يقدمون شعارات براقة لتوعية الأمة وترقيتها، بعبء القصد على السطو للقائم، وهدم ما بناء الأحقاد طيلة قرون حلت، وفي الحقيقة إنهم يريدون لإضاحة روح دولتي المحررين، وتولي رماح لأموار بأفهامهم، إنهم عصاة منافقة دبّت تكثرت نديهم ووعدها، وحالمت الصليبية معدوة في نقصد على أساء حدثت وإحوت في الإسلام»

(١) انظر محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين كسراً، مرجع سابق، ص ١٢٧ - ١٣٠، وفي هذا الصدد يقول (كدمي كوهين) كتاب الصهيوني في كتابه (دولة إسرائيل) «في تحرير العربية ولد الإسلام، وأعرب هم ندين توبوا، بشره عبر الدنيا، وعملوا منه دينا عالمياً عظيماً، لقد تصاممت مع اكسده لعربة الهائلة كتل عديدة غير عربية، ولكنها اعتنقت الإسلام، شعوب الملايو (سري) في جزر الهند، ولهندوس، والأفغان، والترك، على صفاق نهر الفولجا وشبه جزيرة لقزم في أوكراب والعرب والأترك والموسيون في القوقاز، ولبرم في مراكش، والبرنج في أفريقيا الوسطى، حيث يوجد مسلمون أكثر مما يوجد عرب وإذا أردت استبانة الأوروبية أن تتحرر من العنقات التي ترهقها في مستعمراتها يسمي عليها أن تسعى لفككت هذه الهوية المصطنعة التي تتحرك صدها، هوية بين انمعاهم العربية وسميهم الإسلامي، وعندما تتحرر على حل المسألة لعربة، فوبها تحطم ألياً التشكك الموحد بين المفهومين، وتفتت الوحدة الإسلامية.

وقد تبعت (تركيا الفتاة) سياسة لا إسلامية صهرت في محاولتهم ترجمة القرآن الكريم إلى التركية إلى جانب إحياء حركة سابقة للإسلام، وقد ظهرت في إحاطة الأترك تطور بين أمثال جاكير حان وهو لاكو (وهم من المغول وليس من الأتراك) بهائى من لتقديس، والعمل على تسمية أولاد المسلمين لأتراك بأسماء طورانية فمثلاً يسمّى الشخص (أوغور) بدلاً من محمد. وعليهم أن يحموا أعلاماً عليها صورة الذئب التركي.

بالإضافة إلى هذا أصدرت إحدى جمعيات تركية التطورانية المسماة (ترك أوحاقي) أي جمعية (الموقد التركي) بياناً جاء فيه «إن هذه لدعوة الخيالية المخيفة التي يستوهمها (الأمة الإسلامية) التي صلت إلى أميد طويل سداً يحول دون انتقام بوحه عدم، ودون تحقيق الوحدة التطورانية بوحه خاص، هي في طريقها الآن إلى التفكك فالزوال»^(١).

كما أن لغويات الاستعمارية الأوروبية تؤمن بهذا إن نظرية لوحدة العربية هي حبر علاج وأصل نرياق ضد الوحدة الإسلامية فهي لا تشكل خطراً أكثر مما تشكل القومية التركية الحالية، إذ عندما تصرف عن الدعوة إلى الشاعر الدببة، ولأنها هي على العكس تشكل عرقية أماسية تصح عنصراً صحيحاً للتوازن السياسي في العالم القديم إن ثبتت الهوية التي تجمع بين الإسلام والعروبة هو التقدير على حمل الصفة الشرقية للحبر لأصل المتوسط ما يجب أن يكونه في الحقيقة واجهة القدرة لاسبوية التي تطل على العالم العربي. وأن حبر لأوروبا نحو أميا الكبرى، ويصيف (كادمي كوهين الصهيوني) قائلاً «إن وحدة العربية تصح قدرة على مقدومة الوحدة الإسلامية إذا ما بنيت سياسياً، فبدلاً من شعور القومي العربي هو ندي يهيمن على المسألة، ويسعى ألا يعرف عن ذلك أن تأتي محاحات الإسلام هو الندي وقد لإيمان الحديد عند العرب تشكيل الأمة الإسلامية إن قومية الإسلامية معترف على فكرة لعربية، وعلى العصبية لعشائرية أو نفسية التي كانت معروفة حتى الآن، فبدلاً من يترجع العرب أمام تلك لديانة الحديد، وإداماً أفرو وأكد على وجود قومية عربية تمتد من سحر الأبيض المتوسط إلى بلاد فارس قومية تختلف في جوهر تحديداتها عن التتر والهندوس والبربر، فإنه يحزور بسك قوة هائلة إداماً ما تطورت بشكل مناسب استصاعت أن نعب دوراً في معالم المتمدد تؤهلها له أصالتها الرفيعة».

(١) انظر زين نور الدين، مرجع سابق، ص ٨٩-٩٠.

وكان نتيجة هذه سياسة لثني اتبعتها (تركيا الفتنة) أن قام رد فعلي طبيعي من رعماء العرب بالتشديد على المطالبة بالاستقلال التام وقيام قومية العربية
وستطيع القول . به كد هلك ثلاث دوائر عملت في انساق من أجل بقضاء
على الدولة العثمانية ألا وهي :

١ - القوى الصليبية : وكانت على شكل مشربين ومستشرقين في المدارس
والمؤسسات والمؤتمرات والأبحاث .

٢ - القوى الاستعمارية في صورة الأساطيل والحروب والمعاهدات
والامتيازات والعملاء في السفارات .

٣ - القوى اليهودية بأشكالها المختلفة من يهود متحفين وراء الإسلام
(يهود الدونمة) ، وماسون ، ومحافل ، وصحف ، وإعلام ، وعملاء دين ، وبيوت
أموال ، وتنظيمات ، وجمعيات ، وتعلم كل هؤلاء في السية الاقتصادية والسياسية
والعسكرية والثقافية والتربوية في الدولة ، فعقدوا تقدمها وقسموا ممتلكاتها فيما
بينهم^(١)

وترجع حدود فكرة القومية في الدولة العثمانية إلى ارتباطها بالدعوة إلى
القومية اليهودية والتي تمثلت في الحركة الصهيونية^(٢)

دور المدارس التبشيرية في انتشار القومية التركية:

وقد اثبتت فكرة القومية العربية من المدارس التبشيرية التابعة للدول
الاستعمارية ، والتي كانت تنتشر في بلاد الشام ، خاصة في لسان ، حيث نشرت
إنجلترا مدارسها التبشيرية هناك في منطقة الدروز ، وكانت هذه المدارس هي
المنع الأول للحركة الانفصالية للقومية العربية في الدولة العثمانية ، فهي التي

(١) انظر محمود ثابت شادي ، المسألة الشرقية ، مرجع سبق ، ص ١٢٠ - ١٢٥

(٢) في هذه المسألة يقول (رحوم عولدمان) "إن الرعة القومية التي خلقت بحركة
لصهيونية ، هي نفسها التي خلقت حركة لقومية عربية ، لقد تمت لحركتان في وقت
واحد" .

حرّضت العرب على الانفصال عن الدولة من خلال إثارتها للقومية، وخاصةً نصارى العرب. ويعتبر نصارى الشام هم الذين حملوا لواء القومية العربية بمفهومها العلماني، حيث أسسوا جامعة القديس يوسف في بيروت، ومن خلالها سرى تيار القومية لدى العرب والمسلمين في الدولة.

وقد ارتطمت القومية في الشام بحركة التنصير العالمية وبالتعليم الأجنبي من خلال مدارس الجزويت والكاثوليك والبروتستانت، وبثّوا من خلال هذه المدرسة فكرة الانفصال عن الدولة العثمانية.

وفي عام ١٨٦٢م أنشأ البروتستانت كليةً في بيروت رأسها (دانيال بلس) وقد تطوّرت هذه المدرسة وأصبحت (الكلية السورية الإنجيلية) وهي الآن (الجامعة الأمريكية) في بيروت.

وقد أمر السلطان عبد الحميد بإغلاق مدارس المنعزّين في الشام عام ١٨٨٨م حيث كانوا يشيرون الفتن ضد الدولة، ويتحسسون لحساب درهم، ويثيرون الفتن بين رعايا الدولة.

كما أمر السلطان بإلغاء الصحف التي تصدر من قبل أحزاب داخلية وصانعة في الدولة، ومع أية مشورات تدعو للأفكار الانتصالية و القومية، وكان مروحو هذه لمشورات جمعية (بيروت السرية) و (جمعية المقاصد الخيرية) و (جمعية النهضة العربية)^(١).

وإلى جانب هذا قام العرب النصاريّ بتنظيم إخوانهم في البرق والقومية من المسلمين في المحافل الماسونية المنتشرة في أرجاء الدولة

وفي سبيل مقاومة هذا التيار حاول السلطان عبد الحميد التصديّ لنشاط هذه المدارس الأجنبية، وأخذ من أرباب نفوذ المحافل الماسونية من خلال دعوته إلى الجامعة الإسلامية، واهتمامه بإنشاء المساجد، وتبادل لريارات بين مشايخ المسلمين في مختلف أنحاء الدولة^(٢).

(١) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٤٣-٢٤٦

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار القلم، مرجع سابق، ص ١١٥؛ ربيع =

قامت المدارس التبشيرية التابعة لدول الاستعمارية بدور كبير، حيث أوجدت الإرساليات التبشيرية المطبع العربية، وشرت الكتب العربية بلغة سهلة، فظهر خريجو هذه المدارس متبنين أفكارها، فأصبح منهم الأدباء والشعراء أمثال (بطرس الشستاني)^(١) و(حوران خليل حوران) و(مبحائيل نعيمة) وغيرهم، وعن طريقهم بدأ تنظيم الحركات القومية العربية في ظل هذه المدارس والكليات التبشيرية.

وقام الشبان الأتراك بعد خلع السلطان عبد الحميد واستيلائهم على السلطة باستبعاد العناصر العربية من مراكز الدولة، وبدأت سياسة التثريث تنشر في أرجاء الدولة، وهؤلاء الشبان منهم إلا عملاء للقوى الاستعمارية^(٢).

ويرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى سنة ١٨٧٥م - أي قبل ارتقاء السلطان عبد الحميد العرش بستين - حين أُنشئت جمعية شوان، من لذين درسوا في (الكلية البروتستانتية السورية) ببيروت جمعية سرية. وكانوا جميعاً نصاري، ولكنهم أدركوا قيمة الصمام المسمم والدروز إليهم، فاستطاعوا أن

شكر، مرجع سابق، ص ١٣٥ - ١٣٦، وفي معرض حديث السلطان عبد الحميد عن هؤلاء الأتراك لشبان يقول: «إنَّ السب في تردّي لأمرنا إلى الحد الذي نراه في يومنا هذا، هو ملء قلوب نُدِّي بعه الأتراك الشباب في عهد أخي المربص» (السلطان عبد الحميد، مذكراتي السياسية، ص ٢٦).

(١) بطرس الشستاني نصراي بروتستانت، احتك بعدد كبير من الإرساليات العربية، وأسهم بترجمة (إنجيل إلى اللغة العربية) وأصدر موسوعة عربية في حرايين بمون (محيط المحيط)، واحتصره نهياً لاشراره في محلي و حد سمه (قصر المحيط) ووضع دائرة معارف الشستاني. ولم يظهر منها إلا ستة مجلدات في حياته، ثم أُنشئت أولاده حتى ظهر منها أحد عشر مجلداً وهذا كتاب نشاطه النصحي، ومنه إصدر مجلة (الجان) وكان (مدحت شا) يشجعه عندما كان ولياً على سوريا. وكان بطرس حريصاً في كل نشاطه على عدم شغب، وبث نحاء القومية والأدب القومي في نفوس شاميين (السلطان عبد الحميد الثاني، احرايلايين عثمانيين الكسار، محمد حرب، مرجع سابق، ص ٢٤٤).

(٢) رفيق شاكور، مرجع سابق، ص ١٤٥.

يضمُّوا إلى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصاً يستعدون إلى مختلف الطوائف
لدينية، ويمثلون الصفوة المختارة المستبصرة في البلاد، وكنت الماسونية قد
دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورته التي عرفت في أوروبا^(١)، واستصاع مؤسسو
الجمعية سرية، عن طريق أحد زملائهم، أن يستميوهم بينهم المحفل الماسوني
الذي كان قد أشى مد عهده قريب، ويشاركه في أعمالهم^(٢)

ومن ناحية أخرى كنت هناك نوعاً من الشخصيات ترى أن مبادئ الحرية
والمساواة والعدالة والديمقراطية تتجلى في ارتباط الدولة بالدول الاستعمارية
التي تحمل هذه المبادئ في سياستها، ومن أبرز هذه الشخصيات شخصية (نجيب
عدروزي)^(٣) مؤسس (جمعية الوطن العربي في القرن العشرين) ومؤلف كتاب

(١) أنس (محدث ناش) أول محفل ماسوني في دمشق مركزه مدرن الحفلة مصطفى الساعدي
في مطقة (منطقة لشحم) في سوق الصويل، وكان من أبرز أعضاء هذا المحفل الشيخ
صاهر بحر نزي (انظر محمد سعيد السبي علماء الشام كما عرفهم ط دار لقدري)
(الناشر)

(٢) رفيق شاكر، مرجع السابق، ص ١٤٥-١٤٦.

(٣) نجيب عدروزي الذي يرجع أصله إلى سوريا هو مسيحي كاثوليكي، تلقاه فرسة، تولى
مصب نائب متصرف لندس في لفترة ١٨٩٩-١٩١٤م كان متصرف القدس في ذلك
الوقت هو (كاظم بك نحسي) الذي اختلف معه بسب سوء تصرف لإدارة العثمانية،
واستقال من مصله، ذهب إلى الشام وراح هناك إلى إنشاء حزب سياسي باسم (جمعية
الوطن العربي) وعندما عمت السلطات العثمانية شامه عاد إلى الشام، وانتج إلى فرنسا،
ونشر كتابه (بقطة الأمة العربية) كما أسس مجلة (الاستقلال العربي) وهي مجلة شهيرة
باللغة فرنسية (١٩٠٧-١٩١١م) ثم عاد إلى مصر، وأقام فيها حتى مات عام ١٩١٦م
(انظر الشاوي ٣ ١٢٣٤)، شهدت دعوه نجيب عدروزي إلى

١ - مهاجمة حركة الجامعة الإسلامية، واتقاء على سلطان عبد الحميد، ونعيس
خليفة في مكة المكرمة.

٢ - نفتيت لعالم العربي حيث فنصر كلامه على سوريا وبـ ومسطح فقط، وكان
هدف عاروري تفويض الدولة العثمانية في عربي آسيا، وذلك تمهيداً لسيطرة بحلته
وفرنسا على المنطقة.

٣ - تأسيس دولة عربية علمانية، تحترم المصالح لأحسية والامبراط التي معها
العثمانيون، وكان معنى هذا هو تأسيس الدولة العربية باستقلالها عن الدولة العثمانية
فقط، وفي نفس الوقت وضعها تحت الحماية الأوروبية (انظر الشاوي ٣ ١٢٣٨) =

(بقطعة الأمة العربية) الذي دعى فيه لإشـاء دولة عربية عـنـدية تدعمها القومية
عربية، وقد هـجم في هـذا، الكـتب السلطان عبد الحميد، وكان يرى أن العرب
أحق بالخلافة من الأتراك، كما رأى أن إـشـاء الدولة العربية لعنـدية يـتـنـج عنه
القضاء على محـادف المـسيحيين في بلاد الشام على اختلاف مداهم، كما
سيقضي على محـادف يـهود لـدى يـشـكلون مئة ألف يـهودي

كما يـدّ عـاروري بـنـسـابة العنـدية في نـوـلـايت العربية وادّعى عـاروري
أيضاً أن أمن الدولة العنـدية هو في التفرّب إلى فرنسا وبريطانيا وعلى الأخص
فرنسا لم لها من تقليد حرة، وادّعى العرب عام ١٩٠٥م إلى الانفصال عن الدولة
العثمانية، وقد هـوجم عـاروري وأنهم بأنه يعمل لحساب الاستعمار بوررة
الخارجية الفرنسية.

وكان (عاروري) لـدى قد أصدر من فرنسا مجلة شهرية تسمى (الاستقلال
العربي) نادى فيها بـسـرـع الخلافة عن العثمانيين، في الوقت الذي كان ينادي فيه
السلطان عبد الحميد بالدعوة إلى قيام الجامعة الإسلامية^(١)

وبعد سقوط نـسـلـطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨م قدم (نجيب عازوري)
وودى بالعودة إلى فلسطين إلا أن الأتراك حكموا عليه بالإعدام بسبب نشاطه
لذي يمس أمن الدولة، فهرب إلى القاهرة وأسس محملاً ماسوياً فيها متأثراً
بالحركة القومية الإيطالية، ونشرت فروع هذا المحل في جميع الأقطار
العربية، وكان تحت رعاية بريطانيا^(٢).

أم (صبياء كوك ألب) الذي يُعرف بألب الروحي بقومية التركية، فقد
اقترح قبل قيام الحرب لعنـدية الأولى إقامة دولة مردوخة تُسمى الدولة التركية -

وقد عمل في خدمة الدولة العثمانية في القدس، وهو الذي كوّن (عصبة بولس عربي)
في مارس سنة ١٩٠٥م حكمه العثماني كما دعا إلى عـنـدية دولة الخلافة العربية عند إنشائها
وذلك بـردمه مـنـفـس واحد وحية في الحجاز، وأخرى رسمية في أي مكان (نظر محمد
حرب، السلطان عبد الحميد، ص ٢٣٩) عبد العزيز الشناوي ٣ ١٢٣٣ ١٢٣٨

(١) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٢٣٩

(٢) عبد العزيز الشناوي: ٣/١٢٣٧.

ومن جانب آخر نشطت في الدولة التشكيلات الماركسية التي كانت تلحاً للسلاح من أجل فرص أفكارها، وقام بمواجهة هؤلاء (ألب أرسلان توركش) رعيم حزب الحركة القومية، الذي تبشّر فكرة انتصدي نبتار الشيوعي والعمل على نشر الفكرة قومية التركية ضد الشيوعية^(٢).

تأثير الدول الغربية على القومية التركية والعربية:

وفي معرض الحديث عن القوميات والدول لاستعمارية، والتحرر من سيطرة الدولة، كانت الآراء تؤكد أن اللجان الوطنية الانفصالية لأرمينية، والكردية، ولألبانية، ولبلغارية، والعربية، واليمنية، كنقطة قوة كبرى وكان للعرب ثلاث لجان في أوروبا وأمريكا، وجمعيات في مصر، وجمعيات سرية في المدن الرئيسة في سوريا وبلاد الرافدين، ويتفق هؤلاء على تقييم نشاط مشترك ونهائي.

وقد كن من مصلحة رجال المال الأوربيين الذين يمكنون رأسماً في تركيا؛ ومن مصلحة التجار وأصحاب البنوك الذين تربطهم أعمال في تلك البلاد، أن يشجعوا هذه المشاريع القومية، حيث إنه عند إسقاط السيطرة التركية سوف تفتح آسيا بأكملها على التجارة الدولية. أما توظيف رؤوس أموال التي كن يعطي فائدة (٤٪) تحت السيطرة التركية فسيغطي يوم تحررها منها (٥٠٪) وسوف يحد الأوروبيون والأمريكيون محلاً أكثر بفعلاً في حالة تحليل أمم كبيرة من سيطرة الأتراك، وسوف يؤدي إلى فتح محال واسع لبيع أمم كافة الناس الشرهاء، الذين يريدون العمل^(٣).

في تلك الفترة وُجّهت الاتهامات إلى العرب، واستبعد كثير منهم، حتى

(١) زين نور الدين، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٢) محمد حرب، محمد علي أعجا، ظاهرة التمرد في المجتمع التركي ضد المعاصر، مرجع سابق.

(٣) رفيق شكري، مرجع سابق، ص ١٤٩؛ نقلاً عن حديث لمروري في كتابه (بفظة الأمة العربية)، ص ٢١٨-٢١٩.

إنه لم يبق في وزارة الخارجية تركية سوى موظف عربي واحد، ودئت تبعاً لنظم التتريك الذي بادت به جمعية الاتحاد والترقي، والتي كانت تملك زمام الدولة، على عكس سياسة السلطان عبد الحميد. الذي كان يقرّب إليه الكثير من العرب لمسلمين أمثال (عزيز باشا العبد دمشقي)، و(شبح أبو يهدى الصيدي) وغيرهم..

وبعد تغير نظام الحكم أصبحت الدولة تتأرجح بين الجماعات المتحالفة ولقوميات وشتاقصات التي قدمت عليها سياستهم، من سياسة الاستعمار الأوروبي والصهيوي، وكانت هذه الشاقصات هي سمة العصر اللاحق لسلطان عبد الحميد^(١) وخيمامة عرب السلطان كحليفة للدولة العثمانية وللأمة

(١) انظر رفيع شكري، مرجع سابق، ص ١٥١، ومن التقدير التي جاءت بخصوص علاقته (جمعية الاتحاد والترقي) بالصهيوية ما جاء على صفحات (مجلة سراج) وعلى لسان مراسله الخاص الذي كان يشهد لأحداث التي قصت على آخر محاولة لإعادة الحياة الدستورية في الدولة العثمانية ساحة الانقلاب الذي قاده أتاتورك، حيث ذكر أن من أسماء الوزراء الذين تمّ تعينهم في وزارة محمود شوكت، وهي على النحو التالي (سراج) أو (ماريا أفندي) بظرف الدفعة (أي وزير الأشغال) وكان رئيس تحرير (حول نورك) (تركيا الفتاة) ومرفقاً لم يكتب لها من قبل جمعية و(حول نورك) (حريصة صهيوية) (سليم مارنيح) بظرف التجارة والزراعة، وتقول وحده بظرف العربية به بعد تعيين مارنيح على عشا قطاع لاحتاجي فعدد بموس اليهود في الدولة لا يعدل عشر معشار بموس العرب ومع ذلك فإنّ لهم في وزارة الاتحادية عضوين، وليس بعرب، وهم أكثر من نصف مملكة عضواً واحد في الوزارة، وقد استقرّ سوريون تعيينه في الوزارة عثمانية دون أن يكون للعرب وزيراً واحد في الدولة (د. يونس سب. ر. ف. سليم مرناسح، الأهرام، ١٤ ٥ ١٩٩٨ م) معوث برمير الإسرائيلي سابقاً ومفوض لجمعية الصهيونية، أما النوري الشنت الذي وصف بأنه صهيوي فهو (جاويدان) وزير المالية وقد أدخل هؤلاء وزراء أعداداً كبيرة من يهود، وكانوا هم مروجي أشغالهم وأعمالهم أكثر منهم موظفين عثمانيين، وكلّ المقروص من التي قرصها اليهود في الاتحادية كانت بواسطة هؤلاء الموظفين الإسرائيليين (حريصة الأهرام المصرية، ١٤ ٥ ١٩٩٨ م) ويحذر بأنّ نحن المعارضة التي قبلها سلطان عبد الحميد من قبل لليهود فقد ظهرت في نشاط مستشرقين اليهود في أوروبا عن طريق كتاباتهم وشرائهم، وقد سرر موقفهم في إحياء فكرة القومية الطورانية، وكان من أبرز هؤلاء الذين تنو هذه =

الإسلامية على أيدي (الاتحاد و لتربي) ومحركهم سواء اليهود أو الاستعمار الأوروبي، أصبح الشباب في الدولة ضحية المذهب الثقافية العربية.

ومن أبرز اليهود المفكرين في الخارج اليهودي الفرنسي (إميل دور كايم) صاحب المذهب الاجتماعي و القومى، والذي ترك أثراً في فكر رائد القومية التركية وفيلسوفها (محمد ضياء كوك ألب).

وفي عامي ١٩١٢م، ١٩١٣م أصدرت بعض الصحف اليهودية في سلايك قدماً موحهاً إلى الحركة الصهيونية حيث دعت اليهود إلى الاندماج في الإمبراطورية العثمانية ومن أهم هذه لصحف صحيفة (هاأحدوت) (الوحدة)، وكان من أبرز الشخصيات التي ترعمت هذه الحركة (دينيدس غوريون) و(أبراهام بن تسيهي) كما تم تشكيل جماعة من المتطوعين اليهود للانتحاق بالحيش التركي، قُدِّر عدددهم أربعين فرداً، إلا أن هذا الموقف لم يعبر من موقف السلطات العثمانية تجاه الصهيونية^(١).

في عام ١٩١٣م ارتدأت عمليات شراء الأراضي في فلسطين^(٢) واستغرقت مرحلة حكمه الاتحاديين الأعوام من ١٩٠٩م حتى عام ١٩١٨م، في هذا الوقت تم فتح الأبواب أمام الصهيونية لدخول فلسطين، وصهرت ندعوة لتتريك البلاد، ولأحد بكل ما هو عربي، وقد أعلن (الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام) الذي أخرجوه من تركيا، وأقام بمصر، قوله في هذه المناسبة: «يخي أخاف أن تسعد بلاد تركيا وترقى بهذه البلاد» حديثه اللادينية رقيقاً ديبوياً - وإن كان ذلك في غاية

المكرة (الأملي دابندر) و(ليون كاهون) و(أميري) وكروا من مؤيدي (جمعية الاتحاد والترقي) وكان عامري مستشاراً للسultan يعمل حاسوباً بريطانيا، وكان السultan عبد الحميد على علم بحقيقته.

(١) صموئيل إيتنجر، مرجع سابق، ص ٢٢٢-٢٢٣.

(٢) رر حورحي زيدان فلسطين، ونشر عدد من المقالات من خلال مشاهدات هناك جاء فيها أن اليهود بدأوا جهودهم في تسيخ الأراضي في فلسطين بكل وسيلة ممكنة بمساعدة جمعية الصهيونية، وأن غوريون كان معروفاً بتسيخ في صيف عام ١٩١٣م وقد احتج أعيان نوطيين على الحكومة لما فعلهم عزمهم على بيعه لبعض الأحاب أو اليهود، فتوقفت الحكومة عن بيعه مؤقتاً.

البعد والاستحالة - فيفتقر بها الحسَنون، الذين قلَّما سَلِمُوا من أن يعصوا بها وهي توغل في سبيل الإفلاس»^(١).

وفي عام ١٩١٣م أَيْضاً تَحَوَّلت الصَّهْيَوِيَّةُ بِاتِّفَاقٍ مَعَ قَادَةِ الْأَنْتَرَاكِ لِاتِّحَادِيِّينَ بَرِيعِ الْقِيَادَةِ عَنْ نَهْجَةِ الْيَهُودِيَّةِ إِلَى فِلَسْطِينَ، وَالسَّمَحَ لَهُمْ بِامْتِلَاكِ الْأَرْضِ^(٢).

وفي سبيل مواجهة هذا الأمر تأسست في فلسطين مؤسساتٌ وصيةٌ وخيريةٌ في القدس، بَعَرَصَ مَقَاوِمَ الْمَدِ الصَّهْيَوِيِّ فِي فِلَسْطِينَ، تَدْعُو إِلَى مَسَاعِدَةِ الصَّاعِدَاتِ لُوطِيَّةٍ، وَبِشَرِّ اتِّعَابِهِ مِنْ أَحْلَى مَوَاحِجَةٍ، لِأَحْضَرِ الَّتِي تَهْدُدُ لِدَوْلَةَ، وَمِنْ هَذِهِ الْمَوْسُوسَاتِ (الْجَمْعِيَّةُ الْخَيْرِيَّةُ الْإِسْلَامِيَّةُ)، (جَمْعِيَّةُ الْإِحْيَاءِ وَالْعَوَافِ)، (شُرْكَةُ الْاِقْتِصَادِ لِلْفِلَسْطِينِيِّينَ الْعَرَبِيِّينَ) وَ(شُرْكَةُ التَّجَارَةِ لُوطِيَّةُ الْاِقْتِصَادِيَّةِ) كَمَا قَامَ الطَّلَبَةُ لِلْفِلَسْطِينِيِّينَ بِتَأْسِيسِ (جَمْعِيَّةِ مَقَاوِمِ الصَّهْيَوِيَّةِ) فِي لَأَرْهَرِ شَرِيفٍ، وَفِي بَيْرُوتِ أَسَّسَ طَبِيبَةٌ بَيْتَ (جَمْعِيَّةِ الشَّيْخَةِ الْبَانِيَّةِ) وَفِي حَيْدَ تَأَسَّسَتْ (جَمْعِيَّةُ الْمُسْتَدَى الْأَدَبِيِّ) أَمَّا سَمَاءُ الْفِلَسْطِينِيَّاتِ فَقَدْ أُنْشِئَتْ (جَمْعِيَّةُ الْإِحْسَانِ بَعَامِ) وَ(جَمْعِيَّةُ يَقِظَةُ الْفَتَاةِ الْعَرَبِيَّةِ)^(٣).

وفي عام ١٩١٤م قَامَ السَّرِيطَانِيُّونَ بِتَوْقِيعِ تَعَاقُفِ الْخُطِّ الْأَحْمَرِ مَعَ وَزِيرِ الْمَالِيَّةِ الْعُثْمَانِيِّ الْمُرْتَضَى الْبَلَدَوِيَّةِ^(٤) فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَيْضاً قَامَتْ لِحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى بَيْنَ أَلْمَانِيَا وَالْمَسَدِ وَالْمَحَرِّ مِنْ جِهَةٍ، وَبِخِلْفَتِهِ وَفَرِيقِ وَرُوسَا مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَانْضَمَّتْ تَرْكِيَا إِلَى جَانِبِ الْأَلْمَانِ، وَانْتَهَتْ الْحَرْبُ بِهَرِيقَةِ أَلْمَانِيَا وَتَرْكِيَا عَامَ ١٩١٨م، وَنَحْطَمَتْ لِدَوْلَةٌ، وَتَقَسَّمَتْ مِنَ الدُّوَلِ الْعَظِيمِ، وَهَرَبَ كُلُّ مَنْ (حَمَالٍ) وَ(أَبْرٍ) وَ(صَعَتٍ) رُفُوسَ مَسْئُومِيَّةٍ فِي الدُّوَلَةِ، وَانْتَهَى فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ دَوْرُ مَسْئُومِيَّةِ سَلَابِيكِ الْأَلْمَانِ، لِيُحَلَّ مَكَانَهُمْ دَوْرُ مَسْئُومِيَّةِ الْإِنْجِلِيزِ، حَيْثُ

(١) مُحَمَّدُ الْخَيْرِ عَبْدِ الْقَادِرِ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ص ١٩٢.

(٢) الْمَرْجِعُ السَّابِقُ، ص ٩٧.

(٣) أَنْطَرُوفِيكُ شَاكِرٌ، ص ١٧٨.

(٤) مُحَمَّدُ سَرْحَانٌ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ص ٩٦.

تألفت في ذلك الوقت حكومة برئاسة (توفيق رشا) لذي كان على صلة وثيقة بالإنجليز^(١).

في هذه الأثناء تم عقد اتفاق في بطرسبرج بين روسيا وبريطانيا وفرنسا من أجل تقسيم الأراضي العثمانية، وبمقتضاه حصلت روسيا على أرضروم وطرابزون ورومن وبتليس، واستولت فرنسا على سوريا وتشمل الموصل وحلب ودمشق وحمص وحماء، واستولت إنجلترا على أرض ما بين النهرين بما في ذلك البصرة على الخليج العربي، إلى جانب حيفا وعكا على البحر المتوسط^(٢).

وفي عام ١٩١٩م احتلت اليونان إزمير طبقاً لمؤامرة التي تمت بين (لويد جورج) لماسوني لصهيوني، الذي أصدرت حكومته وعد بلفور و(بيشيريلوس) رئيس وزراء اليونان^(٣).

وفي عام ١٩٢٢م دعا الحلفاء حكومة أنقرة لمؤقتة إلى عقد (مؤتمر لوزان) فتنة إرسال وفد من قبل الحكومة على رأسه عصمت بيبو، ومعه حاجام اليهود (حاييم ناحوم) الذي فتح لليهود باب الهجرة إلى تركيا، يقيموا بالقرب من فلسطين، وقد تفاوض هذا الوفد مع (المورد كيررون) وزير خارجية بريطانيا وممثل الحلفاء في شروط الصلح، في ذلك الوقت أعاد (كيررون) «إنه إذا كانت هذه هي الصهيونية فلماذا لا نكون جميعاً صهاينة»^(٤).

وفي هذا المؤتمر أظهر اليهود الأتراك انتماءً لتركيا، ففي الوقت الذي منحت فيه (لوزان) الأقليات حق تعلم لغتهم الخاصة أصدر اليهود الأتراك على تعلم التركية، في حين فصل الألمان واليونان تعلم لغتهم الخاصة^(٥).

* * *

(١) محمود ثابت، الشاذلي، مرجع سابق، ٢٠٧-٢١٠.

(٢) اعظم محمد أبس، الدولة العثمانية والشرق العربي، (١٥١٤-١٩١٤م)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٢٨٧.

(٣) محمود ثابت الشاذلي، المسألة الشرقية، ص ٢١٥.

(٤) المرجع السابق، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٥) محمد نور الدين، شؤون تركية، عدد (١١)، ص ٣٤. سنة ١٩٩٤م.

الفصل الثاني

دور اليهود المحلي العثماني والدولي العالمي في فلسطين

● أولاً: دور اليهود المحلي العثماني:

اتصال اليهود بالبلاط السلطاني:

في ١٤/٢/١٨٩٦م قدم هرتزل^(١) مشر كتب (الدولة اليهودية) حيث ثار فيه قضية الاضطهاد والتشرد الذي يلاقيه ايهود، ودعى إلى عقد المؤتمر الصهيوي الأول في مدينة (بزل) سويسرا عام ١٨٩٧م وقد قوبل كسبه بسبق من محتف الدوثر، إذ وُصفت أفكاره عن الصهيونية بالسطحية، ووصف بأنه يحفل اليهودية

(١) هرتزل هو صحفي نمساوي، كتب وهو في باريس سنة ١٨٩٥م كتاباً في استعمار اليهود سماه (الوطن الإسرائيلي) ثم برغم أنه يستهص به الهمم، أو يستثير اعتراضه، بل قال إنه كسبه لنفسه، لإيقاف بعض أصدقائه على آرائه. ولكن كتب ما لبت أن يصح في حيب بالألمانية، حتى نقل إلى الفرنسية والإنجليزية والعبرانية، وأعيد طبعه مرراً، وراح رواجاً عظيماً، وحرك الهمم فوق ما كان يتوقع الناس منه، وقد عارضه كثرون، لكن المحاري الاجتماعية اقتضت ظهور ثمرته، لأن فكرة استعمار اليهود لفلسطين كانت قد نضجت، واستعدت لها لأدهار، وثافت إليها القوم، والعلامة ز. هرتزل في ذلك الكتاب «أن أعداء الساميين أحذون في الأردن، ولا يستطيع اليهود مقومتهم بنشتت شملهم في الأرض، فهم في حاجة إلى الاجتماع في وطن حصص بهم» فاقترح إنشاء شركة يهودية قصادية رأسمالها (٥٠٠.٠٠٠.٠٠٠) حية إسرائيلي، مركزها سدر، وأن تتألف جمعية سياسية يهودية تدثر أعمال هذه الشركة، وتشر عليها بما يسعى عمله، واقترح للقسم بذلك اتباع فلسطين أو الأرحنتين، على أن يستقل إليها ليهود تنقلأ منتظماً ثم عدل هرتزل رأيه هذا فحصر طلبة باستعمار فلسطين دون سواها، لعلهم أن الناس لا يساقون بمش شعائر الدينية، واليهود هجرو فلسطين وقومهم في هيكمل سليمان (رشيد رضا، وقائع وأخبار الدولة العثمانية، مجلة نمبر، ص ٣٨٧-٣٨٨)

وآدابها وثقافتها، كما أنه وُصِف بأنه يحبل حدود الحركة الصهيونية التي سبقت
دعوته^(١).

وأول من أخذ بآراء هرتزل كانت (جمعية اليهود لمساواة) وكان ذلك عام
١٨٩٦م فقد وقَّع الآلاف على خطاب يطالبون فيه بتأسيس جمعية يهودية في لندن.
كان معظمهم من الشبان المتشورين، وقد عارض حاحمات يهود هذه الدعوة
الصهيونية في بادئ الأمر، إذ اعتبروها من آلات «كثير»^(٢)

وفي عام ١٨٩٦م قُدِّر عدد سكان فلسطين بـ (٤٥٦.٠٠٠) نسمة، منهم
حوالي (٦٠.٠٠٠) يهودي^(٣) وقد اتَّع هرتزل أساليب عديدة من أجل إقناع
الحكومة العثمانية بتحقيق أهدافه، من هذه الوسائل

(١) ورد في كتاب «الدولة اليهودية» الذي نشره تيودور هرتزل بخصوص ضرورة استيطان
ليهود فلسطين «فلنسمح لنا الدولة العثمانية بسيادة على جزء من الأرض يكفي ثلاثة
مطالب ائوذية اشترعية، وستتولَّى نحن الباقي» وذلك عن طريق «مجمع اليهود نادي
سيصع مشروعاً عملياً وطرقاً سياسية. وعن طريق الشركة اليهودية، التي مسَّك كلُّ
شيء. وسيكون لشركة اليهودية مهمات كبيرة. وهما تصفية ثروات اليهود في الدول
التي ستركبها، وتنظيم التجارة في الهند الجديدة» ويشرح هرتزل وجهة نظره في
استعمار فلسطين بمقارنة مذهبه بقول: «الفرض مثلاً أننا اضطررنا إلى تطهير بلد من
لحيوانات الموحشة. فلا يحب أن يفعل ذلك بطريقة شيئناهم لأوروبيين في القرن
لخامس عشر. فلا يسمى أن يحمل بحرية والرمح، ويخرج فردى بحثاً عن الدسة، بل
يحب أن تشكّل جماعة صبر متحممة عظيمة. ويحصر الحيوانات كلها معاً، ثم ينقي في
وسطها دسة» ويصف هرتزل قنلاً: «ومن ناحية أخرى فإنَّ (فلسطين) هي وطناً
النرويجي الذي لا يسى. مجرد اسمها سيكون عاملاً مهماً جداً شديد الجدلية ولو
أعطانا صاحب التجارة بسندس فلسطين فوسا يدور سعة تدبير مائة تركيا تدبيراً
كاملًا وستشكّل عندئذ حرة من حائط دواعي لأوروبا وآسيا مركز المدينة صد البرية
ويمكن أن توضع الأماكن المسيحية المقدسة تحت نوع من السادة الدوية خارج لحدوده
وهنا يتيح هرتزل لنفسه أن يقول سوء أنه بمجرد أن بدأ في تنفيذ لمشروع، فإنَّ
لمعاداة لسامية ستتوقف فوراً، وفي كل مكان» (دير موند شتيرت، تيودور هرتزل،
مرجع سابق، ص ٢٥٨-٢٥٩).

(٢) انظر رشيد رضا، المنار، م ١٧: ٣٨٨/٥.

(٣) انظر خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ١٠.

١- إغراء السلطان بحل مشاكل الدولة الاقتصادية:

في عام ١٨٩٦م حاول هرتزل زعيم الحركة الصهيونية اتحاد المال وسيعة للضغط على السلطان العثماني من أجل السماح بإنشاء دولة لليهود في فلسطين، مدّعياً أنها دعوة إسلامية لا يعني من وراءها أيّ صبرٍ بالدولة، بل على عكس فقد اعتبرها دعوة لإنقاذ دولة من ديونها، وتسليد هذه الديون في مقابل السماح بهجرة اليهود إليها، وفي سبيل الوصول إلى هذا الغرض قدم هرتزل بإجراء حوار مع السلطان عبد الحميد حيث أعلن: «إنّ نحنُ حصلنا على فلسطين، سندفعُ تركيا كثيراً، وسنقدّم عطايا كثيرة لمن يتوسط لنا، مقابل هذا نحن مستعدّون أن نسوّي أوضاع تركيا المالية - سناحد الأرصدي التي يمتلكها السلطان ضمن لقانون المدني، مع أنه ربما لم يكن هناك فرق بين السلطة الملكية والامتلاك الخاصة»^(١).

وعلى أثر هذه المحاولات قام هرتزل بزيارة إسطنبول، وحاول لقاء بن الصدر الأعظم لترتيب مقابلة مع وليه بشأن احتلال فلسطين، إلا أنّ الصدر الأعظم أحاطهم إنّ في هذا إساءة لمشاعر المسلمين^(٢).

ثم حاول هرتزل مقابلة وزير الخارجية إلا أنها جاءت بائسة، ثم حاول مرة أخرى عن طريق صديقه (بيونسكي) وكان صديقاً للسلطان عبد الحميد أن يتقلّ له رعة هرتزل فدارت محادثة بين السلطان وبيونسكي اقترح فيها السلطان عبد الحميد بعض الأمور حول استيطان لليهود تركرت فيها

أ- منح اليهود حرية الإقامة و استيطان لأراضي في الأناضول والعراق وسوريا نظير مليون ومئتمئة ألف حيه إسرائيلي، لكن هرتزل رفض هذا الاقتراح.

ب- استيطان اليهود في أفريقيا الشرقية، والتي سميت بمشروع أوغندا

(١) أحمد نوري عجمي، يهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١١٦

(٢) المرجع السابق نفسه، أورخان محمد علي، مرجع سابق، ص ٢٥١ ص ١١٨

وقد تردّد هرتزل في بداية الأمر في قبول هذا المشروع، إلا أنه عاد وقبّله، ويعزى السبب في ذلك إلى أن الحركة الصهيونية أرادت ممارسة الضغط الدبلوماسي على الدولة العثمانية عن طريق هذا المشروع، وإنّ ذلك يعتبر اعترافاً ضمياً من قبل بريطانيا بالحركة الصهيونية، لأنّ بريطانيا كست طرفاً في هذا الاقتراح، ومع ذلك فإنّ هذه الاقتراحات لم تعبّر عن المحفظات الصهيونية بشأن استعمار فلسطين حيث يقول هرتزل في هذا الصدد «آمل في تحقيق هدها النهائي، لم تكن في يوم من الأيام أقوى مما هي عليه الآن، وسيقوى نصالي من أجل أرض صهيون، ويعظم ويشتدّ بفصل القوى وظروف الحديدة التي أصبحت في جانبنا»^(١).

وقد أحياه (بيونسكي) إنّ فلسطين هي العهد الأول لليهود، لكنّ السلطان ردّ عليه قائلاً: إنّ فلسطين لا تعتبر مهذاً لليهود فقط، وإنما هي مهذاً لكافة الأديان^(٢).

وأعلن له السلطان أيضاً، وهو صديقه الندي وشطه هرتزل للتداول مع لسلطان. إذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي، فصحة أن لا يسير أحد

(١) أحمد سوسة، مرجع سابق، ص ٢٥٨.

(٢) محمد حرب، لسلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، مرجع سابق، ص ٨٩؛ وأورخان محمد عبي، السلطان عبد الحميد الثاني، ويعقّب نظام الدين تبه ديمي أو عبي بالتعميق على هذه المسألة قائلاً: إنّ تصرف السلطان عبد الحميد تجاه هرتزل بهذا الشكل كان - كما قلنا - من شأنه أن يدفع هرتزل واليهود إلى تدعيم أعداء السلطان، وأعداء السلطان ينمشون في الآتي

١ - تأييد الأرمس، وتدعيم حركتهم ضد السلطان عبد الحميد

٢ - تأييد الحركة القومية في الشرق لأغصان هذه المصطفة عن الدولة

٣ - تأييد الحركة القومية الكردية التي ظهرت عام ١٨٨٠ م، وبدأت بمحاولة اتحاد (٣٠) عشيرة كردية متنافرة.

٤ - تأييد كلّ حركة استقلال عن الدولة العثمانية.

٥ - تدعيم قوى حركة (الاتحاد والترقي) ودفعها إلى قلب الأوضاع السياسية في الدولة (محمد حرب، سلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٥٥ - ٥٦)

في هذا الأمر لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد، لأنها ليست لي، بل لشعبي، لقد حصل شعبي على هذه الدولة بإقامة الدماء، وقد سذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نعطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا. لقد حاربت كتيبتان من جيشنا في سوريا وفي فلسطين، وقتل رحاب الواحد بعد الآخر في (بلو) pelevne لأن أحداً منهم لم يرض بالاستسلام، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال.

زار هرتزل إستانبول في الفترة من ١٨٩٦م حتى ١٩٠٢م خمس مرات من أجل مقابلة السلطان قبل في أثنائها السلطان مرتين^(١)

عرض هرتزل على السلطان حلولاً لتصفية ديون الدولة، وقد عثر هرتزل عن هذا بقوله: «إذا أعطينا حلالة السلطان فلسطين فيمكن أن يؤمن لك تنظيم المالية لتركيا تماماً، وسنشكل سلسلة لأوروبا هناك قطعة من سور صديا، وسكون الحارس الأمامي للحصنة من البرية، وسنقى كدولة محيدة على صلات مستمرة مع أوروبا كلها، وهي تلتزم بصمان كياننا»^(٢)

وفي هذا المصدد نصح (دميري) صديقه هرتزل بقوله: «إن السلطان سيستقبله، ولكن ليس كصهيوني، وطالب منه أن يكون حذراً جداً في المقابلة، حيث إن السلطان يكره الصهيونية، وأخبره قائلاً: «إياك أن تحدثه عن صهيونية، إنها دنوس سحري القدس مقدسة عند هؤلاء الناس مثل الكعبة»^(٣)

وفي هذه المقابلة قدم هرتزل مشروعه للسلطان عارضاً بقاد الدولة العثمانية من ديونها في مقابل حماية يهود، مع عدم وضع أي معوقات أمام المستوطنات اليهودية المشتتة، مع خصوع المستوطنين يهود لدموطية عثمانية قبل نهجرة، وقد أكد له السلطان عبد الحميد أن اليهود يحطون بتعاطفه معداً «أنا نرى بأن بني قومكم يعيشون في الممالك المحرومة الشهادة بعدالة وروحية وأمن.

(١) أورخان محمد علي، مرجع سابق، ص ٢٤٩.

(٢) محمد سرخان، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٣) أورخان محمد علي، مرجع سابق، ص ٢٥٣.

وأضمن أنكم تعاملون نفسَ المعاملة الحسنة التي يُعامل بها كافة تبعات دول تفريق أو تمييز هل لكم شكية ما، أو هاتك معدنة غير عادلة ولا تعرفها نحن؟^(١)

ورد عليه الحاحم (موسى ليفي) الذي كان بصحة هرتزل. «استعفر الله سيدنا. بفضل ظلّ شهادتكم يعيش بكمنا الروه حاشا، لا توجد شكاية ما، إنا نسترحم فقط جعل قومنا العائش (مشتت) فوق لأرض صاحب وطن في ظل شهادتكم، ليقوموا هلك بفرائض الشكر والنداء لحياة سيدنا عصيم طول بقاء الدنيا»^(٢).

وهي هذه المقابلة أحر هرتزل طلبه باستيطان فلسطين. وكان السلطان عبد الحميد مستمعاً لهرتزل أكثر منه متكئاً حتى يعطي له فرصة إظهار أفكاره ونوويه، وقد اعتقد هرتزل أنه نجح في مهمته، وخرج هرتزل من هذه المقابلة معباً «نضاعي عن السلطان أنه رجلٌ ضعيف وحاد، ولكنه طيب القلب، ولا اعتبره داهية ولا صارماً، بل سجيناً تعيساً، تركت بطاقة طماعة رديئة سيئة السمعة - باسمه - أقبح رجس»^(٣).

وعندما تبين للسلطان عبد الحميد حقيقة شكوكه في أهداف الحركة الصهيونية قام بإرسال بعض أمانة لمر لحصة به في قصره لتولي أمور متصرفية القدس بدلاً من الموظفين الذين كانوا يسعدون اليهود عن طريق الرشوة، فكان أول من أرسده السلطان عبد الحميد (توفيق بك) الذي قام بتنظيم بقوانين شدة قام أيضاً السلطان بتعيين (رؤوف باشا) والياً لقدس. وكان رجلاً ذكياً غير قابل للرشوة، وكان صراعاً معه شديداً، حيث إنه قام بتحميد الشدط الاستيطاني الصهيوني خلال فترة ولايته على القدس، ولا أن سفير الولايات المتحدة (أوسكار شتراوس) وكان يهودي الأصل، استطاع الضغط على السلطات النمساوية من أجل عزل وسي القدس، واستبدله بحراً أقل عداء للصهيونية، وتم استبداله بالصدر الأعظم (رشاد باشا) الذي أبدى محاباة للصهيونية، فقد عرب فلسطين بإرسال

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٨.

شكوى إلى السلطان. وضلوا بإصدار فرمان يقيد منع هجرة اليهود وتحريم استيطانهم وملاكهم للأراضي الفلسطينية^(١)

٢ - محاولات اليهود تشكيك السلطان في رجاله:

كان هرتزل يقوم بحملات ضد المحيطين بالسلطان بعد أن تشكى السلطان فيهم، فكان يقول: إن اسم عبد الحميد الثاني رمزاً لمجموعة من أخطأ الحثاء، حرمت البلاد من أمها وسعادتها. ثم أكد أنصؤ وحوود مثل هذه لعصابة من النصوص ولا تعتبر الرشوة التي تبدأ على اللواة سحابة لفصير، ولا تنهي إلا على بعد قدم واحدة من العرش أسوأ ما في الأمر. فكل شيء مباح للتجارة فيه، وكل موظف نصر. فليست هذه العصابة إلا مجموعة من الأفاعي السامة، أقلها خطراً رأس منقوح. لذي تركت باسمه كل تحطية، والذي تسد إلى شخصه كافة الكناثر. فأصبح الاعتقاد أن ذلك الذي يحسن على العرش هو المحرم العريق في حس أن المحرمين الحقيقيين لم يكونوا سوى هؤلاء الذين يحيطون به^(٢)

وكان رد سلطان عبد الحميد على هرتزل شديداً وحرماً وحاداً رده. «لن يستطيع رئيس الصهيونية (هرتزل) أن يقنعني بأفكاره، وقد يكون قوله «استحل المشكلة اليهودية يوم يقوى فيه يهودي» على قيادة محرثة سده» صحيحاً في رأيه، إنه يسعى لتأمين أرض لإخوانه اليهود، لكنه يسن أن ذلك ليس كقبا لحل جميع المشاكل. لن يكتفي الصهاينة بممارسة الأعمال التجارية في فلسطين، بل يريدون أموراً مثل تشكيك حكومة، وانتخاب ممثلي، إنني أدرك أصماهم جيداً، لكن اليهود سطحيون في صميمهم أني سأقبل بمحاولاتهم، وكما أنني أقدر في رعاياي من اليهود خدمتهم لدى الباب العالي، فإني أعادي أميهم وأصمهم في فلسطين «لماذا ترك القدس إياها أرضاً في كل وقت وفي كل زمان، وستبقى كذلك، فهي من مدن المقدسة، وتقع في أرض إسلامية، لا بد أن تظل القدس لنا»^(٣)

(١) رفيق شاكرا، مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، مذكراتي لسياسية، مرجع سابق، ص ٣٤-٣٥.

(٣) اليهود والدولة العثمانية، الدكتور أحمد نوري السعيد، ص ١٤٨-١٤٩، في ذلك =

ومن ناحية أخرى قدمت الدولة العثمانية اقتراحاً لاستيطان اليهود في ليبيا، وأبدت رغبتها في أنه في حالة الموافقة من قبل اليهود باستيطان منطقة في ليبيا، فإن منصفة (سرت) ليبيا هي الملائمة لهم نظراً لموقعها بهم لما فيها من ثروات حيوانية ورعوية وتروية أيضاً، سوف نقوم بتقديم تسهيلات والامتيازات التي تضمن لهم إقامتهم هناك، لكن هذا المشروع لم يدخل حيز التنفيذ بسبب انقضاء حكم السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩م^(١).

٣ - اليهود يعرضون على السلطان العثماني مساعدته في قضية الأرمن مقابل استيطانهم فلسطين:

تعرضت الدولة العثمانية لعمليات إرهابية قام بها الأرمن من أجل التحرر عن الدولة متحدّين السلطان العثماني والحكومة العثمانية، فقدموا في آب - أغسطس عام ١٨٩٦م بهجوم على فرع (السك المركزي العثماني) بإستاسول، وفرضوا حصاراً عليه، لم يتدخل سفير لدول لأجنبية، وحصولهم على الأمان من الباب العالي بضمان السفراء، حيث قاموا بمعدرة إستاسول بحماية السفراء على ساحة فرنسية إلى خارج البلاد، وبعد ذلك قام بعض الأرمن بمهاجمة مبنى الباب العالي، وقتلوا مكتب الصدر الأعظم، وهددوا بقتله، وأثاروا الدعر في شوارع العامة، وثقوا قبائل على المحلات العامة، ثم انتهروا فرصة ذهاب السلطان للصلاة في جامع بدير يوم الجمعة، وقاموا بإلقاء قبلة عليه نحا منها بأعجوبة، بينما بقي عشرات من حراس السلطان والشرطة مصرعهم بلع

= الوقت وبعد فشل محاولة هربيل مع السلطان صلب (هرتزل) من (بولسكي) المتوسط أدى السلطان من أجل إعطائه سماحاً بعودته إلى بلاده، فبثت بذلك خطوته عند السلطان (ديزمووند ستيوارت: تيودور هرتزل، ص ٢٨٤).

(١) أحمد نوري المعيني، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٥٠، كانت منطقة (سرت) في عهد الرومان ملجأ لليهود الذين فرّوا إليها نتيجة مذبحة ولاضطرابات التي شهدوها في العهد الروماني، وكانت جب في أواخر القرن (١٩) وبداية القرن (٢٠) من أملاك الدولة العثمانية، وتركز السلطة في مدينة طرابلس (انظر أحمد نوري المعيني، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٥٠).

وفي عام ١٨٩٦م عقد في فيينا مؤتمر دعت إليه (جمعية الاتحاد والترقي) اشترك فيه الأرمن واليونان والعرب واليهود وبعض الأفقيات وقد تقرر في هذا المؤتمر جمع السلطان وقب نظام الحكم^(١)

محاولات اليهود شراء أراض في فلسطين

وفي عام ١٩٠١م تأسس الصندوق القومي اليهودي بهدف شراء أراض في فلسطين. وكان هذا العام هو الذي تعقد خلاله المؤتمر الصهيوني الخامس في دن بسويسرة، وكانت أهم مقرراته بشء 'صندوق القومي اليهودي لشراء الأراضي في فلسطين، وحمل أراضيها ملكية جماعية، وليست فردية، وتمكن

لثاني، مذكراتي السياسية، مرجع سابق، ص ٢٧ - ٢٨، يقول السلطان أيضاً إن سفير ألمانيا 'بارون (دوسدور مايلسكيين) (Dusdormavelskii) أقص إلى صحفي في باريس بيانات مفصلة حول حوادث الأرمن. فقام الصحفي وكنت نعليلاً مطولاً على هذا الموضوع. إذا كان الكلام صحيحاً في بسبه إلى السفير فحين محققون في أن يعلن امتناعه منه لكي لا أعطي لسنه أية احتمال، به يثمن فيه 'نقصاء على الأرمن، ويحمل 'البلاد طولاً وعرضاً حرية حق من مدس، ويعلى على 'ملاأب على شدة أزمة اقتصادية خطيرة جداً، وأن 'سريوس سبأ كنهه بقباه لإصلاحات، ولن يكون في عداد الأوروبيين يوماً، ويهدى 'أمور أخرى كثيرة. وما دام سفير الألماني أجاز نفسه أن يتكلم في مثل هذه الفضة بحدس، فرب يقول حسناً، ولكن كان عليه أن يمنع عن ذكر اجتماعه الخاص بي، و'بذنه صنائع معينة. فهذا 'صرف عرُ سوتي في قاموس السياسة، ومدير 'تقائيد يمنع في هذا 'محار، ومحمل نقون إن المشكلة لأرمية هي من صمم شؤون 'مدحمة، وإن قام هذا 'مديده ماسي 'يكشف عن أفكاره الشخصية للأرمن العام دون أمر من حكومته هو 'تدبر سيق على 'فن تقدير' (المرجع السابق، ص ٥١ - ٥٢)

(١) يقول السلطان عبد الحميد في (مذكراته) 'إن سب دفع بعض الدول الكبرى عن الأرمن 'ناع من حشيتهم على امتيازاتهم من أن 'سحب يوماً، إن 'فرص وصاية الأخاب عينا أمر 'مباب لكر متنا 'تحلص الياديون من هذا 'داه قبل سوب عدة، أن إذا كان الأمر مع 'حسن عثمانيين، فليس لـ هذا الحق. إن 'تظرف لدول الكبرى في لإجفاف محقوقه قد تحور جميع الحدود والمقاييس (السلطان عبد الحميد لثاني، مذكراتي السياسية، مرجع سابق، ص ٧٠).

انصندوق من شراء حوالي (١٥) ألف دوسم من الأراضي في يافا ولحمين وككن هدفُ نصندوق القومي اليهودي هو استعادة الأراضي المقدسة من لدولة عثمانية بما فيها فلسطين وسوريا وشبه جزيرة سيناء، واعتبره مصادق شرعية لليهود.

ثم دعا السلطان العثماني هرتزل مرة أخرى عام ١٩٠٢م إلى محادثات جديدة عرض عليه فيها حسمًا ورد على سنان هرتزل «اعرض السند استعماراً على أرض ممسوحة من قبل الحكومة في آسيا الصغرى، وودي يراعيين باستثناء فلسطين، كما طالت بتأسيس مؤسسات تفي بأغراض كل مشاريع التنمية مثل البنوك والقروض، وتصويرات التعدين، وما شابه ذلك» وقد توخى عنى أن أرفض ذلك»^(١).

وبعد هذا عرض علم هرتزل أنه قد أحقق في مهمته لدى سلطان عبد الحميد، وعلى الرغم من تأكيدات هرتزل أنه في حالة منح السلطان فلسطين لليهود، فإن اليهود سوف يأخذون على عاتقهم مهمة تسوية الأوضاع المالية لدى الدولة العثمانية، والتي كانت قد أرهاقها الديون، وسحدر وضعها لاقتصادي في العالم^(٢).

وعلى الرغم من إحقاق جهود هرتزل مع السلطان عبد الحميد، إلا أنه كان يؤكد في كتاباته قوله «يجب تملك لأرض بواسطة اليهود بطريقة تدريجية دون ما حاجة إلى استخدام العنف، سحلول أن شجع الفقراء من اسكن لأصبيين على الروح إلى البلدان المجاورة بتأمين أعمال لهم هناك، مع حظر تشجيعهم في بلدنا.

إن الاستيلاء على الأرض سينم بواسطة عملاء حريين لشركة يهودية، التي تتولى بعد ذلك بيع الأرض لليهود علاوة على ذلك تقوم الشركة اليهودية

(١) أحمد نوري العيني، يهود وندوة عثمانية، مرجع سابق، ص ١٤٢ ومحمد حرب، لسلطان عبد الحميد، ص ١٦ و١٧، السلطان عبد الحميد، ص ٢٤٨ - ٢٥٧

(٢) أحمد نوري العيني، اليهود وندوة عثمانية، ص ١٤٣

بالإشراف على التجارة في بيع العقارات وشراؤها، على أن يقتصر بيعها على اليهود وحدهم»^(١).

وتمت عمليات بيع كثيرة للأراضي من جانب عائلة (سرسق) السنابية، وقد أثرت عمليات بيع هذه على الملاحين الفلسطينيين الذين حنّخوا عليها، وقامت ردود فعل فلسطينية عن طريق المهجوم على المستوطنات اليهودية من ناحية، وتقديم عرض الاحتجاج للمستوطن من ناحية أخرى^(٢).

دور الإقطاع في تسهيل شراء اليهود لأراضي فلسطين، وتصدي العثمانيين لهم:

قام عددٌ من الإقطاعيين العرب بتسهيل مهمة بيع الأراضي لليهود في فلسطين أمثال (مصطفى باشا) و(فؤاد سعد) وعلى رأسهم الإقطاعي السامي (إلياس سرسق) الذي تفوّضت معه الشركات الصهيونية في حزيران - يونيو ١٩٠٣م بشراء مقاطعة مرج بن عامر (وادي حوريل) وكنت من أهم المناطق حصونة في فلسطين، وقد صنّب (إلياس سرسق) مبعاً كبيراً من المال مقابل بيع هذه المقاطعة، وقد عبّر هرتزل عن هذا بقوله: «إن السيد سرسق يطلب (٢٥) فريك كندوسم الواحد، وتقاريرنا تقول إنه لا يساوي أكثر من (١٥ - ١٨) فريك لكن السماسرة اليهود قاموا بشراؤه بنفس السعر الذي حدّده سرسق من قبل» وقد عارض الفلسطينيون عائلة سرسق بسبب بيعها مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية ذات الحصونة العالية، مما أدى إلى إحراج مررعين لعرب منها^(٣) وفي سبيل مقاومة العرب لليهود من أجل منعهم شراء هذه الأراضي، فقد قاموا بالدعوة إلى تأسيس معهدين عميين وطنيين لإدارة الأعمال الصهيونية في البلاد، كما قام الفلسطينيون بتدمير مستعمرة (بيار نعيم) - حبر لله - وكنت مستعمرة يهودية في عرة تأسست

(١) أحمد نوري العظمي، اليهود والندوة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٤٧، وديرموند

ستيوارت، قيود هرتزل، مرجع سابق، ص ٢٨٠.

(٢) انظر حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤٥.

عام ١٨٩٥م على مساحة (٤٨٠٠) دونم، وكان عدد سكانها (٦٥٥) نسمة^(١) الأمر الذي أحبر الحكومة على إصدار بيان لوقف عمليات استيطان اليهود في فلسطين.

في ذلك الوقت كان الفلسطينيين يواجهون ثلاث قوى: الصهيونية، والحكومة الانتدابية، والإقطاع. وفي ذلك الوقت أيضاً قامت لصهيونية بنقل أسلحة إلى فلسطين لمواجهة الثورات الفلسطينية، الأمر الذي أدى إلى زيادة التوتر، والاحتجاج من قبل الفلسطينيين في المنطقة، وأُعربوا عن حنقهم بقولهم: «إنه إذا لم تنته لامة العثمانية لكيدهم، وتوقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم فإن الخطر من نفوذهم عظيم وفريد»^(٢).

تمكن المستعمرون اليهود في حيفا من شراء قريني بيت لحم وأم العمد (جوار الناصرة) من العائلات الإقطاعية النسابية، كما تمكنوا من شراء بعض القرى بأسماء مستعارة باعتدروهم رعايا أجانب. وسعى اليهود المهاجرون القادمون من روسيا إلى تأسيس مصانع في حيفا، وكان عدد يهود في ذلك الوقت (٣٠٠٠) يهودي، واستمرت الهجرة في الزيادة عن طريق الأساليب غير القانونية، وعن طريق الرشوة أيضاً^(٣).

وقامت شركة الاستعمار اليهودي بجهود ثقافية لربط اليهود بتاريخهم، فتأسست المدارس لتعليم العبرية إلى جانب التركية والعربية بهدف تشجيع اليهود للهجرة إلى فلسطين^(٤).

محاولات اليهود إنشاء جامعة عبرية في فلسطين:

حاولت الصهيونية إنشاء جامعة عبرية في بيت المقدس، وكان الهدف من ورائها هو التسلل إلى فلسطين عن طريق اعزو الثقافة لها، وكان هرتزل قد تقدم

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٤) المرجع السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

يطلب إنشاء الجامعة العربية إلى السلطان عبد الحميد في أيار - مايو عام ١٩٠٢م بغرض فتح أبوابها للطلبة العثمانيين بدلاً من إعادتهم إلى الجامعات لأوروبية، وتعرضهم لأخطار الآراء الثورية التي يطالبون بتطبيقها في البلاد لدى عودتهم من أوروبا بالإضافة إلى تعرضهم للاستبعاد عن التقاليد الإسلامية^(١)

كان ردُّ السلطان على هذه المقترحات بقوله: «لدي عددٌ كبيرٌ من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العصر العربي متفوقاً، عيب أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين، وإلا فإنَّ اليهود إذا استوطِنوا أرضاً تملكوا كفاية مقدَّرتها خلال وقتٍ قصير، وقد يكون قد حكمت على حواسنا في حين بسموت المحتمل»^(٢)

وكان هدف هرتزل من هذه المحاولة هو استدراج السلطان للحصول على صناديق شرعية لإقامة مركز ثقافي صهيوي في فلسطين، وعلى الرغم من رفض السلطان لهذا الطلب، إلا أنَّ هذه الجامعة طمَّنت قائمة في فكر الصهيويين حتى قاموا بوضع حجر الأساس لها قبل نهاية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م عندما حصَّعت فلسطين للانتداب البريطاني^(٣)

(١) عبد الحريز شامي، الدولة عثمانية دولة إسلامية مقبرين عنها ٢، ١٩٩٤، جزء ١ في المذكرات التي عرَّضها هرتزل على السلطان بشأن إنشاء جامعة عربية قوله: «إنَّ بعض اليهود يندفعون دوراً هاماً في أنحاء الجامعة في جميع أنحاء العالم، والأشدُّ أنَّهُم يملأون جامعات الهند، كما أنَّ هناك عدداً كبيراً من العلماء والمحاضرين في جميع الحقوق التعيمية لهذا وقت يستطيع أن يقبض جامعة يهودية في موطئ يديهم، ولكن في القدس مثلاً وعدن وغيره يصطرون الطلاب يهوديون إلى بساتين إلى الحراج، بل يسكنون في بلادهم، ويسكنون فيها أفضل تدريب، وهم حاضرون لقوس بلادهم ونقلهم والجامعة اليهودية تقوم بتقديم أفضل ما تقدمه حسن الجامعات ومدارس التدريب المهني ومدارس الأبرار، ولن تقدم مثل هذه المؤسسة إلا ما هو الأفضل وبذلك تقوم بدورها في خدمة العلم والطلاب الشامي ٢، ١٩٩٤، بدلاً عن نص المذكرة في وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، مكتب وثائق فلسطين، جزء ١، القاهرة، ١٩٦٩م، وثيقة رقم ٥١: ١/١٣٩.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، مذكرتي «سياسة» مرجع سابق، ص ٣٤

(٣) عندما حصَّعت فلسطين للانتداب البريطاني عام ١٩١٨م كان عدد اليهود فيها خمس =

وقد قُيِّمَ لاحتمالُ بوضع حجر الأساس لمُعمل إنشاء هذه الجامعة، وتمَّ افتتاحها رسمياً في نيسان - إبريل عام ١٩٢٥ م. وكان على رأس المحاضرين افتتاحها (بلفور).

وقد شجعت الحكومة البريطانية وقتئذٍ ابتدائها على فلسطين على إنشاء هذه الجامعة، مما رفضت وحررت إنشاء جامعة عربية في القدس، ويمكن القول إن الدولة العثمانية قومت محاولات يهود والصهيونية لكن بوسائل، لا أنهم سمح أمام الصعق الأوروبي الذي ارتطفت مصالحه مع مصالح الصهيونية^(١)

وقد عثر الصهاينة عن حفظهم للمستقبلية في لدولة العثمانية بقولهم كان في حل الحكم التركي السابق مرعمين على أن نصت حرية معينة، واحتجوا على صناديق رسمية على شكل ميثاق. أما في صل دولة دستورية فلا حتج إلى حقوق معينة، فالقانون العام كافٍ^(٢).

الجمعية الصهيونية ودورها في استيطان اليهود فلسطين:

من أشهر جمعيات التي كثر لها لإسرايينون وأكرها هي (جمعية صهيونية) التي كانت عايتها "ستعمار أرض فلسطين وعمراها" وكان إنشاء هذه الجمعية عام ١٨٩٦ م الذي عُقد فيه المؤتمر الصهيوني لأول في مدينة سان سويسرا سنة ١٨٩٧ م وكان هربون من أكر دعايتها، وكانت مهمتهم مساعدة إخوانهم ليهود لشبههم من روسيا ورومانيا والأراضي التي اصفندو فيها إلى أرض ماينهم فلسطين وكان عدد المستعمرين إبيها يقرب من مائون شخص،

-
- ألف سنة، بينما كان عدد سكان لغرب (٦٥٠) ألف سنة، فكان ليهود يمثلون سنة (١٠) من عدد سكان لغرب فيها، ويرجع سنة سكان ليهود بقتنة تحت إلى اسبابه هي انها استقطبت عند مجيهم مع اليهود (الغرباشوي ٢ ١٠٠٠)
- (١) انظر عند بغير لشوي، مرجع سابق ٢ ٩٩٥-٩٩٨
- (٢) حبريه وصيه، مرجع سابق، ص ٥٢ جاء على أساس مندوب ملايك في المؤتمر أن تركيا تحدد في يهود ما نقله من مهاجرين جديين أذكاء مساعين و يهود محصور في تركيا ما ينقصهم من أرض كريمة ومساحات واسعة، تعصهم فرصة تطوير إمكانياتهم

كما كن لهذه الجمعية العديد من الصحف في إنجلترا وأمريكا والهند وروسيا، ومن أشهر رؤساء هذه الجمعية في فييت (تيودور هرنرل) وفي فرنسا (ماموريك) وكن لها رئيس في أمريكا، وآخر في روسيا، وأهم فروع هذه الجمعية كانت جمعية (شركة الإنجليزية الفلسطينية) التي جمعت أموالاً لشراء أراضي في فلسطين من أجل تسهيل عملية استيطانهم هناك^(١).

وتأسست عام ١٩٠٢م (شركة الاستعمار الإسرائيلية) التي وهبها الدون (هيرش) مليوني جنيه، وكان من آثار هذه الجمعية هو شراء أراضي في جهات (الحولة) و(طبريا) و(يافا) و(حيفا) وغيرها حيث استوطنها يهود^(٢).

وتأسس في نفس العام أيضاً (بنك أحمو - فلسطين) في لندن، وكن أول فرع له في القدس^(٣). وفي عام ١٩٠٣م، امتدت فروع (بنك أحمو - فلسطين) إلى مدن فلسطين، وكن دوره منذ المستعمرات والشركات والمؤسسات الصهيونية بالأموال والقروض^(٤).

وفي عام ١٩١٠م تأسس (الصندوق القومي اليهودي) الذي يتكون رئيس ماله من التبرعات^(٥).

(١) شهاب مكاربوس، توزيع الإسرائيليين، مرجع سابق، ص ٦٠٩ - ٦١٠.
(٢) يعتر هرنرل عن رأيه بصدد العمل على استيطان فلسطين: «نحن لا نريد أن نذهب إلى فلسطين بأنفسنا حده، ولا نريد أن ندخلها بهرساً، بل نذهب ونحن مبون مستقر فيها، لا نريد أن بدأنا من أعمالنا الاستعمارية في فلسطين قبل الحصول على ترخيص قانوني مدحوق لهم. كما أعلن فيه قائلنا: «نحن مدعوب نحن لأن للحصول على سرعة (اعتراف) من الحكومة التركية، وبأنني هذه سرعة في حل سيادة صاحب الاحتلال العثماني، وسوف نحمل الحكومة لتركيب مدافع لقاء محبة هذه لبرءة» وكن لسلطان عبد الحميد الثاني هو ديث السلطان الذي يقصده هرنرل، وكن السلطان في حاجة شديدة إلى المال في ذلك الوقت، فكن هرنرل يتوقع أن يعمر السلطان بهذا العرض.

(٣) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق: ٩٩٣/٢.

(٤) المرجع السابق نفسه.

(٥) المرجع السابق نفسه.

● ثانياً: دور اليهود العالمي في محاولة حصولهم على فلسطين:

بالإضافة إلى دور اليهود المحلي في الدولة العثمانية لتحقيق أعرضهم كان هناك شكل آخر لمعارضة اليهودية، تمثلت في الحركة اليهودية الصهيونية العالمية التي ترعّمها هرتزل، والذي تحد من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا قوة صعيد على الدولة العثمانية، إلى جانب قيادته اليهودية العثمانية لتدعيم أعداء السلطان عبد الحميد وهم المتمردون الأرمن، والقوميون في الشرق من ناحية، وحركة حرب الأندلس والترقي من ناحية أخرى، والوقوف مع كل حركة انفصالية ضد الدولة العثمانية^(١).

توجّه هرتزل نحو الممولين الأوروبيين وكبار أغنياء اليهود:

في عام ١٨٩٧م بدأت المساعي من أجل إيجاد عمليات لتمويل الصهيونية لامتلاك فلسطين، فقام هرتزل بالاتصال بالمولين الأوروبيين، ومن بينهم الأغنياء اليهود مثل (ج ك بورمانسكي) وكان أغنى رجل في بولونيا، وكان متحمساً للقضية الصهيونية، بالإضافة إلى هداية هرتزل بالاتصال بكبار رؤساء ماليين بمرص إنشاء (البنك اليهودي الاستعماري) وقد أعلن هرتزل عام ١٨٩٨م أن إقامة هذا البنك هو الأمر الذي سيرزى إلى نوحود يجب أن نحققه إما بمساعدة أصحاب الرؤوس الكسرة أو بالرغم عنهم^(٢).

وفي عام ١٩٠٥م حاولت الدول الأوروبية إحصاء مالية الدولة العثمانية إلى مرقعة دولية، وخاصة في الولايات المقدونية الثلاث مانيث وماسنر وكوسوفو لكن السلطان عبد الحميد رفض هذا الإجراء بشدة فقامت البنوك الأوروبية من حاسه بالامتناع عن مساعدة الدولة لتحريضها من ديونها، حيث إن كبار الممولين الأوروبيين أمثال (أورلاندو تويبي وشركه) كانوا يحصعون

(١) محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين، الكسرة، مرجع سابق، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٢) حسار علي حلاق، مرجع سابق، ص ١٣٨، فلاح، يوميات هرتزل، ٢٢-٢٣، ١٨٩٨م، ص ٦١٣ (ث.ع. ص ٩٠).

ليبونات المال اليهودية، وذلك في محاولة لتلصع على الدولة بالموافقة على لمشروع لصهيوي، والسماح بهجرة اليهود دون قيد أو شرط^(١)

محاولات هرتزل الاتصال بالأوساط الدينية في روما:

حاول هرتزل الاتصال بالأوساط الدينية في روما لمؤازرته في مشروعه إلا أنه وجد معارضة من جانب الكاتيكان، الذي أصدر رسالة دورية يحتج فيها - باسم للمسيحية - على مشروع احتلال لليهود للأماكن المقدسة، وكانت فرنسا هي حامية المسيحيين في الشرق في ذلك الوقت^(٢)

محاولات اليهود استغلال التقارب العثماني الألماني للحصول على

تأييد ألمانيا لقضيتهم:

كانت ألمانيا ترى أن الاتجاه إلى الأصول العثماني هو الوسيلة لحل مشكلاتها الاقتصادية، فأخذت ألمانيا تنحى نحو صداقة العالم الإسلامي، وقد بدأ التقارب العثماني الألماني بالميدان الثقافي عام ١٨٩٠م، حيث زار الإمبراطور (عديوم الثاني) إمبراطور ألمانيا إستانبول عام ١٨٩٨م، وقد أكرمه السلطان عبد الحميد إكراماً بالعلم في هذه الزيارة. وكان السلطان عبد الحميد يرى في قيام ألمانيا بإنشاء خطوط سكك حديدية تربط بين ألمانيا والدولة العثمانية وسيلة لحل مشاكل الدولة السياسية والعسكرية، ومن شأنها تدفيع عن أطراف الدولة، وعلى لرغبة من ذلك كان السلطان عبد الحميد يرقب سياسة ألمانيا في الدولة مراقبة شديدة^(٣).

قام هرتزل ومعه وفد صهيوي بمقابلة إمبراطور ألمانيا (عديوم الثاني) الذي كان صديقاً شخصياً لسلطان عبد الحميد الثاني، وطلبوا منه توسط لدى

(١) المرجع السابق، ص ٢٨١.

(٢) المرجع السابق، ص ١٣٩، ملاحظاً عن، يوميات هرتزل، ٤ ٩ ١٨٩٧م، ص ٥٨٩ (ث.ع. ص ٦١).

(٣) محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبر، مرجع سابق، ص ١٤٧-١٥٢.

السلطان من أجل السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، وحاء ردُّ الإمبراطور الألماني محيياً لأمال الصهيونية من حيث إنه ردُّ عليهم بتصريح جاء فيه «إن ألمانيا تؤيد لجهود التي يبذلها اليهود من أجل الهوص بزرعة ومن أجل رفاهية لدولة العثمانية مع إعلان ولأنهم للدونة» وقد اقتصر تصريحه على محار زراعة فقط، وقم هرتزل بمقابلة الإمبراطور الألماني في إستاسون وقت زيارته لها، وحاول قناعه بهجرة يهود مرة أخرى، إلا أن لإمبراطور كان مستمعا أكثر منه متحدثاً، فكان لإمبراطور يفتقر إلى رفض السلطان عروض الهجرة إلى فلسطين، وكان تقدير الإمبراطور الألماني للموقف أنه إذا وقعت ألمانيا بحسب صهيونية فسوف تثير شكوك السلطان صدها. وأعلن الإمبراطور الألماني في النهاية أنه يَبقي على صداقة السلطان لألمانيا، كما أعلن حرصه الشديد على تدعيم صلاته بالدولة العثمانية، وخاصة مصالح المسلمين فيها إلى حسب خدمته للعالم الإسلامي.

وكان التقارب الألماني العثماني يقلق فرنسا وبريطانيا، فقد كانت ألمانيا تهدف من التقرب مع الدولة العثمانية إلى زيادة نفوذه في منطقة الشرق العربي الإسلامي، والذي سوف يساعدها في نموها الاقتصادي والتجاري، في ذلك الوقت أدرك الصهايون أن محصلتهم تجاه مساعدة ألمانيا لهم قد حُفقت بسبب تأييد ألمانيا للدولة العثمانية وللعالم الإسلامي^(١)

ومن ناحية أخرى كان سلطان عبد الحميد يدرث وزن ألمانيا سياسي والاقتصادي والعسكري، وأراد أن يستفيد من مكائدها وحيرونها من أجل رفع شأن الدولة العثمانية، فاستفد إلى إستاسون لحرء الألمان العسكريين والمهندسين من رجال المال والهندسة الذين قدموا تشييد المشروعات الجديدة في الدولة^(٢)

لكن على الرغم من هذه المحاولات اليهودية لكسب تأييد ألمانيا فقد فشلت كل الجهود لدى سلطان عبد الحميد لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، وأعلن قيصر ألمانيا بعد زيارته للدولة العثمانية ومناقصاته مع السلطان أنه إذا

(١) انظر الشناوي، مرجع سابق: ١٣٥٢/٣.

(٢) المرجع السابق: ١٠٢٤/٢.

أعلنت ألمانيا تأييدها لليهود، فهذا معناه إثارة شكوك سبستان تجاه الصداقة الألمانية العثمانية التركية^(١).

وفي تشرين الأول - أكتوبر عام ١٨٧٩م أرسل هرتزل رسالة إلى قيصر ألمانيا يطلب مساعدته بإقامة شركة يهودية تحت الحماية الألمانية، ودلت بفرص الاهتمام بأمور الهجرة اليهودية وحاول الانصاف بألمانيا وعراؤها بكافة الامتيازات باعتبار أن لدولة اليهودية ستكون سوقاً تجريباً وصاعياً لألمانيا، لكن محاولاته فشلت مرة أخرى لدى الألمان^(٢).

مساعي اليهود نحو عقد المؤتمرات الدولية من أجل إنجاح دعوتهم:

بعد فشل محاولات هرتزل في إقناع الحكومة العثمانية بالسماح لهم بالإقامة في فلسطين توجه إلى عقد المؤتمرات من خلال محاولات أخرى لحدث الانتباه العالمي لقضيته.

ففي أول أيلول - سبتمبر عام ١٨٩٧م عقدت (المسظمة الصهيونية العالمية) برئاسة هرتزل أول مؤتمر صهيوي في مدينة (بال) بسويسرا، وذلك من أجل إعادة شعب المختار إلى أرضه، وصمّم هذا المؤتمر أكثر من مئتي مندوب من فلسطين وأمريكا وروسيا، وطالب هذا المؤتمر إنشاء قرى ومستعمرات لليهود في فلسطين.

وانتهى هذا المؤتمر إلى الأحكام رأي القائل إن فلسطين هي أصبح مكان تنحيم اليهود، ليس عن طريق الاستيطان النطقي، بل بأساليب سياسية للحصول على فلسطين بشكل دولة يهودية مستقلة، وكتبوا بـ (الوطن القومي) وقام هرتزل بالعمل على تحقيق مقررات المؤتمرات الصهيونية، وقد تبنى هذا المؤتمر المبادئ الآتية:

١ - تطوير المستعمرات اليهودية في فلسطين عن طريق المزارعين والعمال الصناعيين اليهود.

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ١٥٤-١٥٦.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ١٦٦.

٢ - تنظيم وتوحيد جميع اليهود في العالم بالوسائل الممكنة، محلياً، ودولياً، وحسب قوانين الدول التي يوجدون فيها.

٣ - إيجاد حكومة يهودية، والتي تعثر من الأهداف الرئيسية للصهيونية^(١)

٤ - تحاد إحصاءات تمهيدية للحصول على الموافقة الدولية على تنفيذ المشروع.

٥ - لدعوة إلى حبس اللغة العبرية، وتكثيف دراستها من اليهود والمستوطنين في فلسطين^(٢).

وقد عبّر (حاييم وايرمان) عن صهيونية هرتزل بقوله «هناك يهود أغنياء ويهود فقراء، الأغنياء الذين يرعون في مساعدة الفقراء بديهم بشود واسع في محالس الأمم، ثم هناك سلطان تركيا الذي يريد مالاً ولدي يملك فلسطين وأكثر أهمية من منح الأغنياء المال للسلطان هو كيفية دفع اليهود الفقراء إلى الرحيل إلى فلسطين وهناك حضونان نعمل

أولاً - أن يقوم الأغنياء بفتح أكياس نقودهم

وثانياً - إقناع الدول بممارسة ضغط على تركيا وأن تكون صديداً بلصيقة» ولم يكن هرتزل يؤمن بمحاولة غزو فلسطين سرّاً وكنت أكثر مبالغة أنه الديبلوماسية تتركز على الإمبراطورية العثمانية، وفي لقاءاته المتعددة مع السلطان، كان يسعى للحصول على ميثاق يحتفظ بشكل ما من أشكال السيادة العثمانية على فلسطين، ويعترف قانوناً باستيطان يهودي فيها شيء قريب من الحكومة المحلية وفي محاولة التأثير على السلطان يقول «دعونا نأتي إلى فلسطين حيث لا نعتبر كعرباء، ونحن سوف نصمم لكم - إلى جانب مصالح نقد - تطور مجتمع حديث مزدهر في قلب العالم، ووسيط بين الشرق والغرب، الذي سوف يدفع

(١) يوري انجيمي، اليهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ١٠١

(٢) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات للصهيونية، مرجع سابق، ص ٣٧٨.

لخطوط الحديدية نحو الهند وبلاد، ويعيد إحياء تركيا كما يحيي إسرائيل^(١)

وعلى الرغم من هذا فقد وقعت الدولة العثمانية ضد تحقيق هذه الأهداف حتى لا تفقد إشرافها على فلسطين الأرض المقدسة بثلاث وثلاثين سنة ووقف سلطان العثماني في مواجهةهم معبدًا عذارته الشهيرة «إله من يسع فلسطين»^(٢)

صالح هرتزل في هذا المؤتمر لحصول على ميثاق دولي من أجل إنشاء (دولة اليهودية) وقد رأى هرتزل أن الهجرة اليهودية إلى فلسطين «ستعطي قوة لتلك الأرض الفقيرة جدًا» على حد قوله، وسوف تعث «قوة أيضًا» إلى الدولة العثمانية، وأضاف أن حل المسألة اليهودية سيكون له تأثير على عدم احتحصر بأسره.

وقد جاءت مقررات هذا المؤتمر الصمبية. أنه في حالة استمرار رفض سلطان العثماني لمطالب اليهود فإن تحطيم لإمبراطورية تركية شرط أساسي لإقامة حكومة صهيونية في فلسطين.

وكانت هناك مقررات سرية لهذا المؤتمر وردت مثيلاتها في مروتوكولات صهيون، وكانت تتطابق معها. فقد استعمل هرتزل في علاقاته مع الدولة العثمانية أسلوب الرشوة والتحويل حيث جاء في المروتوكولات الأولى من مروتوكولات صهيون ما نصه:

«ببعضي لنا ألا نتردد في استعمال الرشوة والهدية والحبوة متى لاح لنا أن بهذا نحقق الغاية»^(٣).

وكان لهذا المؤتمر أهمية عظمى على يهود العالم، وقد ذكر زعيم الصهيونية هرتزل في يومياته قوله «لو طُلب تلخيص مؤتمر بل في كلمة واحدة - وعلى أن أحرص على عدم تلغظها بصوت عالٍ لكنت هي في بل أنشئت الدولة لليهودية، ولو قلت بصوت عالٍ لضحك الجميع مني، ولكن ربما في خمس سنوات على

(١) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٢٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٣.

(٣) عجاج نويهض، مرجع سابق، ص ١٨٢-١٨٦.

وحده الاحتمال، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد سيعلم كل واحد من الأمر^(١)

وأضاف أيضاً أن هذا المؤتمر هو الذي وضع حجر الأساس للوطن وكانت تحركات الحركة الصهيونية تسير في اتجاهين مختلفين تجاه جماعة أحد الصهيون ويرأسهم (احادها عام) رعيم مدرسة الصهيونية الروحية، وقد اعتنوا باستيطان فلسطين باعتباره مركزاً يهودياً لمقدساتهم أما الاتحاد الثاني فكانت تدعمه البرأسمالية اليهودية الذين كانوا يرعون إقامة دولة يهودية دون تحديد موقعها

ومن ناحية أخرى كان هناك من عارض مقررآت مؤتمر (ال) لأول، وهم يهود المنتديون، الذي كانوا يعتقدون أن المسيح لم يأت، وفي حالة ظهوره سوف تحدد مملكة إسرائيل، ويكون المسيح ملكاً في اورشليم

وفي عام ١٨٩٧م اردت ردود فعل العربية، وكونت المعارضة الفلسطينية برئاسة مفتي القدس (محمد طاهر الحسيبي) هيئة عربية هدفها وقف عمليات الاستيطان اليهودية في فلسطين، وكان من نتائج هذه الهيئة أن توقفت عملية الحصول على أراضي جديدة لعدة سنوات

أما على مستوى السلطات العربية فلم تظهر أي ردود فعل ضد الصهيونية، وكانوا يستعدون إمكانية قيام دولة يهودية في فلسطين نظراً لوجود القدس الشريف بها من ناحية، وعدم إمكانية قبولهم لدى المسيحيين، الذين يرفضون أن يكون بيت المقدس بأيدي اليهود ومن جهة أخرى، لم تكن الصحافة العربية لهذا الخطر، ولم تشر إليه، اللهم إلا جريدة (المنار)، وهي أول صحيفة إسلامية طالبت بمواجهة الخطر الصهيوني، وكان صاحبها (رشيد رضا) أول من دعا العرب والمسلمين إلى دراسة الخطر الصهيوني^(٢)

(١) حساب علي حلاق، مرجع سابق، ص ١٣١ ملاحظ عن يوميات هرتزل، ١٠/١ - ١٨٩٦م، ص ٥٨١ (ت.ع. ص ٨٩).

(٢) وخبر رشيد رضا دعوته إلى العرب بالسخط وحدهم قديلاً وأترصون أن يسغل في حرتهم جميع لدون ذلك فقد أصعب الشعوب الذين تقصهم جميع الحكومات من بلادها هم من الغنى ومعرفة أساليب العرب وصرفه بحث يقتادرون على امتلاك بلادكم واستعمارها، وجعل ربها أحراراً وأعانتها فقرها، (رشيد رضا، المنار، ١٢، عدد (٧٦)، نيسان - إبريل ١٨٩٨م، ص ٤٤).

وقد أوضح هرتزل أن مصطلح (وطن قومي) يعني الدولة اليهودية التي كان يتصور حدودها التي كتبها في مذكراته وهي: «الحدود الشمالية جبال قنادوكيا في (تركيا) والحدود الجنوبية قناة السويس والعراق شرقاً وبحدّها البحر المتوسط غرباً»^(١).

أما شعارنا - على حد قول هرتزل - فهو (فلسطين داود وسليمان) وحين كان هرتزل في طريقه إلى إستانبول في ١٥ / ١٠ / ١٨٩٨م لعرص موضوع ايهود على السلطان عبد الحميد الثاني، كتب في يومياته يقول «المساحة المطلوبة من نهر مصر إلى الفرات. نريد فترة انتقالية في ظل مؤسسات الحاصة، وحاكماً يهودياً في هذه الحقبة. وما إن يصبح السكان اليهود في منطقة ما، نلثي سكانها حتى تصبح الإدارة اليهودية سارية المفعول، على الصعيدين السياسي»^(٢).

كان اليهود والصهيونية يعتقدون أن عرب فلسطين يرون في هجرة اليهود إليهم فائدة لهم، ولم يعيروا اهتماماً للخطر العربي الذي يمكن أن يلاقوه، إلا أن أحد المستشرقين اليهود ويدعى يهودا (A S) dahoda) اهتم بهذه القضية، محاولاً إلقاء الضوء على وضع أسس بين اليهود الحدد والسكان العرب الأصليين، وكان حاضراً في هذا المؤتمر الصهيوني الأول، وقد علّق عليه بقوله «كان هدفي الرئيس لحضور المؤتمر أن أواصل حديثي مع هرتزل عن عرب فلسطين. حاولت أن أثبت لهرتزل أن عرب فلسطين يحب أن يكتبوا القصصنا، ويُعرفوا بالفوائد التي يجنونها من فكرة العودة إلى صهيون، حشّته كي يقيم علاقات ودية مع الأعيان العرب، وأن يبيّن علاقات من تفاهم المتبادل ولكن مستشاري هرتزل المقرئين سخروا من آرائني، وأثبت الرمن أنني على حق. لقد أهملنا مهمة إبلاغ جيراننا أهدافنا، تاركين المحل مفتوحاً لدور الكراهية التي يدرها صانعو المشاكل»^(٣).

وفي آب - أغسطس ١٨٩٨م عقد المؤتمر الصهيوني الثاني في فيينا عاصمة

(١) أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) نصر نوري اتعيمي، ايهود والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص ٩٩.

(٣) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٣٧.

المنسب، وقد كان أكثر عدداً وتنظيماً من المؤتمر الأول، حيث بلغ عدد أعضائه أربع مئة عضو، اشترك فيه مئة وخمسون عضواً من اليهود الإنجليز، واعتبروا أن اليهود يكوّنون مجتمعاً دينياً، وليس سياسياً

وكان من أهم مقررات هذا المؤتمر هو السعي لدى الدولة العثمانية لتحقيق المشروع الصهيوني، وإنشاء (الست اليهودي الاستعماري) وتشجيع تعليم اللغة العبرية، وإطلاق يد هرتزل للتصاميم مع الدول الأوروبية لتحقيق الهدف اليهودي.

وبعد انعقاد المؤتمر الثاني في فيينا عاصمة النمسا سنة ١٨٩٨م تصاعدت الجمعيات الصهيونية وأصبح عددها (١١٥٠) جمعية وأمن بها كثير من رجال الدين.

والمؤتمر الثالث عقد في (س) في سويسرا عام ١٨٩٩م، وكانت أبحاثه أكثرها في بيل امتيار من السلطان عبد الحميد، ونصّحت تقرير هرتزل نتائج اتصالاته مع القيصر الألماني^(١).

وفي عام ١٩٠٠م انعقد المؤتمر الصهيوني الرابع في بريطانيا من أجل الحصول على تأييد بريطانيا للمشروع الصهيوني، وأكد هرتزل أن الرحل الإنجليز كانوا أقرب الرحال لهم مبادئ الصهيونية، وقد أعلن في افتتاح المؤتمر «أن إنجلترا الدولة العظمى الحرة، والتي تطلُّ بأراضيها وممتلكاتها على جميع بحار العالم، هي الدولة التي تنهض حركتها وجمهورها»^(٢)

ونتهت مقررات المؤتمر إلى تكثيف الجهود من أجل تحقيق مقررات المؤتمرات السابقة والعمل على زيادة الجمعيات الصهيونية، وأعلن ستون مرشحاً لمهندس العموم البريطاني تأييدهم للمشروع الصهيوني

والمؤتمر الخامس الذي عقد في نال في سويسرا في كانون الأول - ديسمبر

(١) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، مرجع سابق، ص ٣٧٨.

(٢) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ١٦٧.

عام ١٩٠١م، وكان هذا المؤتمر من أهم المؤتمرات الصهيونية التي عقدت، حيث تم فيه إقرار قانون النظام الأساسي للمصممة اليهودية، وكان من قراراته تقديم إعانة مالية لدراسة الكتب لقومية يهودية في بيت المقدس، كما قرر وضع دائرة معارف يهودية، وإنشاء مكتب لشؤون الإحصاء.

وفي الوقت نفسه، عُقد أول مؤتمر صهيوي في فلسطين عام ١٩٠١م، أعاد له (مناحم أوسسكين)^(١) و«اجتمعوا في مسنمرة (بحروف يعقوب) وقد تم فيه وضع تنظيم يجمع كل يهود فلسطين، وقسمت فيه فلسطين ستة أقسام، وكان الهدف من عقد مؤتمرات في فلسطين بدلاً من الدول الأوروبية، إلا أن للحكومة العثمانية قامت بوقف هذا نشاط الصهيوني داخل فلسطين، وقد صرح لليهود بهذا الموقف^(٢).

والمؤتمر السادس عقد في (بان) في سويسرا سنة ١٩٠٣م قدم فيه هرتزل تقريراً عن مباحثاته مع البريطاني (جوريف تشمبرلين) بشأن مستقبل يهود سيبيريا، لكن بريطانيا رفضت هذه الفكرة، وعرضت مشروعاً لاستيطان (وعند) عُرف باسم مشروع شرق أفريقيا، تقرر فيه إرسال لجنة إلى (أوغندا) لتحث إمكانية استعمار هذه البلاد باعتبارها حلاً مؤقتاً وحلاً دائمة لهم، وكان هذا المؤتمر هو آخر مؤتمر حضره هرتزل^(٣). وتقرر تخصيص (٢٠٠٠٠٠) حية إسترليني لشراء أرض في فلسطين وسوريا.

وفي ١٩٠٤م توفي هرتزل، وتحت الصهاينة مكانه الدكتور (ماكس نوردي) الذي وجد فيه اليهود، لثلاثون عاماً بعد فجيعتهم بموت هرتزل، فأقدموه رعيماً شؤونهم، كما كانوا يفعلون مع أميرهم هرتزل^(٤) وفي ذلك

(١) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق: ٩٨٧/٢.

(٢) مناحم أوسسكين (١٨٦٣ - ١٩٤١م) أحد أقطاب الصهيونية، روسي المولد، أقدم بعضاً من الوقت في أودسة.

(٣) عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق: ٩٩٢/٢.

(٤) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، مرجع سابق ص ٣٧٩.

(٥) جواد رفعت أنطخان، مرجع سابق، ص ١١١.

لوقت عرصت بحسرا على اليهود أرضاً في شرقي أفريقيا، وإنشاء مستعمرة
يهودية مستقلة تحت رعاية بجنتر إلا أن اليهود رفضوها نظراً لصيق هذه البقعة

والمؤتمر السابع عقد في (ل) في سويسرا ١٩٠٥م حيث انتقلت فيه رئاسة
المؤتمر إلى (ماكس نوردو) وقد تقرر فيه السعي في تحقيق عن الآثار، وترويج
الزراعة والصناعة، كما أكدوا فيه العمل على شراء الأراضي، وساء اقتصاد
مستقل للشعوب الاستعماري دحل فلسطين^(١)

والمؤتمر الثامن عقد في (لاهاي) في هولندا عام ١٩٠٧م برئاسة (ماكس
نوردو).

وقد تركزت مناقشات هذا المؤتمر حول إنشاء مستعمرات زراعية في
فلسطين كما تقرر فيه بقد (حاييم وايمس) إلى فلسطين من أجل تقضي أحوال
اليهود هناك، ونهى تقرير المؤتمر بالعمل على ضرورة توطيد الاستعمار في
لمناطق التي تسيطر عليها الأمور طويريات، مثل توطيد سيطرة بريطانيا على
أفريقيا والهند والشرق الأقصى، وتوطيد سيطرة إيطاليا في ليبيا، وإسبانيا في
المغرب وحرر المحيط لأفريقي، وذلك من أجل القضاء على نفوذ الدولة
العثمانية، وقد أقر المؤتمر أن مكمل الخطر على الدول الاستعمارية هو
المناطق العربية التي تقع تحت نفوذ الدولة العثمانية، وأروا ضرورة فصل حرم
الأفريقي في المنطقة العربية عن حرمها الآسيوي، وضرورة إقامة ما عُرف باسم
(الدولة العصرية) وهم يعول بالقطع إقامة الدولة اليهودية، وكانت توصيات
المؤتمر تقضي بالأمور التالية:

١ - الإشارة إلى زرع شعب غربي في شرقي قناة السويس، أي في ليبيا
وفلسطين، واعتبرهما منطقتين وحيدتين يمكن أن تفصلا عن آسيا عن غرب
أفريقيا، هذه الإشارة تعني مباشرة الشعب اليهودي

٢ - كان تقرير مؤتمر لندن عام ١٩٠٧م بمثابة الصورة لأحضر للسياسة

(١) عد لوهاب المسيري، موسوعة المصاحبة والمصطلحات اليهودية، مرجع سابق،
ص ٣٧٩.

البريطانية والحركة الصهيونية في النزاع فلسطين عن سائر الوطن العربي، لإيجاد نواة استعمارية تؤمن استمرارية النفوذ الاستعماري في المنطقة.

٣- لم يكتب التقرير بضرورة إيجاد (الدولة اليهودية) في فلسطين، بل رأى أن الضمانة الأكيدة لاستمرار نفوذ الاستعماري في المنطقة العربية هو ضرورة إيجاد ظروف التقسيم والتحكك والتناحر بين الشعب العربي

٤- إن تقرير المؤتمر الاستعماري يعي حتمية الصراع بين مجموعة لدول التي اشتركت في المؤتمر من جهة، وبين ألمانيا ودولة العثمانية من جهة أخرى، ذلك لأن نتائج التي توصل إليها حراء للجنة العلب، أوضحت أنه لا يمكن الوصول إلى تحرئة العالم العربي وتقسيمه إلا بعد إقامة دولة عصرية عربية في المنطقة، ولا يتم ذلك أيضاً إلا بعد تصفية الدولة العثمانية، وكان ذلك أمراً مستحيلاً ما لم يتم نقضاء على ألمانيا - الضامنة في شرق، لأن أي صدام مع الأتراك يعني الصدام مع ألمانيا^(١) وفي نهاية المؤتمر تم الاتفاق على تكوين شركة لتنمية لأراضي لمملوكة لليهود في فلسطين^(٢)

وكان من نتائج هذا المؤتمر أن توصل (حاييم وايرمن) لحل جميع الخلافات بين لأجنحة الصهيونية، وذلك لمصفي في طريق الهجرة إلى فلسطين إلى التقدم وتقرر في هذا المؤتمر أيضاً تأسيس شركة للأراضي الفلسطينية لبناء مستعمرات جديدة في بفا عن طريق قرص بئدمه لست القومي لليهودي، كما قرر المؤتمر اعتبار اللغة العبرية لغة التخاطب الرسمية للصهيونية، كما أكد (حاييم وايرمن) في هذا المؤتمر، أن لخدمة والإصرار من قبل اليهود تمكثهم من التغلب على الأتراك وعلى قوانينهم^(٣).

(١) حسام عني خلاف، مرجع سابق، ص ٢٢٣ - ٢٢٤: نقلاً عن ملف وثائق فلسطين ١٥٣/١.

(٢) عبد الوهاب لمبيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

(٣) نظر حسام عني خلاف، مرجع سابق، ص ٢١٧، وفي هذا الصدد عثر العاسون عن دورهم في نقضاء على السلطان، وذلك في كتاب (العناصير في تركيا و لعالم)، وجاء =

والمؤتمر التاسع عقد في (هامبورغ) في ألمانيا في كانون الأول - ديسمبر سنة ١٩٠٩م وقد اهتم هذا المؤتمر ببحث التنازع المترتبة على ثورة لتركيا شأن استيطان فلسطين، واتخذ هذا المؤتمر قراراً بإشياء ومستوطنات التعاونية مثل الكيبوتس والموشاف^(١).

والمؤتمر العاشر عقد في (س) عام ١٩١١م وكانت أهم مناقشاته هو إحياء الثقافة العبرية.

وفي المؤتمر الحادي عشر الذي عُقد في فيينا عاصمة النمسا في يونيو - سبتمبر عام ١٩١٣م برئاسة (دفيد ولينسور) فقد تقرر فيه إنشاء جامعة اورشليم (القدس) لتعليم العبرية والعبرانية^(٢) اهتم هذا المؤتمر أيضاً بتحشيع شراء الأراضي في فلسطين.

والمؤتمر الثاني عشر عقد في (كربسباد) في ألمانيا في أيلول - سبتمبر ١٩٢١م برئاسة (دكتور سوكويف) وهو أول مؤتمر يعقد بعد إصدار وعد بلفور، وتم فيه مناقشة أنشطة الصندوق التأسيسي اليهودي الذي أسس عام ١٩٢٠م، وكان يهدف إلى تحقيق وعد بلفور، وقرر أن يكون للمجلس التنفيذي للمنظمة

= فيه وتم يستطع عبد الحميد الذي استباح للحركة المناهضة للعنصرية، لأنها كانت تحمل مبادئ الحرية، فقام بعقد محافلها، ومع ذلك فقد سمحت الحركة المناهضة لشكلي ميري في عملها طيلة سنوات ١٨٧٦م - ١٩٠٩م وتأسست المنظمة المركزية الكبرى) المرتبطة بالمنظمة (البريطاني الكبير يسمى بمنهج (بريرون) في سنة ١٨٨٤م من قبل (سافانا) و وقد نشرت المناهضة لشكلي خاص في سلاليت، حولها، ومع أن عبد الحميد حاول أن يحدد ويشل حركة المناهضة هذه، إلا أنه لم يوفق في مساعده و وقد تمت هذه المحافل، لا سيما محفل (بريرون) ومحفل (ميريس) بدور كبير في تأسيس وتوسيع حركة (جمعية الاتحاد والترقي) كما كان المناهضة دورهم في إعلان الحرية سنة ١٩٠٨م.

(١) عبد الوهاب المسيري، مجموعة المدهيم والمقاصد اليهودية، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

(٢) المنار، م ١٧: ٣٨٩/٥.

الصهيونية مقرّان أحدهما في لندن، والآخر في القدس، وثمة انتخاب (حايم وايزمان) رئيساً للمنظمة^(١).

والمؤتمر الثالث عشر عقد في (كراسد) في آب - أغسطس ١٩٢٣م عقب إعلان الانتداب البريطاني على فلسطين، وأعلن فيه تعاون بريطانيا مع اليهود الراغبين في الهجرة إلى فلسطين.

والمؤتمر الرابع عشر عقد في (فيينا) في آب - أغسطس ١٩٢٥م برئاسة (جوتسكي) الذي طالب بشي سياسة صهيونية أكثر إيجابية، بمعنى أن تكون أكثر قوة وعنفاً في تنفيذ لاستيطان لصهيوني.

والمؤتمر الخامس عشر عقد في (بال) في أيلول - سبتمبر ١٩٢٧، اهتم هذا المؤتمر بحث دراسة الأوضاع الاقتصادية اليهودية، وصاهرة تفشي البطالة بينهم، والتي أدت إلى توجّه هجرة اليهود إلى خارج فلسطين.

والمؤتمر السادس عشر عُقد في (زيورخ) في آب - أغسطس ١٩٢٩م، وقد ظهر فيه (دايفيد بن غوريون) كأحد بوب رئيس المؤتمر، ونم فيه لإعداد الدستور الوكالة اليهودية^(٢).

والمؤتمر السابع عشر عقد في (بال) في تموز - يوليو ١٩٣١م برئاسة (ليومونركين) وأعلن في المؤتمر الاحتجاج على مقترحات البريطاني (بسميلد) الذي وضع بعض لقيود على هجرة اليهود هناك.

والمؤتمر الثامن عشر عقد في (برع) عاصمة تشيكوسلوفاكيا في أيلول - سبتمبر ١٩٣٣م، درس هذا المؤتمر برون محاً وسعاً لتوطئ اليهود الألمان فلسطين، وذلك بعد وصول هتلر إلى الحكم في ألمانيا.

والمؤتمر التاسع عشر عقد في (سويسرا) في أيلول - سبتمبر ١٩٣٥م

(١) عبد الوهاب المسيري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، مرجع سابق، ص ٣٨٠

(٢) المرجع السابق، ص ٣٨١.

برئاسة (وايرمان) وكانت مناقشته حول أوضاع اليهود لألمان، وتزيت هجرتهم إلى فلسطين^(١).

والمؤتمر العشرون عقد في (ريورج) في آب - أغسطس ١٩٣٧م برئاسة (مناحم أوسيبسكس) نائب نقيب راحة بين لتقسيم فلسطين وأعلن فيه (وايرمان) تأييده لإجراء مفاوضات مع بريطانيا من أجل تكوين دولة يهودية مستقلة^(٢).

والمؤتمر الحادي والعشرون عقد في (حيفا) في آب - أغسطس ١٩٣٩م تم فيه مناقشة وضع بريطانيا لنسبة هجرتهم.

والمؤتمر الثاني والعشرون عقد في (لن) في كانون الأول - ديسمبر ١٩٤٦م برئاسة (وايرمان) وأنتج هذا مؤتمر سياسة تضغط على بريطانيا بفتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية واسعة.

والمؤتمر الثالث والعشرون عقد في (القدس) في آب - أغسطس ١٩٥١م وكان أول مؤتمر صهيوني يعقد في إسرائيل برئاسة (ناحوم عولدمان)، أوصى المؤتمر تنظيم العلاقة بين الدولة الصهيونية الناشئة والحركة الصهيونية، وحصلت فيه الحكومة الإسرائيلية على قانون أحدث موارحه حق جمع لأموال من يهود العالم، وتمويل الهجرة إلى إسرائيل.

والمؤتمر الرابع والعشرون عقد في (القدس) في أيار - مايو ١٩٥٦م برئاسة (سيرنيك) وكان هذا مؤتمر تمهيداً للعدوان الإسرائيلي على مصر.

والمؤتمر الخامس والعشرون عقد في (القدس) في كانون الأول - ديسمبر ١٩٦٠م برئاسة (ناحوم عولدمان) وشهد هذا المؤتمر خلاف بين (س غوريون) و(عولدمان) حول العلاقة بين إسرائيل والمنظمة الصهيونية العالمية، وانتهى إلى ضرورة تدعيم التعليم اليهودي.

ثم تلاه المؤتمر السادس والعشرون الذي عقد في (القدس) عام ١٩٦٥م

(١) عبد الوهاب الميري، مجموعة أممية والمصطلحات اليهودية، ص ٣٨١

(٢) المرجع السابق نفسه.

و لسابع والعشرون الذي عقد في (القدس) عام ١٩٦٨م والثامن والعشرون الذي عقد في (القدس) في كانون الثاني - يناير ١٩٧٢م^(١)

توجه اليهود إلى إنجلترا لتحقيق أغراضهم:

بعد فشل هرتزل في مساعيه للحصول على تأييد ألمانيا لتحركة الصهيونية، اتجه إلى بريطانيا لتحقيق إقامة دولة يهودية تحت الوصاية البريطانية، على أن تكون هذه الدولة في شبه جزيرة سيناء، بحيث ينشأ عرب مصر عن عرب آسيا، فينتج عن هذا ضعف الدولة العثمانية، ولكن هذه المساعي لم تنجح أبداً^(٢)

وقد جاء في مقال نشرته جريدة (التايمز) السديس في ٢٠ أغسطس ١٨٤٠م بعنوان: (إعادة توطين اليهود):

«إن اليهود ليعربون بحورنهم القدرة الألمانية على شراء و مستعمر فلسطين من السلطان العثماني، وإرسال أعداد كبيرة من المهاجرين اليهود، ليستقرؤا فيها، شريطة أن تتكفل الدول الخمس الكبرى بتوفير الحماية اللازمة لهم

واستطردت الجريدة قائلة: «إن قيام دولة يهودية سوف يفصل بين تركيا ومصر، ويدعم النفوذ البريطاني في البلقان سياسياً وعسكرياً واقتصادياً» و«إن قيام هذه الدولة المقترحة ستكون أداة لخدمة مصالح الاستعمار البريطاني في منطقة الشرق الأدنى»^(٣).

ومن ناحية أخرى قامت جبهة أخرى مشروحة ستبذل لليهود لأوعند، لكن لليهود قبلوا هذا العرض بعد رفض شديداً

وفي عام ١٨٩٨م أصدر السلطان عبد الحميد قوانين جديدة تقضي بجمع يهود دخول فلسطين، لكن هذه القوانين لقيت معارضة شديدة من القنصليات الأجنبية، بينما تشددت الحكومة العثمانية من أجل تنفيذ هذه القوانين، فقامت

(١) عبد الوهاب لمصيري، لمرجع سابق، ص ٣٦٧-٣٨٣

(٢) حسان علي، مرجع سابق، ص ١٥٩.

(٣) أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ٢٠.

بمنع نائب قنصل بريطانيا في منطقة نطاكيا من دخول فلسطين باعتباره يهودياً، وكان هذا القنصل يسري على كل مناطق فلسطين، وليس على القدس فقط، وفي الوقت نفسه أعلنت بريطانيا أنه «على الإمبراطورية العثمانية أن تعيد اسطر في هذه الأنظمة المطروحة على البحث، لأنها تتعارض مع حقوق الإنسان»^(١)

قدّمت الدول الأوروبية والولايات المتحدة العديد من الاحتجاجات ضد الحكومة العثمانية، كما خضعت على معاملة تركيا للأحباب الذين يقيمون في أراضيها، وخصوصاً محاكم الدولة العثمانية^(٢)

(١) رفيق شاكور، مرجع سابق، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) ويردّ رئيساً على هذه الاحتجاجات بقوله: «إن برّذ على هذه الاحتجاجات يسوقاً لسؤال هو: ماذا عرف من أحكام القرآن في العدل والمساواة؟ ومن أين سبب حكمهم عليه؟ قد الله تعالى في مسألة الحكم بين اليهود - وكانوا أشدّ بأس عداوةً لبيّ الله وللمؤمنين من جميع من دونه - ﴿وَمِنْ حُكْمَتِكَ فَعَحَّكَمْ بَيْنَهُمْ بِأَقْسَطٍ﴾ والله يُخَيِّطُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٤٢] وانفسط هو العدل وقد تعالى في مسألة حقوق وحكم العام بين سائر كافة من مسلم وغيره ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرِكُمْ لَازِدٌ وَالْأَمْرُ لَكَ أَهْلُهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ الْبَيْنِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ [النساء: ٥٨] قال بن ناس: «وم يقل بين المسلمين».

وأما المساواة فهي له توحيد على حقيقتها، وإطلاقها وعمومها إلا في الإسلام، كما تدلّ على ذلك النصوص والأعمال، وتشهد به نواحي القرون والأحبار، وأما العدل فقد شهِر عن حنيفة ابن أشعث وعنه هم من أمراء المسلمين من عدل ومساواة ما لم يؤثر عن غيرهم. وذهب بن عصب عني ابن عيسى من عمر القروقي لأنه كُناه وسُمّي حصصه يهودي، ومساواة بينهما في التسمية كما سوي بينهما في سائر الأمور واعترف عمر بذلك.

والأمريكيون يقولون: إن المسلمين أعطوا لأحباب ما أعطوه من سائر الحكم بما بينهم طوعاً وحسباً، لأن الإسلام لا يقدر أن يتصور وجود أس غير مسلمين مسحقون أو يمسوا بعدل الإسلام فكأنهم يقولون: إن المسلمين يريدون بذلك أن يتجاهلوا حدوداً جديدة مسموعة في الأرض ولعلها الحرية الدينية والتسامح في الإسلام، واحترام عقائد سائر شعوب الخلقاء والملاو لغير المسلمين بأن يحكموا، إلى رؤساء دينهم في الأمور الشخصية، وقد في غيرها أحياناً إذا كان خاصاً بينهم هذه المصلحة في الحرية والتسامح وحتماً محتاجين كان يجب أن يطوي به الأمريكي وغيره على الإسلام والمسلمين، فما كان منهم إلا أن قلّوا لتحقيقه، وعكسوا الشخصية، فحجروا ما يقتضي =

وعنى لرغم من تشدد الحكومة العثمانية في تنفذ القرارات إلا أن اليهود كانوا يتسللون إلى الأراضي الفلسطينية عن طريق مساعدة لثقتل الأوربيين، وعن طريق الرشاوى.

أما شأن القانون العام الذي حاول نصه لانتشار عن طريقه، فكان ينص على تأسيس دولة ذات حكم ذاتي من المستعمرات اليهودية في فلسطين، لتكون قائمة بداتها والصهيونية لا تكتفي بذلك، لأنها ترى أن نظام المستعمرات ليس إلا ممارسة لحقوق الخاصة والمطلوب هو تكوين دولة حقيقية^(١)

الإصرار في المدح، موحداً للإسراف في البذخ^(٢) فالقدس الإسلامي هو الذي أوجد الحضارة والفتوحات بطبيعته، لا بقوة سيوف أهله، وبه تكن الفتوحات الموحدة أو، بشارة له ومن شاقص في كلامهم أنهم جعلوا الله لغور لأحباب من لخصوع لمحاكم العثمانية هي كونه تستند في أحكامها إلى القرآن المدنية سعد والمساواة، ثم اعترفوا بأن العثمانيين أخذوا معظم قوانينهم عن الأوربيين وبه يعلم أنهم لو حكموا بين الأحباب بما يأمر به القرآن لكان خير لهم، لأنهم حينئذ يحكمون عدلي كمن، يقيمون بالإخلاص سراً وظهرًا، وليست حائهم في نفوس كذبت. هذا وإن الحقوق التي أشرك فيها يعرفها كثير من الأوربيين، ويصرح بها بعض المسيحيين

ويقول رشيد رضا عن يهود في لدولة عثمانية: "حبراً، الأسانة بإقامتها فيها سنة كاملة فربما أن يهود يهود في جميعه (لأنهم وبنوهم) أعظم، وأن باظر المالية يسر ثبلي نسب، وأنه جعل كتاب سره وكثيراً من مواضع نظريته من اليهود، فعلم أن سيكون يهود شأن أي شأن في هذه المملكة، وأماهم في القدس وفلسطين معروفة، ومطامعهم لعابية في الحكم، بعضهم يهودهم به غير محبوه، وقد أشركوا في ما يحسن من معنة ذلك، ثم جاءت أمة محسن الأمة العثمانية مصدقة لما فعله، ومثلاً ما توقعه، فقد حصص بعض الثواب المسيحيين و معارضين للحكومة حصصاً يتوزعها حطر جمعية يهود الصهيونية على المملكة العثمانية، وحصصاً أخرى على بعض المالية بعه أحسن موقع عسكري في الأسانة لشركة أحسن شهي دون ثمن امش بسيرة بعض اليهود، وهم يرون أنه يمكن بيع ديك الملك بأصعب ديك الثمن، وقد دافع الصدر الأعظم عن الحكومة وعن اليهود ودافع (حاویدت) عن نفسه، ونحن لا نعرض لمحكمة والترحيل بين مجلس والحكومة وحربها، وإيمانه الدرس شامل والاعتبار

(١) ميم كامل، ص ٥٨-٥٩، نقلًا عن OFM(332) 7, Dec no 23598 216 Anthopoulos to Tewfik Pasha, Londn, 8 June 1898.

جهود هرتزل للحصول على تأييد روسيا لقضية اليهود:

وفي عام ١٨٩٩م سعى هرتزل لمقابلة قيصر روسيا للحصول على تأييده للقضية، وحاول إقناع أن وجود فلسطين تحت سيطرة الدولة العثمانية لا يخدم المسيحيين، ولكن هذه المحاولة لم تلق إيجاباً من القيصر.

وفي نفس هذا العام أعين السبب العربي أنه «لا يرغب أن يبيع أتني حرة من لأصن العربية ومهما كانت كميات الذهب التي تقدم نهدا» العرس دون الموقف لن يتغير»^(١).

توجه هرتزل لكسب تأييد أمريكا:

اتجه هرتزل نحو أمريكا حيث كان بعض الأمريكيين يؤيدون القضية الصهيونية، ومن أهمهم السفير الأمريكي (شترأوس) الذي كان يعطف على الصهيونية في الخفاء.

(١) لستونر عبد الحميد الثاني، تأليف ميه كامل أوكه، ص ١٦٠، جاء في مقالات (رشيد رضا) في حريته (المرآة) داعياً العرب لبليظة من الحضرة، يقدم بها بني الأول - يدعو العرب إلى البليظة العمومية، ولتسبب في الاستعداد اليهودي وحضورته، ويوجه بدءاً بأسلوب رافع لأدع عدم يقوى فيها أيها المدعوون بأنهم قسرو رؤوسكم (ارفعوها) حذقوا أنصاركهم وانظروا ماذا تفعل الشعوب والأمم، فتموا بما نتحدث به العوالم عنكم».

الثاني - يدعو (رشيد رضا) إلى تثبيت وسحري عن أهداف الحركة الصهيونية، والعمل بحذبة ومواهبها، إذ هي حقيقة واقعة والعمل على التطور. وعقد لاجتماعات والمؤتمرات مع العرب والمسلمين وشيخ بده ناشور «تفكروا في هذه المسألة، واجمعوا موضوع محاوركم، شينو هل هي حق أم رطله، صدقه أم كذبة ثم إذا نيتكم أنكم مقصرون في حقوق أوطانكم، وخدمة أمكم، واطمئنا وتاملوا وتفكروا، وحاووا، ونظروا في مثل هذا الأمر، فهو أخلق بخطر من اختلاف المصائب والشحن المذهب، وإصافه بالبر، وأخرى بالمحاورة من اندفاع والتخني على إخوانكم، دون في لخير شعلاً عن الشر، وفي مجد مدوحة عن الناطق، وما يتذكر إلا من يبيب»
رشيد رضا، المنار، ١٨٩٨م/٤/٩، ١٨٩٨م/٦/١٠٦، ١٠٨.

وقد حاول مرات كثيرة التدخل لدى الدولة العثمانية من أجل نجاح المشروع الصهيوني عن طريق الحملات الإعلامية

وفي عام ١٩٠٠م أصدرت الحكومة العثمانية، تعليمات بشأن دخول الزوار اليهود إلى الأرض المقدسة، تنصّ على أنه لم يعد مطلوباً من اليهود أن يدفعوا تأميناً نقدياً كضمان لرحيلهم بعد شهر وبدلاً من ذلك فإنه على كل اليهود - بما فيهم الرعايا العثمانيون - أن يسلموا أوراقهم عند دخول البلد، وفي مقابل هذا يتسلمون تصريح إقامة، يسمح لهم بالإقامة في فلسطين لمدة ثلاثة أشهر. وبسبب لون هذا التصريح أصبح اسمه (التذكرة الحمراء) ويجب أن يسلم الحجاج هذا التصريح عند الرحيل، وهكذا يمكن مراقبة اليهود الذين يزورون فلسطين ويجب أن تجمع كل شهر بيانات مفصلة، لتتمكّن السلطات العثمانية من طرد الحجاج الذين انتهت مدة إقامتهم والمواطنون الذين يفشلون في تطبيق هذه الأوامر يعاقبون بشدة، واليهود الذين لا يستطيعون أن يعملوا في تناسق مع الأوامر القائمة برفض دخولهم إلى البلاد، ويعودون على البواخر نفسها التي جلبتهم، ويجب أن نؤكد هنا أنه أثناء تنفيذ هذه الإجراءات فإن اليهود لم يعانون من أي سوء في المعاملة من أي كائن^(١).

في هذا الوقت تم إرسال العديد من الاحتجاجات على القرارات العثمانية من قبل الحكومة الإيطالية، والولايات المتحدة، الأمريكية وبريطانيا، الأمر الذي أدى لسلطان عبد الحميد لقوبه مقابلة رعيم الحركة الصهيونية (تيودور هرتزل) في ١٧/٥/١٩٠١م، وقد دُعي هرتزل لمقابلة السلطان بصفته رئيساً لليهود، وصحفيّاً، تأثيراً شرط ألا يتحدث مع السلطان عن الصهيونية^٢

في هذا العام (١٩٠١م) ألغت الحكومة العثمانية قانون تأمين الحمسين ليرة تركية وتحديد إقامة لليهود في فلسطين - (٣١) يوماً - الصادر في ١٨٨٧م، وسمح لكل يهودي أحسنى بزيارة فلسطين والإقامة فيها لمدة ثلاثة أشهر، مع تقديم جواز

(١) ميم كامل أوكي، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٢) رفيق شاكّر، مرجع سابق، ص ١٨٠.

مرور يسجل مدة لريارة، وهدفه، وبعد انتهاء المدة يتوخب طردهم من الأراضي بالقوة، وكانت هذه لقوانين تحديداً بقانون ١٨٨٢م، وقد احتجت على هذه القوانين أميريك وإنجلترا، وحاءهم الرد على هذا الاحتجاج بأن هذه القوانين ليست جديدة، وأن الحكومة مصرّة على تنفيذها

تصدّي الدولة العثمانية للاتجاهات التغريبية.

الدولة العثمانية دولة إسلامية، قامت على أسس إسلامية وشرعية، وكان سلطان عبد الحميد حاكماً مسلماً، شأ على الثقافة الإسلامية، كما أنه لم يكن صدم لتقدم، وكان يرى أن عدم الأحدث في العلوم من أسباب تأخر الدولة، فبادر بتحديث النواحي المدنية في الدولة، عن طريق تطوير المدارس، وإرسال البعثات التعليمية إلى الخارج، للأخذ بالوسائل الحديثة في التعليم، إلى جانب اهتمامه بالنواحي العسكرية وبناء أسطول حديث، وتحجير الجيش بأسلحة حديثة متطورة.

أما من ناحية تطوير الزراعة في الدولة فقد أرسلت الدولة بعثة تعليمية إلى فرنسا للتدريب على مكافحة الحشرات، وأخرى إلى ألمانيا للاطلاع على أصول تربية الحيوانات^(١) وفي هذا الصدد يقول سلطان "لقد بذلت جهوداً كبيرة كي يتفق شأنا العلوم الأوروبية" وكان يرى أنه يجب توحيد هؤلاء بطلاب في بلاد الأوروبية لمدة قصيرة، فيتعلموا فيها لأمر سافعة، ويتسع أفقهم، ويعودوا إلى بلادهم ساعين دون أن يحدوا معهم سموة تلك الحصاره ويرى أيضاً أن التطور لا يمكن أن يحدث تحت تأثيرات وصفوط خارجية^(٢)

ولكن مع سياسة السلطان عبد الحميد في تطوير العلوم، والأحدث لأساليب الحديثة في تشكيلها، لا أنه تصدّى لمحاولات الدول الاستعمارية في نفشاء على الدولة، فقفور في هذا المجال، فبدأ أعداءه يتظاهرون بالحزن والأسى على حالتها المتأخرة، ويسعون - عن حش - إلى إقيايم رأي عمي كماله يستؤونه برفع

(١) سلطان عبد الحميد، مذكرتي لسياسة، مرجع سابق، ص ١٨٨

(٢) المرجع السابق، ص ١٨٩ - ١٩٠.

مستوانا، إنني معجبٌ بالتطور الصناعي في أوروبا وأمريكا، لكننا في صدد تطور طبيعي، وستأتي الأجيال القادمة بعدد، فتأخذ الحاسب الحس من الحضارة الغربية، فتصقنه بمفاهيم شرقية، وتصنع منهما حضارةً جديدةً متكاملة، ومن الظلم أن تُتهم بمعاداة كل شيء حديد يأتي من الغرب»^(١)

وفي معرض حديث السلطان عن الأوروبيين وأساليب حياتهم فيقول: «إنهم ناسٌ لا يؤمنون بمبدأ، ولا يدينون بدين، وإن مفاهيم الحياة عندهم تعبير مفاهيمنا. إنني أرى من حولي المسلمين، فأحدهم فطريين سعداء، فلا أملك إلا أن أقاوم هذه الأفكار الأوروبية بكل ما أوتيته من قوة، ولا بد أن أسف لحال شئت بذين أصيوا بالمرض لأوروبي، فالإسلام لا يعدني بالتطور ورفقي، لكنه يرفض التطور المسند إلى مبادئ غريبة عنه»^(٢) ويؤكد سلطان غلبة هذه البلاد الغربية وهو الحظ من شأن الدولة، ورفع شأن الحضارة على حساب الدولة^(٣).

وقد حدثت موجة من الاحتجاجات العربية ضد الاستيطان اليهودي مما أثر على النواحي الاقتصادية والاجتماعية والصحية هناك

توجه هرتزل إلى ملك إيطاليا ومشروع استعمار طرابلس الغرب:

في عام ١٩٠٤م اتجه هرتزل إلى ملك إيطاليا، وتحدث إليه عن إمكانية استعمار طرابلس لعرب كمروحة تمهيدية لاستيطان فلسطين، وقد ظهر عطف ملك إيطاليا، وتشجيعه لمشروع الصهيوني، وكانت كثير المحاولات لمساوية في سلايك تحت الحماية الإيطالية، وكان هناك رابط بين السلطان عبد الحميد والسفير الإيطالي بسبب معارضة سلطان عبد الحميد لهذه المحاولات^(٤)

محاولة هرتزل كسب تأييد نابا روما:

في عام ١٩٠٤م اجتمع هرتزل مع روما من أجل كسب تأييده للحركة

(١) السلطان عبد الحميد، مذكرتي السيامية، مرجع سابق، ص ١٩٢-١٩٥

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٦-١٩٧.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٩.

(٤) حسان علي حلاق، ص ١٩٥-١٩٦.

لصهيونية نكراً لها أعلن رفضه قبول اليهود رسمياً في فلسطين، وكانت معارضة
للباسب موقف اليهود تحه لمسيحية، وكان هرتزل يعتبر نفسه (بأب اليهود)^(١)

وتظهر ميون (هرتزل) القبائية حينما ذكر أنه خلال زيارته لفلسطين نحاشي
ركوب حصان أو حمير أبيض، حتى لا يحرجه أحد، ويحسه المسيح
المنظر^(٢) وأعلن أنها بأن القدس يجب ألا تكون بأيدي اليهود، وهو لا
يريدها أيضاً بأيدي مسلمين - أي تحت سيطرة الدولة العثمانية - أيضاً فكان
رفض الباسب لاعتبارات دينية، وليست سياسية أو اقتصادية^(٣)

ونوفي هرتزل في نفس هذا العام ١٩٠٤م وبعد فشل جميع حسابي
وكفة الإغراءات والعروض بني قذمه لليهود للسلطان، - يكن أمام اليهود
سوى مؤامرات ولذساتس من أجل عزل السلطان عبد الحميد، فقهاء اليهود
بالعمل بالمصنعي في طريق إقصاء السلطان عبد الحميد عن الحكم، حتى يفسح
الطريق أمامهم لتحقيق رغبتهم في استيلاء فلسطين

تطور النوايا الصهيونية بعد هرتزل.

وفي عام ١٩٠٥م عقد المؤتمر الصهيوني السابع في مدينة (زل) سويسرا،
وهو أول مؤتمر يعقد بعد وفاة (هرتزل) وقد تم انتخاب الدكتور (ماكس بوردو)

(١) جاء في مذكرة هرتزل: "أنا مرة ثانية أبرأ بين روماني مثله، وبين القدس
انتي أمثله، أنا معبراً أن مركزه عبد اليهود يمثل مركز الباسب عبد المسيحيين (علاقه
يوميات هرتزل).

(٢) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٣) يقول (الباسب) في هذا العدد من وصح فلسطين: "أعزب أن كونه لآل في حارة لأبرأ
سبب، وقد قد عبد. بحمده، ولكن لا يمكن أن أدعاه يهود في الاستلاء على
هذه الأرض المقدسة، من أجل ذلك أوضح أن هناك حمانس شرنا حول لليهود
فلسطين، من أن يحسن يهود بريمانهم عديم، ويفقو على نظارهم بمحيي للمسيح
لدي حمانسة، فكأن ذلك أنوثة يسوع المسيح، ولا يمكن إدراكه عدتهم،
أو أنهم يرعون في أهداف إلى ففس كشمب لا دير به على (علاقه، وفي ذلك
الحده يكون تأييد عملهم على درجة أقل"، بطر، حسان، ص ١٩٦

ليؤانس مؤتمر، وطبيب (د ماكس) بضرورة التعاون بين الحركة الصهيونية والدولة العثمانية للوقوف ضد اليقظة العربية، التي تهدد كيان الدولة العثمانية، وأكد أنه من مصلحة تركيا ضرورة مع قيام شعب قوي ومعتصم في فلسطين وسوريا وذلك من أجل تجنّب الحركات الثورية.

وقرر المؤتمر بأغلبية ساحقة رفض مشروع 'استبطن' (أوعدا) مع رفض أي مشروع يدين عن فلسطين، وأعلن المؤتمر أنه يشكر الحكومة البريطانية بعرصتها لتوطين اليهود في (أوعدا) وأن عرصته هذا دليل اعترافهم بالمسئمة الصهيونية، وإيمانهم بضرورة إيجاد وطن لليهود، وأعرب المؤتمر عن أمه في مساعدة الحكومة الإنجليزية من أجل تحقيق مقررات مؤتمر (بار) وعني لرغم من هذه القرارات استمرت الحكومة العثمانية في معارضة هذا المشروع^(١)

ورداً على هذا، قدمت المنظمة الصهيونية والدوائر البريطانية باتت سياسة أخرى، وهي الاعتماد على فعالية نعم والرشوة من أجل تحقيق الأهداف الصهيونية، فقدمت بالاتصال به (رشيد باشا) منصرف لندس لإعزته بالمال ومساعدتهم فقام (رشيد باشا) بإرسال رسالة إلى وزير الداخلية في استاسول يطلب فيها السماح لنمها حربس لليهود لأحت تملك الأراضي، إلا أن طلبه هذا وُفّض من قبل الحكومة العثمانية^(٢).

في عام ١٩٠٥م رد نشاط (جمعية الاتحاد والترقي) في مناطق سلاييك وكوسوفو وماسستر نظراً لظلم الممرقة الدوية الذي كان مشعاً برعية كل من

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) وبحصوص نظام الرشوة الذي نشأ بالدولة، يقول السطون عبد الحميد: إن أصول الرشوة عداينة لمعاية، بها عملية تصو محتتم كثير، يمكن أن يصفح عن الهدية المعظمة إلى صغار الموظفين من قلة رواتبهم. وكثير عيهم، في حال تأخر هذه الرواتب كثر الموظفون بقبصون أساس رواتب صحمة، فعلمهم أن يحبلوا هذه الهدايا إلى حرية الدولة لا أن يأخذوها، وليس ما يسمى إليه باشوات من اقتطاع للامتيازات أهون شراً من نكث الهدايا، ولا يسمى لأحد أن يحفظ إلى درجة التعاون مع أذعيه لصناعة والاتصال بأشخاص مشوهين بحث يؤثر على مكاسب لدى رحت لصناعة والتجارة في 'عرب' (لسطون، مذكراتي لسياسة، مرجع سابق، ص ٩٢-٩٣)

إيطاليا وفرنسا وروسيا والنمسا ويصاليا فكانت كل منطقة تابعة لعراقية دولة أو اثنين من هذه الدول على الرغم من وجود مفتش عثماني بها لأنه كان يفقد السيطرة على هذه المناطق بسبب دخول هذه الدول تحت نظام الحماية الأحسية الذي كان متبعاً في الدولة، ولهذا فقد تحدثنا من قبل أن محفل سلايخ كان من أقوى المحافل الماسونية في الدولة، ومن هذا المحفل كانت سيطرة يهود - وخاصة يهود الدومنة - على مقدرات كثيرة في نظام الدولة^(١)

وقد أحدثت هذه الأحداث ينطة فكرية وقومية من جانب العرب، فزادت الاحتجاجات والمظاهرات بعد عام ١٩٠٥م، الأمر الذي أدى للدولة عثمانية إلى إصدار تعليمات إلى متصرف القدس (رشيد باشا) منع تمثّل المهاجرين الأتراك بما فيهم اليهود للأراضي الفلسطينية

وفي عام ١٩٠٦م أقام يهود رابطة صهيونية في إسطنبول، وكان لليهود يأتون إلى فلسطين لعرص ديسي، ثم يستقروا بها، ويقومون المستوطنات هناك فكانوا يواحبون الهجمات الفلسطينية عليهم من كل جانب، الأمر الذي حاول اليهود استغلاله في تقديم المساعدة لعمانية لمنع قيام ثورات العربية^(٢)

وفي عام ١٩٠٦م أيضاً أُنشئ (س غوريون) و(إسحاق بن زفي) تسبواً حديدأفي عملية لاستيطان، وهو مقاطعة لبدالعامة العربية، وتؤخر المهاجرين اليهود ضمن مستعمرات جماعة عُرفت باسم (الكيبوتس)^(٣)

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢١٨.

(٢) انظر حسان علي، مرجع سابق، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٣) والكيبوتس تستخدمها صهيونية للإشارة إلى مستوطنة تعاونية، يصمّم جماعة من المستوطنين اليهود، يعيشون ويعملون سوياً، وتعمل جميع المناسبات، وكانت في بداية الأمر تعتمد على الزراعة، ويسكنون في أماكن محدودة جماعة، ولا يمكن لشدة أو المنفعة الخاصة بها، ويعمل عليها صانع الزراعة بكسرة، ويروح عدد أفراد كل جماعة من (٣٠-١٥٠) نسمة.

وقد تم تأسيس أول كيبوتس عام ١٩٠٩م في فلسطين، كل كيبوتس مصمم بعريشة خاصة، تعطي القدره على تدوير عن نفسه، وكانت هذه الكيبوتس أحياناً تؤسس في الليل، فكانت أول حصص دفاع لليهود قبل قيام دولة إسرائيل، ولكل عضو في كيبوتس عمل يؤديه إلى حسب تدريبه على حمل السلاح، وبعد قيام دولة إسرائيل لارال الكيبوتس =

فائمه، وله مميزات خاصة في عملياته الدرع، وتجمع نموسه وفي إحصاء طهر
 أن ثلث صراط الحيش لإسرائيل، و(٢٥) من صحاب حرب ١٩٦٦م، و(٦٠) من
 نظير من جدد كنو يعيشون في مراع الكونس، والإحصاء في هذا قد حدثت تغييرات
 نضيهويه أن الكيونس هو الطريقة المثلى لاستيعاب المهاجرين في المجتمع وحيه
 كونس الدحية حيه جماعية ويسب قريه، وكنت في بعضي ثم شيء من
 تنقش، حيث كنوا يكون سوناً صغيره قريه من حصه، كن حده عباره عن عرقه
 صغيره يقطنها رجل و مرأة، أما في الاحياء فهي حده مشرته بينهم، و الكيونس
 لأن بدأت مظاهر التفتت تنحصر منه، ومنه نيب صالات حديثه وسعه سول انطعم
 بالإصافه إلى موحده سكنية الو سعه (المرعد وهدب الميرى، موسوعه مدهم
 و مصططحات الصهيونية، ص ٣٢٠ - ٣٢٤، ورجل حمدي، د. اسمعيل الأحرار
 سبانية الإمبرتلية وسيعت للمهاجرين، بدوه لأحرار و سعه في الوطن العربي،
 مركز دراسات وبحوث الدول السامية، كنو (أول ديسمبر ١٩٩٠م، ص ٣-٩)

وفي أواخر العشرينات بدأت هذه الكيونسات برنظر لأحرار نضيهويه، وسعت
 إلى صفه في اتحادات، من أجل تشجيع عده ولا سطر، وشر نعمة امعريه.
 وكنت أيدىوحية الكيونس تقوم على المبادئ الاشتك كيه و سبانية وقد سجع
 كيونس مع ليهود عربيين، لانه لم سجع كثير مع ليهود شرقى سب سمولهم
 الدينيه التي ترفض المبادئ الاشتراكية والعلمانية.

ومن خلال مذهب جاء في صحيفة (الردعه) بعد (الراي العام بإسرائيل) تحدثت
 فيه عن حانه أسماء إسرائيل لأن ونا ليهود الذين يرتو دخل كونس، وشعورهم نحوه
 تركيا جاء فيه (أن إسرائيل التي ذهب إليها ناس أروع ترك لعقد اتفاقيات معها تلح
 مستها حويه عشر تركيا هي دولة شامه، يبلغ دخلها فيه (١٨٠٠٠) دولار، وعلى
 سرحم من أن ناريخ جمهور سجع إلى آلاف السس كون دولتهم حديثه، وفي منحه
 (ديسورا) في تل أبيب عد صب صوراً سادج من ليهود في أنحاء العالم، ويرغم أنهم
 من أحباب محتفة ويحتفلون عن بعضهم كون مشككهم سبهم قد حمي دوله ليهود وحقن
 لديهم الشعور بالقومية، وقد انعكس في إسرائيل التي تكونت من أسس حاو من سب
 ثقافيه محتفه، حتى إنك أثناء النحول في تل أبيب تشعرك أنك تنحول في أوروبا، وأحياناً
 تشعرك أنك في شارع من شوارع لدول العربيه، وأحياناً أخرى تشعرك أنك في تركيا

أن أول حيل ترك أرضه وجاء تأسيس دولة إسرائيل عاش في (كيونس) ومراكز
 كيونس هي مركز التي فزت الشعور بالامة والدولة سب عليه واحد، ويتكلمون لغة
 مشتركة على الرغم من أنهم تربوا في بيئات ثقافه محتفه، ويتحدثون لغات شتى،

وأعلن (بر غوريون) في تلك الفترة أنَّ استعمار فلسطين لن يتمَّ إلاَّ بجمع
شرعات وحصول على 'الامتيازات' وفي تلك الفترة ظهر محمود (الإلياس)
وبدأت الحركة الصهيونية تنحى نحو انديـن لتستأقـد منها في لأراضي المقدسة
بالإضافة إلى تمتع رجال يـدين بيهود بنفوذ كبير^(١)

وفي محاولة التنسيق بين طـبـق اليهود السياسية والعمالية حتمت (حاييم
وايزمن) مع (رثر بنهور) عام ١٩٠٦م من أجل طلب مساعدة بريطانية لليهود،
والعمل نحو تحقيق الأهداف الصهيونية فقامت بريطانيا بمحاولة ترع خـبـيع
العقبة من لدولة عثمانية، كما حاولت استغلال المعمر الاقتصادي الذي كانت
تواجهه الدولة العثمانية ذلك الوقت في محاولة لتضعف عـيـها، وكانت ديون
لدولة عام ١٩٠٦م تقدر بـ (٢٢٨.٠٠٠ و ١٠٤) حبة عثمانية بـ (٤)، إلا أنَّ
الدولة العثمانية رفضت محاولات لتضعف عليها بهذا السب^(٢)

وحال عامي ١٩٠٧م - ١٩٠٨م قدم لعرب تشكيـن بحـال موجة الحظر
اليهودي، وقاموا بعمليات إغراق وتـحـريـب المؤسسات لأخـيـة والصهيونية التي
كان يقيمها اليهود هناك.

قام عرب بـأيـد ثورة لاتحاديين ضد اسـلـطـون عبد الحميد حيث إـبـهم
تصـوروا أنَّ في هذه الثورة تحقيق مطالبهم في تحشـيـن أحوال بلادهم، ولكنَّ هذا
التأييد لم يكن على مستوى فئات شعب عربي كـنـها، لأنها وجدت معارضة في
فلسطين وسوريا، وقامت مظاهرات في إسـمـسـول في تشرين الأول - أكتوبر
١٩٠٨م تطالب بـعـده لـشـريـة التي هاجمها الاتحاديون، وفي ذلك الوقت قام

ونـكـ لـمـراكـي هي هي عـمـب على جميع مجتمع واحد، وحـمـل يـدي برنس في
لكيـبـر لـا بـا حـتى لـا سـدـت سـبـب طـفـوتـه، وبـقـد بـول لا يـوـجـد حـيـل على صـهـر لأرض
عاش حـمـل لـمـي عـشـهـا، فـلـا عـشـون في مـارـب مـدـه، ومـسـرـوـس من حـيـتـهـم
الحـصـة بـعـد لـا بـقـد بـ في مـجـمـب وـيـن مـر كـي بـكـسـيـن سـتـحـم بـيـوم كـأما كـي
لـشـريـة وكـمـد بـ حـمـه، Oytun H. Sait, M. H. Council Israel, Orthodoxy, Exile, 1997

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢١٣.

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٢١٥ - ٢١٦.

الاتحاديون ، ورتكائب العديد من المحالفات انديبية ، منها بشر لمراقص والملاهي في شتى أنحاء البلاد^(١).

(١) يقول رصاص نور في مذكراته في محفل هجومه على الاتحاديين وقد أوردناه بدلالة على موقفه السياسي بمفكر الإسلاميين من الاتحاديين ، كان وضعه الممحس على هذا الشكل ليس لأي نائب برلماني رأي ولا قوة ، الأمر ساهي في مجلس البرلماني ثلاثة أو أربعة أشخاص (من يهود الدولة) وطبعت (مأسوي) وهر صو (يهودي دولة أيضاً) وأخيراً قررت الدخول في معركة معهم ، وكان عملهم خطيراً فكثرت كثير ثم كتبت مقالة وبشرتها في جريدة (بني عرته) أو صحت فيها مدى استبداد (الاتحاد والترقي) في (مجلس المموضلات) وقلت لا أحد من أعصائه يمسك لإرادة لحررة قلت في مقالي إن هذا مجلس محس ، إنه مكية بسيطة لا روح فيها ، تحبث وعمود حركتها في بدر حال مثل طمعت ، وجاويد ، وحده ، وهؤلاء الرجال قد كثر فيهم بينهم (شركة احتكارية) كان هذا المقال قسمة ، إذ لم يكتب أحد ، بل ولم يتكلم أحد ضد الاتحاديين حتى كتبتني بهذا المقال ، وهذا أكون أول من رفع راية المعارضة في جامعة لأول مرة قلت نفسي ترى هل أحداث؟ ، نحو العدم صدي معنى هذا أنني أخطأت فكثرت ثبته وجدت نفسي أسى على حق في ردة البرلمان ، أنني طمعت (رعيم من كبار الاتحاديين) كان وجهه مثل طنين (على حد قومه) فقد كان طمعت يبدو هكذا إذ عصب ، عدل مساره ، وتوخته بحوي ، ما على أدبي ، وفار ، "أحمر كفت" كان هذا تهديداً طبعاً ، من الخوف لم يسأل علي^{١٢} "أحمر كفت" فعلاً لدرجة أن هواجس صوّرت لي أن الاتحاديين سيقتلوني فور خروجي من البرلمان ، ثم أعد أخرج من البيت في مساء ولا بليل كدبت لم أستقبل أحد في سبي ، ومع ذلك فلم أترك عن أفكري ولا حركاتي ثم إذا بالمقالات تنويسي ضد الاتحاديين معنى هذا أن كثيراً من أسس ضد الجمعية ، كما صوّرت صحف حده ، ما من الجمعية كان (أحدهم) يكتب صدي ، ويكتب يهاجمني في جريدة (طنين).

أما صحف المعارضة وكانت في المدح ، وفي مقابل هجوم الصحافة على جمعية الاتحاد والترقي ، قام الاتحاديون بإصدار مجموعة عديدة من الصحف في كل من سلايك وماستر ، وكانت هذه الصحف تتكلم بعزير شديد ، واحدة منها كانت نشتم ملك الصرب ، ويقولون أن الاتحاديين سيؤخروا نيلانيا على يد عد ، كانت هذه الصحف تحبثي بغير كل واحد من "الصحف المعارضة" كان اسمه (تحسين السلاحي) نسبة إلى حبيبته التي كان يصدرها باسمه (سلاح) أنه ترك هذا الرجل شيئاً لم يقنه وأخيراً أصدر (صحت) (وهو من هو في رئاسة جمعية الاتحاد) أمره بقتل تحسين هذا ، مع وضع جثته في حوض ، السب في ذلك أن تحسين عارض طمعت فقد =

= كان الاتحاديون بدسحون كل من بعد صهم، ولو كان المعارضون من رجايم أنفسهم
(مذكرات رص نور، ص ١٦ - ٢١ في مجلة المحتمع الكويتية، العدد (٥٣٣)، حزيران -
يونيو ١٩٨١م).

وعن رأي رشيد رص في سياسة الاتحاديين فقد أوضح دوره في تنفيذ أحكام
الدستور، ونحدث عن سلوكهم مع المستندين، وأصبح بالأخطاء التي وقعت فيها
وخاصة الدور الذي قامت به في سوريا فقد أحدث جمعية لاتحاد وشرقي على نفسها
كهاالة الدستور وحفظه، فأتمت بها نجاحاً، وأحدثت بها شعباً في جميع بلاد سلطنة،
وأبعدت أعوان السطون عنه، وسعت في محاكمه بعض معروفين باظلم منهم،
وتدخلت في انتقاء الحكم والعمال ونجحت المبعوثين، انتدب لتقييم كل ما قد إنه
لارم وحج - لا لاسا فلد، بل لأنها نعيم ما علمنا - ولكنها لم تحسن العمل في كل
ما بثت فيه سرور ومعمها، سافرت إلى الديار السورية، وردد أهم مدن الولاياتين،
ورأينا تصرف جمعية الاتحاد والشرقي فيها، وما كان من عمل (الجنة لمرحصة) التي
أرسلتها من سلايت، فربما حملاً وحفظاً وسوء تصرف، كاعتد عليه لدمين عليها،
حتى إنه لم يوجد لها من دافع عنها كما د فعاً، وليس تعبير تصرفها في سوريا من
موضوع هذا المقال الذي وضع سد النجاة لعامة

١ - إن سلوك الجمعية مع أعوان الاستناد لم يكن سلوك من يريد نقضاء على
الاستناد، بل إن سلوكهم مع أعوان الاستناد، وإحصاءهم للدستور، بل سلوك من اعتم الفرصة
للاستفادة منهم، فقد كانت تؤخذ المبالغ الكبيرة منهم وتدفعهم وشأنهم، أو نصفهم
إليها، وقد حدثني الشعب من أهل الشام أن الجنة لمرحصة التي ذهبت لأجل الحق
في نادرة التي حرت لي في آخر شهر رمضان قد أحدثت مسعاً عصبياً من القود باسم
الإعانة للجمعية من رؤساء القصة ورعاة الاسد الذين بيع من حبوبهم في محاربة
الدستور أنهم تحدثوا نصب حنة في الشام بما يعونه ويقومون به الحكومة الدستورية،
٢ - إنها لم تحسن انتقاء العمال والحكماء، فقد عذب كثيرين من أعوان الاستناد،
على الشرقي في الوظائف، وأهملت شأن كثير من الأحرار والمحربين، وقد كان أكبر
رجاء لي في حكومت جديدة الإصاف في اختيار الموظفين من الأكفاء لاسباب
المحربين في مثل مصر، وشهمون بجمعية بأنها كانت بيع لوظائف بعانية بالمال،
والله أعلم بحقيقة الحال.

٣ - بها جعلت هبة نجابها في جميع البلاد القود في الحكومة، لا مجرد لرقابة
عليها، لئلا تخرج عن القواص ولا مبعدها على حفظ الأمن الذي احتل بعد إعلان
الدستور في جميع الولايات، كل ولاية يجب لرحتها في الأخلاق، وحال الاجتماع =

٤ - إنها لم تحس لانتقاء الاحبار في سلسل شعبي ومحليها، فأدخلت فيها كثير من المتفهمين أو نرجعيين وظهر في بعض لجانه شعبي للحس التركي، حتى يكاد يكون الأعضاء من اتركهم أصحاب، بشأن، ومن معهم من غيرهم كالألات وقد سمعت كثير من الشكوى في ذلك فمكنت أدفع سعي هي أحسن

٥ - حمل الصراط في جميع البلاد على الاشتغال بسياسته، وجعل يعودهم هو الأعلى في لجان الجمعية، وقد حضر على الدولة، كان يحب تشدد في معه، ولاكتفاء بأن يكون بين جمعية وبين الصراط صلة حية، كما قبل، وبصرف كل إلى عمنه الصراط إلى العمل العسكري المحض، الذي لا شأنه فيه لسياسه، والجمعية لمرة سير الدستور من غير مشاركة الصراط في ذلك، فإن ظهرت قوة تسعى لإلغاء الدستور، وإبطال مجلس الأمة، أو الاستناد والظلم، جرح جيد لشهد الجمعية بالصراط بمقومة ذلك وأنه لا يحتلف عقلا من علماء الاجتماع في وجوب مع الصراط من الاشتغال بسياسة وإدارة حتى إذا أوجأ أخرجوا من مجلس، وفي كون محلي الذي يدخل في الثورة يكون خطراً على الأمة، فإذا لم يتيسر استصلاحه حالاً، وجب إخراج من الجندية أو قتله.

٦ - نصرتها مع السلطان انتقد عليها شيء منه، لا بحث المحرم فيه، وبكافول إن الدين يرون أن لسلطان هو روح بحركة التي وجهت في هذه الأيام إلى إسقاط الجمعية يقولون لولا أنها أخرجته لما كان شيء من ذلك

٧ - سيرتها في حمل أساس على أصحاب الصغرى، رأت بعض بعض ذلك في طرابلس الشام، وقد كنت أدفع عن الجمعية بقدر الإمكان لئلا تشذ الفتنة ويستشري الفساد.

٨ - طريقة تأييد يعود جمعية في (محسب سموات) بما كان يكون مهدداً بسائر الأعضاء، سالباً لاستقلالهم.

٩ - الفتنة باستقلال اورد، بحيث كانت جمعية مانعة من وجود وررة مستقلة مسؤولة أمام مجلس الأمة وحده عن عملها.

١٠ - ظهورها بظهر السلطة المستندة غير المسؤولة، حتى صارت تسمع من العثماني الحر والمتفهم ومن لاجسي المطرف ولعمري هذه الكلمة هي أذاعتها لحرالد إن (جمعية لاتحاد وترقي) قد أرادت اسد الدارين، وأدلت به شدة ده هي وتفرع عن هذه الكلمة كلام كثير، من قون الكثيرين، بأن مستد سلطان اس لسلطان اس السلطان أهون علي من استداد أو مشي من اسس، لا يعرفون، فإن سلطان أشرف منهم، والدليل له أقل عاراً من ذلك لهم، ورضاه أسهل من رضاهم، لأنه شخص =

أيضاً حدثت العديد من الاحتجاجات من قبل الفلسطينيين تجاه سيطرة
ليهود، وطلبت هذه الحملات حتى عام ١٩٠٩م حيث أحرر السوات لغرب في
(مجلس مبعوثات) الصدر لأعظم بإعلان عدم السماح لليهود استيطان فلسطين
في الوقت الذي أحرق فيه وزير الداخلية بإعلان معارضة للأهداف الصهيونية^(١)

من ناحية أخرى تهمت (جمعية الاتحاد والترقي) لصدور عبد الحميد
بتدبير حادثة (٣١) آذار - مارس^(٢)

= و قد يمكن أن يعرف ما يريه، ولا يعرف ما يريه هؤلاء لكنيرين (وقائع وأحداث
الدولة العثمانية، مجلة المنار، ص ٢٣٤-٢٣٧)،
ويقول أيضاً: لم يحصل بعد الدستور شيء من سلطة محمد لا أهواء الاسانية،
وحس السر في حل مشككتي سوسة ونلعار، وكان بعض لأكر في ذلك نك من
باشا، وبكر جمعية به نك أن أسقطت كلاً من كرسي لصدور، وغيت وراثته،
لأنه كان معارصاً لعوده الفعلي في الحكومة، وسبق (مجلس أوروبا) هذا العمل،
وعنده سبب دأ من الجمعية في الحكومة، وقال بعض فونهم كنون في دولة، لأهم
لم يصدقوا أنه كان مصاد لن دستور كما ادعت ثم قبل (حسن بك فهمي) رئيس تحرير
حريصة (سرسي) عبلة، فلهم لنود لأعظم في الاسانية وعرفه أن الجمعية هي التي
عائلته، لأنه كان يتفق أنعمها، ونشد السحق عليها، وبمحرير كره، وكان بعض
أعضاء الجمعية خرج في مجلس الأمة نقيد حربه لمطوعات، وبشر في أنه ذلك مدد
(كامل باشا) ندي بن فيه سبب إسقاط الجمعية بوزيره، وما كان من شأنه وشأنه قبل
ذلك، وبه نكس الجمعية نصيف في شأن حادثة من (حسن بك فهمي) الذي عذقه قبل
للحربة شخصية، واستقلال الفكر، فثارت الاسانية على الجمعية، وكان سبب ثورة
يوم دهن (حسن بك فهمي) فسقط وأره (حسن بك فهمي) نبي هي ورره الجمعية
بعد أن هين حروره بمر كسه من مكان تشيع الحجرة، وعدم حضوره تعأ بر عدم
الجمعية به لم يحضروها ومن أعضاء الجمعية درس من الاسانية، وقتل كنون من
البر، وخرج حيرون، ودمرت أبنه الجمعية، وأدب بعض حادثة، وسجود
المعب على هر ماضيه، وحادوا من سوء العاقبة (نظر ونع وأحرار الدولة العثمانية،
مجلة المنار، ص ٢٣٧-٢٣٨).

(١) رفيق شاكر، مرجع سابق، ص ١٧٦.

(٢) تتعأ هذه الحادثة في قاء بعض لنود بقل بعض صاظمهم اشن بحجة أنهم
يحاولون الإسلام في نصرعاتهم، مع 'مصادة لعودة العمل بشريعة لإسلامية، وبمعد=

ويمكننا القول إنَّ «منع السلطان العثماني من تحقيق هدف إنشاء دولة يهودية في فلسطين، كلّفه فقدان عرشه، وأدى هذا فيما بعد إلى انهيار الدولة العثمانية كلها» على الرغم من أنَّ السلطان العثماني كان يدرك أنَّ «اليهود يمتلكون قوى كثيرة تستطيع النجاح في العمل المنظم، ولما كان عندهم، والعلاقات التجارية الدولية كانت في أيديهم، كما كانوا يمتلكون الصحافة الأوروبية والمحافل الماسونية»^(١)

وعندما حاب هرتزل في مسعاه لدى السلطان العثماني، اشتدَّ العداء ضده، وهذا ما كان يتوقّعه عبد الحميد، لأنَّ اليهود قومٌ يتقنون العمل المنظم، وكانت لديهم قوى عديدة تضمن لهم النجاح في مسعاهم، وكنت صحافة أوروبا في قبضتهم، فكان في مقدورهم إطلاق العواصف التي يريدونها لدى لرأي العالمي متى شاؤوا...».

وقد بدؤوا أولاً بتحريك تطبيق (الدستور) في الصحافة العلمية، ثم أخذوا بتوحيد أعداء عبد الحميد في المجتمع العثماني، فبدأ بأصدار المشروطية يتّخذون صابغاً منظماً ومحورياً، علماً بأنهم كانوا حتى ذلك الوقت متفرقين، ويعملون دون نظام ودون تنسيق، إذ لم يكن صعباً عليهم توحيد أعداء عبد الحميد الذين شؤوا في المجتمع العثماني وقد أخذ (المشرق الأعظم) لماسوني لإيطالي على عاتقه هذه المهمة في توحيد وتسويق هؤلاء الأعداء،

= صاعد الاتحاد والترقي عن حكمه، ويقول أعلت المؤرخين: إنَّ هذه الحادثة ما هي إلا تمهيداً سياسية قامت بها (جمعية الاتحاد والترقي) من أجل إسقاط سلطان عبد الحميد ومن المصادر من يقول: إنَّ هذه الحادثة دُرّت من قبل اليهود بمرص البصاء على السلطان عبد الحميد، وتحقيق هدفهم في السماح ببقائه وحيداً قوميّاً في فلسطين (محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر سلاطين عثمانيين الكبار، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧).

(١) محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، مرجع سابق، ص ٨٨؛ نقلاً عن (جريدة نيويورك صوغو) في مقالٍ لمحرم هوري صوغاني بعنوان (مطبخ وحملة يهودية) والتي نشرت في تاريخ ٢ ٥ ١٩٤٧م، العدد (٦١)

حيث إنه كان أقرب مركز ماسوبي للدولة العثمانية ولعب محفل (مقدونيا ريزورتا) (macedonia risorta) ومحفل (سلايك) دوراً ملحوظاً...^(١)

وكانت سلايك مركز النشاط اليهودي في البداية، ثم اكتشفوا فائدة منظمة أخرى وهي (الماسوبية) ولما كان يصعب على عبد الحميد أن يعمل في سلايك بنفس الحرية التي كان يتمتع بها في لأحرار الأخرى من الإمبراطورية، فإن المحافل الماسوبية القديمة في تلك المدينة استمرت تعمل دون تقصع - بصريّة سرية - وضمت إلى عضويتها عدداً ممن كانوا يرحلون بمفكرة جديع عبد الحميد، واستخدمت هذه المحافل، سرية لتكون أماكن للاجتماع^(٢)

ويمكن لنا أن نستخلص الخطوات اليهودية في استيطار فلسطين، ومحاولات السيطرة عليها من البداية، وعلاقاتها بالدولة العثمانية في النقاط التالية:

١ - محاولة ليهود السيطرة على فلسطين عام ١٧٩٨م حينما أيدهم فيها نابليون خلال حملته على الشرق فكان ليهود من الممويين الأوائل للحملة الفرنسية.

٢ - تأييد بريطانيا ليهود بعد فشل أهداف حملة فرنسية، ففي عام ١٨٣٨م فتحت أول فصلية بريطانية في القدس، وأعلنت حماية بريطانيا ليهود في فلسطين، وكان لإحتياجات تحقيق هذه الحماية، منها وأهمها إبعاد أي قوة تهددها في وجودها في قناة السويس.

٣ - عام ١٨٤٥م طالبت بريطانيا الحكومة العثمانية بصد المسددين من فلسطين، وإحلال اليهود مكانهم، ولكن فوبل هذا، اطلب بالرفض من قبل الحكومة العثمانية.

٤ - محاولة سيطرة على فلسطين عام ١٨٧٥م بمعونة الإنجليز في شراء أسهم قناة السويس عن طريق تمويل يهودي، وخاصة عائلة (روتشيلد)

(١) أورهان محمد علي، مرجع سابق، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨٣.

اليهودية الثرية، فكان هدف هذا التمويل هو سيطرة يهود على فلسطين.

٥ - عام ١٨٨٢م تزايدت الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وقد أصدرت الحكومة العثمانية قوانين تحد من هذه الهجرة.

٦ - لمساعي يهودية لاستيطان فلسطين التي تنورت في مؤتمر (بال) عام ١٨٩٧م برئاسة (هرتزل) والتي طابت بضرورة إقامة وطن يهود في فلسطين، وقد قبلتها الحكومة العثمانية بقوانين صارمة إلا أنهم كانوا يتسربون إليها عن طريق الرشوة، والتسلسل، مستغلين وضع الدولة لاقتصادي الذي كان متردياً في تلك الفترة.

٧ - الدور الذي قام به الإقطاع في بيع أراضي فلسطين ليهود، وخاصة الساسيين أمثال عائلات (سرمسق) و(تويبي) و(مدور) ومن فلسطين عائلات (كسار) و(زوك) و(حوري) و(حنا) وغيرهم، وكان ذلك في عام ١٨٨٦م.

٨ - الدور الذي قامت به (جمعية الاتحاد والترقي) وعلى رأسها القادة ليهود والماسون في الثورات التي أدت إلى عزل السلطان عبد الحميد، الذي كان لعقبة الكبرى في طريق الحركة الصهيونية وذلك عام ١٩٠٨م - ١٩٠٩م.

٩ - الدور الذي قامت به الدول الأوروبية في مساعدة اليهود لاستيطان فلسطين من أجل الحصول على امتيازات لها في المنطقة، والذي استمر على طول هذه الأعوام حتى عام ١٩٠٩م.

وفي هذا الصدد يسمى ما أن يذكر أن مجتمع يهودي في تركيا قد مر بثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى وتمثلت في اليهود المهاجرين من إسبانيا والبرتغال وإيطاليا والمهاجرين من النمسا ومجر ورومانيا وألمانيا وبولندا، نتيجة الاضطهاد الذي واجهوه في تلك البلاد، وهؤلاء عاشوا في ظل الدولة العثمانية، واكتسبوا منها الحرية الدينية والأمان وقد بشر هؤلاء حريتهم التي ستمدوهم من اسلاد التي كانوا يعيشون فيها، فظهر في البلاد استجداء لسائق، وصناعة لمذبح سبب خبرتهم في صناعة سلاح، كما ظهر في الدولة أول مطبعة في الأراضي

العثمانية بعد مرور خمسين سنة على ظهور مطبعة عوتنر في القربس (١٦ - ١٨) وكانت مدينة إستاسول مركز الطباعة العبرية في الدولة، ومن أشهر شخصيات التي برعت في مجال الطباعة (صموئيل محياس) و(دافيد) اللذان بقيا من إسبانيا، وعائلة (صونسينو) وأصلها من إيطاليا.

ومن ناحية أخرى شطت حركة الاقتصاد في الدولة عن طريق اشركات اليهودية، والعلاقات التي كست تقيمها مع أوروبا، حيث إهتم كانوا يمدون الدولة بالوضع لمالي والاقتصادي للدول الأوروبية، وتؤكد نمرانج المختلفة أن يهود إستاسول كانوا يديرون أنشطة تنوع (٢٠) مهنة مختلفة

المرحلة الثانية: تمثلت في ظهور الحركات اليهودية، والتي أطلق عليها اسم (حركات التحرير) وكان ذلك خلال القرن التاسع عشر، وتمثلت هذه الحركات في دعوة إلى استيطان فلسطين عن طريق هجرة يهود إليها، وقد سست هذه الحركات تؤثر في العلاقات العثمانية اليهودية

والمرحلة الثالثة في القرن التاسع عشر حينما منحت الدولة العثمانية لليهود امتيازات وحقوق قانونية لهم، كما منحتهم حرية متعددة، وتكوين تنظيمات، في تلك الفترة لاقى اليهود معاملة طيبة من السلطان عبد الحميد، ويشهد بهذه المعاملة اليهود لمقرنوني من السلطان وهو (أرميوس وميري) وكان صديقاً شخصياً للسلطان عبد الحميد^(١).

أما المؤسسات التي أشتاتها المنظمة الصهيونية لتحقيق أغراضهم في استيطان فلسطين فكانت:

أ - (الست لاسيتيدي اليهودي) (The Jewish Colonial trust)، مؤسسته المتفرعة، وهو شركة مسجلة في سن سنة ١٨٩٩م كجهة مالي للمنظمة الصهيونية، برأسمال قدره (٢) مليون جنيه إسترليني، من أجل تطوير فلسطين ولإلاد محورة صدياً وتحريراً، وكان يعمل في فلسطين عن طريق

(١) عابدة العلي، دول المثلث، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

ب - (بنك أنجلو - فلسطين) وهو روعه في يافا، والقدس، وحيفا، وصيدا، وبيروت، والخليل، وطبريا، وغزة، وهو شركة مسجلة في لندن برأسمال قدره (١٠٠.٠٠٠) جنيه (عام ١٩٠٣م) كشركة متروعة من Trust لمنح قروض للأغراض الصناعية والتجارية.

ج - (الصندوق القومي اليهودي) أو ما يطلق عليه «عربة (كبرى كاييمت) المسجل كشركة إنجليزية سنة ١٩٠٢م، اكتسب له (٣٠٠٠٠٠) جنيه إسترليني، وهدفه الرئيس جمع الأموال بشئى السل للحصول على أرض في فلسطين للشعب اليهودي، لا تتقل ملكيتها، وإنما تؤجر لفترة لا تزيد على (٤٩) سنة، يعقود إيجار يدفع المسوطن بموجبها إيجاراً سنوياً من (٢ إلى ٣ /) حسب قيمة الأرض. وحسب نظام هذا للصندوق فإن ثلثي أمواله تخصص لشراء، والثلث الباقي احتياطي ومع اهتمامه بشراء الأرض، فقد شارك إلى حد ما في عملية تحسين الأراضي وتشجيرها، وساء بيوت للعمال وأحياء جديدة في تل أبيب

د - (شركة تطوير الأراضي) (Palestine land development) التي اقترح روبين تأسيسها عام ١٩٠٧م وسجلت في إنجلترا سنة ١٩٠٩م برأسمال قدره (١٧٥٠٠) جنيه إسترليني، وخطتها تتركز في الحصول على الأرضي للصندوق القومي اليهودي) وشركات الاستيطان الخاصة والأفراد، من أجل إعادة بيعها لمستوطنين في المستقبل.

هـ - وشركة the (Jezt Israel) colonization Association Cooperative Settlement.

وتأسست عام ١٩١٠م من أجل تشجيع ومساعدة تأسيس جمعيات زراعية تعاونية في فلسطين^(١).

(١) حيرة قسمة، مرجع سابق، ص ٥٦ - ٧٥، فوم حريدة (بما) معرض كتب لرعم نصهوسي (أوسيشكن) وأندي ترجمته حريدة فلسطين إلى لغة العربية عن ندرأح لصهوبية لاستيطان فلسطين، وبلوغها لعرصها، وذلك في فصل الثالث من الكتاب جاء فيه إن سب قلة نحاح الحركة الصهيونية في الخمس وعشرين سنة الأخيرة يرجع =

معظمه إلى النفس في العمل - فجمعية (محة صهيون) لم تهتم في محر عشر سوت في غير أمر البلاد، وحالة الأرض فقط، ولم تعرف أن تحول هذه حركة إلى حركة رسمية سياسية، ولم تحرب أن تشمل إليها الدول الأجنبية، من اكتفت بأن تظهر في مطهر المحسن بإنشاء مصنع مستعمرات تعيش من مال الإحسان، ولذلك انتهت هذه امدة الأولى من تاريخ نهضوبة بأمة سنة ١٨٩١

على أن امدة الثانية التي تمت الأمانة وهي مدة انتشار الصهيونية لروحية، لم تكن بأبعد خطاً من الأولى، فقد أهمل فيها أمر البلاد كما أهمل في سبي قلبها أمر الظروف الخارجية وبعد خمس سنين بصرفنا في أثنائها جميع مساعي، إلى التعميم الداخلي، ونسبه شعور التعفي فقط، مع عدد قليل من العاطلين، فلم يحدوا لم تعلموه فائدة محسوسة أو عملاً مادياً، وأصبحت الحركة نهضوبة مهددة بالانقراض - إلى أن عقد المؤتمر الأول، وبدأت به المدة الثالثة، وهي عصر الصهيونية الذهبي، فبعثت الحركة من مرقدها، وحدثت في الأمة روح جديدة، لأنها وجدت في مؤتمر صحتها، ووقفت قراراته هوى في نفسها إلى جميع صهاينة الحقيقيين أصحاب ومفكري الأمة رأوا في برنامج مؤتمر (ب) الأول إعدام التراجع لسابقه بأحرى حدة، حوت صعوة ما تقدر، وحلاصة رغبات الأمة، ولا سيما في تصريحه حلياً على مسعى من العانم أجمع بأن يحاهد لإثاء حكومة يهودية في فلسطين، وأنه لا بد أن يصل إلى هذه ندية من أربعة أمور:

١ - امتلاك فلسطين اقتصادياً وأدياً.

٢ - تنظيم قوى الشعب، وإنشاء رؤوس أموال عامة له.

٣ - بناء الشعور القومي في الشعب وترقيته.

٤ - اسعي بكل طرق السياسة لحمل الظروف الخارجية موقفاً لها

وهي لحقيقة بأن لشجاعة الأدبية التي أصهرها هذا المؤتمر في إعلان حقوق لأمة الإسرائيلية على فلسطين، والخطوة الحدية الصريحة التي رسمها لسوع هذه العامة، وبقوة المعوية التي نحتت من خلال أبحاثه، كان ههنا في الشعب ايهودي فعل لمعجرب فيه من مساهم عميق، وفي كل محل بلغت إليه أحرار لمؤتمر عقدت لاجتماعات، وأقيمت الخطب، فأُسست الجمعيات، وتأنفت شركات

ومد ذلك لحين أحد يعمل يفتده سرعاً ويحد واجتهاد عصيمين، فاشتد بعد لجمعية لصهوية، وأشا صدوق المال، وانصفت لها قوى سياسة حارحة، وظهر لها من نتيجة مقادلات لملوك والورر - بأن حركتها تنمو وتتغذى على مز الأيم. غير أن القريب من مركز إدارة هذه الحركة والوقوف على مجريتها، يلاحظ في بحال أن لخصاً =

لعظيم، الذي كانت الصهيونية تتألم منه في مدنتها الأولى والثالثة. ونعني به قيادة الحركة من جهة واحدة فقط وتوحيد المصاعبي وصرفها وراء نقطة واحدة من فقط لبرنامج. ما رز يوتنك حتى الآن، وذلك سعيد وراء العمل "السياسي فقط لاحتساب العقبات الحارحية، أما المحادثات الأخرى فلم يهتمت إنهم. بل أهتمت بالكتابة

والأمر الأول من برنامج مؤتمر (بال) هو مثلاً (فلسطين) اقتصادياً وأدبياً، كان من نتيجة قلة الاهتمام به أن الملحة التي عنها المؤتمر ينظر في مسائل الاستعمارية لم تعمل شيئاً، لأنه لم يدخل صندوقها شيء من المال، ووجد مدير هذه الحركة في فلسطين أنفسهم بعد ست سنوات أنهم لم يتقدموا خطوة إلى الأمام، بل طبلوا في سقطة ذاتها التي ابتدأوا منها.

ثم إن الأدب الإسرائيلي لم تتقدم أيضاً تقدماً محسوساً، وكانت مسألة البحث في إحيائها تبدو في كل مؤتمر كشبح مرعب والتدليل على ذلك التحجج لظنيء الذي صادفته اللغة العبرانية في تسع السنوات الأخيرة، مع أنها من أكثر لغات العمل على تنه شعور القومي.

وجاء في الفصل الخامس من الكتاب أن سقطة الأساسية في برنامج مؤتمر (بال) هي إنشاء وطن سياسي حر مستقل للشعب الإسرائيلي في فلسطين. ويقوم من هذا بوصف أن لعدية بوحيدة من الحركة الصهيونية هي إنشاء بلاد ذات سياسية حرة مستقلة لليهود في فلسطين، لإيجاد ملحقاً أو مركزاً روحياً لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم يذكر غيرها، لأن كل شيء يرمي إلى بلاد غير فلسطين ليس هو من الصهيونية في شيء، وأخرى بتقنين به ألا يستعملوا بعده ليهودي لشر أفكارهم. ويدت أصبح من ربح المؤتمر السابع أن يهدم ما وضعه أونت المفقور بمنظف هروب بالصهيونية، ويريد على برنامج المؤتمر لأول كلمة واحدة لها معنى كبير وهي كلمة "فقط" أي "فلسطين فقط"

ويحتج بمادة أخرى بضمها إلى تقوانين الأساسية الصهيونية تضمن لمجموعها عدم التفتيح وتعبير فيها

وهذا أيضاً أشياء أخرى يجب على المؤتمر تقريرها منها أن يصدق على طرف العمل التي وردت في المواد الأربع المذكورة في برنامج مؤتمر (بال) وأن لا يفسح حرفاً منها، ولا يريد عليها شيء من شأنه أن يصرف الأذهان إلى طرق أخرى، كإشاعة ملاحق، أو مستعمرات خيرية، فود عمل ذلك سهل عليه إلهام الحركة من كونها، والقبض على أزماتها، والسير بها في أقوم طريق.

وها نحن أولاء تأتي الآن على شرح تلك المواد لأربع من برنامج مؤتمر (بال)، لا كما وردت بالترتيب، ولكن بحسب درجاتها في الأهمية، وما يترى لنا من سهولة تناولها =

ويعلق (شيد رضا) على فصول هذا الكتاب بقوله: لو لم يشر من هذا الكتاب
 لصهيوني، لا هذه الفصول تكفي من يعتبر من العرب المسيحيين وغيرهم عرةً وسناً
 لمقاصد هؤلاء نصهيانية. ويحذر من أن يكون بعدم دين هذه الأمة وتاريخها أن نصهيانية
 إذا تم بهم ما يريدون، فإنهم لا ينفون في (أرض سمعان) التي يؤسسون منكم تحديد
 فيها مسلماً ولا نصرانياً. وبسبب أرض سمعان فليس عددهم ما سمي به نحن لأن
 فلسطين فقط، بل هي في عرفهم وتحديد كتبهم لديمية تمتد إلى سوريا حتى (الشهر
 الكسري) في شهر نهر نهرات. وهذه بلاد لا يحوز عددهم أن يقيم فيها أحد غير الإسرائيليين
 وفي مصر (نسبة الأشعياء) أن تربط تربطهم عند دخولهم فيها بعد خروجهم من مصر على
 يد موسى عليه السلام أن لا يستقوا من أهلها سمعة ما - ونحن في ذلك نجد في باب
 نفوسهم - نعم، لا يبدون لأن من فيها من غير يهود بالسيف والشار كما فعل
 أسلافهم من قبل، بل يبدونهم بقوتهم الكيد والمال، وهما قوتان لهذا الشعب نصيري،
 ترهيبهم كبرى الأمم والدول، حتى إن دولة روم القوية بقدرة نشأت تنسج في هذه
 الأيام يهود بلادها على قلوبهم، لئلا يحدث فيها أحداثاً وقتلاً وحياة ترلزل أقدامها في
 هذه الحرب التي تقتضي مصالحة الدول لمحاربة فيها أن لا يكون لها شأنٌ وحشي
 بشعبها، فماد على أن يعمل العرب أصحاب فلسطين من نسيب لمحادثة على وطنهم
 وأملاتهم فيه، وعلى جهدهم أيضاً بقوه أنفسهم، وبطريق الانتفاع بها، لا أقول إنه
 لا يمكن أن يعملوا. ولكن أقول لا بد من الروية والحره وقوة لاجتماع، ولا بد من
 المساعدة التي تنظيم وسائل الدفاع، وبمعلوماً أنه لا يكاد يوجد شعب من شعوب لأرض
 عاقل من قوته واستعداده كاشعب العربي. فقوته واستعداده كامنان فيه كمون النار في
 حجر الصول تحت الثلج، فمن ذا الذي يرمل أو يذب الشيع عن هذا بحجر الصلبد، وأين
 مقدحة الحديد التي تقدح النار من هذه الرمد؟ مستحجب عن هذين السؤالين لأية، فإن
 الحوات عنهم أحداثاً وأعمالاً لا أحداث ولا كلام (وقد نعت وأحد الدوة العثمانية،
 وشيد رضا، مجلة المنار، ١٧ : ٩/٧٠٧-٧٠٨).

* * *

الفصل الثالث

اليهود والسلطان العثماني عبد الحميد الثاني

معاملة السلطان عبد الحميد الثاني لليهود الدولة:

تولّى السلطان عبد الحميد عرش الدولة العثمانية في ٧/٩، ١٨٧٦م، وقد حكم الدولة مدة أربعة وثلاثين عاماً (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) وفي عهده كانت الأزمات تحيطُ بدولة من كل جانب، فقد كانت أوضاع البلاد لاقتصادية منهورة، والجيش ضعيف القوى، وكان الشعب يعاني بحكم الرأسمالي، هذا إلى جانب مؤامرات السياسة والدولية لاقتسام الدولة، وتدخّل لبلاد الأجنبية في شؤون البلاد الداخلية، وامتلاء القصر السلطاني بمناصر تكبر الدولة مثل الصاري، ويهود الدولة الذين تخفّوا وراء أسماء إسلامية

ومن ناحية أخرى كانت تمزقات الحبل الأسود والصرب والبوسنة وهرست ضد الدولة، ومحاولة القوى العظمى الزعج بالدولة للحرب مع روسيا ثلث لمحاولة التي تنافس المحيطون بالسلطان، وعلى رأسهم (مدحت باشا) الصدر الأعظم، رغم أن الدولة لم تكن قادرة على دحون هذه الحرب^(١)

كان السلطان عبد الحميد يعمل على توحيد العناصر المتعددة في دولة من ترك وعرب وأكرد وغيرهم لمواجهة العرب، كما كان يرى ضرورة العمل على تدعيم أواصر الأخوة الإسلامية بين كل مسلمي العالم، وكان يرى أيضاً أنه لا أمل في المستقبل، لا بوحدة العالم الإسلامي، وفي سبيل اعتقاده هذا كان يحبط نفسه برجال الدين والعلماء الإسلاميين أمثال الشيخ أبو هدى الصيادي، والسيد

(١) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٣٤-٤٢

محمد رشيد رضا، والشبح عاطف الأسكليبي، و، أمير شكيب أرسلان، ومحمد
عنده، والشيخ عبد الرحمن الكواكبي وغيرهم^(١)

وعمل أيضاً على توجيه اهتمام الدولة إلى بناء المسح حد في المدن العربية،
وساه المدرس الإسلامية، لتكوين الموارد للدولة والاهتمام بالخدمة العربية
تدعياً للإسلام، وإنشاء شبكة خطوط حديدية تربط مركز الدولة بمختلف
الولايات الإسلامية، مثل إنشاء خط سكة حديد، نحج بين دمشق والمدينة
المسورة، دون استعانة برأس مال أوروبي، كما ساعد في سنها مسيحيين
مسلمين عثمانيين، هذا إلى جانب دعوته إلى الجامعة الإسلامية^(٢)

ومن الطبيعي أن يكون لموقف السلطان عبد الحميد تجاه الإسلام والمسلمين
رد فعل قوي من لحاح العرب، ومن الصهيونية على وجه الخصوص

وقد كتب العديد من المؤرخين وكتّاب الكثير عن السلطان عبد الحميد
الثاني ومواقفه الشهيرة مع اليهود، بالإضافة إلى مذكرات السلطان عبد الحميد
التي كتبها نفسه وبين فيها علاقته باليهود

وقد عمل السلطان عبد الحميد يهود الدولة في بداية حكمه معاملة طيبة،
وقد شهد بهذه المعاملة صديق السلطان عبد الحميد شخصي المستشرق
الهنغاري (أرميسوس فميري)^(٣)، كما عمل السلطان عبد الحميد حاحام اليهود
كما يعمل كبار موظفي الدولة كعده العثمانية، و نحد تنفيذ أن يرسل سنوي
في عيد الفصح، إلى حاحام إسرائيل ثمانية آلاف قرش لتوزيعها على فقراء اليهود

(١) لم يكن هؤلاء جميعاً من مؤيدي السلطان، فالكواكبي ومحمد رشيد رضا كانوا من
خصومه.

(٢) هدى درويش، مرجع سابق، ص ٤١-٤٢.

(٣) يقول فميري أنه من خلال صداقه المستمرة التي تربطني بالسلطان منذ سنوات طويلة
كان لي الفرصة للتعرف على معاملة الطلبة لليهود فكان يعطيهم مساواة أمام القانون
مع رعاياه المسلمين، وعندما استلم الحكم أمر بإعطاء رواتب شهرية لحاحام تركيا
الأكبر.

في العاصمة العثمانية. وعندما منعت حكومة كريت لمحمية في عام ١٨٨١م مشاركة اليهود في الانتخابات البلدية ألقى عبد الحميد هذه الانتقادات، ووجه السلطات لتعذيبها على حقوق اليهود.

وفي عام ١٨٨٢م ونتيجة للحريق الذي شت في الحي اليهودي (حسكي) (Haskani)، تشرّدت ستة آلاف عائلة يهودية في إسطنبول، فندد السلطان عبد الحميد كل ما باستطاعته لتحفيف هذه الكارثة عن اليهود^(١).

وفي مجال معاملة السلطان ابطية لهم فإنه في عام ١٨٩٦م أذن السلطان بالوسام الحميدي على حاحم باشي الطائفة الإسرائيلية بمصر ونوبعها (رابي اهارون بن سيمتور)، وفي عام ١٩٠٢م منحه الوسام العثماني الثاني، وبالرغم من هذه المعاملة طيبة إلا أن السلطان عبد الحميد كان يميّز في المعاملة بين اليهودية والصهيوية، وكان هذا سبباً رئيساً في تدمير المؤامرة لليهودية الصهيونية الماسونية الدونمية عليه^(٢).

كما شهد الصهاينة أنفسهم على معاملة السلطان لعثماني لليهود، ونستطيع القول إن دراسة موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية تبدأ تاريخ السلطان عبد الحميد الذي واحة محاولات لرحف اليهودي إلى فلسطين لكن ما أوتي من قوة ودبلوماسية أيضاً.

فقد تصدّى السلطان عثماني للأطماع للصهيونية في فلسطين، ورفض كافة أنواع الإغراءات المادية والمعنوية في سبيل المحافظة على المقدسات الدينية في فلسطين من السيطرة الصهيونية واليهودية عليها، الأمر الذي أدّى به في النهاية بعد حكم استمر (٣٣) سنة إلى فقدان عرشه، وعزله عن حكمه ونفيه، وطرح حتى موته بدافع عن فلسطين من توطينها لليهود ولم يرجع عن قراره.

(١) حسن علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣٠٣ نقلاً عن موسوعة يهودية في روسيا، ١٩٠٣، ص ٧٣-٧٤.

(٢) عايدة العلي، دول المثلث، مرجع سابق، ص ٣٢٥.

اعتلى لسلطان عبد الحميد الثاني عرش الدولة العثمانية عام ١٨٧٦م، وهو اسلطان الرابع والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية في ذلك الوقت كان المسيطر على الإدارة والإعلام في الدولة، أعضاء المحافل الماسونية، وبلدات محفل (سر) لدي أنشأه الأرمن في إستنبول عام ١٨٦١م، وكنت هذه النخبة المسيطرة هم الصدر الأعظم (مدحت باشا)، ورئيسي مجلس المبعوثان (أحمد وفيق باشا) و(خير الدين باشا التونسي)، وقمة الإعلاميين في ذلك الوقت أمثال (دمق كمار) و(صيا باشا) و(إبراهيم شناسي)^(١) وما إن اعلى حكمه للدولة حتى بدأ تغيير لكثير من الأنظمة التي كانت متبعة في الدولة من قبل، على الرغم من كثرة المشاكل والصعوبات التي كانت تواجه الدولة في تلك الفترة، فكانت الدولة تواجه الثورات في البوسنة والهرسك وتحول الأسود وبلغارب، وكنت الدول الأوروبية تشجع هذه الثورات، وتمدها بالمال والسلاح^(٢)

وكانت فلسطين في عهد الدولة العثمانية مقسمة إلى أربعة ألوية القدس، ويدا، والخليل، والسامرة، وكانت هذه التقسيمات لإدارية خاصة بفلسطين حيث تعد جزءاً من بلاد الشام، وفي نفس الوقت كنت بها أهميتها الخاصة التي ترجع حدودها لأسباب دينية تتعلق بالأراضي المقدسة^(٣)

كان البارون (هيرش) يأمل في إقامة وطن لليهود رومب في الأرحتين^(٤) إلا

(١) محمد حرب، سلطان عبد الحميد، أعلام المسلمين، ص ١٨٤، انظر محمد حرب، مرجع سابق، ص ١٣-٢١.

(٢) انظر أورهان محمد علي، سلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٩٨-٩٩ يقول السلطان عبد حميد إن الماسونية الدولية كانت له بالمرصاد، مد أن وجهها ونمى من بلاد رئيس ورائه مدحت باشا، (محمد حرب، السلطان عبد حميد، ص ٨٥)

(٣) أحمد بوري نعمي، أثر الأقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية نحده فلسطين، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٤) البارون هيرش ميبوير يهودي، ومؤسس جماعة الاستعمار الاستيطاني اليهودي، بلغت ثروته عام ١٨٩٠م عشرة ملايين جنيه، تزوج بلإليس ببيع (٢٠٠) ألف جنيه، نادى تهجير اليهود إلى الولايات المتحدة، وكند و ليرريل والأرحتين، والعمل على تحويل اليهود إلى شعب زراعي، (عبد الوهب المسيري، موسوعة المفاهيم =

أن هذه المسألة أصبحت تعد تدخل مرتزل في القضية تأخذ شكل إقامة وطن لكل اليهود، وليس ليهود روسيا فقط، فلم يعد هذا المكان هو (الأرحس)، بل أصبح (فلسطين) وكانت فلسطين جزءاً من لدولة العثمانية^(١)

وكانت الدولة العثمانية في البداية تسمح بهجرة اليهود إلى أراضيها حتى ظهرت نواياهم الصهيونية من ناحية، وتدخل الدول الأخرى في شؤونها من ناحية أخرى، إلى جانب احتياحات العرب الفلسطينيين ضد هجرة اليهود إلى فلسطين في الوقت الذي كان معظم المهاجرين اليهود كانوا من يهود روسيا، وكانت روسيا ضد تركيا في ذلك الوقت^(٢).

طلب (روتشيلد) المصرفي اليهودي الشهير من السلطان عبد الحميد حلال زيارة له في إستانبول، إقامة وطن لليهود في سحرى القدس، حيث طلب إقامة قرى يهودية في فلسطين في مكان تحدده الحكومة العثمانية، ولا مانع من وجود منازل إسلامية في هذه القرى، وسوف يتبع اليهود تقديم من سحرى قوانين ونظم الدولة العثمانية، وسيتم مقابل هذا تقديم الخدمات والتسهيلات في مسألة الديون العمومية، وسيتم تقديم الصمان الكافي لذلك^(٣).

لكن السلطان رفض هذا الطلب، بل وأمر سفراء الدولة العثمانية في واشنطن وبرلين وفيينا ولندن وباريس بتعقب الحركة الصهيونية، وإرسال محجرين عثمانيين إلى الاجتماعات الصهيونية في أوروبا، وكتابة التقارير عنها، وإرسال قصاصات الصحف والمجلات الأوروبية المتعلقة بشط اليهود في بلاد لأوروبية إليه في إستانبول، كما أمر السلطان نظرة الشؤون العقارية بعدم بيع أراضي للمهاجرين إلى فلسطين^(٤).

= والمصطلحات اليهودية، ص ٢٢٤)، (أمين عبد الله، مرجع سابق، ص ١٢٥)

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار لقدم، مرجع سابق، ص ٥٣

(٢) رفيق شاكور، مرجع سابق، ص ١٧٤.

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، محمد حرب، دار لقدم، مرجع سابق، ص ٥٤

(٤) محمد حرب، العثمانيون في تاريخ والحضارة، ص ٣٨، يقول محرم فوري طوعاي في =

وكانت فلسطين ساحتية تدخل ضمن الشام التي كانت مقسمة إلى إيلات، فقام السلطان (عبد الحميد الثاني) بإدخال تعديلات على لوصع الإداري لبيت المقدس حيث جعلها عام ١٨٨٧م (متصرفية)^(١) تابعة لباب لعدلي مباشرة، وكان هدف السلطان عبد الحميد من تحويلها من ساحتية إلى متصرفية مستقلة مرافقة لتحركات لهجرة اليهودية إلى فلسطين، والحد منها^(٢)

كما كانت مقسمة إدارياً إلى قسمين هما (متصرفية القدس) وكانت ترتبط بوررة الداخلية، وكانت تتبعها أقضية شرع، ولحميل، وغرة، ويا، وبيت لحم، وأريحا وكان لمتصرفية القدس هذه المكانة بظراً لأهميتها المقدسة، حيث إن معظم الأماكن المقدسة تقع في هذه المناطق (شمال فلسطين) كان يتبع لواءين لواء نابلس ونواء عك، أو متصرفية نابلس و متصرفية عك^(٣)

وفي عام ١٨٨٧م صدرت أوامر بشأن هجرة اليهود إلى فلسطين بعد أن تحقق السلطان عبد الحميد من خطر استيطان لليهود فلسطين، وما يترتب عن الامتيازات التي يحصلون عليها باعتباره رعي أحسن، فأصدر قراراً إلى متصرفي القدس ويا بالسماح لليهود بدخول البلاد كحجاج أو زور فقط، وعلى كل يهودي أن يدفع (٥٠) ليرة عثمانية مقابل تعهده بمعاملة البلاد خلال (٣١) يوم^(٤)، وقد امتدت بعد ذلك مدة المسموح بها إلى ثلاثة أشهر

= مدته التي نشرت بمحله يوم طوعو تركية في ٢ ٥ ١٩٤٦م تحت عنوان فلسطين والمساكن اليهودية جاء فيها: "إن تصرف عبد الحميد تجاه الحركة اليهودية بهذا الشكل لمعدي كان معه أنه يتسبب في هدم ناحه وهدم عرشه، ليس هذا فقط بل وبالتالي في هدم لدولة عثمانية كلها (انظر مذكرات لسلطان عبد الحميد، محمد حرب، دار القلم، مرجع سابق، ص ٥٥).

(١) المتصرفية هي وحدة إدارية تلي للولاية في الأهمية والمساحة
(٢) انظر أحمد بوري العجمي، أثر لأقليات اليهودية، ص ٣٥، عد الفرير شاوي، مرجع سابق: ٩٧٩/٢.

(٣) انظر حبرية قسبة، الشاط ليهوي في الشرق العربي وصده ١٩٠٨ - ١٩١٨م، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٦٣م. ص ٩

(٤) رفيق شاكرا، مرجع سابق، ص ١٦٨ - ١٦٩.

وقد كانت هذه القيود موضع مراسلات بين السفارة البريطانية وبنسايون التي أعلنت فيها السفارة البريطانية رفضها تحريم الرعايا البريطانيين من التمتع بحقوق الامتيازات في السفر والإقامة بفلسطين، وأن القيود الوحيدة التي يمكن أن تفرضها هي القيود التي توضع بشأن النواحي الصحية أو الأرذحم أو لإصرار الأمن العام، وقد كان اليهود في ذلك الوقت يحصلون على حسابات بريطانية حتى يتمكنوا من دخول فلسطين بحورات بريطانية، فيحصلون على الحماية عن صربها، وقد قطعت الدولة العثمانية لهذه المحاولات التي حاول اليهود عن طريقها دخول فلسطين، حتى أن انفصل (ديكسون) أرسل رسالة إلى السفير (أوكونر) يعترف فيها عن رفضه لهذه القرارات العثمانية بقوله: "إنه لا يحب تقديم أي اعتراض على بقاء مثل هؤلاء عند نهاية شهر اثنان".

تصدى لسياسة عثمانية لموقف البريطاني تجاه استعمار يهود فلسطين، وأعلن استياءه لموقفها في تشجيعها لهجرة اليهود غير الشرعية إلى فلسطين، وحمايتهم لليهود، الذين رفضوا العودة من فلسطين بعد تأديتهم طقوسهم الدينية^(٢).

وفي هذا الشأن أرسل سلطان عبد الحميد إلى متصرف القدس لأحرر اتصالاته بقضايا الدول لأحسية عام ١٨٨٧م لإبلاغهم استياء السلطان والحكومة العثمانية لعدم قيام القنصليات الأحسية في القدس بإحراج اليهود الذين انتهت مدة إقامتهم، فكان رد القناصل على المتصرف أنهم لم يقبلوا تنفيذ الأمر حتى يتلقوا تعليمات من سفاراتهم في استانبول^(٣).

في ذلك الوقت لم يكن يسلطت العثمانية أي صلاحية تطرد اليهود الأحبار، ذلك لأنها كانت مصهرة بالرجوع إلى القناصل حسب نظام الامتيازات

(١) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٢٥.

(٢) رفيق شاكر، مرجع سابق، ص ١٦٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦٩.

الذي كان متبعاً في الدولة العثمانية في ذلك الوقت الذي كان اليهود يدجؤون فيه إلى الرشوة حتى يتغاضوا عن مسألة تركهم البلاد^(١) وكان موظفو ميناء يافا المرشسين يرسلون بلباب العالي بيانات كاذبة تفيد بأن اليهود الذين دخلوا البلاد قد عادروها بعد انقضاء مناسكتهم، وقد فطنت الحكومة^(٢) لأمر هؤلاء، واستعدت العاصر الفاسدة، وأعلنت بريطانيا عام ١٨٨٨م احتجاجها على هذه القوانين، فقامت لسلطات العثمانية بالرد على هذا الاحتجاج بقولها: «بها لن تطبق إجراءات بمنع على اليهود لإنجليز الذين يأتون فرادى، وإنما التصيق يصق على اليهود الذين يأتون بأعداد كبيرة»^(٣).

وفي عام ١٨٨٩م أرسل (يوسف ضيا الحالدي) ممثل القدس في (مجلس المبعوثان) رسالة إلى (صاحم) (صادق حن) قال فيها: «إن فلسطين حرة لا يتجزأ من الإمبراطورية العثمانية، وإن سكانها ليسوا من اليهود، لذا رأى الحالدي خطراً على مصير شعب فلسطين، لأن الهجرة اليهودية ممكن أن تؤدي إلى طرد الفلسطينيين من ديارهم، ولكن اليهود سيواجهون سطع حركة شعبية، من قبل السكان العرب، لذا طلب الحالدي من (صاحم) إقناع اليهود أنه من الأفضل لهم أن يذهبوا إلى مكان آخر غير فلسطين»^(٤).

وقام (صاحم) (صادق) بدوره بإرسال هذه الرسالة إلى (تيودور هرتزل) فجاء رد (هرتزل) بما يلي: «إن لليهود كبراً ومارالوا وسيبقوا من أحسن أصدقاء تركيب. وأن الفكرة الصهيونية ليس لديها مشاعر العداء تجاه الحكومة العثمانية، بل على العكس من ذلك تماماً فهذه الحركة مهتمة بإيجاد موارد جديدة للإمبراطورية العثمانية عن طريق السماح لعدد محدود من اليهود بالهجرة وبهذا لا يوجد شيء على الإطلاق يثير الخوف من هجرتهم». أما بالنسبة

(١) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٢٥-٢٦.

(٢) وفيق شاكر، مرجع سابق، ص ١٧٣.

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٠.

(٤) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٤١-٢٤٢. نقلاً عن The Zionist Attitude to the Arabs 1908-1914, pp. 200-238.

لشعب فلسطين، فإنهم سيكسبون إخوة أدكياء كما سيكسب السلطان رعايا محنصين... لقد قدمت لحائب السلطان بعض المطالب العامة، وأن سعيد لا اعتقادي بأن ذكاءه الحاد سيجمعه يقبل الفكرة من حيث المبدأ. وإذا رفضها مسحت واثقير بأننا سنجد ما يستعيه في مكان آخر...^(١)

وفي نفس هذا العام أيضاً (١٨٨٩م) حدثت عدّة مصادمات بين العرب واليهود أدت إلى تدخّل الشرطة العثمانية، وكانت هذه المصادمات بسبب تزايد بيع العائلات النبطية لمالكة للأراضي للمهاجرين اليهود.

وخلال ١٨٩٠ - ١٨٩١م اشتدت حركة الهجرة إلى فلسطين من قِبل اليهود في الوقت الذي اشتدت فيه السلطات العثمانية في منعهم من دخول فلسطين على الرغم من صعود أميرك وبريطانيا، وذلك استجابةً منها لشكاوى أعيان بيت المقدس وعرب فلسطين من تسلل اليهودي نتيجة لإشياء مستعمرة (ديشوفوت) التي أنشأت أول مدرسة عبرية للنبات في يفا إلى جانب العديد من المدارس العبرية في القرى الزراعية^(٢)

وفي عام ١٨٩٢م صدرت أوامر الباب العالي إلى متصرف القدس (إبراهيم حاجي باشا) من بركة تسجيل الأراضي أن يوقف بيع الأرض الميري (Min Araz) (وهي أراضي الدولة التي يتطلب نقل ملكيتها لحصول على تصريح رسمي) إلى اليهود حتى ولو كانوا رعايا عثمانيين. أما بالنسبة للأراضي الخاصة التي كانت ملكاً للأفراد فكان من الصعب تنفيذ هذا القانون عليهم^(٣)

وفي ١٨٩٦/٢/٦م تنبأ أحد الشخصيات اليهودية ويدعى (دسور) بقيام

(١) حيدر علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٤٢. انظر نص برسته كاملة في ملحق رقم (١٨) إلا أنه ملاحظ من خلال دراسة بومبات هرتزل بأنه لم يأت على ذكر برستين سواء رسالة الخالدي أو جواب هرتزل عليها.

(٢) مستعمرة ديشوفوت نشأتها جماعة سي موسى برئاسة حدها عام، (انظر عبد العزيز الشناوي، مرجع سابق: ٢/ ٩٨٠).

(٣) ميم كامل، مرجع سابق، ص ٧٥.

دولة إسرائيل في فلسطين خلال خمسين سنة، وكان هذا الرحل يهودياً بمساوياً يعمل في الشؤون المصرفية^(١).

سياسة السلطان عبد الحميد نحو هجرة اليهود إلى الدولة العثمانية:

كان السلطان يرى أنَّ الدولة لديها عدد كافٍ من اليهود، فإذا كنت تريد أن يبقى المصير العربي متوقفاً، فإنه يجب صرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين، ولأنَّ ليهود إذا استوطنوا أرضاً تملكها كافة مقدراتها خلال وقت قصير، وبذا تكون الدولة قد حكمت على المسلمين بالموت المحتم فيها^(٢).

أمَّا سياسة السلطان عبد الحميد العامة نحو الهجرة، فكان يرى ضرورة تنظيم الهجرة بشكل مناسب، وهذا لا يعني هجرة اليهود إليها، فقد مضى عهد دخول أتباع الأديان الأجنبية إلى المجتمع التركي كدخول الشوكة في الجسد - على حدِّ قوله -: وكان يرى أنَّ من يدخل الدولة فإنه لابد وأن يشارك الشعب في العقيدة، ونتيجة لذلك فلا بد من الاهتمام بتقوية العنصر التركي (العثماني) والسعي إلى ريادة المسلمين في البوسنة والهرسك وسعاريا، ودعوتهم إلى الهجرة إلى هذه المناطق واستيطانها^(٣).

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٢) يقول السلطان عبد الحميد: «بني أدرك أطمعهم جيداً، لكنَّ اليهود سفلحيون، في صهم أسي ساقبل محولانهم، وكما أسي أقدري رعاب من اليهود خدمتهم لدى نائب العالبي، فربي أعادي أمانهم وأصاعهم في فلسطين» (انظر ربيع شاكرو، مرجع سابق، ص ١٨٤).

(٣) ربيع شاكرو، مرجع سابق، ص ١٨٥. يوضح السلطان عبد الحميد الأسباب التي دعت لهوقوف في وجه الهجرة اليهودية إلى فلسطين بقوله: «كان لابد من إشعار الأرمني الحديثة من السكان في داخل إمبراطورنا، وكان علينا أن نضع طريقة تهجير مناسبة، ولكن لم نجد أن هجرة اليهود مناسبة، لأننا لا نريد أن نزرع في أرضنا سكاناً لا يتمتعون إلى نفس ديت وعاداتنا حتى لا نتمكنهم من السيطرة على الحكم، ولذلك نفضل أن يكون المهاجرون من نفس الدين والإيمان، وواحد يحتم علينا تقوية العنصر التركي المسلم، وإلى تشجيع هجرة المسلمين إلى البوسنة والهرسك وسعاريا والعمل لاستيطانهم =

وأعلن السلطان أنَّ الانحاديين قد "تحوّأ عليه بأن يصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين - ورغم إصرارهم فإنَّ السلطان لم يقبل هذا لتكليف بصورة قطعية، ثمَّ وعدوا بتقديم مئة وخمسين مليون ليرة بحيزية ذهباً للدولة، فرفض هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً^(١)

وقد عبر السلطان عبد الحميد بموقفه هذا بقوته الشهيرة. "سبَّ مستعداً لأن أتحل في تاريح وصمة بيع بيت المقدس لليهود، وحياة لأمانة لني كنفي المسلمون بحمايتها"^(٢).

أمَّا عن سياسته تجاه فلسطين ولعرب المسلمين فهو يرى "أنَّ دولاً أوروبية كثيرة أرادت التخص من اليهود، وأبذت هجرتهم إلى فلسطين، وإذا حدث هذا الأمر، وسمح لهم بالهجرة إليها، فإنهم في فترة قصيرة يسيطرون على الحكم، وتصبح فلسطين تحت سيطرتهم، ويكون بذلك قد قضيت بأيديهم على عصر ديب بالموت الأكيد"^(٣).

فيها... (مذكرات السلطان عبد الحميد).

(١) يقول السلطان بهذه حساسة به أحدهم بالحوب قطعي الانبي: "إنكم لو دفعتم من لدب ذهباً - فضلاً عن مئة وخمسين مليون ليرة - بحيزية ذهباً - فليس أقبل شكنتكم هذا بوجه قطعي لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة لمحمدية ما يريد عن ثلاثين سنة، فليس أسود صحائف لمسلمين باني وأحدادي من اسلاطين والحنفاء عثمانيين، بهذا من أقبل تكيفكم بوجه قطعي أيضاً وبعد حواشي القطعي، تقعو على حنفي، وأسعو أنهم سيعودوسي بنى سلايت فقلت بهذا التكيف الأخير هذا وحدثت لموني وأحمدت انبي لم أقبل أن أصبح دولة عثمانية وأعدم الإسلام بهذا القرار الأبدى اسثن عن تكيفهم برقاة دولة يهودية في الأرض المقدسة فلسطين وقد كان بعد ذلك ما كان ولدا فيسي أكثر لحمد والله المتعال، وأعتقد أن ما عرضته كإ في هذا الموضوع المهم، وبه أحبه رباني هذه السلطان عبد الحميد، مذكرتي السياسية، مرجع سابق، ص ٢٩).

(٢) انظر هدى درويش، ص ٤١، نقلاً عن 771 772 Schbender Zade

(٣) حسن حلاق، مرجع سابق، ص ٢٧٠ - ٢٧١ يقول السلطان عبد الحميد "لأنَّ لتاريخ يوماً أن يُفصح عن ماهية الذين سمو أنفسهم (الأنركاشين) أو (تركيب لفتة) =

وقد شعر السلطان عبد الحميد بخاطر هؤلاء اليهود في استيلائهم على فلسطين، فقام بإصدار عدة فرامات تمنع استعمار اليهود لفلسطين، وكان ذلك قبل إصدار هرتزل لكتابه (الدولة اليهودية)^(١)، والفرامات التي صدرت عن الحكومة العثمانية، والتي كتبها السلطان بيده عام ١٨٩١ ثلاثة فرامات هي كالتالي:

= وعن مأسويتهم استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أن كلهم تقريباً من ماسون، وأنهم منسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي، وكانوا ينفون معوية مادية من هذا المحفل ولائاً للتريخ أن يوضح عن هذه المعونات، وهل كانت معونات إسرائيلية أم سياسية؟^(٢) (انظر مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، ط ٣، ص ١١٥-١١٦)

ويقول أيضاً وكما قُنت من قبل في الصحف التي صدرت في أوروبا ومصر بمختلف أسمائها، ورجال الجمعية الذين يحولون هذا البلاد، ثم يحرروا بلاداً كذاً واحداً ولكن محفل الماسونية - رغم كل نفعائهم - جمعت من هؤلاء المنسكبين أعلاماً عديمي حركة وسطاً من أعضاء (الاتحاد والترقي). وثبتت هي قصة (تركيب الفتاة) وجمعية (الاتحاد والترقي) معه، هذه هي حكايتهم. ولكن نتيجة هذه اليوم بكل أسف أمام أعيننا يقولون لي إنك تعلم كل هذا، ومع ذلك لم تنصحه ولم تنصحه لماذا أغضبت عيني عن حراب لدولة وإهيارات؟ حيث أليست نساءه مسنة إعماص عبي، فقد كنت بقطاً في كل لحظة، لكي لم أكن أستطيع مع هذا كنت معزدي، وكان معهم كل عام بعدو ثم تكن طسعي وطروفي تبعدني إلا بعد التدر، يديسي أصدقائي ناسي مشاهير، أما أعدائي فيقولون إنني طلم عذار واحسان محققين، فلا أيا كنت السلطان سليم الأول، ولا بلاد السلطان سليم الأول كنت تحت إمرتي الإطاحة فوراً بعدة رؤوس؟ كلام من ناسه فوه، من انصبت سعيده، وكل رأس إنسان تمنح إمام الإنسان قوة، ولو استطعت أن تملأ هذه نهوة لمسيحيون مث، وتستطيع عندها أن تهدد، وكل ما تهدد به سيفك، وفي حانة عدم تعضية هذه نهوة، فليس هناك شيء، فقط يمكن عمله، وأن يسار رحيم سيد ميلادي، ونكي أعني أن الدولة لا يمكن أن تدار بترجمة كل ما استطعت عمله، وبو كان السلطان سليم الأول سلباً في عصره لكان يمكن أن يعمل مثلما عملته أن أدب وحي، وسعيث وراء، صريح، وحرصت ألا أؤدي الأهالي، عارصت سبك الدماء في كل مكان، ولكن عشاً ما فعنه ليس ما قدمته لأعضاء (تركيا الفتاة) شعقة، ملادي أصحت صحية لعنة هؤلاء الأتراك لشاب، وإنها لعنة لا يمكن نضعف عنها (مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، ط ٣، دار القلم، دمشق، ص ١٣٤-١٣٥).

(١) أورخان، ص ٢٥٧-٢٥٩.

الفرمان الأول «بعدد ليكم المذكرة... إن قبول لدين طردوا من كل مكان في الممالك العثمانية سيؤدي في المستقبل إلى تشكيل حكومة موسوية، لدون إجراء هذه لمعاملات غير حائز، وبخاصة أن الممالك الشاهية ليست من قبيل الأراضي الخفية والمتروكة، ولما كان من المفروض إرسال هؤلاء إلى أمريكا؛ لذا فلا يقبل هؤلاء ولا أمثالهم، بل يجب وضعهم في السجن فوراً لإرسالهم إلى أمريكا، وأن يتخذ مجلس الوزراء قراراً قطعياً بخصوص تفصيل هذا الأمر وعرضه علينا، إذ ما الداعي لقبول من طردهم الأوروبيون لمتهمون، ولم يقبلوهم في ديارهم؟! وفصلاً عن ذلك، فإن هناك دساتير كثيرة؛ لذا فإن هذا الأمر غير جائز على الإطلاق، وبناءً على ذلك، وحتى لا يبقى هناك أي مجال بعد الآن لأية معروضات أخرى في هذا الخصوص، تُعاد هذه المذكرة للصدارة لعظمى لائحات قرار عام في هذا الموضوع».

الفرمان الثاني وقد صدر بعد سبعة أيام من صدور الفرمان الأول، وقد جاء فيه: «إلى اللجنة العسكرية للجمعية السنية إن قبول هؤلاء الموسويين وإسكانهم أو إعطاءهم حق المواطنة شيء صارحاً فقد يتولد عن هذا في المستقبل مسألة حكومة موسوية، لذا يجب عدم قبولهم، وأن يؤخذ هذا في الحسبان عند عرض المسألة، وأن يعرض هذا القرار بسرعة هذا اليوم، وأن تُعفى المعلومات للصدارة لعظمى من السكرتارية الخاصة».

الفرمان الثالث صدر بعد يوم واحد من الفرمان الثاني، صدر فيه: «لا يحق لأية دولة أن تعترض على عدم قبول الموسويين لدين طردهم دول متمدة، ولم تقلبهم الدول المتمدة لأخرى، وهؤلاء الذين يحتجون ويعترضون على كان من الأخرى بهم، لا احتجاج على الدول التي طردتهم، ورفضت قبولهم وبناءً عليه فإن هؤلاء الموسويين لو أسكنوا في أي مكان (من أحرى لإسراء طورية) فإنهم سوف ينضمون إلى فلسطين شيئاً فشيئاً، مهما اتحدت من تدبير، وسيسعون لتشكيل حكومة موسوية بتشجيع وحمية الدول لأوروسية، ولن يعمل هؤلاء في الزراعة والملاحة، بل سيحاولون لإصرار بالأعالي، كما فعلوا في البلدان التي

طُردوا منها، وما دام هؤلاء كانوا يصددون الهجرة إلى أمريكا، إذن فإنّ من المناسب أن يهجروا إلى هناك، ويرى وحبوب المداكرة بشكل مفصّل في هذا الموضوع في اللجنة العسكرية».

أم بخصوص التعليمات التي أصدرها السيد عبد الحميد، وتحصن ريادة اليهود للقدس، وكان ذلك في غضون عام ١٩٠٠م فحاشا كنتاني

المادة الأولى لا بدّ للموسويين - سواء أكانوا من رعايا الدولة العلية أم من لمماتك، لأجسية - الذين يذهبون فلسطين لأجل الريادة أن يحملوا معهم تذكرة مرور - أو حوار سفر - تتضمن صفة وغاية سياحة وتسمية حامليها

المادة الثانية على جميع هؤلاء الرواد الموسويين الذين يصنعون ولاية بيروت، أو إلى أي ميساء من موانئ ولاية القدس لشربف إيداع تذكرة مرورهم أو حوارات سفرهم لدى موظف الحوارات، والحصول - مقابل قرش واحد - على تذكرة ريادة أو إقامة مؤقتة لمدة ثلاثة أشهر في فلسطين، وتفسير تعبير هذه التذاكر عن غيرها يجب أن تكون بلون وشكل متميز، ويجب إبراز هذه لتذكر لموظفي الدولة وللشرطة عند الصلب في أثناء السياحة أو الإقامة، ويُخرج بقوة الشرطة أو بواسطة فصل الحكومة المنسب إليها كلّ من ينحدر هذه الأشهر الثلاثة.

المادة الثالثة يجب نصب ونقطة معسكرات وتواريخ تذاكر الإقامة المؤقتة لمرور الموسويين المذكورة في المادة السابقة، وتنظم هذه القوائم في نهاية كل شهر لينتسب إخراج الذين يتجاوزون هذه المدة. وكذلك معقنة الموططين الذين يتهاونون في هذا الخصوص.

المادة الرابعة إذا ظهرت في الحدود المنظمة لأمر سياحة والإقامة أية مخالفة لدى مرور الذين يكملون المدة المسموحة لإقامتهم أو سياحتهم، ويتركون أرض فلسطين أو يأتون ميساء بيروت لركوب سواحر أو يسهون مدة إقامتهم، أو الذين يؤدّون وثائق المرور ووثائق الإقامة فيجب تحدد إجراءات

حارمة ضد المخالفين وصد 'الموظفين المسؤولين عن تطبيق هذه تعليمات' (١).

سياسة الضغط على السلطان لإجباره على إعلان الدستور، ودور اليهود فيها:

منذ عام ١٩٠٦م بدأت الحكومة في استعمال العنف، واتباع أساليب العصابات المسلحة، وحدث الكثير من الاضطرابات والاضطرابات وعميات حطفت المسؤولين، الحكوميين والاضباط الكبار، وحدث اضطراب في إعلان العصيان ضد الحكومة، وقام لاتحاديون باعتبار (شمسي باشا)، وكان هذا الحدث دليلاً على مدى تفعل الاتحاديين داخل الجيش، كما قدموا برسائل تهديدات لمقصّر لإجباره على إعلان دستور، وفي النهاية قرر السلطان إعلان الدستور معاً أنه سوف يحمي بشير، وكان من نتائج إعلان الدستور أن أصبحت (جمعية الاتحاد والترقي) لها سيطرتها الفعلية على البلاد بعد أن كانت مستترة ومنحفية، وانتشرت فروغها في أنحاء البلاد، وتمت تغييرات في السياسة الداخلية للبلاد، وتم تعيين (كمال باشا) صديقاً أعظم بعد استقالة (سعيد باشا) كما تم تعيين (رحب باشا) وزيراً للحربية.

وبالنسبة للسياسة الخارجية فقد أعلنت النمسا ضم البوسنة والهرسك لها، كما أعلنت إمارة مصر بصفاتها عن لدولة العثمانية، ونتم إلحاق جزيرة كريت باليونان (٢).

في ٢٣ ١٩٠٨/٧م اندلعت الثورة ضد الحكم مصرية بإعلان دستور، حيث خرج الجيش الثالث من مقديش - وخاصة سلايك - مهدداً بعدم نحو العاصمة يستول، وقام الجيش باحتلال دار سرو، وندعوا الحكومة بضرورة إعلان الدستور، وقد حاول السلطان عبد الحميد موازنة هذه ثورة عن طريق جيشه في الديار، إلا أنه عدل عن هذا العمل خوفاً من تدخل الدول الكبرى التي

(١) أورخان محمد علي، مرجع سابق، ص ٢٥٩-٢٦٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٠-٣٢٢.

كانت تؤيد أهداف الثورة، وتقف في صف الاتحاديين الذين وعدوها بمزيد من الاستثمارات في الدولة، وكانت العنة البارزة في هذه الثورة هي (يهود الدونمة) الذين كانوا يتلقون المساعدات المالية من الرأسمالية العالمية^(١). وعلى هذا أعلن السلطان أنه «سيدع نفسه للتأثير»^(٢)

وقد رصخ السلطان لهذه الثورة معاً بحكمه الدستوري على الرغم من رفضه لشديد له، وذلك حفاظاً على الدولة من الانهيار، وتة إعلان القانون الأساسي في البلاد، وأكدت لأحداث أن إسحترافهم ساء كان لهم الدحل الأكبر في قيام هذه ثورة لما لهما من أهداف وأغراض في الشرق، وقد أكد هذا القول السلطان العثماني بقوله «إن منظمة ماستر كانت تدار بواسطة الإبحير، بينما أعضاء (تركيب لفة) في سلايك كانوا تحت تأثير مسون النماب ويطانيا

وقد بدأ أنور ونياري تحت ضغط الماسون الألمان - مع جماعة سلايك - بالتحرك ضدي . وأن لاتحاديين في سلايك كانوا يرون أن التحالف مع الإبحير ضرورة ملحة، لأنها أكبر دولة بحرية^(٣)

وقد عمت فرحة الشعب، وأصبح جمعية الاتحاد وشرقي قوة في الدولة، وأحدثت تنشر فروعها في أنحاء البلاد، وعلى الرغم من إعادة الدستور إلا أن السلطان عبد الحميد عقد عزمه على التخلص من لاتحاديين ومن الدستور، فقد كان على علم قوي بالسوابق التي عقدوها صده^٤

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٩٤-٢٩٨.

(٢) أورهان محمد علي، مرجع سابق، ص ٣١٩ وفي هذه المناسبة قال السلطان عبد الحميد «هذا كنت في ذات فعيل نعواء وبعض النظر عن المحدثين و لماؤي يحب أن أوجع (محسن المصونين) وأعلن دستور، لكي أظهر أنني أقوم بأمرهم (السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية، مرجع سابق، ص ٣٢).

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، مرجع سابق، دار نشر، ص ١٥٠

(٤) يقول حربير Garnier، إن يهود سلايك لمتمسكين بنبى لمحدثين لماموية كان باستطاعتهم أن يحددوا حرم المصاير الحكومية التي سولت الحكم في مستقبل، وأن المبادئ الأساسية لموشة لاتحاديين إنما ظهرت تحت تأثير الصهيونية المتحفة =

وبعد إعلان دستور ١٨٧٦م، تولّى (يوسف ضيا الحالدي) رئيس لجنة المهاجرين^(١) تمثيل القدس في (مجلس المبعوثان)، وكان ذلك عام ١٨٧٨م، لكنّ الدستور ظلّ مغلّقاً حتى عام ١٩٠٨م، وبعد إعداده بعد حركة ١٩٠٨م تمّ انتخاب (سعيد الحسبي) و(روحي الحادي) نائبين عن متصرفية القدس المستقلة^(٢).

وكان نتيجة ثورة ١٩٠٨م أنّ راد اليهود اليهودي في شؤون الدولة العثمانية، وبدأت الهجرة اليهودية تتدفق إلى فلسطين مع بُعَاء اليهود التي كانت مفروضة عليهم من قبل الحكومة العثمانية، وبعد إعلان الدستور دخل كثير من يهود الدولة لأستانة، وبدأ يهودهم لاقتصاد في سببي يظهر على المستوى العام للدولة، وحاولوا تهئية كافة الأحياء من أجل الإطاحة بالنسب عبد الحميد

في ذلك الوقت أعلن رعماء الاتحاد والترقي وفي مقدمتهم نديم باشا الذي صرح بأنّ للحكومة العثمانية على استعداد لإعناق سبع (٥) ملايين ليرة عثمانية لتوطين مهاجرين في المناطق المقدونية بما فيهم عشرين ألفاً من يهود رومانيا^(٣)

وفي عام ١٩٠٨م استنّاع (فكتور حاكوسون) رئيس مكتب المطعم الصهيونية في إستانبول كسب ثقة ألمانيا، حيث تمكّن عن طريق استاذ الألماني والصهيوي من مراقبة ما يحدث في فلسطين، وتعاون لدعوة نديم كروموين لألمانيا، وأدى هذا الموقف إلى غضب بريطانيا التي كانت تزيد الصهيونية^(٤)

١- ومع من يهود يهود في (وساطة ابركيا عتاه) أن جعل مركز الجمعية الرئيس في ملاسك
إلى صاء رعدت يهود وندسونه معاً، بالإضافة إلى كثرة أعضائها في مقدونيا حيث
تشكلون عداوة في جمعية (نظر حسن، مرجع سابق، ص ٣٠٦)

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حبيب، ص ١٠١.

(٢) أحمد بوري السمي، أثر الأقية يهودية، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٣) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٥٣.

(٤) انظر حسان حلاق، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

كما حاولت المنظمة الصهيونية عام ١٩٠٨ء تشجيع الحكومة الألمانية لمساعدتها عن طريق التحدث لاقتصادي لها، حيث تحدثت أن مساعدة لحركة لصهيونية سوف تعود بمصالح اقتصادية لألمانيا وأوروبا، وكانت الدولة العثمانية على علم بكل هذا الأساليب، فقام السلطان عبد الحميد بإصدار عدد من القرارات لتثبيت لسيطة العثمانية في فلسطين، وقد أوعز إلى متصرف القدس بـ الاهتمام بأهالي منتصرين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، وفي سبيل تحقيق ذلك قام متصرف القدس في نيسان - أبريل ١٩٠٨ء بحولات استطلاعية لتعريف على أوضاع الفلاحين هناك، وقد أنقذ حصداً في شرسع وخجه إلى مشايخ وأهالي المنطقة^(١).

وكان الصهاينة يتصورون حدود إسرائيل الكبرى من حين تشييع لذي يضم مناع نهر الأردن ووادي بردى في الشمال إلى الأرض محصورة بين راشيا وصيد، وقناة السويس وشبه جزيرة سيناء من الجنوب، وبحيرة طبرية في الشرق، والبحر المتوسط في الغرب ويتكويها هذا النصح فلسطين بين يدي شعب يعرف كيف يدفع عنها بلد أصعب المنا^(٢)

(١) من متصرف القدس في حصده من المعلوم أنكم تأتون همه واحد وسعي تسبحون دحائر كافي ليس فقط لأهل بل لسبع، بل ونعم أهلي واء القدس، بل وأهلي سور بأجمعهم وقد مرروا على هي كبر مرد في حصده وبدأ يذكر مشاريع سدوة بأنه سيبدأ مكتب كبير في شرسع لتعليم دروس برراعه وتوفر الصواحين لطحن جنوب فأنزل على روحكم ومدد حناكم نظروا أيضاً كيف أمر مولانا حبقة لأشياء الحيرة كم، فونه سيشتي في بل سبع شعة بل راغي سيصير إقراركم مدد هم كم السهولة، فتحلصوب من أيدي محتكرين وعضواين، ونخلود مدركه ومؤوسكم ودحائركم وأدوكم نريعه بكل سهولة، وأيضاً سيحب لكم بواسطة حكومة مكاتب وآلات بررية من حسن يدي سنعمل بل (د) فتحزنون بها رأيكم، وتعدرون بها مداركم (نصر حنا علي حلاق، ص ٢٢٦)

(٢) حسان علي حلاق، ص ٢٤٨.

حادثة (٣١ مارت) في (١٣/٤/١٩٠٩م) وموقف اليهود منها:

وقعت ثورة في إستسول مصادرة ثورة ١٩٠٨م عُرفت باسم حادثة (٣١ مارت) اشترك فيها بعض فئات الشعب والحدود وأركان السراي، بدأت الحركة قرب منتصف ليلة ٣١ مارت (١٣ نيسان - بريل) في ثكنة (طش فشة) عندما قام حدود (أوجي طوري) بحس صاهم في العرف، ثم تدفقوا إلى ساحة (سلطان أحمد) وبدؤوا عند حلول صباح اليوم التالي بإطلاق الرصاص في الهواء مما ولد فرعاً ورعاً عند أهالي، ثم أخذوا يهتفون بريد الشريعة بريد الشريعة، ثم أرسل الحدود المتمردون رسلاً إلى معسكرات الجيش الأخرى يطلبون الالتحاق بهم، وفعلاً التحق بهم بعض الحدود الآخرين، كما التحق بهم بعض طلبة المدارس الدينية والصوفية وبعض المديين من معارضين لجمعية الاتحاد والترقي، ومع أن السلطان أرسل رئيس كتبه للمتمردين حراً سماعه نسا يحبرهم بأن الشريعة بحير، وأنه لا يستطيع أحد أن يمتنها سوء، إلا أن المتمردين أصححت بهم مطالب أخرى منها تعبير المصدر الأعظم (حسين حلمي باشا)، ووزير الحربية (علي رضا باشا) وقائد الفرقة الأولى (محمود مختار باشا)، ورئيس مجلس المبعوثان (أحمد رضا)، وفي الاتحاديين من البلد، وعدة صباط ال (الايبي) إلى الخدمة، والعفو عن جميع المشتركين في هذا التمرد، لأنهم لا يقصدون سوءاً.

في هذه الأثناء كان الحدود يفتشون عن رئيس مجلس المبعوثان (أحمد رضا بك) وعن صحفي (حسين حهد باشا) لشيوع عدوانهم للإسلام، غير أنهم لم يعثروا عليهم، فقد حثف عن الأعداء ولكن قتل وزير عدل (صه باشا) إذ طر المتمردون أنه (أحمد رضا بك)، كما ذهب نائب بلاذية لأمر (محمد أرسلان) صحبة حصاً أيضاً، إذ حسبه حدود المتمردون نصحفي المعادي للإسلام (حسين حهد)، كما قتل عدد غير معلوم من الصباط من حريجي لكتلية حربية، إذ كان المتمردون يسوقونون نصباط ويسأونهم هل أنت صباط متحرج من المدرس أم صباط خدمة (لايبي) فإن كان الجواب أنه حريجي لكتلية الحربية

قُتِل، ومع أنَّ السلطان بذَّل الصدر الأعظم، وغير توفيق باشا مكانه، كما تمَّ تبديل وزير الحرية وقائد الفرقة الأولى برولاً عند رغبة المتمردين، طمعاً في إنهاء حركة التمرد، إلا أنَّ حركة التمرد لم تنته^(١).

وكانت تطالب به:

١- إحياء الشريعة.

٢- عزل الصدر الأعظم وإطْرَاف الحرية والحرية

٣- طرد (أحمد رضا بك) و(حسين حاكم بك) و(حوييد بك) و(رحمي بك) و(طبع بك) و(إسماعيل حقي بك) من مجلس^(٢).

ويذكر لمؤرِّحو أن هذه الحادثة ما هي إلى تمثيلية سياسية دترتها جمعية لاتحاد والترقي بإيعاز من الصهيونية بهدف عزل السلطان عبد الحميد^(٣).

وقد اعتبر أعضاء (لاتحاد والترقي) السلطان (عبد الحميد) هو المدتر لهذه الحادثة، فأرسلوا قواتهم من سلايك إلى إستانبول، وكان هذا الجيش يحمل اسم (جيش الحركة) ويتكوّن من قوات نظامية. وقوات غير نظامية كما كان يحتوي على رجان عصبات مسلحة، من السعير واضرب واليونيين، وهؤلاء يتعاونون مع (الاتحاد والترقي) المادي بالقومية والمسألة^(٤).

(١) أوزغان، محمد علي، مرجع سابق، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٢) محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧؛ حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٦.

(٣) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٤٦-٤٧.

(٤) وبماسة أنهم سلطان عبد الحميد شاعر هذه الحادثة يقول السلطان عبد الحميد في مذكرته: «ارتفعت رعماً عني عندما شرعت في كتابة تاريخ نبوه لواقع أن هناك ثلاثة عشر يوماً ناقصة على هذا يوم إداما وصعنا في اغتساب حساب تاريخ تحديد إن هذه الاسم قد خرج من كونه رقماً إلى كونه عملاً على تاريخ فترة قبل حدث من ساس هم الذين احتوا أن حادثة ٣١ مارت ستحدث لكن لم يعلم أحد قط حقيقة هذه الحادثة وسببها ومسببها جميعاً. وبني لا أريد على الإطلاق أن نفي هذه المسألة محجوبة، =

مأسجلها هي مراعيًا ألا أكتب شيئاً منها أو أحرف منها شيئاً ثم أذكر قطعاً في حادثه ٣١ مارت، ولم أسف نفسي لأحد من هذه الفرصة التي جاءت من نفاذ مهلها وبو كان لي دخلٌ فيها، ولو كنت أردت الإفادة منها، ما كنت أؤم (مضيئاً) في قصر بكريكي وربما كنت سأكون (في السلطة) في قصر يندير. تصورات جميعه (لأحد والترقي) أن حسن معاملتي بهم عندما كانوا ضعفاء جداً في ١٠ تموز، تصورت أن هذا ضعفٌ مني، أو أنني لم أستطع الإفادة من قوتي. فبدأت تتحفر للانقضاء على من أعنى وعمت أن خلافاً كبيراً حدث بين الحدود ورأيت أنه من الخطر كبير غير معادي عليّ وعلى الدولة حدوث ثورة، وبشكل خاص تدخل حدود في أعمال مثل هذه الأعمال، أحترت (حسين حلمي باشا) بالموقف، بل واستدعيت في إحدى الليالي وزيراً بحريناً وندري (مختار باشا راده محمد باشا) قائد القواص الخاصة إلى السراي، وكان مع الصدر الأعظم، ونادى في الأمر بحث طويلاً، قالوا إنهم يقدرون خطورة الموقف، وإبهم ميتحدون فوراً بتدابير اللازمة، ولكن عندما تحدثت هذه التذبير كان موقف قد احلظ وتغير وتمتد تماماً. عجزت السلطة عن واصحاباً، فقد أعلنت الصحف والجمعيات والنوادي وشكر مثير عن حريق ٣١ مارت لم أتدخل حتى لا أكون شريكاً في مسؤولية الواقعة، كان يمكن للحكومة (حسين حلمي باشا) قمع هذه الفسة خلال ساعتين لو كان لديها المرم انصافاً على هذا، يقول رجائي بعد أن حققوا في الأمر إن هذه الواقعة بدأت بعدد قليل من العسكر وكان سعيد باشا ابن كرم باشا هو الذي أتى برجل النابلي اسمه الحويش حمدي وأمنه بالمدن اللازمة، ودفعه لتحريض هؤلاء العسكر. ولم يتردد (حسين حلمي باشا) ورفاقه، ولم لا أن تفعلوا عن أداء واجبهم لانتهت حادثه ٣١ مارت في ساعة واحدة.

استقالت وزارة (حسين حلمي باشا) بعد أن أحاطت بالحريق بالمدحجة طالت لمجمعين في ميدان الصوفية بصدارة (كامل باشا) وأن يكون (ناصر باشا) وزيراً للحربية، وبطريقاً لأهمهم لم يكنوا خديراً في أوصيت بنفس (توفيق باشا) وهو محاند، في بصدارة العصبي، وسعيين العادي (أدهم باشا) وزيراً للحربية (مذكرات مصطفى عبد الحميد، محمد حبيب، ص ١٨٤-١٨٦، ١٨٨-١٩٠).

وتزايد الأمير شاذية ابن السلطان عبد الحميد كانت في الساعة عشرة من عمري عندما وقعت حادثه ٣١ مارت التي رآها بأبي فيها، لم يكن لدى أبي أي خبر عنها، وعندما سمع بها حزن كثيراً، كانت لمساءلة عبارة عن مؤامرة مضحكة جداً، فاعلنتها قوات الحفاه على لمشروعية بتحريض بعض المعارضين بخلع أبي من السلطة، فاعلنتها =

تحرك (جيش الحركة) من ملابيث، بقيادة محمود شوكت باشا، ووزع منشوراً يقول فيه: إنه «جاء إلى إستانبول ليقتد السلطان من أيدي المتمردين» كما أعين هذ القند في برقية جوابية إلى الشريف حسين شريف مكة المكرمة: «إننا جئت إلى إستانبول لحماية السلطان خليفة المسلمين» وكان محمود شوكت باشا ضابطان شابان، هما أركان حربه. عربي المصري ومصطفى كمال (أتاتورك).

وعندما وصل (جيش الحركة) طلب ودة الجيش نظامي لأول الموحود في إستانبول من لسلطان الإذن بالحرب، فرفض السلطان عبد الحميد ذلك حقاً بلده وفي ٢٥ نيسان - إبريل أصبح (محمود شوكت باشا) هو المسيطر على لعاصمة واجتمع مجلس المعوثان، وتخذ قراراً بحل سلطان، ولم يستطع

= عنى شكل نمود صد مجلس المعوثان (مذكرات الأميرة شادية لسلطان عبد الحميد، ص ٣٢)؛ و(مذكرات سلطان عبد الحميد، محمد حرب، ص ١٨٥) ويقول الدكتور (رضا نور) في مذكراته عن هذه الحادثة وموقف سلطان عبد الحميد فيها: «دعى الانحاديون أن عبد الحميد هو الذي دثر الحادث، وهذا كذب مكبر عبد الحميد فلم يكن له أي دخل في هذ الحادث، حتى بي أعلم بصفاته رفض مقدمة الحاديش حمدي تقدم على هذ الحادث» عبد الحميد برء من هذه الحادثة لم يدثرها، ولم يشترك فيها، ولم يوافق عليها لكنه أيضاً لم يتحرك ضدها وفي هذ أيضاً لم يكن يستطيع أن يصدها ولم تكن هذه وظيفته (مذكرات رضا نور، بحلة ٤، المجتمع، العدد ٥٣٣، يوليو ١٩٨١ م لكويت)؛ و(مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، ص ١٨٥).

(١) عربي المصري صابط شرطي بحوط في عدة جمعيات في العهد العثماني، شارك في حرب صرائس وكان له موقف مشس مع النيس، نصل بالإبحير والجمع معهم في ظهر با' ونروح بامرأة أمريكة، بعد سقوط الدولة العثمانية ذهب إلى مصر، ثم التحق بثورة الشريف حسين، لكن الشريف طرده فعاد إلى مصر هرب من مصر، بان لحرب لعاصمة شابة متحققات الألمانية في بيا، ومها ذهب إلى ألمانيا وبقي فيها حتى سقوط برلين، عاد بعدها إلى مصر يشترك في ثورة ٢٣ يونيو مع عصا الأحرار، ثم عيته عبدالصغير في الهند، والإحسان فهو شخصية عامضة ومرة، توفي في القاهرة في أو سط السبعينات (انظر صحوة الرحمن لمريض لموفق بي المرحلة) (الناشر)

(الاتحاد والترقي) للحصول على فتوى شرعية بالجمع، لا بالحبر، وألغوا لسلطات القرار بواسطة وفد يرأسه (عمانويل قره صو) اليهودي العثماني، عضو مجلس المبعوثان، ورئيس لمحتل ماسوبي في سلابيك^(١).

وقد دخل جيش مقدونيا في هذه الأثناء إسطنبول، وحدثت حالة من الفوضى في الدولة، وقد كانت هذه الثورة تفعل اليهود بهدف إثارة الفوضى في البلاد، وحدث ارتباك في النظام ندي يؤدي إلى خلع السلطان^(٢).

وقد عبّر السلطان عن هذه الحادثة بقوله: «أعرف جيداً أن كل ما يرومون هو حلقي أو قتلي وأن شخص واحد، فإذا أمرتكم بالمقدومة سقط القتلى منكم ومنهم، وأنتم جميعاً أفراد من هذه الأمة، والأمة ستحتج بكم فيما يرل بها من شذائده»^(٣).

دور اليهود في خلع السلطان عبد الحميد الثاني:

لم يتوقف اليهود طويلاً إقامتهم في الدولة عن المحاولات والمناورات من أجل تنفيذ أغراضهم، وكان عدوهم الأساس الذي وقف حائلاً أمام تحقيق رغباتهم هو السلطان عبد الحميد شبي، ولم يحدوا أمامهم بعد أن استفدوا جميع المحاولات السمية لإحضاع السلطان، وانتهوا بالفشل، غير أنهم قزرو التحلص منه بكل الوسائل، وكان من ضمن مؤمرتهم التخلص على السلطان، كانت محاولة اليهودي (نوردنيج) الذي قدم مشروعاً لاعتدال سلطان، كان هذا يهودي يدعى (علي نوري بك) فصل أول عثماني سابقاً، وهو يهودي سومي ادعى الإسلام، قام هذا اليهودي بعرض فكرة اعتبار السلطان عبد الحميد عن طريق شراء نارحنس، وتأجير ألف رجل، وتدخّل هاتان السرحتان اسقفور، وتقومان بتدمير قصر مدير ندي يشبهه السلطان، ونكر هذا مشروع رفض من

(١) محمد حرب، السلطان عبد الحميد، ص ٤٧-٤٨.

(٢) انظر حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣١٧.

(٣) مذكرات السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ١٨٥.

قبل هرتزل تحسباً من وقوع فتنة لليهود داخل الدولة في حالة فشل هذه المؤامرة^(١).

ومن ناحية أخرى تجلّى ظهور اليهود في حركة الاتحاد والترقي ومساندتهم لها في القضاء على السلطان. ففي ٢٤/٤/١٩٠٩م ذهب وفد إلى مفتي الإسلام (محمد ضياء الدين) من أجل إصدار أمر بخلع السلطان. وكان لليهود دورهم الملموس في هذا الأمر، فقد ذهب وفد مكون من (عارف حكمت باشا) رئيس الوفد، وعضوية كل من (أسعد طوتياي باشا) و(عالب باشا) و(آرام أفندي الأرمني) ومن زعماء اليهود الماسونيين المشتهين إلى يهود الدونمة (عما نويل قره صو) ووصلوا إلى بنديز لإبلاغ السلطان بما لجمع^(٢)

ونتم نفي السلطان وسجنه في سلاتيك في ٢٧/٤/١٩٠٩ في فيلا (لاتيني) وكلف شفيق رمري بك بحراسته، ثم نقل إلى (قصر بكركي) ومنع عنه الزوار، وحدثت حركات معارضة ضد الاتحاديين من قبل الصحافة، وخاصة الألبان وبعض المناطق العربية في سوريا ولسان الدين لم يرتجوا بخلع السلطان^(٣).

(١) محمد حرب، السلطان عبد الحميد آخر السلاطين العثمانيين الكبار، مرجع سابق، ص ٢٣٤-٢٣٥

(٢) كانت مشاعر الحزن والأسى سائدة على السلطان، فقال بعض مشيريه إلى (قره صو) قائلاً: «ما هو عمل هذا اليهودي في مقدم الخلافة» وحدث بعض إلى قره صو، ونزع كلامه بأي قصد ختم به رجل أممي. وبدلاً من الجواب سدا الأرنياك الجماعة والأخص اليهودي، وعلاوة على ذلك ستوسى عليه الخوف فلم يحد في نفسه فكرة على الجواب ومما زاد في حسرة السلطان أنه سبق أن صدره من محبته في قصر بنديز حبه دون لتأثير عليه لإسكان اليهود بفلسطين وخاصة أن قره صو هذا اعتقلته تهمة التجسس في قصر بنديز على أبواب ثورة ١٩٠٨م وسبق إلى السجن إلى أن عفا عنه السلطان. (مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب).

(٣) نظير محمد حرب، السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٤٩-٤٩، وفي معرض حديث سلطان عبد الحميد - بعد ختمه - عن الاتحاديين قال: «سطة عثمانية آية قديمة ممتسحة مبعثها - بالاعتماد على موهبة (إدارة مصسحت) - من سقوط، وذلك مدة ثلث قرون، على أن الاتحاديين ما كانوا يتصورونها من - واستولوا عليها بقوة الشهاب =

وبعد ذلك تمكنت العاصم اليهودية من اسفوذ إلى الدولة فأصبح (جاويد بك) وزيراً للمالية، و(طلعت بك) وزيراً للداخلية، و(جاهد بك) مستشاراً لجاويد بك وجميعهم يتمون إلى تماسوية

وبعد تعيين (محمد رشاد) الملقب (محمد الخامس) حلفاً بالسيف عبد الحميد، أصبح هذا السلطان أداة بأيدي الاتحاديين، الذين هيمنوا على مقدرات الدولة^(١).

= المحدثون بقوته - حتى أصاعوا أسوار، وبدأ الانهيار دون أن يشعروا لأمره ويقولون أيضاً نحن جميعاً نعلم مدى لحقد يدي بكنة يهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام ومقام الخلافة، هو حره عذمه إعطاني وحداً لليهود يذكر السلطان في مذكرته في مسألة حادثة خلعه قوله: بكنة بكاء مرأوايا في بقلار على صور الطريق ثم أكن نكي على نفسي، وبما على إصلاح يدي وقعت فيه ملادي هو أي كنت موقفاً من أهبة هؤلاء الذين توهموا النسبة في ملادي. ولو أهلية بسيطة لإدارة البلاد، فوالله والله لا حش ذلك عيداً بالنسبة لي (مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، ص ١٠٤).

وبهذه المناسبة يذكرنا أن يذكر أن أحد كبار المعارضين لسلطان، وكان من كبار رجال الاتحاد والترقي أيضاً وكان فيلسوفاً وشاعراً قد نظم قصيدة عن السلطان عبد الحميد وقد كتبت عن ودودة لسلطان قال فيها: عندما يذكر التاريخ اسمك يكون الحق في حاشيت ومعك يا أيها السلطان عظمه، كنت نحن الذين افترينا - دول حياء - على أعظم سياسي لعصر، قبل أن السلطان طام، وبس لسلطان محبوب، هذا لابد من اثورة على السلطان، وصدق كل ما قلناه - الشيطان، وعمل على إيقاد بغية، ثم نكن أنت المحبون، بل نحن، ولم يكن مدري عنك الفلادة على فتي وإياه، لم يكن محاسن محب، بل كما قد عذب الأحرار بقصد بصف - أنها سلطان عظيم على قلة لأحد (محمد حرب، المصنف، في تاريخ والحضرة، مرجع سابق، ص ٢٩ - ٣٠)

(١) يقول السلطان في مذكرته أنه بعد خلع رده فتحي بك فانه احرص، وأصلب منه مساعدة الجيش وجاء على قول السلطان: كيف يمكن لسلطان محبوب مني أن يسا عد الجيش قد نبت مع أولاد، ونخب في قصر حتى ينهم معونا من قروءه لصحف كما يعيش بألف ليرة تدفعها لنا الدولة، وهي لا تكفي حتى نمشت سانه معجب - وكيف هذه سمعده؟ - بل نمحووا نفودكم ومسراتكم الموجودة في نسولتي إلى الجيش ثم نعبه وقت أن أتركوا عن العرش ويعوبوني إلى سلايتك وحسب عدمهم يسمحوا لي بفتح شيش

قصي السلطان عبد الحميد بعد خلعها ثلاث سنوات في قصر (لاتيني) في
سلانيك من ١٩٠٩ حتى ١٩١٢م لا يتصل بأحد ولا أحد يتصل به، وكانت الدولة

بوفد القصر، ونعجت حقيقة عما طسوا من سيدي ونحو بلاني لموجوده في ذلك،
ذلك لأن هذه الثروة لم تعد تلعب حتى نصف ثروتها وقت أن كنت ولياً للعهد، وقد
مستخدمتها في شؤون الدولة والشعب مع حب الثروة لشخصية. وذلك عندما استدعت
بها الحاجة، لم أفكر أبداً في أي وقت من الأوقات في سردها، ولا أن يريدوا
لاسيلاً على آخر شيء في يدي أستطيع الاستدعاء، ويستعدون لركي بلا أمل مدة
صويده، وأنا لا أفكر في نفسي، ولكن ماذا سيحدث لأولادي، فقد كنت صاحب أسرة
كبيرة، والتفكير في حياتهم واجت عني والثروة التي تحت يدي - وهي ثروة قسلة - من
قبل تأمين مستقبلهم، وبك كذا لا تستطيع دفع مشاكلهم الحياتية. شرحت هذا بهدوء،
ودون أن نبطر عني واحدة، شرحته لفتحي بك ثم قلت له إن حصرة أخي سعدون
رشاد يعلم بحالي جيداً، وليس لي من الدولة قرش واحد بحبيبي، وبو أعطيت كل ما لي
بحيبي فلن يسد احتياجات كثيرة واحدة من الجيش - الدولة العثمانية لا تستطيع أن تقف
على قدميها من جراء بعض نفوذ أمتكها - كذا فتحي بك سمعني وهو مضطرب، ولم
يقول شيئاً قط، ثم سأله أهذا أمر من أخي؟ فقال هذا رجاء من الجيش والحكومة مقدّم
(إيكم - حسناً، وماذا يحدث لأولادي؟) إن حياة ومقاتلات ذوات درتكم، وكذلك
أولادكم تكفلها الدولة والجيش لاحظت وهو يحسب بأنه فصل الدولة عن الجيش،
كأن يتكلم وكان الجيش دولة داخل الدولة ومعنى يدي يستع من هذا أن جمعية
الاتحاد والترقي هي الدولة، وهي التي تمثل نفوة العبدية للحكومة، والسيدي، ومجلس
المعونات، ونفوة الجيش العسكرية، وهذا يعني أن الأسر الحاكمة لم تعد إلا سماً
فقط. إن هذه هي أول مرة في تاريخ الدولة العثمانية تسمح فيه على الدولة هيئة غير
مسؤولة (ومحمد حرب. سلطان عبد الحميد، ص ١٠٨ - ١١١)، يحدث رصداً
نوري في مذكراته عن رأيه في الحكم الاتحادي ندي تمسك برمام الأمر في ذلك
الوقت، وكل ما فعله الاتحاديون من مساوئ، إلا أنهم بالنسبة لمصطفى كمال (أتاتورك)
كباراً حالاً ممتازين، لكن بحكم لمشروعي (الذي جاء به للاتحاديون) جعل يفقد
عبد الحميد، وترحم على أيامه غائباً كثيراً من الاتحاديين. وقد سب منهم كثيراً، وبدا
لمصطفى كمال يتخذ مكانه فوق رفاه سباً مصنفاً عند ذلك فما آهكم كان الاتحاديون
وكم كانوا!! كم هي مسكينة هذه الأمة هذا قدرها، فسر ماد سيكون من مصطفى
كمال بعد ذلك؟ أحد العرب يعكرون في تأسيس حزب عربي وكان هذا الفكر القومي
العربي أمراً بالغ الخطورة، وهذا الفتح هذا الطريق (أي القومية العربية) فأن بهيته لاند
وأن تكون وحيدة (مذكرات رصداً نوري، مجلة المجتمع الكويتية، ١٩٨١م، ص ٢٥)

تحت قيادة جمعية الاتحاد والترقي التي أحدثت في التهاوي بعد إعلان بلغاريا استقلالها عن لدولة، واحتلال إيطاليا لطرابلس، وإلحاق أوسنة والهرسك بالنمسا في ذلك الوقت تم نقل السلطان من سلايك إلى إستنبول في شهرين الثاني - نوفمبر عام ١٩١٢م، وأقام السلطان عبد الحميد في قصر (بكلربكي) في إستنبول، وكان ممنوعاً من لقاء أفراد عائلته سوى أيام الأعياد فقط، وبعد عامين من إقامته بالقصر قامت الحرب العالمية الأولى، وقد أقيمت الأحداث السلطان عبد الحميد، الذي حث الاتحاديين على الدفاع عن مدينة إستنبول، وصل السلطان في هذا القصر مدة خمس سنوات، حتى وفاته الممبة يوم الأحد ١٠ / ٢ / ١٩١٨م^(١)

وقد اعترف السلطان لعنماي لطبيه عاطف بك عام ١٩١١م عن موقف اليهود بعد حربه أن متأكد أنه مع مرور الوقت سوف يستصعبون وسوف يحجبون في إقامة دولتهم في فلسطين^(٢).

يحدث بما أن وصف الأعراس التي تلت حلع السلطان عبد الحميد بأنها العصر لذهبي لليهود، مع طريق جمعية الاتحاد والترقي نصذر الصهيونية مركز الصدارة في توجيه الدولة بعد أن شغل رحلتهم المراكز الحساسة بالدولة، وأصبح التحالف بين اليهود والاتحاديين واضحاً للغاية

وقد أرسل السفير البريطاني في إستنبول في مذكرة إلى وزارة الخارجية البريطانية في آب - أغسطس ١٩١٠م صرح فيها بأن لجنة الاتحاد والترقي، تدعو في تشكيلها لداخلي، تحالف يهودياً - تركياً مردوحاً، فالأثر يكمن بها بالمادة العسكرية الفاحرة، وبمذاها اليهود بالعقل المدبر والنام، وبالقبول لصحفي القوي في أوروبا، بأن اليهود الآن في موقف الممنه والسيطر على التحجار الداخلي للدولة^(٣) ويتأيد من مساوية والصهيونية والدول الاستعمارية قامت الجمعيات

(١) انظر أورخان، مرجع سابق، ص ٣٣٦، ٣٥٢، ومحمد حرب، سلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٢) ميم كامل، مرجع سابق، ص ٨٤.

(٣) ليلي عبد اللطيف أحمد، مرجع سابق، ص ٤٨.

لقومية التركية بتكوين مجموعة من الشباب والسياسيين والوطنيين لمعارضة أنظمة الدولة التي كانت سبباً في ذلك الوقت، وانضم إليهم عدد من العسكريين الذين كانوا منضمين للجيش العثماني، وكان أول تشكيل لهذه الجمعية وأول المتممين إليها هو (إسحاق سكوتي) و(شرف الدين بعومي)^(١).

وفي هذه الفترة قويت الروابط بين اليهود وأتراك مقدونية وطهرت الشركات لصهيونية في مناطق (ماستر) و(أسكوب) و(قونية) و(حبيب) و(أصنة) وغيرها، وأصبح اليهود مسيطرين على جهاز الدولة الاقتصادي والصناعي، فازداد عدد المؤسسات المالية اليهودية، ومن أبرزها شركة (أجلو - ليفانتين) و(شركة تطوير الأراضي الفلسطينية) و(شركة أرض إسرائيل) وغيرها من الشركات الاستثمارية والمصرفية اليهودية التي لعبت دوراً بارزاً في تعزيز الصهيونية في فلسطين^(٢).

ولما كان السلطان عبد الحميد يهتم بالعناصر الإسلامية، ويسلمهم ماصباً هامة في الدولة أمثال (عزت باشا العبد لدمشقي) و(الشيخ أبو الهدى الصيادي) وغيرهم إلا أن وضع هؤلاء تغير بالكامل بعد أن تسلم الاتحاديون زمام الأمر، فقد قاموا باستبعاد كافة العناصر العربية من الماصب الهامة، ويقال: إن وزارة الخارجية التركية استبعدت منها العناصر العربية حتى إنه لم يبق بها سوى موظف عربي واحد، وأصبحت الصحف الاتحادية تنشر مقالات ضد العرب، ومن أبرز هذه الصحف صحيفة (طين) التي كان يرأس تحريرها (حسين حاهد) اليهودي، الذي هاجم فيها العرب بشدة^(٣).

وقام (يهود الدرومة) بشر كلمة (ببس) بمعنى (قدر) مفترنة بكل ما هو عربي، ومن ناحية أخرى بشر بين الأوساط العربية عبارة (ببس تركلير) بمعنى (الأتراك القذرون) حتى يحدثوا الخلافات بين العرب وترك^(٤).

(١) رفيق شاكور، مرجع سابق، ص ١١٨-١٢٦.

(٢) حسان علي حلاق، ص ٣٢٩.

(٣) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٣٣٢.

(٤) المرجع السابق نفسه.

ولم يكتفِ رعماء الصهيونية بطلب الهجرة إلى فلسطين فحسب، وإنما طالبوا بإيجاد مراكز تسهل عليهم عملية نزول المهاجرين إلى فلسطين عبر الموندي، وطالبوا من القنصل البريطاني في القدس بالتدخل لتسهيل هذه العملية، إلا أن القنصل البريطاني أعلن صعوبة هذه المهمة نظراً لرفض الحكومة العثمانية المشروع الصهيوني، وأعلن القنصل البريطاني أن تأسيس الدولة اليهودية بقومية لن يتم إلا بالمال، والعمل على تشكيل لجان لجمع التبرعات لأجل هذا التأسيس، فقدمت الرأسمالية اليهودية في بريطانيا، بتشجيع اليهود لإقامة المستوطنات، وإغداقهم بالأموال، كما تم إنشاء (الشركة اليهودية - البريطانية) لأجل هذا العرص، وقد سبب إنشاء هذه الشركة مشاكل عديدة بين بريطانيا والدولة العثمانية^(١)

وعلى الرغم من ذلك استمرت الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ومن أهم الشخصيات التي هاجرت إلى فلسطين في تلك الفترة (دافيد بن غوريون)^(٢)

(١) انظر حنا علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢١٠-٢١١

(٢) دافيد بن غوريون (١٨٨٦ - ١٩٧٣م) زعيم صهيوني وسياسي إسرائيلي وعالم توراتي، ولد في بولندا، في منطقة الاستيطان اليهودي في روسيا، شأ بشأ يهودية، كان أبوه عضواً في جماعة أحباء صهيون، انضم إلى جماعة عمال صهيون عام ١٩٠٤م، حاول تغيير اتجاه الحزب من تركيز على الأقليات اليهودية إلى التركيز على المستوطنين الصهاينة في فلسطين، كان من دعاة بحث اللغة العبرية، قدمت السلطات لركية سفيه سبب نشاطه لاستيطاني غير شرعي في فلسطين، تولى رئاسة الهيئتهروت خلال فترة من ١٩٢١ - ١٩٣٢م، في عام ١٩٣٠م ساهم في إنشاء (إمباي)، انضمت عضواً في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية عام ١٩٣٧م، وفي عام ١٩٤٨م قدم نفسه لإعلان قيام إسرائيل، طُلب من القدس عاصمة لإسرائيل، تولى منصب رئيس وزارة إسرائيل عدة مرات، وشغل منصب وزير الدفاع في نور رات التي رأسها، حوّل الحزب الإسرائيلي عام ١٩٥٦م ضد مصر، في نهاية حياته لأخيرة كتب في مذكراته نقد انتقاص من مصريين والسوريين لأسلافه، وأحياناً كان يدي بالسلام مع العرب، وأحياناً أخرى يصرخ بالاحتياط لكل الأرمني التي استولت عليها إسرائيل، كان ابن غوريون من أكثر الاشتراكيين الصهاينة، كان يؤمن بتعريف الشعب اليهودي على شعوب العالم، من أهم كتبه (سوت لتحتي)، و(بعث إسرائيل ومصيرها)، و(إسرائيل تاريخ شخصي)، و(ابن غوريون ينظر إلى نور)، و(ابن غوريون ينظر إلى العهد القديم) (عبد الوهاب =

وفي عام ١٩١١م طست بريطانيا - بيدر من فرنسا - من الحكومة العثمانية لعداء القيود القائمة التي تمنع اليهود الأحاس من امتلاك الأراضي في مقاطعتي سوريا والقدس (أي فلسطين)، وكان هذا المطلب بيدر من أسرة روتشيد اليهودية في باريس عن طريق الحكومة الفرنسية - فردت الحكومة لثمانية بأنها تحتفظ لنفسها بحق التصرف، لأن هذا الأمر من صميم شؤونها الداخلية^(٢).

وقد ذكر أيضاً أن بعض وزراء الدولة العثمانية - هاجموا الصهيونية ووصفوها بأنها صرب من الحيل، وأنها ضد الشكر العثمانية - وينشر موقف الحكومة العثمانية - بأنه الموقف الرسمي لجمعية الاتحاد والترقي، بعد ثورة الشبان الأتراك على السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٨م تبع اليهود نشاطهم، واعتقدوا أن موقف الاتحاديين سيكون أكثر تساهلاً ومودة، ولكن الحكومة الجديدة سارت على نفس سياسة عبد الحميد، وترايد عداء الحكومة العثمانية للصهيونية. وبدأ جيت هذا الموقف في عامي ١٩١١ و ١٩١٢م عندما هاجم كثير من النواب للصهيونية، وأوعزت الحكومة إلى السلطات المحلية في فلسطين أن تشدد الرقابة على تنفيذ الأنظمة التي تحظر على يهود متلاك الأراضي^(٣).

كانت السياسة التي يتبعها الاتحاديون في الدولة بعد نقضاء على السلطان

المصري، موسوعة المفاهيم، المصطلحات اليهودية، مرجع سابق، ص ١٠٦-١٠٧.
(١) إسحاق بن زفي (١٨٨٤ - ١٩٦٣) صهيوني، عمالي، شبي رؤساء دولة إسرائيل، ولد في أوكرانيا، سافر إلى تركيا عام ١٩٠٩م للاتصال بالقيادات اليهودية هناك ذهب مع بن غوريون إلى فلسطين مع شوب الحرب العالمية الأولى، إلا أنهما شجرا ورخلا إلى مصر، ثم إلى نيويورك، وأسس هناك جمعية لرؤد عام ١٩١٥م، ساهم في تحديد لأمراد لعيلق اليهودي، سبج رئيساً للدولة عام ١٩٥٦، وأعيد انتخابه عام ١٩٥٧م (عبد الوهاب المصري، موسوعة المفاهيم والمصطلحات اليهودية، مرجع سابق، ص ١٠٥-١٠٦).

(٢) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٣) المرجع السابق، ص ٩٣-٩٤.

هي إدارة الدولة بزعامة حزبهم في مجلس الأمة، ورجالهم في وررات الدار
 العالي وسائر المصالح، ويؤيدهم في ذلك طائفة من صباط جيش، يجري
 بطريقة تجعله آلة في أيدي زعماء الجمعية كـ (طلعت بك) و (رحمي بك)
 و (جاويد بك) و (خليل بك) ومن بينهم في النفوذ كـ (حده بك) و (سماعين حقي
 بك) فإذا تفق هؤلاء مع لجنة سلائيث على مسألة ما، جمعوا حريهم للمذاكرة
 فيه، وهو متفق عليه بين الزعماء ومن يتبعون به قبل الاجتماع من يسهر
 إقناعهم، ومن يظلم حريهم أنه إذا أقر الثلاثان من حاضري الخمسة فيه أمرًا وحب
 على الباقي أتبعهم بغير مناقشة، فكان إذا حصر الجلسة سنون وهم نصف أعضاء
 الحزب، واتفق أربعون منهم على المسألة تبعهم الباقي ندي يصل عددهم
 (١٢٠) فيمضي في المجلس على أنه رأي أكثر أعضائه

وكان هؤلاء الزعماء من شيعة الماسون الذين يحتشدون في شاصها، وجعل
 رجال الحكومة من أعضائها، وينشرونها بين ضباط الجيش، وقد يكون هدف تهديد
 لفصل بين السياسة والدين، وتحرير السلطان من صفة الخلافة الإسلامية

ومن ناحية أخرى فإن تشييعهم للمناشوية، وقوة نفوذ اليهود فيهم وفي
 الدولة، أدى إلى فور الجمعية لصهيونية في استعمار بلاد فلسطين، الذي يراد به
 إعادة ملك إسرائيل إلى وطنهم الأول، وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود
 لكثير من خيرات البلاد.

وكان من أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة ونسطة في المملكة
 العثمانية للشعب التركي والتوسل بقوة الدولة إلى إضعاف اللغة العربية وإماتتها
 في المملكة، وتزيت العرب مع إبقائهم ضعفاء، ومنع الأتانيين والأكراد من
 تدوين لغتهم، وجعلها لغة عجمية، وكان الانحدابون يصفون جمعيتهم بالجمعية
 المقدسة^(١).

(١) يصف رشيد رضا (جمعية الاتحاد والترقي) أنها جمعية الأحمرين الدم والذهب، فهي
 دم باعتبارها ثورية، وذهب لتهنم أموال السلطان عبد الحميد ومصادرة أعيان الأمة،
 وابتياح البوسنة والهرسك للمسا، وطرابلس الغرب لإيطاليا. وبيع أراضي الدولة =

والوزارة لعديدة التي كوَّنها الاتحاديون في ذلك الوقت كان على رأسها (محمود شوكت باشا) صديقاً أعظم لها، وناظراً للبحرية، ورحالها كانوا شيخ الإسلام محمد أسعد أفندي الذي كان أميراً لعتوى، وهو من أعظم رجالها، والحاخ عادل بك ناظر الداخلية وبساريا أفندي ناظر لسفاعة وشكري بك ناظراً للمعارف، والبرنس سعيد حليم باشا ناظر الخارجية، وإبراهيم بك ناظر العدلية - (وأي استبول سابقاً) ونسيم مارلياح ناظر التجارة والبراعة - مبعوث إزمير الأسرنيي سابقاً، ومفوض الجمعية الصهيونية ومحمود حوروك صول ناظر البحرية - يقال. إنه كان خفي عن الله باشا في قيادة جيش وأوسدان أفندي - لمظارة الديون العمومية الذي أرسل مفتشاً مالياً إلى الروملي، وأصبح ناظر البوسنة فيما بعد.

وفي الوزارة هناك (٣) وكلاء (ورراء) من قبل الجمعية الصهيونية: نسيم مارلياح، وحويد بك، وبساريا أفندي، أما العرب فلا يوجد لهم فيها رجل واحد^(١)، وكانت سياسة حكم الاتحاد والترقي - في الفترة ما بين ١٩٠٩م حتى ١٩١٨م تقوم على تترك الأقاليم^(٢) كما كانت (جمعية لاتحاد وترقي) موضع شبهة، وقد لعب اليهود فيها دوراً له أهمية في مجالس لاتحاديين قبل الثورة وبعدها، كما كانت دُورُ الماسونية هي الأماكن التي استخدمها الصباط لاتحاديون

= ومزارع السلطان للجمعية الصهيونية، ومساعدتهم في امتلاك البلاد المقدسة لتكوين الوطن اليهودي عليها

يقول رشيد رضا إنَّ لثورت لنبي استتبع عزل السلطان، والتي كان محزكها هو الاتحاديون منذ أربعة أعوام هو قلب الجيش على حكم عبد الحميد وإنشاء حكومة دستورية، ثم قام الجيش بقلب تلك الحكومة ثم قام رجال تلك الحكومة بقلبوا بعض طوبير ذلك الجيش، ثم عاد ضباط الجيش وقبوا ذلك الحكم، فقام الاتحاديون وقلبوا حكومة ذلك الجيش، وهي خامس ثورة حدثت في أربعة أعوام في سبيل لقتل على الحكومة ليس غير (انظر وقائع وأخبار الدولة العثمانية، مجلة المنار، م ١٦ ١٥١/٢).

(١) وقائع وأخبار الدولة العثمانية، مجلة المنار، ح ١٦، ص ١٥٧

(٢) محمد الخير عبد القادر، مرجع سابق، ص ٨٣، ٢٠٩

وشهد عام ١٩١١م ظهور حزب مساوي للاتحاديين، يدعو إلى دعم بحقوق المقدّسة للخلافة والسلطنة، وينادي بتعديل الدستور لتحقيق هــ الهدف في ١٩١١/١١/٢١م كما ظهر في نفس هذا العام اتحاد الأحرار، الذي صمّم كل المعارضين لجمعية لاتحاد والترقي، وقد كوّن هذا الاتحاد معارضة برلمانية ضد الاتحاديين، فاضطرّ هؤلاء إلى حلّ البرلمان في كانون الثاني - يناير عام ١٩١٢م وأحرروا انتخابات في نيسان - إبريل سنة ١٩١٢م فحالت بمن يريدون، وسُمّيت انتخابات العصا الغليظة.

وفي شهري أيار وحريـران - مايو ويونيو ١٩١٢م تجمّع عدد من لصساط في إستانبول عُرفوا بـ (فرقة الإنقاذ) وكان من أهد فهم إسقاط (جمعية الاتحاد والترقي) وبرمائها وحكومتها، وإعادة الحياة الدستورية، وفرصت هذه الحركة تعديلاً جذرياً أدى إلى تكوين ما سُمّي بـ (الوزارة العظيمة) برئاسة لعزي أحمد مختار باشا في ١٩١٢/٧/٢١م التي حققت مطالب المعارضة في إبعاد (جمعية الاتحاد والترقي) - مؤقتاً - عن السلطة، وحلّ برلمانها في ١٩١٢/٨/٥م.

كانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت مشغولة بحرب البلقان (تشرين الأول - أكتوبر ١٩١٢م) وبالعـدوان الإيطالي على ليبيا (١٩١١م) فدبّر لاتحاديون انقلاباً مضاداً لاستعادة السلطة بقيادة (أور بك) في ١٩١٣/١/٢٣م، وأسقطوا الوزارة، وقتلوا وزير حـربها (ناظم باشا) وفي ١٩١٣/٦/١١م عدت جمعية (الاتحاد والترقي) إلى السلطة في صورة دكتاتورية ثلاثية يترعّمها (أور) و(طلعت) و(جمال)^(٢).

ويحذر ب الإشارة هــ إلى الدور الذي قام به يهودي (قره صو) في اختلال إيطاب لليبيا، وسيحة لحياته هرب إلى إيطاليا، وحصل هــاك على حق الموطنة،

(١) محمد الخير عبد لقادر، نكه لأمة، مرجع سبق، ص ٨٥

(٢) المرجع السابق، ص ٩٦.

واستقرّ فيها حتى مات عام ١٩٣٤م^(١).

وفي عام ١٩١١م أيضاً انتخب يهود تركيا (د'ود الحقة) لتمثيلهم في المؤتمر لصهيوني العاشر، وقام هذا الشخص بإصدار صحيفة يهودية في إسطنبول تؤيد الحركة الصهيونية^(٢).

تأييد الدول الأوروبية لليهود من أجل تقسيم الدولة.

كان السلطان (سليم الثالث) حذّ السلطان عبد الحميد يعتر عن نفوذ الدول الأوروبية في الدولة العثمانية بقوله «إنّ أيدي الأجانب تتحوّل من رة فوق كبدي».

أما السلطان عبد الحميد فقد أضاف على قول سليم قوله أيضاً «إنّ أيدي هؤلاء لأحائب يست فوق كبدي، وإنما في داحه» معبراً عن سريان نفوذهم في الدولة الذي نعدّ السياسة الخارجية إلى سياسة الداخلية، هد إلى جانب نفوذ المحافل الماسونية في الملاد، وبحاحهم في استقطاب كبار الموظفين في الدولة، وتأثيرهم على الصباط الشأن في الجيش من أجل تقديم بعزل السلطان، وقد عزّ السلطان عبد الحميد عن هد بقوله «إنهم يشتررون صدورني لعظم وورراني، ويستخذمونهم ضد بلادي»^(٣).

قامت الدول الأوروبية بدور مؤثر من أجل تقسيم لدور التي كانت تحت إمرة ندولة العثمانية، وعمت على تفكيكها من أجل مصالحها وأهد لها الاستعمارية.

وكانت دول أوروبا الكبرى تريد تقسيم العالم فيما بينها عن طريق الدولة العثمانية، وكانت تذرّع في هد بإعطاء الحقوق للمسيحيين في ندولة العثمانية،

(١) محمد حرب، مقدمة مذكرات السلطان عبد الحميد، در الأنصار، مرجع سابق، ص ٦

(٢) صموئيل إنيحر، اليهود في السدان لإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٢٩

(٣) محمد حرب، سلطان عبد الحميد آخر اسلاطين العثمانيين نكار، مرجع سابق،

فتبعت أساليب (فوق تُسد) بين مختلف طوائف الدولة، فاستهجت لتحقيق هذا وسيلتين:

الأولى: تزييد المسيحيين ضد المسلمين، ومساعدتهم في شن الثورات والحروب ضد المسلمين.

الثانية: العمل على إيجاد اختلافات وفتر بين مسلمين أنفسهم، وهذا مما يسهل أهداف الدول الأوروبية بعد إضعاف الدولة العثمانية^(١)

ويرى السلطان عبد الحميد أن شافس بين الدول الكبرى سيحزها أخيراً إلى التصارع والتصادم فيما بينها وعلى هذا، فإن الدولة العثمانية أمام تصارع وتصادم كهذا، تصبح بعيدة عن أحطار التمزق وتقسيمها، ويوم التصادم (لدولي) سيوضح قيمة الدولة العثمانية بين الدول الأخرى، ذلك هو سرّ لسياسة التي انتهجها السلطان عبد الحميد طيلة (٣٣) عاماً^(٢)

فكان لإسحليز يشيرون على السلطان اتحاديي مستتر، ويثير الألمان اتحاديي سلايك، وكانوا يعملون على قيام انقلاب للاستيلاء على الدولة من

(١) حسان علي حلاق، مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، در تقديم، مرجع سابق، ص ١٣٧
يقول السلطان في مذكراته: «أمد أربعين عاماً وأنا أسطر أن تشتت لدول كبرى مع بعضها البعض كان هذا كل أملي كنت أرى أن سعادة دولة عثمانية مرتبطة بهذا وجاء ذلك اليوم الذي كنت أنتظره، ولكن هيهات فقد أعادوني عن العرش، واستعد الدين حكاماً سلاطناً عدي عن العقل والنفس، ففرصة عظيمة التي قدمت أربعين عاماً في استطاعتها وأنت، وأفلست من يد الدولة العثمانية إلى الأبد، جاهدت لكي لا يعزوني عن عرش صوب ثلاثين عاماً وجهادي هذا كان من أجل هذه الفرصة حيث الأسطول في الخليج وبم أحرجه ونو بتدريب، وحسي له كان من أجل هذه الفرصة تخدمت لحرب اليونانية لكي لا أدع للإحجير مفداً للاستيلاء على كريت ونجدهني هذا كان من أجل هذه الفرصة بمعنى آخر إن كل مجهودي قرنة ثلاثين عاماً، بصوابه وحفظه، إنما كان من أجل هذه الفرصة (مذكرات السلطان عبد الحميد، محمد حرب، مرجع سابق، ص ٦١).

الداخل . أمّا اتحاديو سلاييك الواقعون تحت تأثير المحافل لمسونية الألمانية ، فقد تحركوا عن طريق أنور ونيازي . واعتيل شمسي باشا وأصع اتحاديو ماستر المحولة . كما قام الإنجليز بعمل محادثات سرية عن طريق أبي الهدي الصيادي الذي كان موضع ثقة السلطان^(١) . ولسبب ما أوقف الإنجليز مباحثتهم السرية ، وأصبحت لحرب وشيكة لوقوع ، وكان السلطان يعلم بكل هذه الأمور ، لكنه لم يتخذ موقفاً مضاداً تحسّاً لإراقة الدماء ، وفي النهاية قدّم للاتحاديون بسقاط السلطان ، وتوضّدوا إلى اتفاقية مع الإنجليز ، ودخلوا الحرب كحليف مع ألمانيا^(٢) .

من ناحية أخرى قامت الدول الأوروبية بتروير الوثائق ، ونموية السلطات لعثمانية في هوية اليهود ، الذين كانوا من رعاياه ، ويرعون في الإقامة في فلسطين^(٣) .

بالإضافة إلى هذا فقد كان للصحافة الأوروبية دورها في مهاجمة لسلطان ، وفي هذا الصدد يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته : « كانت الصحف الأوروبية تكتب بشكل دائم وتهاجمني ، وتلفسي بالسبب الأحمر ، وكانت تحرّص الرأي العام العالمي ضدّي »^(٤) .

(١) أبو الهدي الصيادي (١٨٤٩-١٩٠٩م) من أشهر علماء الدين في عصره . كان قتيلاً لأشراف عموم حبيب لمع بحمه في عهد لسلطان عبد الحبير (عبد سلطان عبد الحميد) بلغ مكة كبيرة في عهد لسلطان عبد الحميد ، فوجهت إليه رتبة محرمين منها (مستشار الملك) . قصي (٣٠) سنة في خدمة الدولة العثمانية يدافع عن الخلافة ، ويؤكد واجب المسلمين في مؤررة الحليفة . عندما قام حرب (الاتحاد والترقي) بقتله وعزل السلطان عبد الحميد ، صط رحال الحرب وثائق تبشّر من خلايتها أن « أبو الهدي الصيادي لم يكن منافقاً ولا متحسّساً لسلطان ، بل كان منه في مقام الصبح العرش ، كما ورد في (مذكرات محمد كرد علي) ولأبي الهدي الصيادي رسالة بعنوان (داعي الترشيد لسبيل الاتحاد والائقياد) (مذكرات لسلطان عبد الحميد ، محمد حرب ، مرجع سابق ، ص ٢٧٠)

(٢) مذكرات السلطان عبد الحميد ، المذكور محمد حرب ، نطعة الثالثة ، دار النقم ، ص ١٥٠

(٣) أورخان محمد علي ، ص ٢٦٠ .

(٤) مذكرات السلطان عبد الحميد ، محمد حرب ، مرجع سابق ، ص ١٢٨

ومن الأسباب الرئيسة التي سعت الدول لأوروبية من أحلها إلى تفتيت الدول العثمانية هو الحصول على البترول، الذي تزخر به البلاد العربية وغيرها، التي كانت من ضمن أملاك الدولة العثمانية، حتى إن السلطان عبد الحميد عزم بمخططاتهم، فقام بإغلاق الآبار التي فتحوها بالموصل وبعداد، وقد غضب الإنجليز كثيراً من موقف عبد الحميد^(١).

(١) رفيق شاعر، مرجع سابق، ص ١٣٧ - ١٣٨، وفي هذه المناسبة يقول السلطان عبد الحميد في مذكراته: «كأن أعرف من قبل أنه من أجل العثور على بترول في الأقاليم (أي رومانيا) يقوم لمحتصون بحفر الآبار، وعن طريقهم يبحثون عنه بعد فترة حاصي لتفسير الإحباري محجة أن يقول لي حياً آخر قد لي إن قسماً كبيراً من أراضي سوريا والحجاز عبارة عن صحراء، ولعمدة شديدة في هذه الأماكن من العشب، وعدم وجود ماء، وبها لست، فإنه يتعدى بعمر هذه المناطق، ولذا، فإن الحكومة الإنجليزية - إذا أصدرت موافقتي - مستعدة باسم لإساية أن تمنح إباراً هناك، ولكن لهذا شروط: إذا تم العثور على الماء، وتكونت وحات، فإنهم سيشركون استخدام الماء الذي سيخرج بالأهلي، ولكنهم في هذه الحانة يصححون أصحاب الماء إن مسألة الاتفاق دونه لا يسير كما أريد رفضت الاقتراح، ولم أكتب به، بل أعففت رسمياً الآبار التي فتحوها بالموصل وبعداد، تأثر الإحليل أبلغ لتأثر به، وغصوا، وتركوا الآبار كما هي، وبكهم بدؤوا بأحدون على عاتقهم الحزب بمسألة الخلافة، متحدين من جملة الذين الأعداء وسيلة لمارهم كما كانوا يريدون الوصول إلى عابثهم باحتواء أمير الحجاز وفي هذا لعدد يقول (كادمي كوهن) الكاتب الصهيوني في كتابه (دولة إسرائيل) في تحريرة عربية ويد الإسلام، والعرب هم الذين تؤثر بشدة عبر الدب وعمو مع دساً عابثاً عظيم، لقد تصادم مع الكتبة العربية الهائلة كل عديدة عبر عربية، وبكها اعتنقت الإسلام، فتمحوت الملايو (مسيريا) في حوز لهدو ونهدوس ولأفغان وانتشر على صمد بهر لقوبغا وشه حربية القرى في أوكراين ولعرس ولأنترك والبوسون في سلفان وليرير في مراكش والروح في أفريقيا الوسطى حيث يوجد مسلمون أكثر حدة مما يوجد عرب، وإذا أردت لسياسة لأوروبية أن تتحرر من العنقات التي ترهقها في مستعمر بها سعي عينا أن تسعى لتفكيك هذه بهرية حصصها التي تحرقاً صدها، هوية بين المدهيم عربية وسميهم الإسلامي، وعدم تحدياً على حل لمسألة عربية، فإنها تحظم نياً تشكك الموحودين المسمومين، ونعتت بوحدة الإسلام، كما أن انقوميات لاستعمارية الأوروبية تؤمن بهد هدوء ألم تعرفه مدأمد طويل إن بصرية بوحدة عربية هي خير علاج وأفضل ترافق صد الوحدة الإسلامية، فهي لا تشكل خطراً أكثر مما تشكله القومية تركية الحديثة ود عدم =

وقد أرجع بعض الكتاب والمفكرين ضعف الدولة العثمانية إلى أن العلة الحقيقية في حال لدولة العثمانية هو فقر المملكة، واضطراب لحكومة، حيث كانت الحكومة الدستورية في أيدي الأمة، والأمة العثمانية ضعيفة الأخلاق، عريقة في الانقسام، بسب ما توالى عليها من أعصر 'فساد' وكانت لولايات، التي تتبعها في آسيا كل ولاية منها مملكة قائمة بنفسها، وانعراق كانت ممسكة لسليين ولآشوريين، وكانت سوريا مؤتفة من عدة دول، وهذه لولايات إدارت أحسست سياستها وإدارتها صارت غنية، وسوف يؤدي هذا إلى الهوض بالدولة وإصلاحها، وهذا لا يتم والأمة على ما هي عليه، ولنوسيلة تمثلي للهوض بالدولة العثمانية إنما هي ترقية الشعب، وهو لا يقدر أن يرقى نفسه رغم استعداداته الطبيعي للرقى، وقد يقوم بذلك حاكم عادل عاقل، إنما يشترط أن يكون مستعداً، وهذا لا يتيسر والحكومة دستورية، فلا بد من الاستعانة بالأحباب، وأسلم الطرق أن تتحالف لدولة العثمانية مع دول تثق بصداقتها، فتستعين برحمتها على إصلاح حكومتها، وترقية شعبها، وصيانتها من مظلمة الدول الأخرى، بشرط أن لا يكون

تصرف عن الدعوة إلى المشاعر الدينية، ولأنها هي على انعكس تشكل عرقية أساسية تصبح عصباً صحيحاً لتطور سياسي في الدولة القديم، بل تعيد بهوية التي نجمع بين لإسلام والمعروفة هو المبدأ على جعل نصيبه شرعية للمحرر الأبيض المتوسط ما يجب أن نكونه في الحقيقة، ووجه القدرة لأسبوبة التي نطق على لعدم العربي ورأس حشر لأوروبا نحو آسيا الكبرى.

ويضيف (كادمي كوهين) الصهيوني قائلاً: إن الوحدة تصبح قدرة على مقاومة الوحدة الإسلامية إذا ما نظمت سياسياً فإنقاط الشعور القومي العربي هو الذي يهيمن على المسألة. ويسمي أن لا يغرب عن مالنا أن نألق بحاجات الإسلام هو الذي ولد الإيمان الحديد عند العرب بتشكيل الأمة الإسلامية. إن لقومية إسلامية تنفوق على الفكرة العائلية وعلى العنصرية العشائرية أو القبلية التي كانت معروفة حتى الآن، فإذا لم يتراجع الغرب أمام تلك الديانة الجديدة، وإذا ما أقر وأكد على وجود قومية عربية تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى بلاد فارس قومية تختلف في جوهر تحديداتها عن النثر والهندوس ولبربر، فإنه يحرق بذلك قوة هائلة إذا ما تأطرت بشكل مناسب استطاعت أن تعيد دوراً في العالم لتمدن تؤهبا له أصالتها الرفيعة

لهذه الدولة مطمع في الاستعمار. فإذا رُفِّقت إلى ذلك في أثناء أربعين سنة نهضت واسترجعت رونقها^(١).

وقد أقيم عام ١٩٠٩م منتدى عمالي في سلايك صم مندوس عن أصحاب المهن لمختلفة من اليهود، وأصدر هؤلاء صحيفة (لانسبور) (لأمة) وصحفاً أخرى عديدة^(٢).

وفي عام ١٩٠٩م وبعد حلع السند قامت 'المصممة' الصهيونية بعقد المؤتمر الصهيوني التاسع في هامبرغ وكان ذلك في ٢٦، ١٢، ١٩٠٩م وهو أول مؤتمر يعقد بعد تغيير لفظ 'الحكومي' العثماني، وقد عثر الصهبة عن تعاونهم بهذا المؤتمر، وأنه سيفتح عصرًا جديدًا للصهيونية، ووصفوه بأنه أول مؤتمر يعقد في ظل الحكم لتركبي الحديد، واعتبره الصهبة المؤتمر الأول الذي يعقد في وجود سلطة شعب^(٣)

* * *

(١) ورنج وأخبار الدولة العثمانية، مجلة المشرق، م ١٦، ٤، ٣٠١ نقلًا لآري حورجي ريدان من أجل النهوض بالدولة العثمانية.

(٢) صموئيل إنيسجر، اليهود في السند للإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٢٢.

(٣) خيرية قاسمية، مرجع سابق، ص ٥٢.



المحتويات

محتويات

القسم الأول

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
المدخل	١٣
- تاريخ اليهود منذ محرقة براهيم عليه السلام حتى مرحلة المصور الوسطى	١٥
- العلاقات اليهودية الأوروبية	١٨
- وضع اليهود في إسبانيا بعد فتح الإسلامي ..	٢١
- موقف الملك فرديناند والملكة إيزابيلا مع يهود إسبانيا	٢٩
- لروح اليهودي إلى الدولة العثمانية بعد طردهم من إسبانيا	٣٣
- اليهود في عهد السلطان مراد الرابع	٣٧
- تقسيم يهود العالم:	٣٩
١- الإشكنازيون	٣٩
٢- السفارديم	٣٩
٣- اليهود الشرقيون	٤٠
- لغة اليهود في الدولة العثمانية	٤٠

القسم الأول في العهد العثماني

- ٤٥ الباب الأول: الساباتانية في تركيا - يهود الدونمة .
- ٤٧ - اليهود لدين اعتقوا الإسلام لنقضاء على الدولة العثمانية .
- ٤٨ - الشخصيات اليهودية التي ادعت أنها المسيح المنتظر .
- ٥٥ الفصل الأول نشأة ساباتاي رفي - عقيدته ومراحل دعوته
- ٥٥ - حياة ساباتاي رفي ومذهب القبالة
- ٥٦ - عقيدة ساباتاي رفي ومذهب القسالة .
- ٦٩ - مراحل دعوة ساباتاي رفي
- ٧٧ الفصل الثاني : إسلام ساباتاي رفي .
- ٧٧ - أسباب إعلان ساباتاي رفي إسلامه .
- ٨٥ - رأي الصحف والمجلات العثمانية في إسلام يهود الدونمة
- ٩١ الفصل الثالث : موقف يهود الدونمة بعد وفاة مؤسسها ساباتاي رفي .
- ٩١ - حبيفة ساباتاي رفي وانقسام الساباتانية .
- ٩١ - جماعة اليعقوبيين
- ٩٢ - عقائد اليعقوبيين
- ٩٣ - جماعة القره قاش
- ٩٤ - جماعة القابانجلو
- ٩٨ - العادات التي اتبعتها الساباتانيون
- ٩٨ - عيد إطفاء الشمعة عند الساباتانية
- ٩٩ - تأثير يهود الدونمة على الحياة الاقتصادية في الدولة العثمانية .

١٠١	- التأثير السياسي ليهود الدونمة (السباتائية)
١٠٣	- يهود الدونمة (السباتيين) و لماسونية
١٠٦	- علاقة السباتيين بالاتحاد والترقي، ودورهم في تتريث الدولة
١٢٣	- تأثير يهود الدونمة على الفكر التركي المسلم
١٢٨	- علاقة الدونمة بكمال أتاتورك
١٣٤	- تأثير الدونمة في الأدب التركي
١٣٨	- التأثير الإعلامي ليهود الدونمة في تركيا الحديثة
١٤٧	الباب الثاني: تطور الوجود اليهودي في ظل الدولة العثمانية
١٤٨	تمهيد
١٤٩	الفصل الأول أحوال اليهود وعلاقتهم بالمسلمين والدولة العثمانية
١٤٩	- معاملة أهل الدمة في المقرآن الكريم
١٥٢	- معاملة أهل الدمة في الأحاديث الشريفة
١٥٤	- تأثير الأدب العربي على اليهود
١٥٤	- تسامح الرسول والخلفاء الراشدين مع اليهود
١٥٧	- معاملة السلاطين العثمانيين لليهود المهاجرين إلى الدولة العثمانية
١٦٢	- معاملة السلاطين العثمانيين لليهود المهاجرين إلى الدولة العثمانية
١٦٣	- السلطان بايزيد الثاني
١٦٤	- السلطان سليم الأول
١٦٤	- السلطان سليمان القانوني
١٦٧	- السلطان سليم الثاني
١٦٩	- السلطان مراد الثالث
١٦٩	- السلطان محمود الثاني

١٧١	- ثورة لشيخ بدر الدين السماوي ودور اليهود فيها
١٧٧	- استفادة اليهود من نظام الامتيازات الأجنبية في دولة العثمانية
١٨٣	الفصل الثاني . التواجد اليهودي في البلدان العثمانية
١٨٣	- اليهود في إستانبول
١٨٨	- اليهود في إزمير
١٩١	- اليهود في أدرنة
١٩٢	- اليهود في سلانيك
٢٠٠	- شحفيات اليهودية البارزة في سلايت
٢٠٠	١ - الحاخام يهودا نجما
٢٠١	٢ - موشيه آلاتيني

الفصل الثالث محاولات اليهود استيطان فلسطين من خلال

٢٠٣	الدولة العثمانية
٢٠٣	- لتواجد اليهودي في فلسطين قبل هجرتهم إلى دولة عثمانية
٢٠٦	١ - عهد القضاة (١١٢٥ - ١٠٢٥) ق.م
٢٠٧	٢ - عهد الملوك (١٠٢٥ - ٩٣١) ق.م
٢٠٧	٣ - عهد الانبياء (٩٣١ - ٥٨٦) ق م
٢٠٨	- اليهود في ظل الحكم الروماني لمسيحي
٢٠٩	- اليهود في ظل حكم المسيحيين في فلسطين
٢١٠	- اليهود في ظل حكم الأيوبيين في فلسطين
٢١١	- يهود في فلسطين أثناء الحكم العثماني المبكر
	- علاقة فرنسا بيهود دولة العثمانية تجاه استيطان اليهود فلسطين
٢١٣	خلال عام (١٧٩١ - ١٨٠٠)

- ٢١٥ - دور نابليون في دعوة اليهود لاحتلال فلسطين
- ٢٢١ - علاقة بريطانيا بيهود الدولة العثمانية (١٨٠٠ - ١٨٩٦ م)
- - تطور علاقة بريطانيا باليهود من أجل تمكينهم لاستعمار فلسطين بعد القضاء على الخلافة العثمانية : خلال الفترة
- ٢٣٥ (١٩٠٧ - ١٩٤٨ م)
- ٢٣٥ ١- اتفاقية (سايكس بيكو) وأثرها على اليهود في تركيا
- ٢٣٦ ٢- وعد بلفور وأثره على اليهود في تركيا
- ٢٤٢ ٣- معاهدة سيفر وأثرها على اليهود لاستيطان فلسطين
- - علاقة يهود روسيا بالدولة العثمانية ورغبتهم في استيطان فلسطين
- ٢٤٧ في الفترة (١٨٨١ - ١٨٨٧ م)

الباب الثالث: العلاقات اليهودية العثمانية في النصف الثاني من القرن

- ٢٥٥ التاسع عشر وأوائل القرن العشرين
- ٢٥٦ تمهيد

الفصل الأول: دور اليهود في قيام وانتشار الفكرين الماسوني

- ٢٥٧ والقومي في تركيا
- ٢٥٧ - العلاقة بين الماسونية والصهيونية
- ٢٦١ - سياسة التتريك في الدولة العثمانية ودور الماسونية فيها
- ٢٦٢ - معاداة الماسونية لآل عثمان
- ٢٦٣ - المحافل الماسونية في الدولة العثمانية
- ٢٧٣ - الصدور العظام الماسونيون
- ٢٧٦ - دور هرتزل في نشر الماسونية في تركيا
- ٢٧٨ - علاقة الماسونية بجمعية الاتحاد والترقي

- دور الماسونية في ثورة ٢٧ / ٥ / ١٩٦٠ م ومحاولة هدم الإسلام

- ٢٨٩ في تركيا
- ٢٩١ تحكم الماسونية في الاقتصاد التركي
- ٢٩٢ ظهور وانتشار القومية التركية
- ٢٩٢ دور اليهود في بعث القومية التركية
- ٢٩٤ انتشار الفكر الطوراني في تركيا والدور اليهودي
- ٢٩٩ دور المدارس التبشيرية في انتشار القومية التركية
- ٣٠٤ تأثير الدول الغربية على القومية التركية والعربية

الفصل الثاني: دور اليهود المحلي العثماني والدولي العالمي

- ٣٠٩ في فلسطين
- ٣٠٩ • أولاً: دور اليهود المحلي العثماني
- ٣٠٩ - اتصال اليهود بالبلاط السلطاني
- ٣١١ ١ - إغراء اليهود السلطان بحل مشاكل الدولة الاقتصادية
- ٣١٥ ٢ - محاولات اليهود تشكيك السلطان في رجاله
- ٣ اليهود يعرضون على السلطان العثماني مساعدته في قضية
- ٣١٦ الأرمن مقابل استيطانهم فلسطين
- ٣١٨ - محاولات اليهود شراء أراض في فلسطين
- - دور الإقطاع في تسهيل شراء اليهود لأراضي فلسطين ونصدي
- ٣٢٠ العثمانيين لهم
- ٣٢١ - محاولات اليهود إنشاء جامعة عبرية في فلسطين
- ٣٢٣ - الجمعية الصهيونية ودورها في استيطان اليهود فلسطين
- ٣٢٥ • ثانياً: دور اليهود العالمي في محاولة حصولهم على فلسطين
- ٣٢٥ - توجه هرتزل نحو الممولين الأوروبيين وكبار أغنياء اليهود

٣٢٦	- محاولات هرتزل الاتصال بالأوساط الدينية في روما
	- محاولات اليهود في استغلال التقارب العثماني الألماني
٣٢٦	والحصول على تأييد ألمانيا لقضيتهم
	- مساعي اليهود نحو عقد المؤتمرات الدولية من أجل
٣٢٨	إنجاح دعوتهم
٣٣٥	- توصيات المؤتمر الصهيوني الثامن
٣٤٠	- توجه اليهود إلى إنجلترا لتحقيق أغراضهم
٣٤٣	- جهود هرتزل للحصول على تأييد روسية لقضية اليهود
٣٤٣	- توجه هرتزل لكسب تأييد أمريكا
٣٤٥	- تصدي الدولة العثمانية للاتجاهات التغريبية
	- توجه هرتزل إلى ملك إيطاليا ومشروع استعمار
٣٤٦	طرابلس الغرب
٣٤٦	- محاولات هرتزل لكسب تأييد بابا روما
٣٤٧	- تطور النوايا الصهيونية بعد هرتزل
٣٥٧	خلاصة
٣٦٥	الفصل الثالث: اليهود والسلطان العثماني عبد الحميد الثاني
٣٦٥	- معاملة السلطان عبد الحميد الثاني لليهود الدولة
	- سياسة السلطان عبد الحميد نحو هجرة اليهود إلى
٣٧٤	الدولة العثمانية
٣٧٦	- الفرمانات التي أصدرها السلطان عبد الحميد
٣٧٧	- الفرمان الأول
٣٧٧	- الفرمان الثاني
٣٧٧	- الفرمان الثالث

- التعليمات التي أصدرها السلطان عبد الحميد وتخص زيارة

اليهود للقدس ٣٧٨

- سياسة الضغط على السلطان لإجباره على إعلان الدستور

ودور اليهود فيها ٣٧٩

- حادثة ٣١ مارت وموقف اليهود منها ٣٨٣

- دور اليهود في خلع السلطان عبد الحميد الثاني ٣٨٧

- تأييد الدول الأوروبية لليهود من أجل تقسيم الدولة ٣٩٨

المحتويات ٤٠٥

محتويات القسم الأول ٤٠٧

